



المطبعة الرحمانية
بالخرنفش بمصر رقم ٣٥



المقدمة

كان الشرق قديماً كعبة العلم يؤمه الغربيون فأصبح الغرب اليوم منارة العرفان يقصده الشرقيون

يظهر الغربيون كل يوم من أسرار الطبيعة سراً جديداً فيكشفون عن أنوارها الساطعة المتلألأة بينما الشرقيون يبصرون النتائج الباهرة فيتساءلون مبهوتين عن هذه الألغاز متشوقين لمعرفتها فيقلبون الطرف حولهم لعلهم يجدون كتاباً بلغتهم يسعفهم فلا يجدون الى بغيتهم سبيلا

لهذا فكرت أن أضع بالعربية كتاباً فى حديث المخترعات وأن أجعله أجزاء متسلسلة مبتدأً بهذا الجزء لشرح هذه المعضلات شرحاً فنياً موضحاً بالرسومات

وقد كتبته بأسلوب سهل المتناول على كل من له إلمام بهذه الفنون ليكون أكثر فائدة وأبعد شوطاً متوخياً غاية الايجاز لأجمع فى الكتاب على ضيق مجاله كل ما لا بد منه من المعلومات وجاعلا غرضى فى كل مبحث

تتبع الأثر الصحيح وراء الغربيين حتى نصل اليهم ونجاريهم في العلم والعرفان

وأرجو أن ينال كتابي من حضرات القراء الكرام القبول فأكون قد قمت بخدمتهم لأن هذا كل غرضي ومناي ؟

محمود حامد محمد

غرة شعبان سنة ١٣٣٩ هـ

أشعة الراديوم الغريبة

أشعة رونتچن المجهولة

ما وراء الذرة

أنه لمن عجائب الاتفاقات أن يبدأ القرن التاسع عشر بسيل عظيم من الاكتشافات وأن ينتهي بمثل ذلك فهو بين القرون جدير بأن يسمى القرن المحجل الطرفين المشهر الغرتين

ففي حوالي سنة ١٨٠٠ أظهر « رمفورد » خطأ نظرية الحرارة القديمة وبرهن على أنها نوع من الحركة تؤثر على جزئيات المادة وأيضاً خطأ (ينج) نظرية الضوء واعتبره حركة تموجية فى وسط جديد سماه بالأثير واكتشف (فولتا) الكهرباء الديناميكية ووضع (ولستون) أساس التحليل الطيفى بعد ما شاهد خطوطا سوداء في ضوء الشمس المتحلل وكذلك اكتشف (دلتون) نظرية الذرة فى الكيمياء فمهد لها طريق التقدم ووضع (فراداى) قوانين استنتاج التيار الكهربائى وعنه أخذ (مكسويل) فاستنبط نظريته المغناطيسية الكهربائية الشهيرة للضوء وهى التى ساعدت (هرتز) كثيراً في مباحثه التى أوصلت (مركونى) لاختراع تلغرافه اللاسلكى

وأما فى حوالى سنة ١٩٠٠ فقد اكتشف (كروكس) الاشعة السالبة وصرح بانها تركيب جديد للمادة أى حالة رابعة لها فسماها المادة النيرة وبعد ذلك تمكن (لينارد) من إبراز هذه الاشعة فى الهواء ثم أعاد (رونتچن) تجارب (لينارد) فاكتشف بطريق الصدفة أشعة جديدة سماها الاشعة المجهولة ورمز لها بحرف (X) وكذلك برهن (تومسون) أن الاشعة السالبة مركبة من جزئيات تقل عن ذرة الايدروچين بالآف المرات ثم اكتشفت مدام (كورى) الراديوم وبحث (رثرفورد) كثيراً في أشعته فوضع أساس العلوم الحديثة فيما وراء الذرة

فمن ذلك نستدل على أن سنين ١٨٠٠ و١٩٠٠ هي عصور زاهية في تاريخ العلم وقد كان للميكانيكا فى العهد الاول منها حظ وافر من التقدم وكان يرجع اليها معظم العلماء فى تعليل نظرياتهم فمثلا قالوا عن الصوت أنه اهتزاز هواء والضوء تصادم ذرات ولكنهم عجزوا عن تعليل الحرارة والمغناطيسية والكهرباء فلما قنطوا نسبوا فعلها لعوامل خفية سموها بالعوامل العديمة الثقل ولكن فى هذا العصر انكشفت مجهولات هذه العوامل أمام نور العلم الحديث واتضح أن الحرارة هي حركة فى جزئيات الجسم والضوء اهتزاز أثيرى والمغناطيسية أعصار إثيرية والكهرباء أما جهد أو قص فيه وبذلك انتهت جميع هذه المسائل الى علم الميكانيكا ولكنها ميكانيكية الجزئيات أولا والاثير ثانياً

ولكل طريق من هذين الطريقين قواد من العلماء افتتحوا مغالقه وذللوا وعوره بقوة الصبر ونفاذ البصيرة فالطريق الاول ويشمل الحرارة وقوانين الغازات وما شابه وأبطاله رمفورد (Rumford) وجول (Joule) وكارنوت (Carnot) وكولوسس (Clausus) والطريق الثاني ويشمل أحدث نظريات الضوء والكهرباء والمغناطيسية وأبطاله أمبير (Ampere) وفراداى (Faraday) وكيلفن (Kelvin) وهرتز (Hertz)

نظرية الذرة

أول من بحث في هذه النظرية هو (دلتون) وأشهر ماقاله فيها أن العناصر لاتتحد دقائقها جزافا بل بنسب ثابتة تتعلق بوزنها الذري وقد أطلق (دلتون) على أصغر مقدار من أى اتحاد يحفظ خاصية هذا الاتحاد اسم جزئية وطبعاً الجزئية نفسها مكونة من ذرات وهذه الجزئيات أو الذرات متماسكة بعضها ببعض تماسكا قويا جداً بالنسبة للجذب الحاصل بين دقائقها بدليل أن الموادالصلبة اذا كسرت لا يمكن جبرها ثانياً بالضغط مهماكانت قوته فكل ضغط لا يكفى لتقريب الذرات بعضها لبعض كما كانت حتى تدخل فى منطقة الجذب المتبادل وانما نصل لذلك أخيراً بعملية الصهر

وقد وصل البحث بعد ذلك الى أن الجزئيات ليست ساكنة بل هى فى حركة شديدة وأن ما نسميه في عرفنا بالصلب والسائل والغاز ماهو الا إختلاف فى موازنة القوات المتجاذبة ففي الجسم الصلب نري أن معظم الجزئيات راسية فى مواقع ثابتة مقفلة معاً بتأثير قواتها المتبادلة وهى مع ذلك فى تحرك مستمر بالاهتزاز أو بالدوران حول مواقعها فالكتلة من الحديد مثلا تظهر فى مرأةالعين أنها ساكنة ولكنها فى الحقيقة ماهى الا مرسح لحركات قوية لملايين الجزئيات فيها كما برهن على ذلك كثيرون وقد يمكن الاستدلال على ما سبق بسهوله بوضع كتلة ذهب بجوار أخرى من الرصاص فبعد مضي زمن نرى على كل منها آثارا من جزئيات الاخرى

أما فى السوائل فان القيود التى بين الجزئيات أشد تراخيا من القيود التى بين جزئيات الاجسام الصلبة وجزئيات السوائل تنزلق بحريه بعضها على بعض ولكنها لاتبعد مطلقا عن منطقه جذبها المتبادل وهذه السهولة ظاهره جليا من تبخير السوائل وأما الغازات فهى خلاف ذلك فانها حرة من الجذب المتبادل بدليل أن سنتيمتر مكعب من الماء يتحول الى ١٦٠٠ سنتيمتر مكعب بخارا وعلى ذلك تكون سرعة الجزئيات والمسافة بينها كبيرة جداً بالنسبة لحجمها لان البخار يتمدد ليملأ أي فراغ يترك له وبالنسبة لذلك لانخطئ اذا عرفنا الغاز بانه عدد عظيم من الجزئيات تتحرك بسرعة عظيمة فى إتجاهات حرة تتغير عند تصادم الجزئيات بعضها ببعض أو بجدران الآنية التى فيها وعلى ذلك يعتبر الضغط الواقع على الجدران آتيا من صدمات الجزئيات المنقذفة عليها والجزئيات نفسها أو الذرات بحث فيها كثيرون مثل (ستونى) و (مكسويل) و (كيلفن) وغيرهم وقد حسب مكسويل كل مايتعلق بذرتى الايدروچين والاوكسچين بدقة متناهية فوجدها كما يأتى : —

	ايدروچين	أوكسچين
كتلة الذره	١	١٦
سرعتها مقدرة بالمتر فى الثانية وهي فى درجة الصفر	١٨٥٩	٤٦٥
طول طريقها الحر بالمليمتر	٩٦٥ × $١٠^{-٧}$	٥٦٠ × $١٠^{-٧}$
عدد الصدمات بالملايين فى الثانية	١٧٧٥٠	٧٦٤٦
قطر الذرة بالمليمتر	٥ر٨ × $١٠^{-٧}$	٧ر٦ × $١٠^{-٧}$
وزنها بالجرام	٤٦ × $١٠^{-٢٥}$	٧٣٦ × $١٠^{-٢٥}$

فيظهر من هذا الجدول أن مليونى ذرة من الايدروچين يمكن صفها فى مسافة لا تزيد عن ملليمتر واحد وأن الذرة الواحدة تتصادم ١٧٧٥٠ مرة فى الثانيـة تغير فيها سرعتها وتنحرف عن طريقها وأن عدد ذرات الايدروچين فى السنتيمتر المكعب ٨ر٣ × $١٠^{١٩}$ وهذا العدد ينطبق على جميع الغازات بناءا على قانون (أفوجادرو) اذا كانت هذه الغازات على درجة واحدة ضغطاً وحرارة

الأنبوبة المُفْـرغة

بعد ظهور ملف (رهمكورف) المعروف فى الكهرباء كثرت التجارب على الأنابيب المفرغة تفريغاً جزئياً بتمرير التيارات العالية الضغط فيها وهذه الظاهرة الجميـلة كانت ينبوعاً غزيراً للمكتشفين فاكتشفوا منها أشياء كثيرة أهمها طبيعة الكهرباء والمادة وعلاقتهما المتبادلة

والأنبوبة عبارة عن أنبوبة طويلة من الزجاج ملحوم فى كل طرف من طرفيها سلك من البلاتين الأول لدخول التيار ويسمى (بالدليل) والثانى لخروجه وتسمى (بالأثر) فلو فرضنا أن الأنبوبة ممتلئة بالهواء فان التيار لا يخترقها بالنسبة لشدة مقاومته ولكن اذا فرغناها قليـلا فان التيار يمر ويضيء بلون قرمزى وبزيادة التفريغ حتى جزء من خمسين من الجو يظهر حول الأثر بقعة سوداء محاطه بضوء بنفسجى ثم يعقبها سواد آخر يتلوه نور متلألىء وهكذا حتى الدليل الذى يكون مغموراً فى ضوء براق

ولون هذه الانوار المتلألئـة يتعلق بنوع الغاز الذى في الانبوبة فان كان أيدروجينا يكون أحمر وان كان نتروجينا يكون قاتما وان كان ثانى أوكسيـد الكربون يكون أخضر باهتا

وأول من أهتم بهذه الانابيب وبحث فيها هو (كروكس) فقد عمل عليها تجارب كثيرة وا كتشف مايأتى : —

(١) أن الضوء البنفسجى ينبعث فى خطوط مستقيمة من الاثر على زاوية قائمة بصرف النظر عن موقع الدليل وقد أطلق على هذا الضوء اسم (اشعة الاثر) وأعتبرها حالة رابعة للمادة وسماها بالمادة النيرة

(٢) أن الاشعة اذا صادفت جسما توهجه لجدار الانبوبة نفسه فيه هـذه الخاصية وكذلك اذا عرضنا قطعة من الصـدف أو الالماس والاجسام المعدنية لهذه الاشعة فانها تضيء ببريق لامع

(٣) أن للاشعة ضغطا ميكانيكيا

(٤) أن للاشعة تأثيرا حراريا يظهر جليا اذا جعلنا الاثر مقعراً ووضعنا فى بورته قطعة من البلاتين فانها تصهر

(٥) ان الأشعة تنحرف عن مجراها اذا قربنامنها مغناطيسيا وهذاالانحراف يكون فى اتجاه مقاطع لخطوط المغناطيس كما هو الحال فى التيار السابى

الأشعة المجهولة (×)

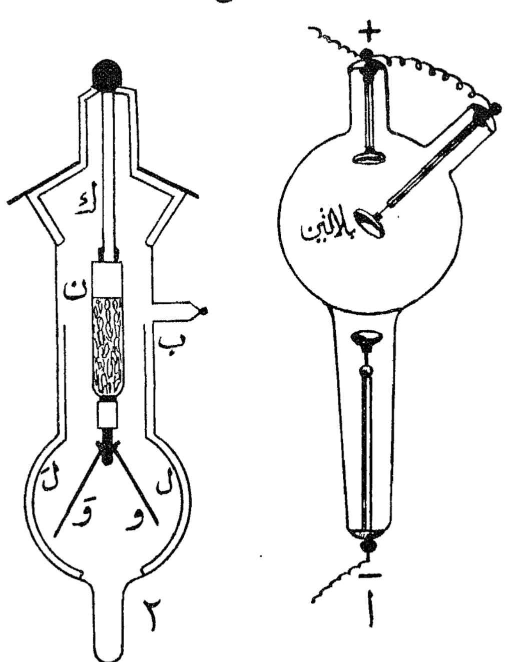
لاكتشاف أى جديد أو اقامة أى قانون مبتدع لا بد من ثلاثة أدوار تمر على المكتشف حتى يتم اكتشافه

فالدور الأول — دور الملاحظة — أى تمييز حقيقة أو علاقة جديدة كانت موجودة ولم يرها الغير أو لم يعطها شيئاً من الأهمية وهذا الدور يحتاج لمهارة وحذق ونظر خاص

والدور الثانى — دور التجربة العملية التى تثبت ماظهر وتحله مما يكون غير مطابق له

والدور الثالث — دور التحقيق وفيـه تقارن النتائج السابقة بنتائج تجارب أخرى أبعد شوطا منها

ففي سنة ١٨٩٥ بينما كان (رونتچن) يعيد تجارب (ليناردن) تصادف أنه غطى أنبوبة مفرغة بورق اسود فى غرفة مظلمة ليسهل له رؤية تأثير أشعة الأثر خارج الأنبوبة وبينما هو يلتفت اذ رأى على بعد لوحا معدنياً متوهجا فأستغرب الأمر ووضع كفه حاجزاً بينـه وبين الأنبوبة ليتحقق من مرور الأشعة الى اللوح فاندهش من رؤية عظام كفه ظاهرة مكشوفة على اللوح فبحث ودقق حتى تضح له أنه يخرج من الأنبوبة نوع جديد من الأشعة سماه باسمه ودرس فيـه طويلا حتى أظهر أهم خواصه ومن ضمن هذه الخواص أن الأشعة تخرج من الموضع الذى تتصادم فيـه أشعة الأثر مع جدران الأنبوبة العـادية (وأما فى أنابيب البورة الحديثـة (شكل ١) فتخرج من قطعة البلاتين التى تتجه نحوها



أشعة الأثر) وهذه الأشعة تنطلق بعد ذلك على خط مستقيم فى جميع الجهات وتخترق الأجسام وقوة إختراقها تكون على حسب كثافة الجسم كما ظهر من عتامة العظم وشفافة اللحم فى يد المكتشف

والأشعة المجهولة أى أشعة (رونتجن) تنعكس وتنكسر وتتداخل ولكنها لاتتأثر مطلقاً بأقوى ساحات المغناطيس أو الكهرباء كما هو الحال فى الجزئيات المشحونة من أشعة الأثر على انها تشترك مع هذه الأشعة فى خاصية توهج الأجسام وفى التأثير على ألواح الفوتوغرافيا وفى جعل الهواء التى تمر فيه موصلا للكهرباء وهذه الخاصية الأخيرة هى التى استعانوا بها لاظهار مثل هذه الأشعة من مركبات الراديوم ولولاها لما تمكن مطلقاً أن تكشف هذه الأشعة لخروج تأثيرها عن دائرة (السبكتروسكوب) الحساس أو الميزان الدقيق

ومع كل ماسبق لحقيقة طبيعة الأشعة المجهولة لاتزال محاطة بالشكوك وغاية ماوصلوا اليه انهم اعتبروها نوعاً ثالثاً من الأشعة ورتبوها كما يأتى : —

(١) أشعة الأثر — وهى عبارة عن سيال من الجزئيات الحاملة للشحون السلبية وهى أصغر بكثير من الذرة وسرعتها مساوية لسرعة الضوء

(٢) أشعة القناة — وهى عبارة عن قناة من الجزئيات التى هى من حجم الذرة حاملة لشحون إيجابية وسرعتها أقل من سرعة الضوء

(٣) الأشعة المجهولة (×) وهى ليست متركبة من الجزئيات بل عبارة عن اضطراب متقطع فى الأثير من طبيعة الضوء وانما يختلف عنه كما يختلف صوت صدمة عن نغمة موسيقية

الأشعة الجديدة

ظهرت قديماً مواد كثيرة تتوهج بنفسها بعد تعرضها قليلا للشمس ككبريتيور الكلسيوم مثلا وأشعة هذه المواد تؤثر على ألواح الفوتوغرافيا المحفوظة فى اللفائف السوداء ويرجع هذا التأثير بالأخص الى الأشعة التى أعلا من البنفسجية بالنسبة لقصر موجتها التى تخترق المواد المعتبرة معتمة للضوء العادى

أما فى سنة ١٨٩٦ فقد اكتشف (بيكويرل) أملاحاً أخرى كأملاح اليورانيوم تؤثر على ألواح الفوتوغرافيا بتوهجها وأغرب مافيها انها تتوهج بصرف

النظر عن علاقتها بالشمس فالبلورات المحضرة فى الظلام لها نفس تأثير البلورات المعرضة للشمس هذا فضلا عن انتشار أشعتها التى لا تتأثر مطلقاً بالعوامل الطبيعية أو الكيماوية مهما كانت ولا بالأشعة الأخرى ولا بالزمن

ونظراً الى هـذه الخواص الغريبة أخذت العلماء تبحث عن عناصر أخرى تشترك فى ذلك فاكتشف (سميث) عنصر (الثوريوم) وعقب ذلك تناولت مدام (كورى) مادتى اليورنيوم والثوريوم وأجرت عليهما تجارب كثيرة بالطريقة الكهربائية (أى بجعل الهواء موصلا بين لوحين متكهربين) فظهر لها ان لبعض المواد المعدنية الآتية من النمسا تأثيراً فعالا يزيد كثيراً عن تأثير العنصرين السابقين وعند اعلان هـذه الحقيقة أهدت اليها حكومة النمسا طناً من بقايا اليورنيوم الخارجة من المعامل فأجرت عليها عمليات ترسيب وتبلور شاقة لاعدد لها وفى كل مرة تمتحن تأثير الباقى حتى تمكنت أخيراً من فصل بضع ملليجرامات من عنصرين فعالين قويين سمت الأول بولونيوم نسبة لوطنها والثانى راديوم نسبة لقوة تشععه الخارقة التى تزيد مليون مرة عن قوة اليورنيوم وقد وجدت ان هـذا الأخير يؤثر فى الحال على ألواح الفوتوغرافيا المغطاة ويجعل الهواء حوله موصلا للكهرباء فى أقل من لمح البصر وقد حمله مرة المسيو (بكويرل) فأصيب بخراج شديد فى جنبه وقد فسروا بعد ذلك سر شفاء الامراض بالاستحمام بمياه ينابيع النمسا لوجود آثار هـذا العنصر فيها لأنه لم يظهر أى تركيب كيماوى غريب فى هـذه الينابيع يكسبها هذه الخاصية

بقى الآن تعيين طبيعة هذه الأشعة فقد ظهر أن توهجها وتأثيرها الفوتوغرافى وخاصيتها فى جعل الهواء موصلا لا يفترق كل هذا عن أشعة الأثر ولا الأشعة المجهولة (×) وإنما ظهر بالتجارب ان جزءً كبيراً من تأثير أشعة بعض العناصر السابقة ينقطع عند ما يتعرض لها لوح رقيق من الالومنيوم بينما فى عناصر أخرى لا يوقف أشعتها غير $\frac{1}{8}$ ربع بوصه من الرصاص وفى نوع ثالث تنفذ أشعته فى نصف قدم من الرصاص أو الحديد

فللتمييز بين هذه الأنواع أطلق (رثرفورد) اسم (ا) على الأشعة الأولى

و (ب) على الثانية و (حـ) على الثالثة ووضع نسبتها بعضها لبعض كالأعداد ١ الى ١٠٠ الى ١٠٫٠٠٠ وقد وجد أن كثيراً من هذه العناصر يخرج نوعين من الاشعة معاً وأن جزئيات الأشعة (ا) تحمل شحناً ايجابياً وجزئيات (ب) شحناً سالباً وقد استدل على ذلك من اتجاه انحرافها فى الساحات المغناطيسية وقد استخدم (سترت) هذا الاكتشاف واخترع ساعة ذات حركة دائمية وهي تتركب كما فى (شكل ٢) من أنبوبة من الزجاج الرقيق ن فيها ٣٠ ملليجراماً من برومور الراديوم ومدهونة بطبقة خفيفة من حمض الفوسفوريك لجعلها موصلة ومعلقة بقطعة من الكوارتز العازل ك فى أنبوبة أخرى ب مفرغة من الهواء وفى نهاية الأنبوبة الأولى يوجد ورقتان رقيقتان و و من الذهب متصلتان معدنياً بالراديوم وهذا الراديوم يقذف نوعى الأشعة ا و ب ولكن لا ينفذ من جدران الأنبوبة إلا الاخيرة فتشحن الأوراق الذهبية شحناً ايجابياً وعندها تأخذ الورقتان فى الابتعاد بالتدريج احداهما عن الأخرى لأنهما مكهربتان بنوع واحد حتى يمسان لوحين من القصدير ل و لَ متصلين بالأرض فيتفرغا ويرجعا لحالتهما الأولى فيشحنا ثانياً و يبتعدان وهكذا تتكرر هـذه الحركة من كل دقيقة وقد قرروا لهذه الحركة ٢٠٠٠ سنة حتى يفقد الراديوم نصف قوته

شغل أشعة الراديوم

الشغل يخرج مستمراً من المواد الراديومية وقد برهنت مدام (كورى) أن جميع مركبات الراديوم دائماً فى درجة حرارة أعلا عما جاورها بثلاث درجات والتأثير الحرارى هو بالأخص نتيجة الأشعة (ا) وقد حسبوا أن رطلا من الراديوم ومركباته يتشعع منه شغل مستمر بنسبة ١٠٠٠٠ حصان بخارى

أعمار الصخور

كان لاكتشاف الراديوم وفصيلته فضـل عظيم فى تقـدير عمر الصخور والأرض بعـد ما اختلف الجيلوجيون كثيراً فى ذلك وقد استعانوا على تقدير هذه الأعمار الآن بمعرفة محتويات الصخور من عنصر الهليوم الذى هو نتيجة

انحطاط اليورانيوم والراديوم فمثلا حجر (الفرجاسونيت) يحتوي على ٧ ٪ يورانيوم و ١٫٨ سنتيمتر مكعب من غاز الهليوم فى كل جرام منـه وحيث ان الجرام الواحد من اليورانيوم يعطى ١٫٠٨ × ١٠ ـ٧ سنتيمتر مكعب من الهاليوم سنوياً يكون

$$\text{عمر الحجر} = \frac{١٫٨}{\frac{٧}{١٠٠} \times ١٫٠٨ \times ١٠^{-٧}} = ٢٤٠ \text{ مليون سنة}$$ والله أعلم

وقبـل ختام الموضوع نذكر أن الذرة التى كانت معتبرة قديماً أنها مقيدة وغير متغيرة دلت التجارب الآن على أنها فى حركة عظيمة مستمرة كما وضح ذلك جلياً (رولاند) لمـا رأى طيف الحديد يشتمل على آلاف من الخطوط التى تدل على اهتزاز الذرات فالاعتقاد السائر الآن إن الأجسام مكونة من ذرات من الهليوم والالكترون وكل ما يسعون اليـه اليوم أن يحلوا قيود هـذه الذرات لاستخدام القوة المدهشة التى تحويها

الهواء السائل

تحضيره ومنافعه

الهواء السائل هو قوة الغد كما تتنبأ بذلك كثير من العلماء

الهواء يمكن تحويله الى سائل بواسطة الضغط والانتشار معاً وقد عرف ذلك من ١٢ عاماً فقط ولا يعلم بالضبط أول من بحث فى هذا الموضوع ولكن على ما يقال كان أولهم عالم سويسرى يدعى بكتت (Pictet) وآخر اسمه الزويسكي (Olzwski) من بولاندا وكان بحثهم قاصراً على تحويل الهواء الى سائل بواسطة الضغط فقط ولا يخفى ما فى ذلك من الصعوبة فضلا عن التكاليف الكبيرة فان ثمن الأوقية وصل معهم الى عشرة جنيهات أما الآن فبواسطة الضغط والانتشار بالآلات الحديثة صار ثمن الرطل فى المعامل الانجليزية والاميركانية نصف قرش — والهواء السائل غريب في أوصافه

فلقد اكتشف الأستاذ ديوار (Dewar) وهو أستاذ مشهور فى موضوع تحويل الغازات الى سوائل خاصية فى الهواء السائل كانت غير منتظرة وهى أنه اذا غمر فيه قطع من القطن أو قشر البيض أو الجلد ثم عرضت هذه القطع للضوء مدة بضع دقائق فانها تتوهج ببريق جميل عند وضعها فى قاعة مظلمة

وأيضاً وجد أن الرصاص عند غمره فى الهواء السائل يصير كالمطاط فى أوصافه بخلاف الحديد فانه يصير كالزجاج بحيث يمكن كسره بالأصابع وأما اللحوم والفواكه اذا غمرت فيه فتصير جامدة كالفولاذ

وأهم من ذلك هو ما توصل اليه الأستاذ فلمنج (Fleming) من أن المعادن اذا بردت بالهواء السائل لدرجة منخفضة جداً مثل — ٢٣٠ سنتيجراد فلا يكون لها أى مقاومة مطلقاً للتيار الكهربائى اذا مر فيها وتصير جيدة التوصيل تماماً بمعني الكلمة ولا يخفى ما فى ذلك من الغرابة وقد أثبت أيضاً انه فى هذه

الدرجة لا يحصل أى تفاعل كيماوى بين المواد وبعضها

والهواء السائل اذا لامس أى عضو من الأعضاء يحس الانسان بألم شديد كما هو الحال اذا لمسه لهب واذا سقط جزء منه على الأرض فانه يتبخر بسرعة بشكل ضباب كثيف بارد جداً

واذا ترك قليلاً فى الأناء المحتوى عليه فيتبخر منه أولاً النيتروچين الموجود فيه ويبقى أخيراً سائل الاوكسچين ذا لون أزرق جميل فى درجة — ٣١٢ سنتيجراد اذا وضع فيه قطعة من الصاب مع عود ثقاب مشتعل فان الصاب يصل لدرجة الاحمرار ويصهر بسرعة وتصير حالته تماماً كما اذا سخناه لدرجة ٣٠٠٠ فهرنهايت

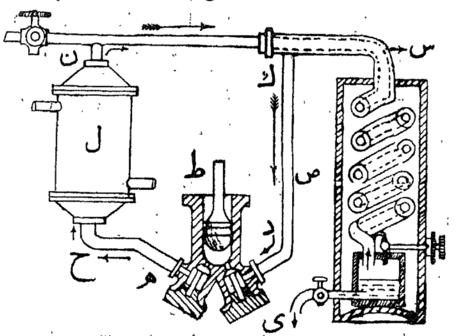
صناعة الهواء السائل

توالت أخبار كثيرة من زمن قريب فى الجرائد الامريكانية بأن بعضهم توصل لاكتشاف آلة مخصوصة يمكن بواسطتها صناعة ١٠ جالونات من الهواء السائل بمساعدة ٣ جالونات فقط من الهواء السائل ومتى تحصلنا على هذه العشرة يمكن بناء على هذه النظرية أن نتحصل على $\frac{١}{٣}$ × ١٠ = $٣٣\frac{١}{٣}$ جالون ومن هذه الثلاثة والثلاثين نتحصل على $\frac{٣٣}{٣}$ = ١١١ جالون وهكذا نتحصل على هذه المقادير بدون أى ينبوع خارجى بمعنى أن الهواء يمكنه أن يحول نفسه بنفسه الى سائل

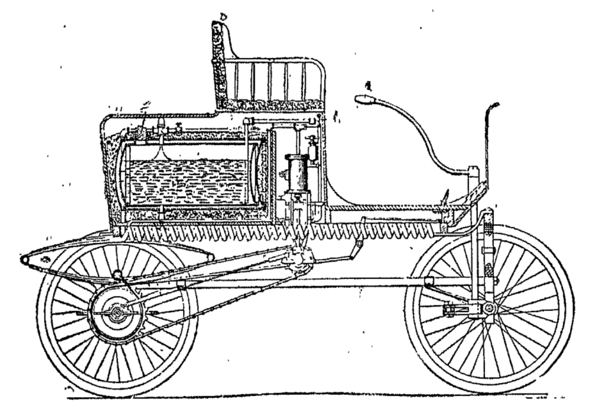
ولكن هذه الأخبار مبالغ فيها وذلك بناء على ما جاء فى القانون الثانى من الثرموديناميك الذى أوجده كلوسيس (Klausius) ومضمونه انه يستحيل على آلة تشتغل بنفسها (بدون مساعدة أى واسطة خارجية) أن تحمل الحرارة من أى جسم فى درجة منخفضة الى جسم آخر فى درجة مرتفعة فلا بد والحالة هذه من بذل مجهود وصرف قوة فى تحويل الهواء الى سائل

والآلات الحديثة المستعملة لذلك كثيرة منها ما يمكنها أن تحول الهواء الى سائل فى مدة دقيقتين ومنها ما تحوله فى ربع ساعة وهكذا وأبسط الآلات

وأسهلها آلة لند (Linde) المبينة فى شكل (١) وكيفية الشغل بها هو أن يضغط



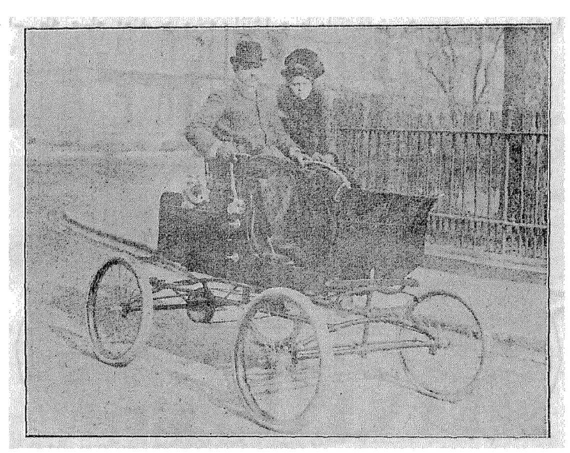
الهواء بواسطة الطلمبه ط فى الماسورة هـ ح ن المارة داخل الاناء ل الممتلئ بمبرد صناعى (كالثلج مع الملح) لتبريد الهواء من الحرارة التي يكتسبها أثناء الضغط وبعد ذلك يمر الهواء المضغوط من الماسورة الداخلية ن ك س المارة فى الحلزون المبين فى الشكل وعند وصوله لآخرها يخرج منها من ثقب صغير جداً محكوم بواسطة صمام فعند خروجه وانتشاره طبعاً تنخفض درجة حرارته كثيراً ثم



سيارة تسيل بالهواء السائل

بعد ذلك يمر من المسافة المحصورة بين الماسورتين الداخلية والخارجية للحلزون ويرجع للطولمبه بواسطة الماسورة ك د فتضغطه ثانياً فى الطريق هـ ح ن وهكذا يتكرر العمل الى أن يبرد الهواء لدرجة كافية تحوله الى سائل يؤخذ من الحنفية ى

ومما يجدر بالذكر ما قاله الاستاذ ايونج (Ewing) فى محاضرة ألقاها على جمعية الفنون وهى انه يمكن الحصول على الهواء السائل بكمية صغيرة بشراء زجاجة من الهواء المضغوط لدرجة ٢٠٠ جو ثم توصل هذه الزجاجة لنهاية صمام متصل بماسورة ملتوية من النحاس موضوعة فى زجاجة ديوار (dewar) (وهى زجاجة عادية من المعدن ذات غلافين مفرغ من بينهما الهواء) وبعد ذلك تبرد الماسورة لدرجة — ٨٠ سنتيجراد بمساعدة ثانى أوكسيد الكربون الصاب ثم يفتح الهواء المضغوط فيخرج من الصمام من ثقب رفيع فى منتهاه فعند خروج هذا الهواء وانتشاره مع وجود التبريد الحاصل من ثانى أوكسيد الكربون فانه يسقط على هيئة سائل يبقى فى الزجاجة وبهذه الطريقة يمكن الحصول على ٨٠ سنيمتر مكعب من الهواء السائل فى مدة عشرة دقائق



سيارة تسيل بالهواء السائل

منافع الهواء السائل

(١) الهواء السائل كان واسطة لاكتشاف بعض الغازات النادرة وذلك انه بينما كان الدكتور ترافرس (Traverse) والاستاذ رامسي (Ramsay) يمتحنان سبكتروم أى طيف الغازات الباقية بعد تبخر الهواء السائل عثرا بغازين لم يعرفا من قبل فسمياها كربتون (Krypton) وكسنون (Xenenon) وبالمثل اكتشف غاز النؤن (Neon) عند امتحان ناتج تبخر غاز الارجون (Argon) السائل

(٢) الهواء السائل يحتوى طبعاً على غازى الاوكسچين والنتروچين على حالة سائلة فاذا تركناه يتبخر ببطىء فان النتروچين يخرج منه بسرعة وبكمية أكبر من الاوكسجين واذا استمر الحال على ذلك مدة من الزمن يبقى أخيراً غاز الاوكسچين فى الاناء يمكن الانتفاع به فى الاعمال الصناعية

(٣) دخل استعمال الهواء السائل حديثاً فى الطب ففى الجراحة يخدرون به الاعضاء المراد اجراء العملية عليها وذلك بصب جزء منه على العضو فيبرد تبريداً شديداً يفقد حاسيته وبالمثل يمكن استعماله فى حالات التبريد المخفف كما هو الحال فى الحميات

(٤) كثير من الشركات تفكر الآن فى تحضيره بكمية كبيرة لشحنه فى البواخر التى تسافر فى المناطق الحرة لاستعماله فى تبريد المواد القابلة للتعفن كاللحوم والفواكه والخضروات لحفظها زمناً طويلا

(٥) أهم استعمالات الهواء السائل هو اعتباره ينبوعاً للقوة والشغل فهو فى هذه الحال يحتوى على مقدار عظيم من القوة مخزونة فيه فيشبه تماماً المكثفات الكهربائية فى حالة الشحن فاذا تبخر فان هذه القوة تظهر فيمكن حينئذ الانتفاع بها فى ادارة السيارات مثلا والآلات على العموم

وقد صنعت حديثاً سيارة تسير بالهواء السائل وشكلها مبين بالرسمين الثاني والثالث وقد يكفى لهذه السياة ٢٠ جالونا من الهواء السائل لتسير بها ٦٠ ميلا بسرعة قدرها ١٥ ميلا فى الساعة بدون حصول أى صوت مطلقاً أو رائحة كما هو الحال فى السيارات الاخرى

وطبعاً هـذه هى أول سيارة من نوعها فالمنتظر أن تتحسن كما هو الحال فى الأختراعات الأخرى وتصير أقوى من السيارات الحاليـة خصوصاً وان الهواء السائل يمكن حفظه فى زجاجات ديوار السابقة فيبقى فيها مدة ٢٥ يوماً حتى وهو معرض للجو بدون رجوعه الى غاز فقط تكون الصعوبة فى الحصول عليـه في القرى ولكن هذه الصعوبة تزول اذا كثرت هذه السيارات

(٦) الهواء السائل يغلى فى درجة — ٣٠٠ فهرنهايت فطبعا اذا لامس صخرة في درجة الجو المعتـادة أى بزيادة ربعمائة درجة عن درجته فانه يتبخر بسرعة مدهشة وتتصاعد أبخرته بسرعة انفجار البارود — وعلى ذلك يمكن استعمال الهواء السائل بدل المفرقعات لتكسير الاحجار فى المحاجر والمناجم لأنه أكثر أمانا منها وأول من أفتكر ذلك هو مهندس من محاجر ردنسدورف سنة ٩١٣ فاخترع مفرقعا شديدا صنعه من الهواء السائل مع الفحم البلدى وهاتان المادتان يحفظان منفصلين لحين استعمالها وذلك منعا للاخطار التى تنتج من اجتماعهما ببعض

التلغراف اللاسلكى

أشهر حادثة كان لهذا التلغراف فيها شأن عظيم هى الكارثة التى أصابت الباخرة (تيتانيك) (Titanic) ففى ليلة ١٤ ابريل سنة ٩١٣ بينما كانت البواخر تمخر مطمئنة عباب المحيط الاطلانطيقي اذ امتلأ الفضاء فجأة بتموجات كهربائية مغناطيسية تدل على ثلاثة أحرف مصطلح عليها وهى (S. O. S.) ومعناها (نجوا أرواحنا) صدر هذا النداء من أكبر باخرة فى العالم فى ذلك الحين البالغ تكاليفها ٢ مليون جنيه فى أول سياحة لها حيث صدمت كتلة ثلج عظيمة بينما كانت تجرى بأكبر سرعة لها وحصلت الصدمة فى أقل من لمح البصر انشقت فى أثنائها ألواح قاع الباخرة وابتدأ الماء يندفع بقوة مدهشة حتى ملأ ربعها فى أقل من ثلث ساعة

شعر الكابتن سميث (Smith) بأن الباخرة لا محالة غارقة فلم يجد أمامه فى تلك الساعة العصيبة معيناً غير التلغراف اللاسلكي فاستغاث به فأغاثه ووصلت اشارته الى معظم بواخر المحيط وسرعان ما لبت نداءه وأنقذت أرواح نحو النصف ألف من بنى الانسان كانوا على وشك الغرق ممسكين ببقايا الأخشاب غير نصف ألف آخر ذهب ضحية الأمواج وهذا كله بفضل التلغراف اللاسلكي الذى هو محل استغراب كثير من الناس

فلنشرح نظريات ذلك التلغراف شرحاً وافياً ولكن قبل ذلك نذكر كلمة على موضوع الكهرباء

الكهرباء كلمة اشتقت من (كهرمان) لأن هذه أول مادة عرفت بتوليد الكهرباء عند دلكها بقطعة من الصوف فتجتذب الاجسام الخفيفة كقطع الورق وزغب الريش

ومن ذلك الحين أُخذت عملية الدلك قاعدة لتوليد الكهرباء الاستاتيكية

وقد ينشأ بالدلك دائماً وفى آن واحد نوعان للكهرباء يستقر أحدهما على الجسم الدالك والآخر على الجسم المدلوك وللتمييز بين النوعين أطلق على أحدهما اسم الكهرباء السالبة وعرفت الأخرى بالموجبة فالنوعان اذا ظهرا من عملية الدلك التى لا يمكن الوصول اليها إلا بعد بذل مجهود بيد ان هذا المجهود لا يضيع سدى بل يظل أثره باقياً فانه يظهر ثانية على هيئة شرارة صغيرة عند تقريب النوعين المتولدين أحدهما من الآخر

فهذه الشرارة هى أحد العوامل في التلغراف اللاسلكي وقد بحث فى تأثيرها كثيرون من عهد بعيد منهم (كليست) سنة ١٧٢٧ فقد بين تأثير تفريغ زجاجة ليد على الأجسام المجاورة لها (وزجاجة ليد عبارة عن مكثف صغير للكهرباء تخزن فيه الكهربائيتان الموجبة والسالبة مفصولتين احداهما عن الأخرى بالزجاج ولكن بتوصيلهما تحدث شرارة ويسمى ذلك بالتفريغ)

وفى سنة ١٧٨٠ بين (ادمس) انه اذا وضع سلكان صغيران أحدهما بجوار الآخر مبتعدى الطرفين يشاهد حصول شرارة بين هذين الطرفين عند تفريغ زجاجة ليد الموضوعة على مسافة بعيدة منهما

علم هؤلاء الرجال هذا التأثير الحاصل عن بعد ولكن لم يستفيدوا من هذه الخاصية أية فائدة وظلوا كذلك الى أن ظهر لندسى (Lindsy) فى سنة ١٨٥٣ وأمكنه استخدامها في ارسال اشارة من نقطة على شاطئ بحيرة الى نقطة أخرى تبعد عنها ٤٥٠ متر وسجل هذا الاكتشاف في سنة ١٨٥٤ ثم أثبت بعد ذلك جملة علماء ان تفريغ زجاجة ليد لا يحصل دفعة واحدة وانما هو مركب من جملة ذبذبات وتموجات لها تأثير يظهر بعيداً كما شرح ذلك العالم (هنرى) فقد أمكنه أن يمغطس جملة أبر صغيرة موضوعة في الطابق الأسفل من منزله وذلك عند حصول شرارة كبيرة في الطابق العلوى وتبلغ المسافة بين الأبر ومحل توليد الشرارة عشرة أمتار يتخللها سقفان سميكان

ثم بقيت هذه النظرية في طى النسيان الى سنة ١٨٨٦ حيث قرر نادى برلين العلمى جائزة كبيرة لمن يوضح هذه النظرية جلياً .

وعلى أثر ذلك أخذ الأستاذ (هرتز) (Hertz) من بولون يشتغل بها نحو خمس سنوات وأخيراً بعد عمل تجارب عديدة توصل الى شرح التموجات الكهربائية المغناطيسية وتأثيرها على الاجسام شرحاً وافياً وأنشأ لذلك قواعد ثابتة جعلت أساساً للتلغراف اللاسلكي المستعمل الآن

وهذه القواعد نفسها هي التي أخذ عنها مركوني (Marconi) الشهير وزاد عليها لضرورة نجاح المراسلة بالتموجات الكهربائية المغناطيسية الشروط الآتية

(١) وجود صارى يحمل سلكا طويلا ليكون بمثابة مكثف اليكتروستاتيكي تخرج التموجات منه ويسمى أنتينا (Antenna)

(٢) وجود واسطة لشحن هذا السلك أو أى مكثف اليكتروستاتيكى آخر بتكهرب عال

(٣) وجود مفرغ يسمح لهذا الشحن بالخروج من المكثف على هيئة تموجات

(٤) وجود واسطة تضبط هذه التموجات وتنظمها وترتب عددها ليتألف منها شرطاً ونقطاً تطابق اشارات مورس المعتادة لأجل التفاهم

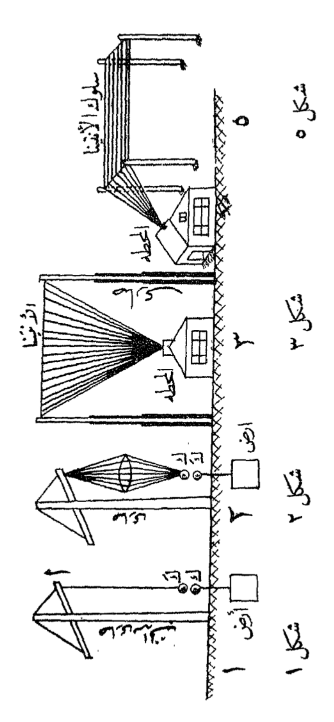
ولنشرح الآن هذه الأشياء كلا على حدته : —

الأنتينا

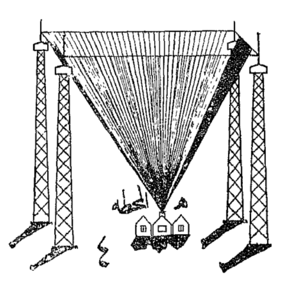
أبسط أنتينا لارسال واستقبال التموجات اللاسلكية تتركب كما فى شكل(١) من سلك معدنى موضوع وضعاً رأسياً كالسلك ا كَ المعلق من أعلاه بمادة عازلة فى نهاية صارى من الخشب أو برج وينتهى طرفه الأسفل بكرة معدنية أمامها كرة أخرى لمرور الشرارة بينهما والكرة الثانية متصلة بلوح معدنى مدفون فى الأرض

وليس من الضرورى أن يكون سلك الأنتينا غليظاً لأن التموجات تؤثر على سطحه الخارجى فقط ولا تمر داخله ولذلك يكفى أن يكون قطره ٣ ملليمترات والأفضل أن يكون مركباً من جملة أسلاك رفيعة جداً مجدولة بعضها على بعض بشكل ضفيرة مصنوعة من النحاس مع القصدير — وأما اذا كان سلكا واحداً فيستحسن صناعته من الالمنيوم لخفة هذا المعدن وعدم تأثره بالرطوبة وغيرها

ولكى يكون مفعول الأنتينا ذا دائرة كبيرة يستبدل السلك الواحد بجملة سلوك لتكون أكثر منه سعة وقد يمكن ترتيب هذه السلوك على أوضاع كثيرة كما فى الاشكال ٢ و٣ و٤ وقد يوجد نوع آخر من الأنتينات يمتد امتداداً أفقياً كما فى شكل (٥) فى اتجاه مخصوص لسهولة استقبال الاشارات من هذه الجهة وفى بعض المحطات المهمة تقام أربعة أعمدة طويلة على أركان مربع ثم توصل نهايات



هـذه الأعمدة بعضها ببعض كما فى شكل (٤) وتجمع نهايات السلوك الموصلة

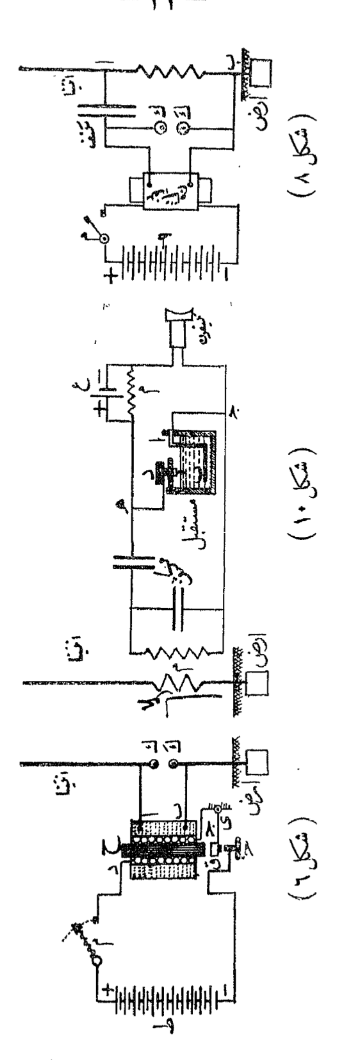


فى نقطة واحدة (ه) توصل لداخل المحطة وبالنسبة لعلو هذه الصواري وتعرضها للعواصف فانهـا تصنع من كمر الفولاذ وتربط بعضها ببعض كما تربط أجزاء الـكبارى وغيرها

أما فى البواخر فيثبت عليها صاريان متقابلان عليهما السلوك ومن وسط أو نهاية هذه السلوك تؤخذ سلوك أخرى عمومية لقاعة العامل المنوط بها

نرجع الآن للمسألة الثانية وهى مسألة توليد الشرارة اللازمة للشحن — فهذه الشرارة يمكن عملها إما بواسطة ملف الاستنتاج المعبر عنه بملف (Rohmkorff) (رهمكورف) أو بواسطة محول فالملف الاول يتركب كما فى (شكل ٦) من ملفين أحدهما إبتدائى ويتصل طرفاه بالبطارية (ط) والآخر ثانوى (اب) ويتصل بمسمارى الشرارة (ك --كَ) ويوجد بداخل الملف الاول حزمة من الحديد الحلو (ح) أمامها قطعة من حديد أخرى (ق) مثبتة في الياي (ى) ووراءها المسمار الخلفى (خ)

فعند قفل دائرة الملف الأول بمفتاح التوصيل (م) يخرج تيار البطارية ويتبع الطريق (ظ م د ى ق خ ط) ويمر فى الملف (د ح) فيتمغطس القلب (ح) ويجذب اليه القطعة (ق) ومن ذلك تبتعد النقطة (ق)عن النقطة (خ) فتنقطع الدائرة وعند ذلك ترجع النقطة (ق) للوراء ثانياً بقوة الياي (ى) فتتم الدائرة ثانياً



(شكل ٨)

(شكل ١٠)

(شكل ٦)

ويحصل جذب آخر وهكذا تستمر حركة القفل والفتح في الدائرة فيتولد عنها تيارات عكسية وطردية مستنتجة في الملف الثانوى تحدث شرارات مستمرة بين المسمارين (ك و كَ)

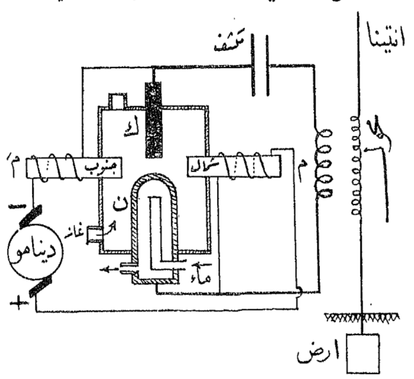
والملف المستعمل في التلغراف اللاسلكي ملف يطلق عليه ملف العشر البوصات نسبة الى طول شرارته وعدد لفات ملفه الابتدائي ٤٠٠ وقطر سلكه ٢٦ سنتمتر وطول سلك ملفه الثانوي ١٥ ميل وجميع ملفات الاستنتاج تأخذ التيار اللازم لها في المحطات الصغيرة من بطارية كهربائية وأما فى المحطات الكبيرة فتأخذه من دنيامو ذى تيار مستمر يدور بآلة بخارية ان كان الفحم والماء متوفرين أو بآلة بترول ويلزم ان يكون لهذه الآلات حدافات ثقيلة لمحو تأثير الاهتزازات العنيفة والتغيرات الفجائية وأما فى المحطات المعزولة كالتى فى الفنارات والجزر فتستعمل عادة بدل الآلات أعمدة ثانوية تشحن من أعمدة أولية وقد يكفي لذلك ١٢ عمود ثانوى و٢٠ عمود أولى

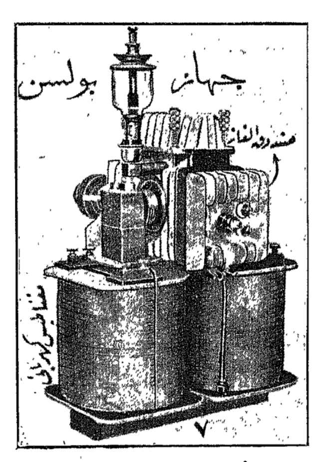
وكثير من المحطات تستحسن استعمال المحولات بدل ملفات الاستنتاج لتوليد الشرارة وفى هذه الحالة يكون تيار الدنيامو متغيراً لا مستمراً ليسهل تحويله بالمحولات لضغط عال يصلح لتوليد الشرارة مثل ٣٠٠٠٠ فولت ولكن استعمال مثل هذه الضغوط العالية لا يسلم من الاخطار مالم تعمل الاحتياطات للوقاية منه ولاجل تغيير مدد الشرارات الخارجية من الدوائر الثانوية يوضع في دائرة الملف الابتدائى المحول السابق أو لملف (رهمكورف) مفتاح مورس معتاد لقفل وفتح الدائرة حسب الارادة لتغيير مدد الشرارات أو بالاحرى التموجات لتتابع إشارات معروفة لسهولة فهم المراسلات المتبادلة بين محطتى الارسال والاستقبال

طريقة پولس لشحن الانتينا

قد يمكن شحن الانتينا بطريقة اخرى غير طريقتى المحول ورهمكورف السابقتين وذلك باستعمال القوس الكهربائى المعتاد واول من أظهر ذلك (ValdemarPoulson) (فالدمار پولسن) من مدينة كوبنهاجن فقد توصل هذا العالم لشحن الانتينا بتوليد قوس كهربائى بين قضيبين من الكربون ك والنحاس ن الاول يتصل بالقطب السالب والثانى بالقطب الموجب ويصنع على شكل اسطوانة مجوفة يمر داخلها تيار مستمر من الماء لاجل التبريد وهذان القضيبان محاطتان بصندوق متين ممتلئ بغاز الايدروجين او الاستصباح وبجوارهما مغناطيسيان

كهربائيان يتغذيان بتيار دينامو مستمر ذي ٥٠٠ فولت وهما ظاهران فى (شكل ٧) وفى الشكل العمومي للجهاز وفى بعض الأحيان يمر تحت القوس نافوره

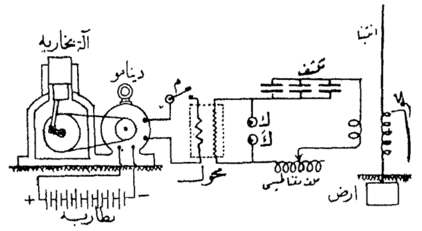




مستمرة من الغاز يدخل يملأ الجراب من حنفية ويخرج بعدها من أخرى وذلك لتبريد الجهاز من الحرارة الشديدة الناتجة من القوس أثناء التشغيل

تفريغ الانتينا

تفرغ الانتينا بعد شحنها بطريقة بسيطة وهي ان يوصل أحد طرفى الملف الثانوى للارض والطرف الثانى للانتينامع تثبيت كرتى الشرارة بين هذين الطرفين كما هو ظاهر فى (شكل ٦) فعند قفل دائرة الملف الابتدائى بمفتاح مورس (م) يتولد تيار مستنتج في الثانوى يشحن الأنتينا لوقت قصير الى أن يصل فرق التكهرب بين الكرتين لنهايته العظمي فتمر الشرارة بينهما وتستفرغ بعدها الانتيناوهذا الامر يحصل في كل مرة تقفل فيها دائرة الملف الابتدائى فهذه الطريقة هي التى استعملها (مركونى) في أول تجاربه ولكن المتبع حديثا في شحن الأنتينا هو توصيلها مباشرة أوجعلها تحت تأثير دائرة بها ملف مغناطيسى ومكثف اليكتروستاتيكي) كزجاجة (ليد)وتكون هذه الدائرة دائماً مقفولةالا في نقطة واحدة تخرج منها الشرارة كما في شكلى ٨ و ٩ ويلاحظ في الشكل الثانى أن



(شكل ٩)

الأنتينا غير متصلة بدائرة المكثف مباشرة بل بملف ثانوي لمحول وهذا كثير الاستعمال الآن

لنرجع الآن الى تموجات هرتز الكهربائية التى ذكرناها سابقاً فهذه التموجات تشابه تقريباً التموجات الأخرى كتموجات الصوت والضوء وغيرها

فاذا طرقنا على ناقوس مثلا فانه يحدث اهتزاز في معدنه يتولدعنه تموجات في طبقة الهواء المجاورة ينتقل تأثيرها الى ما يليها من الطبقات حتى تصل الى حاسة السمع وتؤثر على صماخ الأذن فتشعر بها وعلى ذلك يمكن تسمية الناقوس فى هذه الحاله بالمرسل والاذن بالمستقبل

التموجات الصوتية السابقة يبلغ عددها من ١٦ ألف الى ٢٤ ألف فى الثانية وذلك تبعاً لعلو الصوت وانخفاضه وتصل سرعتهاالى ٣٣٠مترافي الثانية وهى سرعة بطيئة يمكن بواسطتها ادراك الصوت بسهولة

وأما التموجات الكهربائية المغناطيسية فيبلغ عددها أحياناً ٥٠٠ألف موجة في الثانية وبما أن طول الموجة في المتوسط ٦٠٠ مترفتكون سرعةالسير ٣٠٠ألف كيلو مترا في الثانية أي أنها تلف حول الكرة الارضية سبع مرات و نصف في الثانيةالواحدة وعلى ذلك لا يمكن استقبالها أو ادراكهاإلا باجهزةحساسةمخصوصة وهذه الأجهزة مؤسسة على جملة نظريات منها :-

(١) مستقبل الانضمام الجزئي

يتأسس هذا المستقبل على الخاصية الآتية وهى أن أذا وضع في أنبوبة من الزجاج قليل من برادة بعض المعادن ثم تركت متلامساًتلامسه جزئياً فان مقاومتها عند مرور أى تياركهربائي فيهاتكون كبيرة وأما اذا صادمتها تموجات كهربائية مغناطيسية فانه يحدث فيها تغيير خفى يجعلها أقل مقاومةللتيار عن ذى قبل وقد ترجع لحالتها الاولى اذا اهتزت على ان يكون ذلك بعد اختفاء التموجات

وأول من أوضح ذلك هو (منك) سنة ١٨٣٥ فانه أخذ أنبوبهمن الزجاج وملأها ببرادة الكربون مع القصدير ثم مرر تيارا فيها فلاحظ أن شدة هذا التيار تتغير عند تفريغ زجاجة ليد قريباً من الانبوبة فاستنتج من ذلك أن مقاومة الاتصال بين اجزاء البرادة غير ثابتة وانها تصغرعندوجود التموجات الكهربائية وتكبر اذا اختفت هذهالتموجات بعد رج الانبوبة

وبعد ذلك بقليل شاهد العالم (فارلي) نقصاً محسوساً فى مقاومة برادة معدنية موضوعة فى انبوبة زجاجية عند حدوث العواصف خصوصاًاذا كانت هذه العواصف مصحوبة ببرق ورعدلان البرق كما لا يخفى شرارة كهربائية كبيرة وأيضاشاهد اضطرابا فجائياًفى الجلفانومتر عند حدوث شرر كهربائى على مسافة بعيدة وذلك نتيجة إنخفاض مقاومة الاتصال بين أجزاء البرادةمن تأثيرالتموجات الكهربائية التى تحدثها الشرارة

بعد ذلك اخترع (مركونى) سنة ١٨٩٦ جهازاً حساساً لاستقبال التموجات منطبقاً على النظرية السابقة وهو يتركب من أنبوبة صغيرة من الزجاج لا يزيد قطرها عن نصف سنتى وطولها عن ٤ سنتى مفرغة من الهواء وبداخلها قطعتان من الفضة يتصلان بسلكين من البلاتين ينفذان من طرفى الانبوبة ويوجد من بين هاتين القطعتين مسافة صغيرة ممتلئة ببرادة معدنية تتركب من ٥ ٪ فضة و٩٥ ٪ نيكل فعند توصيل هذا الجهاز بدائرة كهربائية بسيطة تحتوى على بطارية وتلفون يلاحظ فيها أن شدة التيار تزداد كلما ظهرت تموجات كهربائية مغناطيسية فى الجو وهذه الزيادة يمكن الاستدلال عليها بواسطة التلفون ولكن اذا اختفت التموجات فان الانبوبة ترجع لحالتها الاولى خصوصاً بعد هزها هزاً خفيفاً وقد فكر (مركونى) فى عمل طريقة لهز هذه الانبوبة بدون تكليف أحد بذلك فوضع فى دائرة المستقبل عمودين كهربائيين بالتوالى مع متمم كهربائى (ريلى) وعلى ذلك اذا ظهرت التموجات فى الجو فانها تقلل مقاومة برادة الجهاز فيمر تيار الأعمدة فى ملف المتمم ويمغطسه فيجذب اليه رافعة أمامه فتقفل دائرتين كهربائيتين أخرتين الأولى متصلة بتلفون أو جهاز تلغرافى لتدوين الاشارة والثانيـة لملف جرس كهربائى بسيط اذا مر التيار فيه يتمغطس ويجذب اليه المطرقة فتدق على أنبوبة الجهاز وتهز البرادة فترجع لحالتها الاولى لاستقبال تموجات أخرى

الخاصية السابقة وهى تغير مقاومة البرادة عند حصول التموجات لا تقتصر على المعادن بل توجد أيضاً فى بللورات بعض المواد كاكسيد التيتانتيوم والكربوراندم أي كربور السليس وهى مادة خضراء مصفرة قليلا تحضر بكثرة بتسخين الرمل مع فحم الكوك وملح الطعام فى أفران كهربائية تبلغ درجة حرارتها ٣٠٠٠° سنتيجراد

مستقبل (سكلوميليه) (Schlomileh)

هذا المستقبل اخترعه الأستاذ (سكلوميليه) ونظريته تختلف عن نظرية المستقبل السابق ومضمونها ان التموجات الكهربائيـة يكون لها دائماً تأثير على الاستقطاب الحاصل فى أى لوح معدنى صغير مغمور بماء حمضي أثناء مرور التيار فيه والاستقطاب فى أى عمود كهربائى عبارة عن تراكم غاز الايدروجين على لوح القطب الموجب منه والجهاز يتركب كما فى (شكل ١٠) (راجع الاشكال

السابقة) من أناء يحتوى على حمض كبريتيك أو نتريك مخفف بالماء مغمور فيه لوح من الفضة ب يتصل بالقطب السالب لعمود كهربائى ع وأما القطب الموجب فينتهى بسلك من البلاتين دقيق جداً مغمور طرفه فى السائل بكيفية يسهل بها رفعه أو خفضه بواسطة المسمار المقلوظ د

وكيفية تشغيل هـذا الجهاز هو أن يوصل بالدائرة كما فى شكل ١٠ فعند ظهور أى تموجات فى الجو فانها تؤثر على الاستقطاب الموجود على سطح اللوح وتمحوه فى الحال فيتسبب عن ذلك زيادة فى شدة التيار المـار فتؤثر على التلفون ومنـه يستدل على وجود التموجات التى بمجرد اختفائها يرجع الاستقطاب لحالته الأولى وهكذا تتكرر المسألة عند ظهور تموجات أخرى

انتهينا الآن من المستقبلات فيجدر بنا أن نذكر كلمة عن محطات الاستقبال نفسها فهذه المحطات تتركب (كما فى شكل ١٠) من مسـتقبل كالسابق ذكره وأنتينا تتصـل عادة بملف ابتدائى محول للأرض وأما الملف الثانوى فيتصل بمكثفات الكتروستاتيكيةوتلفون وعمود كهربائى موضوع أمامه مقاومه لتخفيف شدة تياره

وعلى ذلك اذا ظهرت تموجات فى الجو فانها تتصادم فى الأنتينا ويتولد من هـذه المصادمة تيارات مستنتجة فى الملف الثانوى للمحول تؤثر مباشرة على الاستقطاب الموجود فى المستقبل وتمحوه فيشتد بذلك التيار المـار فجأة ويؤثر على التلفون ولكن بمجرد اختفاء هذه التموجات يرجع الاستقطاب كما كان وعند ظهورها ثانية يمحى وهكذاتتكرر المسألة فيتولد عن ذلك سلسلة نقرات فى التلفون يفهم منها العامل المنوط مقصود الرسالة على حسب اصطلاح إشارات مورس أو أى اصطلاح آخر متفق عليه

ولزيادة ضبط العمل يلزم أن تكون الملفات المغناطيسية والمكثفات مصنوعة بكيفية يسهل بواسطتها تغيير مقاديرها لجعل دوائر محطتى الارسال والاستقبال فى تداخل تام بعضها مع بعض

والمحطات على العموم تنقسم قسمين قسماً ذا مدى قصير وآخرذا مدى طويل وقد تمتاز المحطات الأخيرة عن الأولى بطول موجتها وبقوة آلاتها التى تعطى

ضغوطاً لغاية ٥٠٠٠٠ فولت وفى هذه الحالة لا تمر الشرارات بين الكرات الثابتة بل تعوض بأقراص مستديرة تدور بسرعة كبيرة بمحرك كهربائى صغير لتمر الشرارة فى نقط مختلفة منها فلا يسخن موضع واحد فيها بل تتوزع الحرارة وتتشعع بسهولة

وأمثال هـذه المحطات محطة (بولدهو) (Poldhu)(فى كورنول) (Cormwell) التى شـيدها مركونى سـنة ١٩٠٠ ومحطة (بريتون) ومحطة (كاب كود) وجميع هـذه المحطات أنشأتها الحكومات لتسهيل المخابرات بين شاطئي المحيط الاطلانطيقى وقد يوجد جملة محطات صغيرة أخرى منتشرة على شواطئ بريطانيا وكندا والولايات المتحدة وايطاليا وغيرها والغرض منها هو تبادل الرسالات المتداولة بين بعضها البعض من جهة وبينها وبين البواخر من جهة أخرى وقد تم الاتفاق على أن يكون طول الموجة الخارجة من هذه المحطات واحداً لسهولة المخاطبة وقد وضع لكل محطة رمز يختص بها فمثلا محطة (ليزارد) فى (كورنول)صار رمزها (.L. D) ومحطة (كرول هافن) فى ايرلندا علامتها (.C. K)والباخرة كامبانيا رمزها (.C. A) وهكذا

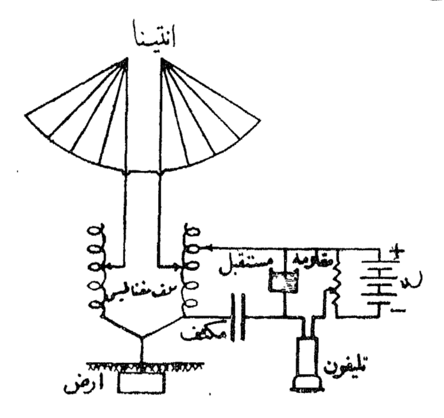
وصف محطة كلركوتس (Cullercoats) هذا وصف أخذته بنفسى لمحطة مهمة بانجلترا قريبة من مدينة نيوكاسل فهى عبارة عن بناية صغيرة ذات أربع قاعات ليس بجوارها إلا صارى من الخشب طوله ٢٠٠ قدم تقريباً مثبت على قاعدة من الاسمنت ومشدود بحبال حديدية مربوطة بالارض بمادة عازلة

وأما سلوك الأنتينا فتتفرع من هذا الصارى على شكل شمسية طول أكبر قطر لها ٢٠٠ قدم

وهذه السلوك مصنوعة من البرنز ويبلغ عددها ٢٤ سلكا منقسمة قسمين كل يحتوى على ١٢ تتصل بسلك واحد عمومي لداخل المحطة والاتصال الارضى لهذه المحطة عبارة عن مجموعة سلوك مدفونة فى الأرض على عمق قدمين ومتشعبة فى جميع أنحائها

وتمتاز محطة كلركوتس عن المحطات الأخرى بوجود جهازين لارسال

الاشارات جهاز الشرارة المعتاد وجهاز القوس الكهربائى عمل بولسن ففى الجهاز الاول يستعمل دينامو قوته ٥ كيلووات تقريباً يعطى تياره لمحول لتحويل ضغطه من ٤٠٠ الى ٥٠٠٠٠ فولت وقد يوجد فى دائرة الملف الابتدائى لهذا المحول مفتاح مورس لفتح وقفل الدائرة على حسب الاشارات والمكثفات المستعملة هناك تتركب من بطارية من زجاجات ليدتتصل بملفات مغناطيسية موضوعة فى دائرة الانتينا مباشرة وبين هذه الملفات والانتينا يوجد مفتاح توصيل كهربائي لسهولة تحويل الانتينا من جهاز الارسال الى الاستقبال عند الارادة والمستقبل عبارة عن جهاز (سكلوميليه) يتصل بالتلفون وأشياء أخرى ضرورية مبينة

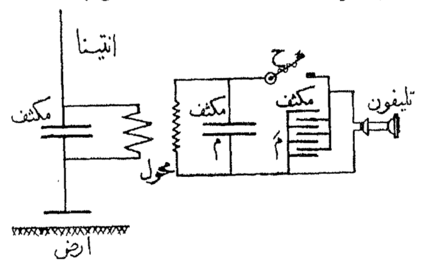


(شكل ١١)

فى (شكل ١١) أما طريقة بولسن المستعملة هناك فالجزء المهم فيها هو القوس الكهربائى الذى يتكون بين قضيبين من الكربون والنحاس وهذا الاخير يتصل برافعه مخصوصه لتقريبه وإبعاده من القضيب الاول لتكوين القوس عند الارادة والقضيبان محاطان جميعا بصندوق معدنى ممتلئ بغاز الايدروجين الذى يمكن تحضيره بسهولة باضافة الماء الى هيدور الكاسيوم وقد يكفى رطلان من هذه المادة لتشغيل ٦٠ ساعة والقوس يتغذى من تيار ضغطه ٤٨٠ فولت وشدته ١٢ أمبير وهو يتصل على التوالى بملفات مغناطيسية (راجع شكل ٧) وعلى التوازى بالمكثفات الايلكتروسياتيكيه ومنها بملفات مغناطيسية أخرى تتصل مباشرة بالانتينا والمكثفات فى هذه

الدائرة عبارة عن ألواح من الزنك متجاورة غير متلامسة مغمورة فى الزيت ومقسمه مجموعتين ويتصل بها على التوازى مكثف آخر يمكن تغيير مقدار سعته لسهولة الحصول على تموجات متفاوتة فى الطول من ١٢٠٠ الى ١٥٠٠ متر وقد تفضل طريقة پولسن السابقة عن طريقة الشرارة المعتاده فى جملة نقط أهمها ان الاشارات تخرج منها بدون صوت فتكون أكثر صلاحية للمخابرات السرية هذا فضلا على أن تموجاتها أقل تأثرا بالاضطرابات الجوية

لم يبق الآن إلا أجهزة استقبال الاشارات فى هذه المحطة فهى تتركب من محول يتصل ملفه الابتدائى بمكثف اليكتروستاتيكي يوضع مباشرة فى دائرة الأنتينا كما فى (شكل ١٢) وأما ملفه الثانوى فينتهى بمكثف آخر كبير (م)

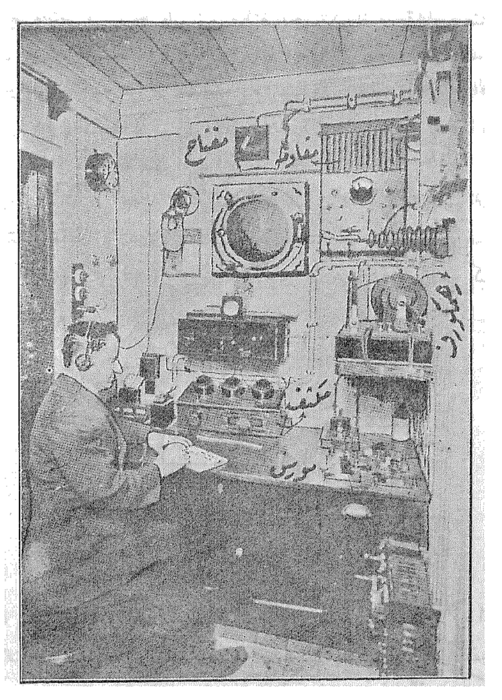


(شكل ١٢)

وتلفون يتصل على التوازى بمكثف ثالث مَ ويوجد بين التلفون ودائرة المكثف الثانى مفتاح توصيل ح ذو رافعة خفيفة تتذبذب بمغناطيس كهربائى لقفل وفتح الدائرة بسرعة على الدوام . فاذا فرضنا ان الدائرة مفتوحة فان القوى الكهربائية تتراكم فى المكثف م وأصل هذه القوى متولدة فى ثانوى المحول عند ما يكون الابتدائى حاملا تياراً من الأنتينا وقت ظهور التموجات الكهربائية فى الجو وأما عند قفل الدائرة فان جزءاً كبيراً من الكهرباء يمر فى المكثف الثالث مَ ثم عند فتحها ثانية يتحول مشحون هـذا المكثف الى التلفون ويتفرغ فيـه وهكذا تتكرر المسألة فيتولد من ذلك نقرات متوالية فى التلفون يمكن سماعها أو تكبيرها بسهولة بالصناديق الصوتية

انتهينا الآن من وصف محطات الارسال والاستقبال المبينة فى الصورة

(شكل ١٣) بقى علينا أن نوضح طريقة المخابرات فقد اصطلحوا على أن يجعلوا



(شكل ١٣)

للحروف اشارات مخصوصة ومن الحروف تتكون الكلمات ومتى تكونت الكلمات سهل التفاهم فالاشارات الموضوعة للحروف هى الاشارات المستعملة فى التلغراف السلكى المعتاد التى اخترعها مورس وتتكون من شرط ونقط

فحرف الالف مثلا علامته . —

وحرف الباء مثلا علامته — . . . وهكذا

وأما فى اللغات غير المكونة من حروف هجائية كالصينية أو اليابانية

فيستعينون على فهم اشاراتهم بواسطة الأعداد ثم يترجمونها بعد ذلك ويلاحظ هنا ان الاشارة التلغرافية التي تخرج من أى محطة تستقبلها جميع البواخر والمحطات الأخرى وانما لا يجيبها إلا من كانت موجهة اليه فمثلا اذا أرادت باخرة أن تتكلم مع محطة برية فما عليها الا أن ترسل اسم هذه المحطة ثلاث مرات ثم تنتظر قليلا الى أن ترد عليها هذه المحطة فعند ذلك ترسل الباخرة اسمها وموقعها واتجاهها وأى المواني تقصد ثم تعطى رسالتها . فان كانت شخصية تأخذها هذه المحطة وترسلها بعد ذلك بواسطة التلغراف المعتاد الى الشخص الموجهة اليه

وأما اذا فرض أن الجهاز المرسل باحدى البواخر كان قصير المدى بحيث لا يمكن لاشارته أن تصل الى المحطة البرية مباشرة فيجوز للباخرة فى هذه الحالة أن تطلب باخرة أخرى تكون بينها وبين المحطة البرية وتعطيها رسالتها وهذه ترسلها الى المحطة المقصودة وبهذه الطريقة يمكن للرسالة أن تتناقلها جملة بواخر حتى تصل للغاية المنشودة

تأثير الجو على الاشارات : —

قد يحصل في الجو بعض الأحيان زوبعات مغناطيسية وكهربائية لا يشعر بها الانسان وانما تؤثر كثيراً على الاشارات وربما تمحوها بالمرة أو تقلل سرعة سيرها وقد تكثر هذه الاضطرابات الجوية فى فصلى الصيف والخريف وبالقرب من الجبال العالية والبحار وقد تضمحل قوة الاشارات بسببها الى ٨٠ ٪ وأكثر أحياناً . ومما لاحظه (ماركونى) ان انتشار التموجات الكهربائية هو ليلا أسرع منه نهاراً وهذه الملاحظة رآها من التجارب العديدة التى عملها على الباخرة (فيلادلفيا) فى المحيط الاطلانطيقى فقد رتب مواعيد مخصوصة لارسال واستقبال الاشارات من محطة (پولدهو) فوجد ان الاشارات متساوية القوة نهاراً وليلا لما كانت الباخرة على مسافة ٥٠٠ ميل من الشاطئ ولكن بعد هذه المسافة أخذت اشارات النهار تضعف مع بقاء اشارات الليل على حالتها وقد علل سبب ذلك ان لأشعة الشمس تأثيراً مهماً على شحون الكهربائية السالبة ومما شاهده أيضاً هذا المخترع ان لكهربائية الجو تأثيراً على المستقبلات خصوصاً فى المناطق الوسطى من

الكرة الأرضية فقد وجد مرة على شريط مستقبل باخرته ثلاث نقط وشرطة ظهر من البحث ان هذه الاشارات آتية من تموجات كهربائية ناتجة من حدوث برق على مسافة غير بعيدة من الباخرة ولما كان (لماركونى) أبحاث واختراعات كثيرة في التلغراف اللاسلكي فقد يحسن ذكر شيء من تاريخ هذا الرجل العظيم قبل الفراغ من الموضوع . (مركونى) ولد بمدينة بولون بايطاليا سنة ١٨٧٤ وابتدأ تعليمه الأولى فى بلدة (لجهورن) ثم تلقى تعليمه العالى بجامعة (بولون) وكان أستاذه في فن الكهرباء العالم الشهير (هرتز) السابق الذكر

وقد درس على أستاذه خواص التموجات الكهربائية التى سميت بتموجات (هرتز) نسبة اليه وبعد أن تم دراسته سنة ١٨٩٣ سافر الى مزارع أبيه وهناك أخذ يشتغل بهمة فى تحقيق فكره استخدام التموجات في المواصلات فسجل أول اختراع له فى ايطاليا سنة ١٨٩٥ وكانت دائرة مفعول هذا الاختراع لا تزيد عن نصف ميل وفى سنة ١٨٩٧ قصد انجلترا وهناك أمكنه أن يجرى جملة تجارب أخرى نجح فيها واستقبل اشارات من مسافة ١٢ ميل وفي سنة ١٨٩٩ توصل الى مخاطبة فرنسا وهو فى انجلترا فكان هذا النجاح أول خطوة فى سبيل تحقيق أمله وفي شهر نوفمبر من نفس هذه السنة أمكنه وهو في باخرة على مسافة ٦٦ ميل من شاطئ انجلترا أن يسمع اشارة من بلدة (سوزمبتون) ويرد عليها

وفي أواخر سنة ١٩٠٠ فاز (مركونى) فوزاً باهراً بتمام المخاطبة بين نقطتين يبعد أحدهما عن الأخرى مائة ميل وفي سنة ١٩٠١ وهو في جزيرة (وايت) أرسل واستقبل اشارات من (كورنويل) والمسافة بينهما ٢٠٠ ميل

وتم نجاحه أخيراً سنة ١٩٠٢ عندما توصل لنقل رسالات من انجلترا لأمريكا على مسافة ٣٠٠٠ ميل

ومن ذلك العهد تألفت شركة سميت باسمه فأقامت كثيراً من المحطات في المدن والبواخر والطيارات أى في البر والبحر والهواء

فوائد التلغراف اللاسلكى

إن ما ظهر للتلغراف اللاسلكى من الفوائد العظيمة تجعله من أهم الاختراعات التى ابتكرها عقل الانسان — فمن فوائده ان المسافر بحراً يمكنه أن يقف على أخبار العالم لأن لكل باخرة كبيرة الآن جريدة تجمع فيها الأخبار من كافة الأنحاء بواسطة التلغراف اللاسلكى وتطبعها وتصدرها يومياً للركاب وفي البر أيضاً فان معظم الجرائد لها محطات خصوصية مقامة على أبنيتها تجمع بواسطتها الأخبار فمثلا جريدة التيمس بنيويورك تستقبل ما ينوف عن ٢٥٠٠٠ كلمة كل أسبوع بواسطة تلغرافها اللاسلكى

وقد فكرت الممالك في انشاء عدة محطات للتلغراف اللاسلكى حول الكرة الأرضية لتستغني بها عن السلوك البحرية المستعملة الآن لأن هذه الأخيرة عرضة للعطب دائماً

ولا يقتصر إستعمال التلغراف اللاسلكى بين البر والبحر بل يستعمل أيضاً بين الاشخاص فالآن فى كل جيش منظم فصائل مخصوصة للتلغراف اللاسلكي تتألف كل فصيلة من أربعة أشخاص يحملون أدوات التلغراف بحيث يمكن وضعه وتركيبه والمخابرة به فى أى مكان وزمان بأسرع مايمكن

أن فوائد التلغراف اللاسلكى ليست مقصورة على المخابرات وحدها بل ظهر بعض فوائد أخرى كما بين المهندس (يوسف موريتز) من أن شجرة شليك أضجت قبل ميعادها بمدة أربعين يوما تحت تأثير تموجات تلغراف لاسلكى ومن أحسن مايقال عن إستخدام التلغراف اللاسلكى هو ما أجراه أحد العلماء من توقيف قطار اكسبريس فى مدة دقيقة وهو يجري بأعظم سرعة له بواسطة التلغراف اللاسلكى وقد توصل لعمل ذلك بأن وضع على كل من أيدي الفرامل وصمامات غلق البخار ملفات مغناطيسية تتغذى ببطارية تحت حكم مستقبل التموجات فعند ظهور هذه التموجات فى الجو تؤثر على المستقبل فيمر تيار البطارية فى الملف ويمغطسه فيجذب نحوه يد الصمام ويقفله فينقطع البخار ويقف القطار

بتأثير الفرامل أيضاً وطبعا قد يمكن إستخدام هـذه المسألة لتوقيف القطارات عند حصول أي خطر فجائي فى الطريق لا يعلم به سائق القطار

وقد صرح أحـد العلماء المشهورين أنه لا يمضى عشر سـنوات إلا ويحمل الانسان فى ردائه تلغرافا أو تلفوناً لاسلـكيا صغيرا يكلم به أهل بيته واصحابه عند الارادة

وقد قرر العلماء فى السنوات الاخيرة أن الامر لن يقتصر على نقل الاشارات بالتلغراف اللاسلـكي بل هم طامحون لنقـل القوة الـكهربائية نفسها بحيث يمكن إضاءة المدن وتحريك المحركات بواسطة التموجات المنتشرة في الهواء فى كل مكان وليس ذلك بالمستبعد فان ماهو معروف عن علماء أوروبا وأمريكا من النشاط والعمل والبحث المستمر جدير بأن يضمن لنا تحقيق هذه الأمانى

التلفون اللاسلكى

بعد أن تحسن التلغراف اللاسلكى وصار تاماً لا ينقصه شيء وجه العلماء أفكارهم لترقية التلفون اللاسلكى لنقل الكلام بواسطة التموجات لمسافات بعيدة وقد تكللت أخيراً مساعيهم بالنجاح وتقدموا فيه تقدماً عظيما فى السنوات الأخيرة فمن هؤلاء العلماء الأستاذ الشهير بولسون (Poulson) المار ذكره فى التلغراف اللاسلكي فانه توصل لنقل صوت فونوغراف ببلدة كوبنهاجن الى برلين بواسطة التلفون اللاسلكي والمسافة بين البلدين ٤٦٠ كيلو متر

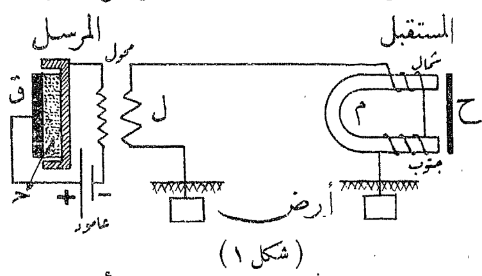
وكذلك فيسيندن (Fessenden) الأمريكي فانه أقام تليفوناً لاسلكياً للمخاطبة ما بين نيويورك وبرانت روك والمسافة بينهما ٣٥٠ كيلو متر وفى سنة ١٩٠٨ سمع الأستاذ (ماجورنا) الايطالى محاضرة من بلدة مونت ماريا وهو فى بلدة بورتودانزج على مسافة ٦٠ كيلو متراً وكان الصوت عالياً واضحاً تام الوضوح

وفى نفس تلك السنة ظهر الأستاذان (كولينى) و (جينس) فتكلما من محطة برج ايفيل مع مدينة دييب بفرنسا وبعد ذلك تمكنا وهما على شاطئ فينستير من سماع الموسيقي بباريز وهى تبعد عن الشاطئ بمسافة ٣١٠ ميل وقد تم النجاح فى هذا العام لما تمكنت مدينة نيويورك من مخاطبة لندن بالتلفون اللاسلكى وطبعاً لا ينتهى هذا القرن إلا ويتم نقل شكل الأشخاص بواسطة التلفون أو التلغراف اللاسلكى فيصبح الانسان بعد ذلك يرى ويسمع أشخاصاً بينه وبينهم أميال من غير واسطة بينهما غير الهواء المنتشر في كل مكان

شرح التلفون اللاسلكى

الغرض من التلفون اللاسلكى هو نقل الأصوات المختلفة وأنواع الكلام لمسافات بعيدة بدون سلوك موصلة كما فى التلفون العادى بل بواسطة تموجات كهربائية مغناطيسية مستمرة ومطلقة أي غير مقيدة وبديهي انه يلزم فى هذه الحالة محطتان احداها للارسال والأخرى للاستقبال ويشترط فى هذه الأخيرة أن تكون أجهزة الاستقبال فيها لاتشعر فقط بوجود التموجات بل ينتج فيها

تأثير مناسب في كل مدة لطول الموجات المتنوعة الناتجة من اختلاف الأصوات الآتية من محطة الارسال . ولتقريب الموضوع الى الأذهان نبدأ بالكلام على التلفون السلكى المعتاد عمل (بل) (Bell) فهذا التلفون يتركب من مرسل ومستقبل فالمرسل عبارة عن مكروفون يتركب من قرص رقيق من الكربون ق (شكل ١) يضغط ضغطاً خفيفاً على كمية من مسحوق الجرافيت



(شكل ١)

(ح) موضوعة في غلاف معدنى يتصل بطرف ملف ابتدائي لمحول متصل بعمود كهربائى لقرص الكربون وأما المستقبل فعبارة عن مغناطيس كهربائى (م) على شكل نعل الفرس يتصل بطرفي ثانوى المحول ومثبت أمامه قرص رقيق من الحديد (ح) فعند التكلم أمام قرص الكربون (ق) يتذبذب وينتج من ذلك زيادة أو نقصان في الضغط على مسحوق الجرافيت في الخلف فتقل أو تزيد مقاومة الدائرة ويتبع ذلك تغيرات في شدة تيار العمود تكون مناسبة لنوع الذبذبات والتموجات الصوتية ويتولد عنها تيارات مستنتجة في ثانوى المحول (ل) تنطلق في السلك وتمر في الملف المغناطيس (م) وترجع بالارض فعند مرورها في الملف ينتج عنها تغيرات مستمرة في مغناطيسية القلب الداخلى للملف فيجذب أو يطرد القرص الحديد (ح) فيتذبذب تماماً تبعاً لذبذبات قرص الكربون (ق) ويتولد عن ذلك تموجات صوتية في طبقة الهواء المجاورة تصل الى طبلة الأذن وتؤثر عليها فكأن المسألة عبارة عن نقل الأصوات المختلفة من أمام قرص المرسل الى قرص المستقبل بواسطة تغيرات متتابعة في شدة التيار في دائرة المرسل وفي قوة المغناطيسية في دائرة المستقبل

فللوصول الى ذلك في التلفون اللاسلكى يلزم بعد رفع السلك الموصل بين

المحطتين واستبداله بسلسلة تموجات كهربائيـة يلزم أولا وجود واسطة لارسال هذه التموجات وتغيير أطوالها تبعاً لاختلاف ضغط الهواء الحاصل من الأصوات المختلفة عند التكلم مثلا أمام قرص المرسل وثانياً اختراع طريقة لاستقبال هذه التموجات بشكلها العادى بدون تغيير أطوالها فتؤثر بطريقة ميكانيكية كهربائيـة على قرص المستقبل وتذبذبه ولا بد لنجاح المسألة الأولى أن تكون التموجات الـكهربائية المغناطيسية الخارجة من الأنتينا من محطة الارسال سريعة ومطلقة . أى غير مقيدة ولا يمكن الحصول على هذا النوع من التموجات إلا بطريقتين فقط طريقة الدينامو الذى يعطى تياراً متغيراً يتغير بنسبة عظيمة فى الثانية أو طريقة القوس الـكهربائى المتولد فى جو من الايدروجين كما سبق شرحه فى التلغراف اللاسلكى فالطريقة الأولى تسمى طريقة (فيسيندن) والثانيـة طريقة بولسن ومن الضرورى أن يكون خروج هذه التموجات مستمراً منتظماً لا يعوقه عائق

وبمـا أن الذبذبات المعتادة لا تكوّن صوتاً تدركه الأذن الا اذا كان عدد تغيراتهـا فى الثانية لا ينقص عن أربعين ولا يزيد عن عشرين ألف كالنغمات الموسيقية التى تختلف فى العادة من أربعة الى خمسة آلاف مرة فى الثانية

يترتب على ذلك انه اذا فرضنا ان عدد تغيرات التموجات الـكهربائية الخارجة من الأنتينا من محطة الارسال موافقة لعدد ذبذبات النغمات الموسيقية فانها تصل لمحطة الاستقبال وتؤثر هناك على المستقبل والتلفون المتصل به فيتولد فيه نغمة موسـيقية عالية تغمر جميع التغيرات الناتجة من الأصوات الأخرى الضعيفة الآتية من الـكلام مثلا ولهذا السبب يستحسن أن يكون عدد تغيرات الدينامو فى محطة الارسال لا ينقص عن عشرين ألف مرة كمافى دينامو (موردى)اختراع (فيسيندن) فعضو استنتاج هذا الدينامو يلف بسرعة ١٤٠ لفة فى الثانية أمام ٣٦٠ قطب مغناطيسى ويدور بتوربين بخاري من طرز (De Laval)دى لافال سرعته ٣٠٠٠٠ لفة فى الدقيقة

وقد يمكن استبدال هـذا التوربين بمحرك كهربائى مصنوع صناعة خاصة ليكون سريعاً كمحرك (فلمنج) (Fleming) الذى يلف بسرعة ٦٠٠٠ لفة

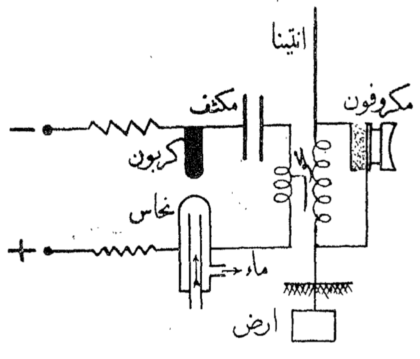
فى الدقيقة ومن السهل الحصول على سرعة أكبر من ذلك بتصغير طنبور الدينامو عن طنبور المحرك

ولا يشترط فى الدينامو المستعمل هنا أن يكون ضغطه عالياً بالنسبة لكونه ذا تيار متغير ففى هذه الحالة لا يصعب رفع ضغطه بالمحولات لأى مقدار مطلوب وانما الصعوبة فى تكبير عدد تغيراته فى الثانية بالنسبة لعدم وجود جهاز للآن مخترع لذلك الغرض فاليوم الذى يتم فيه هذا الاختراع يكون فاتحة عصر عظيم الشأن للتلفون اللاسلكى

طريقة بولس — هذه الطريقة هى أفضل الطرق لتوليد التموجات الكهربائية المغناطيسية المطلقة غير المقيدة المستعملة فى التلفون اللاسلكى وهى مشروحة شرحاً وافياً فى التلغراف اللاسلكي وقد حسنها مخترعها فى السنوات الأخيرة واستعملها بنجاح في نقل الكلام لمسافات بعيدة براً وبحراً ومن ضمن التحسينات التى عملها انه استبدل جو الايدروجين أو غاز الاستصباح الذى يحيط القوس الكهربائى بجو آخر من بخار الكحول وقد جعل هذا السائل يمر على صمام أتوماتيكى ومنه يدخل الصندوق ويتقطر نقطة نقطة وبمجرد تقابله مع حرارة القوس يتبخر ويملأ الجراب ببخاره وقد استبدل أيضاً ماء التبريد بمراوح هوائية لتبريد الجهاز والغرض من كل ذلك هو الاستغناء عن الماء وغاز الاستصباح وغير ذلك من المواد التى ربما لا يسهل الحصول عليها فى المحطات البعيدة وقد جعل أيضاً قضيب الكربون غير ثابت الوضع بل يدور دوراً بطيئاً بواسطة عدة ساعة ليكون القوس منتظماً وصغيراً لا يأخذ أكثر من ٢ أمبير فيقل بذلك مقدار الهباب الخارج من القوس وكذلك وجه (بولسن) عنايته للفات الاستنتاج المغناطيسية والمكثفات الألكتروستاتيكية فصنعها بكيفية تقبل التغيير فى مقاديرها تسهيلا لضبط طول الموج الخارجة

كيفية التوفيق بين الموجات الكهربائية والصوتية

يشترط لنقل الاصوات من جهة الى أخرى بواسطة التموجات الكهربائية المغناطيسية وجود طريقة لخروج هذه التموجات متغيرة فى أطوالها تبعاً لاختلافات الضغط الهوائى الناتجة من الأصوات المختلفة عند التكلم أمام مكروفون المرسل وهذه الطريقة توصل اليها العالمان (بولسن وفيسيندن) فالأول استعمل مكروفوناً معتاداً كالسابق شرحه وصله على التوازى بملف ثانوى لمحول أدخله فى الأنتينا كما فى (شكل ٢) فعند التكلم أمام المكروفون تتصادم التموجات الصوتية

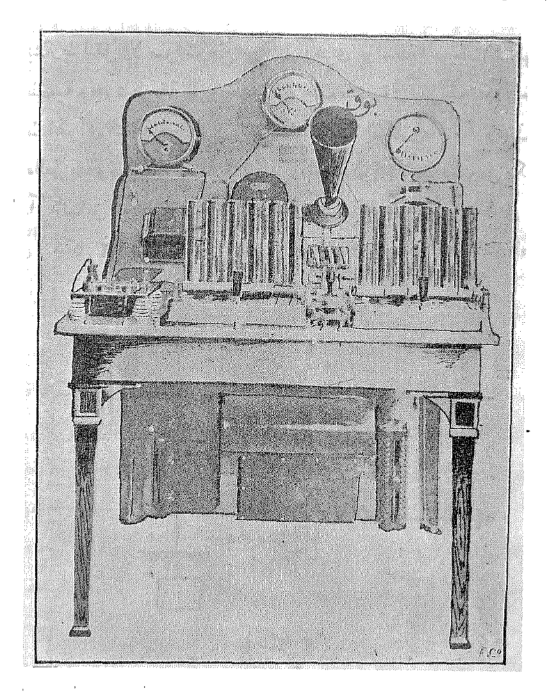


(شكل ٢)

بالقرص فيتذبذب وينتج من ذبذبته زيادة أو نقصان الضغط على مسحوق الجرافيت الذى خلفه فتقل أو تزيد مقاومة الدائرة ويتبع ذلك تغيرات فى شدة التيار المار فى الأنتينا نفسها وكذلك في الموجات الخارجة منها

وإنما يلاحظ هنا ان استعمال المكروفون الواحد لا يأتي بنتيجة مرضية بالنسبة لشدة التيار الذى يمر فيه وعلى ذلك يستحسن استعمال عدد كبير من هذه المكروفونات توصل بعضها ببعض على التوازي ويثبت في كل منها أنبوبة وتجمع

أطراف هـذه الأنابيب الى ماسورة واحدة تنتهى بشكل بوق للتكلم فيـه كما فى (شكل ٣) وكذلك لا يستعمل قوس واحد لتوليد التموجات بل عدة أقواس



(شكل ٣)

صغيرة يتوزع عليها التيار فيخص كلا منها جزء قليل وهى تنقسم قسمين كل قسم يحتوي على ستة أقواس متصلة بعضها ببعض على التوالى والمجموعتان تتصلان بالمكثف الايلكتروستاتيكى والملف المغناطيسي على التوازى وهذه الأقواس ليست مخاطة بالايدروچين أو غيره ولها قضيب واحد مشترك متصل بالقطب الموجب مصنوع من النحاس على شكل ماسورة يمر داخلها تيار مستمر من الماء

ومركب بكيفية يسهل معها تقريبه وابعاده لتوليد الأقواس دفعة واحدة ولكل قوس منها قضيب من الكربون متصل بالقطب السالب والشكل العمومي لمحطة الارسال الكاملة مبين بشكل ٣ السابق

طريقة فيسيندن

تختلف هذه الطريقة عن السابقة بعدم استعمال المكروفون بل تلفون مكثف اليكتروستاتيكي مركب من لوحين رقيقين متقاربين يقوم أحدهما مقام قرص المكروفون ويوصل على التوازى بالمكثف العمومي الموجود فى دائرة الانتينا

فعند التكلم أمام لوح المكثف الأول يرتعش ويتذبذب تبعاً لنوع الموجات الصوتية المتصادمة به وعند ارتعاشه يقرب أو يبعد من اللوح الثاني وبما أن سعة هذا المكثف تتعلق مباشرة بالمسافة المحصورة بين اللوحين فقد تتغير السعة ويكون تغيرها موافقاً للتموجات الصوتيـة ولا تقتصر التغيرات على نفسها بل يتبعها تغيرات عمومية فى سعة المكثف الكلي وفى تيار الانتينا وأخيراً فى طول الموجة الخارجة منها

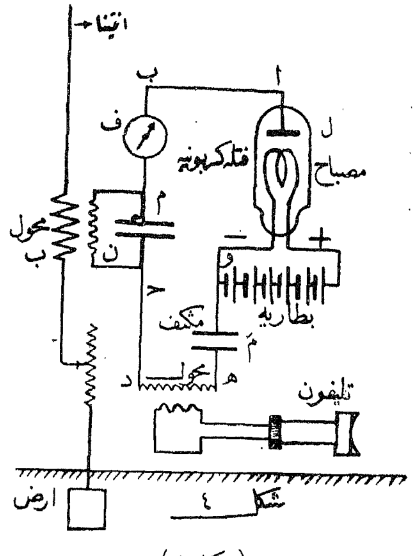
أجهزة الاستقبال فى التلفون اللاسلكى

الموجات الكهربائية السابقة المتولدة طبقاً للموجات الصوتية تنتشر فى الفضاء وتصل الى أنتينا محطة الاستقبال فتؤثر عليها ويمتد هذا التأثير الي المستقبل ومنـه الى تلفون معتاد يردد الصـدى ويخرج صوتا مشابها تماماً للذى حصل فى مكروفون المرسل

ومن الضرورى أن يكون جهاز المستقبل فى هـذه الحالة من الأجهزة التى تشعر بالموجات والتى يكون التأثير فيها مناسباً لطولها وعلى ذلك فان مستقبلات الاتصال الجزئى التى سبق شرحها فى التلغراف اللاسلكى تكون غير صالحة هنا لأنهـا تشعر بجميـع أنواع الموجات بشكل واحـد وأما مستقبلات الاستقطاب فتعتبر وافية بالغرض وتوصل بالطريقة التى سبق شرحها فى التلغراف اللاسلكى (راجع الشكل) فعند تصادم الموجات بالأنتينا يصـل تأثيرها بواسطة المحول م

الى جهاز الاستقطاب فتتغير مقاومته تبعاً لطول الموجات الآتيـة ومتى تغيرت المقاومة تزداد أو تنقص شدة التيار المار فى التلفون فيرتعش قرصـه ويحدث صوتا مشابها لصوت مكروفون المرسل وقد يوجد نوع آخر من المستقبلات ظهر حديثاً وهو أهم أجهزة الاستقبال كلها فى استقبال الموجات الكهربائية من مسافات بعيدة ويسمى بمستقبل (فلمنج)

وهو يتركب كما فى (شكل ٤) من مصباح كهربائى معتاد ذى فتيلة كربونية



(شكل ٤)

داخل نفاخه من الزجاج مفرغة من الهواء ومثبت أمام هذه الفتيلة لوح معدنى كاللوح ل يتصل بسلك بلاتين ملحوم فى الزجاج ونافـذ لخارج المصباح فعند إضاءة الفتيلة إضاءة كاملة بتأثير التيار الكهربائى المار فيها يمتلئ الفراغ المحصور بينها وبين اللوح بغاز مخفف فيه خاصية توصيل الكهرباء فتمر فيه ذرات الكهرباء السالبة متطايرة من الكربون وتتجه نحو اللوح وعلى ذلك اذا وصلنا هذا اللوح

بدائرة خارجية تنتهى بالقطب السالب لتيار المصباح نفسه كالدائرة ا ب حـ د هـ و فان الـكهرباء السالبة يمكنها أن تمر من الفتيلة الى اللوح ومنها الى الدائرة الخارجية اذا كانت تحت تأثير التموجات . وقد يظهر ذلك جلياً اذا وضعنا الجلفانومتر (ف) فى الدائرة فانه ينحرف ويبقى منحرفاً طول مدة التموجات

ولاستعمال هذا الجهاز كمستقبل كامل من التلفون اللاسكى اقترح مركونى توصيله بدائرة كالمبينة بالشكل نفسه تحتوى على مكثف م ومحول تموج له ثانوى ن وابتدائى ب متصل بالأنتينا والأرض وأما الجزء هـ د فهو ابتـدائى لمحول آخر لتلفون وهو متصـل على التوالى بمكثف صغير مَ فعند ضبط سعة المـكثف الـكبير م تصير هذه الدائرة ودائرة الأنتينا فى تداخل تام احداها مع الأخرى ومن هذه الحالة تؤثر تموجات الأنتينا الناتجة من تصادم التموجات الـكهربائية فيها على المستقبل وتتقوم به بعد ماتتحول بمحول التموج فيظهر أخيراً تيار متقطع فى اتجاه واحد فى ملف ابتـدائى محول التلفون وينتقل للتلفون نفسه بواسطة الثانوي فيحدث فيه صوتا مشابهاً لصوت محطة الارسال وبذلك تتم المخاطبة .

تقدم الكبارى

مبدأ تاريخ انشاء الكبارى غير معروف اليوم وغاية مايتصوره العقل أنه لما أخذ الانسان القديم يضرب فى مناكب الأرض عارضته مجاري الماء فاضطر لاجتيازها مستعيناً على ذلك بالطبيعة فقطع الأشجار وألقاها على النهيرات وخطا فوقها ثم تقدم فى صناعتها فهذبها بشكل أعتاب وشيد منها كبارى لم تزل آثارها باقية للآن من عهد الرومانيين ثم استبدل أخيراً هذه الأعتاب الخشبية بكمرات فولاذية أدخلها فى بناء الكبارى الحديثة فظهرت بأفخم منظر وسار عليها الناس والعربات والقطارات وبما أن الأعتاب هى أساس جميع الكبارى فيحسن أن نذكر كلمة عنها وعن تطورها حتى انتهت أخيراً الى هذه العظمة

اذا وضعنا نهايتى عتب على حائطين مثلا كما فى (شكل ١) وعلقنا به ثقلا فان العتب المذكور ينحنى وتصير اليافة السفلية مشدودة والعلوية مضغوطة والمحور الفاصل بين هذه الألياف وبعضها يكون على الحياد وطبعاً كلما بعدنا عن هذا المحور صعدا أوصبيا نجد ان الألياف أشد تأثيراً بالضغط أو الشد وعلى ذلك اذا استعملنا ثلاثة أعتاب وكان عرض الثانية ضعف عرض الأولى وسمك الثالثة ضعف سمك الأولى أيضاً فان نسبة قوة هذه الاعتاب بعضها لبعض تكون كنسبة ١ و ٢ و ٤ ولو أن العتبتين الثانية والثالثة متساويتين فى المادة الا ان امتياز الأخيرة بالمتانة جاء من قبيل وضعها على سيفها فمن ذلك نفهم أن تكدس المادة فى الاعتاب المصمتة غير متحسن وغير موفر

فلمراعاة الاقتصاد فى الاعتاب الحديثة والكمر على العموم تكدس المادة بقدر ما تسمح به الحالة فى الأطراف البعيدة أى فى أعلا وأسفل القطاع فقط فتصنع بشكل ⌶ مزدوج ليكون للمادة فى هذه الأطراف مقاومة كبيرة لتأثيرى الشد أو الضغط

مقدار ما يحمله العتب يناسب تناسباً عكسيا لطوله وذلك لأن عزم الانحناء يناسب الطول تناسبا طرديا ومن هنا نجد أن عتبتين متساويتين فى كل شئ الا

أن طول احداها نصف طول الأخرى فان الأولى تحمل ضعف الاخرى حين يكون الاثنتين تحت تأثير انحناء واحد

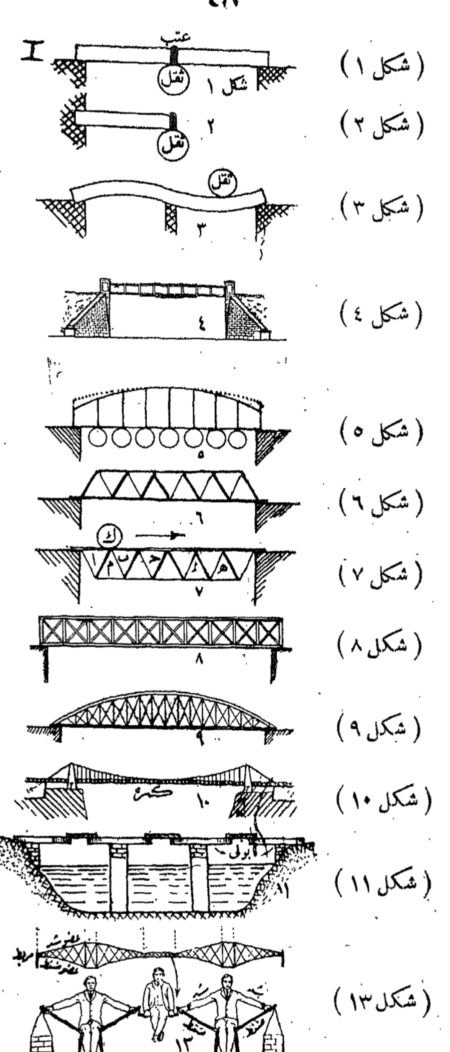
وكذلك توزيع الحمل على العتب له دخل كبير فى مقدرته على الحمل فعتبين متساويين في كل شيء حتى الطول الأول يحمل قنطاراً كتلة واحدة على مركزه والثانى يحمل قنطاراً آخراً موزعاً توزيعاً منتظماً بالتساوي علي طوله نجد أن ما يصيب الأول من تأثير الانحناء هو ضعف ما يصيب الثانى — ويأتى أخيراً طريقة تثبيت العتب من نهايته فله تأثير مهم على طاقة الحمل فاذا ثبتنا احدى نهايتى عتب فى الحائط تثبيتاً قوياً وتركنا الأخرى حرة كما في (شكل ٢) وعلقنا بها ثقلا فان عزم الانحناء فى هـذه الحالة يكون أربعة أمثال الانحناء الذى يحصل فى عتب مشابه للسابق وعليه مثل حمله وإنما يرتكز بنهايته على حاملين

الأعتاب المستمرة الطويلة يلزم لها أكثر من مركزين للارتكاز عليها وفى هذه الحالة تصير مجزأة الى جملة أجزاء والحمل على أى جزء يحدث انقلاباً فى الجزء المجاور له كما هو ظاهر من (شكل ٣) وتأثير هـذا الانقلاب هو ضد تأثير الانحناء وبذلك يظهر فى الأعتاب المستمرة أجزاء تجدها فى توازن تام وأخرى قريبة منه وتصير المجموعة أقوى من سلسلة أعتاب قصيرة متجاورة منفصلة عن بعضها

الحمل على الأعتاب لا يحدث فقط انحناءا بل قصا أيضاً قريباً من النهايات ولكن التأثير الاكبر طبعاً هو تأثير عزم الانحناء ويكون شديداً فى النقطة التى يكون فيها العزم في نهايته وهذه النقطة عادة تكون فى المركز وتنتقل بانتقال الحمل

فلجعل مقاومة العتب متساوية على جميع طوله تقوى أجزاؤها بالنسبة لعزم الانحناء الواقع على كل جزء وقد يمكن الوصول لذلك بطريقتين الأولى أن تزاد مادة شفف الكمر بالتدريج لجهة المركز ويجرى هـذا العمل ببرشمة عدد متفاوت من ألواح الفولاذ على كل من سطحى الشفتين العليا والسفليا ثم يضاف الى ذلك ألواح صغيرة رأسية كروابط لمنع تقوس الروح

والكمر الذى بهذا الشكل يصلح مباشرة لعمل الكبارى الصغيرة كما في (شكل ٤) فتوضع كمرتان منهما متجاورتين على كتفين من الطوب الأحمر


عتب
ثقل
شكل ١
(شكل ١)
ثقل
٢
(شكل ٢)
ثقل
٣
(شكل ٣)
٤
(شكل ٤)
٥
(شكل ٥)
٦
(شكل ٦)
(شكل ٧)
٧
٨
(شكل ٨)
٩
(شكل ٩)
١٠
(شكل ١٠)
(شكل ١١)
(شكل ١٣)
١٣

وتصف عليها الكتل الخشبية لتكوين الفرش

أما الطريقة الثانية لتقوية الكمر فهى زيادة بعد الشفة عن محور الحياد كلما اتجهنا نحو المركز تبعاً لزيادة عزم الانحناء فتأخذ الكمرة شكل قطع مكافئ كما هو ظاهر من (شكل ٥) وانما يلاحظ اضافة زيادة أخرى بالأخص فى النهايات لحماية الكمرة من تأثير القص وبذلك يكون المنحنى الأخير هو المبين بالشكل المنقط

الكبارى الطويلة التى تحتاج لكمر كبير لا يصنع لها هذا الكمر بالطريقة المعتادة أى من شفتين وروح لأن الروح فى هذه الحالة تكون محتوية على مادة كبيرة غير مطلوبة ولذلك تستبدل بجملة قضبان تعتبر أعضاء شد وضغط تقوم مقام الروح في تحمل القوى وتنقل تأثيرها للشفف ويسمى المجموع بالجملون كما هو مبين في (شكل ٦)

ويلاحظ فيه ان الخطوط الثقيلة هى القضبان الواقعة تحت الضغط والرفيعة بما فيها الكمرة المعتبره ممشى تحت شد

وأما اذا تصورنا اننا قلبنا هذا الجملون فان قوى الشد والضغط تنعكس وأعضاء الشد تصير ضغطاً والضغط شداً كما هو ظاهر من خطوط (شكل ٧)

ومعظم الجملونات المهمة المستعملة الآن ما هى إلا مضاعفات للجملونين السابقين

الحمل على الكبارى نوعان حمل ميت وهو عبارة عن ثقل الكوبري نفسه بما عليه من القضبان وغيرها . وحمل حي كالاشخاص والقطارات وغيرها وهذه العوامل يلزم مراعاتها فى تصميم الكبارى هى وتأثير الرياح والزوابع

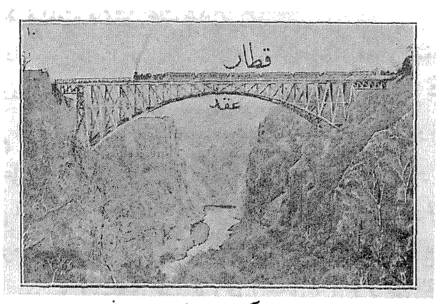
والحمل الموزع بالتساوى على كوبرى (شكل ٧) يؤثر على القضبان ا ، ب ، ج ، د ، ه بشد والقضبان الباقية بضغط ولكن عند ظهور جسم متحرك في نقطة كالنقطة ك مثلا فانه يضغط على القضيبين المتجاورين ب ، م تحته وبالمثل على كل قضيبين آخرين يأتى عليهما أثناء تحركه للأمام ومن هذا نرى ان كل قضيب في الجملون عرضة للوقوع تحت الشد مرة وتحت الضغط أخرى وأما الشفف فالعليا متأثرة دائماً بالضغط والسفلى بالشد

وقد ظهر نوع آخر من الجملونات مستعمل بكثرة يشابه تماماً الجملون السابق

وانما يختلف عنه بأن قضبان الضغط فيه قائمة غير مائلة لتكون أقل طولا وأمتن قواماً

وأما جملون الشيش (شكل ٨) فهو فى الحقيقة مجمع من جملونين من شكل ٦ ويمتاز عنها بالمتانة بالنسبة لربط نقط تقابل القضبان بعضها ببعض بالبرشام وكثيراً ما يضعف هذا الجمالون نفسه ويصير مزدوجاً

الوسائل التى اتخذت فى تقوية جملونات الشيش بواسطة القضبان المتقاطعة وغيرها يمكن تطبيقها على كمر القطع المكافئ وفى ذلك مزية كبرى من توفير جزء كبير من المادة كما هو ظاهر من (شكل ٩) فضلا عن تنقيص أطوال أعضاء الضغط وفى ذلك مزية أخرى ولسهولة الصناعة تبنى الشفة من سلسلة خطوط مستقيمة بدلا من المنحنيات المستمرة وقاعدة هذا الكوبري تعتبر عضو شد تمنع الأطراف من الامتداد وتقوم مقام الأكتاف (وشكل ١٢) يمثل كوبرياً



(شكل ١٢)

يشابه العقود ويختلف عن الجملونات بعدم وجود عضو شد عام لعدم ضرورته بالنسبة لوجود الاكتاف ومقاومتها لنهايتى العقد والعقد نفسه مصنوع من كمر من الفولاذ متصل بسطح الكوبرى بقضبان متقاطعة للتقوية وطول هذا الكوبرى ١٥٠ متر ويمكن بسهولة إبلاغ طوله ٤٠٠ متر

كبارى التعليق

لو تصورنا فى الكوبري السابق أننا قلبناه فان العقد الذى كان سفلياً

مضغوطاً يصير علوياً مشدوداً وعلى ذلك فهو فى هذه الحالة يميل لجذب النهايتين اليـه بدلا من دفعها للوراء فلو استبدلنا العقد فى هذه الحالة بأحبال قوية أو سلاسل ضخمة ومررناها على أبراج عالية ثم ثبتناها فى مرابط كما في (شكل ١٠) يكون هذا ما يعبر عنه بكوبرى التعليق وبالنسبة لمرونة هذا الـكوبرى يشيد بالـكمر المقوى بالضلوع لمنع حدوث الاهتزازات فيه

فى الـكبارى ذات الجملونات يراعى مسألة زيادة ونقص الطول بسبب اختلاف درجة حرارة الجو وقد يسهل حل هـذه المسألة بترك النهايات حرة لتنزلق على الاكتاف ولـكن في حالة ما اذا كانت النهايات مثبتة يصنع الـكوبرى بحركة مفصلية لتفرج عن الدفعة الرأسية فى المركز

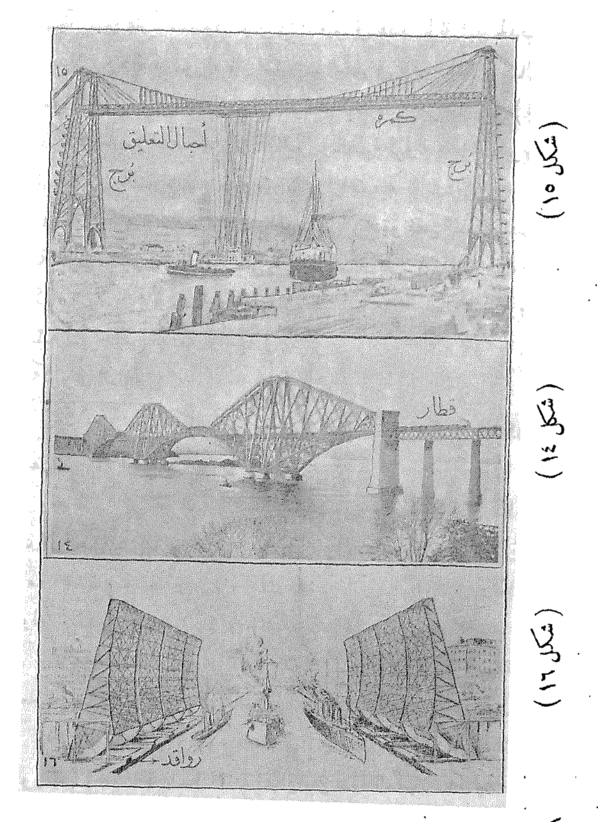
كوبرى الـكابولى

يمكن تمثيل هذا الـكوبرى بسلسلة كوابيل متجاورة كما فى (شكل ١١) أو بنصف كوبرى تعليق في توازن كامل

وقد يسهل صناعة هذه الـكبارى بالنسبة لتوازن كل كابولين متماسكين وعلى ذلك لا يحصل أدنى خطر عند امتداد الـكابولى وقت انشائه كما انه لا يحتاج الامر لاقامة أعمدة مساعدة أو ما شابه ذلك وعنـد انتهاء الـكوابيل توصل ظرفا كل كابولين متقابلين بوصلة كمر كما فى (شكل ١٣)

والاجزاء السفلية من هـذه الـكوابيل تـكون دائماً تحت تأثير ضغط والعلوية تحت تأثير شد وقد يمكن فهم ذلك بسهولة من التمثيل المبين فى الشكل

وقد بلغ تقدم هذا النوع من الـكبارى مبلغا عظيما كما ظهر ذلك فى كوبرى (فورث) (Forth) باسكتلاندا فـكوابيل هذا الـكوبرى مركبة من جملونات ضخمة ثلاثية الشكل أهم أعضائها مصنوع من مواسير من الفولاذ قطرها ثلاثة أمتار وطول هذا الـكوبرى ٦٠٠ متر ويعتبر أطول كبارى العالم التي من نوعه وأضخمها فقد لزم له ٦٠ ألف طن من الفولاذ وثمـانية ملايين من مسمار البرشام وشكله العمومي مبين بشكل ١٤



(شكل ١٥)

(شكل ١٤)

(شكل ١٦)

كبارى النقل

الـكبارى السابقـة تعتبر كلها ثابتة وهي وافيـة بالغرض الاعلى مجارى المـاء الصالحة للملاحـة فنى هـذه الحالة يلزم تشييدها بحيث تـكون مرتفعة ارتفاعاً كبيرا يسمح بمرور السـفن تحتها بلا عائق ولـكن هذا الامر يكلفنا مصاريف باهظة بلا داع بالنسـبة لعظم نفقات كوبري بهذا الشكل ولضرورة شراء جزء

كبير من الأرض لتسوية مقدمة ومؤخرة الكوبرى لسهولة الصعود عليه أو النزول منه على انحدار بسيط وقد فكر المهندسون كثيرا فى اجتياز هذه الصعوبة فاخترعوا أخيرا كبارى النقل وهي عبارة عن كمرة كبيرة بعرض النهر مرتكزة على أبراج عالية ومثبت على حافتها السفلية قضبان متينة يجرى عليها عجل صغير يحمل أحبالا فولاذية معلق فى نهايتها عربة كما في شكل ١٥ وهذه العربة تتحرك ذهابا وإيابا بواسطة محركين كهربائيين مثبتين على سطحها يتصلان بأحبال لانهاية لها ملفوفه على اسطوانتين كبيرتين في الشاطئين

كوبرى شرزر (Scherzer)

مهندس الكبارى كثيرا ما يعترضه مسألتان مهمتان مسألة سهوله العبور ومسألة مرور السفن فلا يجد أمامه غير ثلاثة طرق تنتخب الاصلح منها

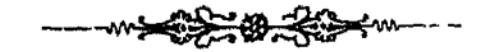
وهذه الطرق هي النفق أو كبارى التعليق أو الكباري المتحركه فالطريقة الاولى أكثرها نفقة والثانية والثالثة لها نقائص فمثلا فى الكبارى الاخيرة التى تدور فى مستوى أفقى على بغال فى وسط النهر أو على الشاطئ نجد أن البغال تعترض السفن وتجبرها على السير في المناطق القليلة العمق وأما على الشاطئ فان فتح الكوبرى يشغل جزءاً كبيرا من الارض ويكون الكوبرى ذا طول كبير غير مستحسن

وقد ظهرت جميع هذه الصعوبات لما أراد المهندسون الامريكانيون إنشاء كوبرى على نهر شيكاغو فى منطقة ضيقة جدا لمرور عدد كبير من السكك الحديدية عليه فاخترع لهم المستر (وليم شرزر) كوبريا سماه باسمه ويمتاز على جميع الكبارى السابقة فى جملونه فنهايته التى على الشاطىء مصنوعة من قطع دائرية من الفولاذ كما فى شكل ١٥ تنطوي علي سطح مستوى كما ينطوى حامل الكرسى الهزاز على الارض بدون احتكاك وكل ذلك مثقل بكيفية يحصل منها توازن تام عند رفع الجملون فى الهواء نصف زاوية قائمة وبعد ذلك تتم عملية الرفع بقوة محركات كهربائية وانما تراعى النقطة التي يلزم تطبيق القوة عليها خوفا من زحزحة الجملون بأكمله وهذه النقطة هي مركز الدائرة التى تكون القطعة المنطوية جزءا

منها وهي قريبة من مركز الثقل العام وتكون دائما على مسافات متساوية من الارض في أى وضع لها ولمنع انزلاق القطع الدائرية حفر في محيطها فتحات تتعشق مع أسنان مطابقة لها على الرواقد

نكبة كوبرى كويبيك

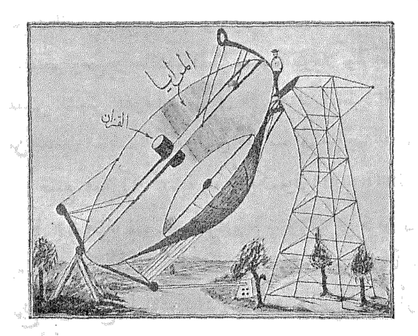
تصميم الكبارى وتأسيسها ليس مقيداً بشيء بل للمهندس المكلف باقامة الكوبرى الحرية التامة في انتخاب النوع الموافق من الكباري السابقة تبعاً لطبيعة الأرض وموقعها وعلى ذلك فهو معرض لمسؤولية كبرى ولحسن الحظ لم يحدث في تاريخ الكبارى كارثة مهمة غير نكبة كوبري كويبيك الذى هوى على نهر (سنت لورنس) سنة ٩٠٧ وأودى بحياة ٨٠ عاملا وقد كان طول هذا الكوبري ٥٥٠ متراً عمل تصميمه مهندس أمريكانى شهير بعد ثلاثة سنوات أمضاها فى تصميم وحساب شاق



استخدام حرارة الشمس

فى رفع الماء للرى

تبلغ الحرارة التى نستقبلها من الشمس يومياً ملايين من الأحصنة البخارية تذهب عبثاً فى رمال الصحارى وغيرها مع ان فى الامكان استخدامها لاستخراج المــاء من باطن الأرض وروي تلك الصحارى رياً يصيرها حدائق غناء وحقولا ناضرة خضراء



أشهر الآلات الشمسية

والظاهر ان هذه الفكرة بدأت تدب فى صدور المهندسين وأخذوا يعالجونها باستنباطاتهم المتعددة لشعورهم بقرب نفاذ الفحم من العالم . وقد صرح السيرج طومسون (C. Thomson) رئيس جمعية المهندسين بلندن فىخطبته الافتتاحية عام ١٩٠٩ « بأن الشغل الحرارى الذى يشع الينا من الشمس في أيام الصحو يبلغ ٧٠٠٠ حصان بخارى من كل سطح مساحته فدان واحد ولو ان المهندسين اليوم لم يخترعوا طريقة تامة لاستخدام هــذه القوة الهائلة ولـكن من المؤكد انهم سينجحون قريباً ويبلغون الغرض الذي يسعون اليه وعندهاينتقل مركز التجارة والصناعة الى أواسط الصحراء الـكبرى الحارة »

هذا ما صرح به السير طومسون وهذا ما يوافق عليه كثير من العلماء . وفى الحقيقة انا لو تأملنا لحرارة الشمس الهائلة نجد ان هـذه القوة لو استخدمت فى موضعها لأفادت العالم فوائد لا تعد ويكفى لتصور مقدار هذه القوة معرفة الشغل الحرارى الواقع من الشمس على القدم المربع من سطح الأرض فهو يبلغ ثلث حصان بخارى وعلى هذا الحساب يمكن لأى باخرة تسافر فى المناطق الحارة أن تسير آلاتها بالحرارة الواقعة على سطحها بدون احتياج لأى وقود آخر

ويظهر ان أول من فكر فى قوة الشمس من الوجه النظرى هو (ستيفنسن) فقد كان مرة يراقب قاطرته التى اخترعها وهى تسير ببطء أمامه فالتفت الي صديق له وسأله ما يحرك القاطرة فأجابه آلتها وما يحرك الآلة قال البخار وكيف يحضر البخار أجابه بالفحم ومن يولد الفحم ففكر صاحبه طويلا ولم يعرف كيف يجيبه فقال له ستيفنسن الشمس فقوة الشمس هى التى تحرك القاطرة الآن لأنها أنمت من آلاف من السنين الغابات الكثيفة التى تحولت الى مناجم الفحم الحجرى

وأول من صنع فعلا آلة شمسية هو أريكسون (Erricson) فانه استقبل أشعة الشمس على جملة مرايا منحنية مقعرة وحرر بورتها على قزان صغير ليحضر البخار لادارة الآلة وقد أمكنه أن يتحصل على قوة تعادل حصاناً بخارياً من كل ١٠٠ قدم مربع من سطح المرايا . وقد استعملت هذه الآلة فى أراضى أمريكا القاحلة الشديدة الحرارة التى يندر وجود الوقود فيها

وأيضاً بنى الدكتور وليم كيبر (Caber) فى صحراء اريزونا آلة شمسية أخرى عبارة عن مرايا عديدة محمولة على حوامل حديدية موجهة دائماً للشمس من الصباح الي الغروب وعدد هذه المرايا ١٦٠٠ تعطى كل واحدة منها من ١٠ الى ١٥ درجة حرارية وبذلك كان مجموع الدرجات الخارجة من هذه المرايا من ١٦٠٠٠ الي ٢٤٠٠٠ درجة وهذه الحرارة أقوي حرارة يمكن الحصول عليها وبواسطتها يمكن صهر الحديد بسهولة

وأشهر الآلات الشمسية هى المقامة فى زريبة تربيـة النعام بكاليفورنيا بأمريكا المبينة فى الشكل . وهي عبارة عن شكل مخروطى مبطن بألف وثمانى

مئة مرآة طول كل منها قدمان وعرضها ثلاث بوصات ومحمولة على حوامل حديدية خفيفة وتتحرك دائما فى اتجاه الشمس طول النهار حتى تكون متسلطة عليها والحرارة المنعكسة من المرايا تسقط على قزان طوله ١٣ قدماً ونصف قدم ومغطى بطبقة سوداء لامتصاص الحرارة داخله وهذا القزان يسع ١٠٠ غالون من الماء ويغذى نفسه بنفسه عندما تقل المياه فيه والبخار الخارج منه يدير طولمبه تخرج المياه من باطن الأرض على حساب ١٤٠٠ غالون في الدقيقة الواحدة أى ٨٤٠٠٠ غالون فى الساعة

ومقدار هذا الماء مما يشجع كثيراً جماعة المهندسين لاستمرار بحثهم في اتمام الاختراع . وبديهى انهم اذا كانوا قد استطاعوا الآن الحصول على ٨٤٠٠٠ غالون في الساعة الواحدة من سطح صغير من المرايا فمن المنتظر طبعاً أن يتحسن هذا المقدار وتصير بذلك صحارى ليبيا وبلاد العرب والعجم ومنجوليا وأستراليا من أخصب بقاع الأرض

السينماتوغراف المتكلم

والنظرية المنتظر أن يتم بها

الفوتوغرافون — الفوتوغرافون واسطة يستطاع بها ايجاد الأصوات المختلفة والتكلم بمساعدة شريط فتوغرافى كشريط الصور المتحركة

وأول من وضع مبدأ الفوتوغرافون هو الاستاذ داديل (Duddell) فى محاضرة القاها على جمعية المهندسين الكهربائيين بلندن عام ١٩٠٠ أوضح فيها أن القوس الكهربائي المعتاد (القوس الذى يظهر بين فحمتين احداها موجبة والاخرى سالبة كمصابيح الاقواس بالميادين الكبيرة) اذا تغير فيه التيار فقد يحصل انكماش وتمدد فى عمود البخار المتكون بين الفحمتين

وبناء على ذلك اذا حصلت هذه التغيرات بسرعة كافية فانه ينتج من انكماش

وتمدد بخار القوس صوت موسيقي حسن وبالمثل يمكن الحصول على صوت التكلم ولهذا اطلق عليه اسم (القوس المتكلم)

وكيفية الوصول الى ذلك هو أن نوصل قوساً كهربائيا بسيطاً بمرسل تلفون معتاد يكون بعيداً عنه وفي وسط دائرة التلفون نضع ملفاً ابتدائياً لمحول أو ملف رهمكورف مع عمودين كهربائيين وأما الملف الثانوي فنوصله لمكثف كهربائي وللقوس ثانياً وبعد ذلك نغذي القوس بتيار كهربائي خارجي فنجد انه عند التكلم في مرسل التلفون من مسافة بعيدة تحصل تغيرات في شدة تيار الأعمدة تؤثر في الملف الابتدائي فينتج عنها تغيرات في الملف الثانوي تنتقل الى القوس فيخرج صوتاً مشابهاً للذى حصل في مرسل التلفون

وقد يتبع ظهور الصوت في القوس تغيرات في ضوئه طبعاً وعلى ذلك يمكن أخذ الصورة الفتوغرافية لهذا للضوء بواسطة شريط كشريط السيناتوغراف ويحفظ هذا الشريط لاستخراج نسخ عديدة منه للانتفاع به في إعادة هذا الصوت ثانياً

وللتوصل لاعادة الصوت نمرر الشريط فوق فتحة تحتها ملف من معدن السلنيوم (Selenium) (وهذا المعدن من فصيلة الكبريت له خاصية مشهورة وهي تغير مقاومته الكهربائية مع مقدار الضوء الساقط عليه)

وبعد ذلك نوصل هذا الملف لعمود كهربائي متصل بمستقبل تلفون ثم نضع فوق الشريط ينبوعاً ضوئياً فضوء هذا الينبوع ينفذ من الشريط الفتوغرافي تبعاً لشفافته وعقامة البقع عليه فتتغير بذلك مقاومة ملف السلنيوم فتزداد أو تنقص شدة التيار في دائرة مستقبل التلفون المتصل معه فيخرج صوتاً يتبع تماماً تغيرات الضوء على ملف السلنيوم التي صورت من القوس المتكلم

ويشتغل العلماء الآن في ايجاد طريقة تامة لجمع الصور المتحركة مع التكلم في آن واحد بواسطة شريط واحد بالطريقة السالفة الذكر

تحضير حمض النتريك من الجو

حمض النتريك حمض قوى يستعمل بكثرة فى تحضير النترات على العموم وفى عمل الماء الملكي (الذى يذيب الذهب) وفى الحفر على النحاس وفي عمل قطن البارود وفى تحضير أملاح السباخة

وهو يحضر بكثرة بمعاملة نترات الصوديوم الآتية من بلاد شيلى (Chili) بأمريكا بحمض الكبريتيك

وتوجد هذه النترات بكمية عظيمة فى أراضى هذه المملكة وكان يؤخذ منها فى العام ما يقرب من مليونين طن وهى كمية كبيرة جداً جعلت الخبيرين يقدرون نفاذ هذه الجبال بعد مضى زمن قصير

وقد دفع هذا التقدير العلماء فى كل مكان الى البحث عن مورد يستورد منه حمض النتريك بكثرة فعثر علماء النرويج عليه فى الهواء الجوى والماء لأنهما يحتويان على الاوكسچين (ا) والنتروچين (ن) والايدروچين (يد) وهذه الغازات هى تركيب حمض النتريك (ن يد ا ٣ .) وفعلا بنيت معامل كبيرة لذلك فى بركلاند فيها آلات تبلغ قوتها ١٥٠٠٠ حصان

ونظرية استخراج حمض النتريك من الهواء مبنية على جعل نتروچين الهواء يتحد مع أوكسجينه بتأثير حرارة شديدة كحرارة قوس كهربائى تبلغ درجة حرارته ٢٠٠٠° يستقبل ٣٠٠٠٠ فولت فعند مرور تيار من الهواء على هذا القوس في فرن مقفول يتحد النتروچين والاوكسچين ويكونان ثانى أوكسيد النتروچين وهذا الغاز قابل للذوبان في الماء وبذوبانه يتكون حمض نتريك كما هو ظاهر فى المعادلة الكيماوية الآتية : —

ثانى أوكسيد النتروچين + ماء = حمض نتريك + أول أوكسيد النتروچين

٣ ن $ا_٢$ + $يد_٢$ا = ٢ (يد ن $ا_٣$) + ن ا

لحام قضبان الحديد بالحديد

أحدث طريقة لعمل ذلك

اخترع حديثاً الدكتور جلدشميث (Coldsehmidt) طريقة للحام الحديد ببعضه وهى بسيطة للغاية ووافية تماماً بالغرض بدون احتياح لأفران أو نار أو خلافه وهذه الطريقة مبنية على التفاعل الكيماوى الشديد الذي يحصل بين بعض المركبات وبعضها

فاذا وضعنا فى بودقة فخار أوكسيد كاوكسيدالحديد من الالومنيوم المسحوق ثم أشعلنا المخلوط فقد يخرج أوكسچين الاوكسيد ويتحد مع الالومنيوم وترتفع بذلك درجة الحرارة حتى تصل الى ٣٠٠٠ درجة فهذه الدرجة كافيـة لتسييح الحديد المنفصل فيسقط فى قاع البودقة على حالة سايلة بينما أوكسيد الالومنيوم والجلخ يعوم على السطح فاذا ثقبت البودقة فى هذه الحالة فالحديد السائح يسقط على موضع اللحام ويلصق وتتم بذلك عمليـة اللحام بدون اجراء عمليـة تسخين أو خلافه وقد وجد ان هـذا اللحام يكون أقوى من القضيب الحديدي نفسه وقد عملت تجربة عليه فكسر القضيب ولم يكسر موضع اللحام

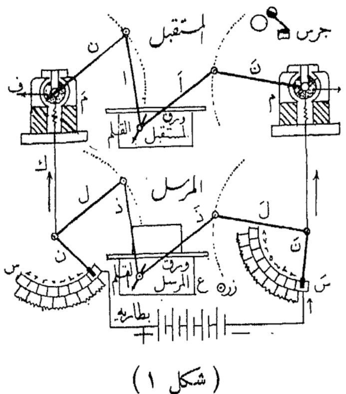
والنسبة المستعملة فى ذلك هى ١٥ جرام من أوكسيد الحديد و٨ جرام من برادة الالومنيوم ثم يشعلان بفتيل من شريط معدن المغنسيوم ويحاط بقليل من ثانى أوكسيد الباريوم

التيلوتوغراف

التيلوتوغراف (Telautograph) جهاز ميكانيكي كهربائى صغير يمكن بواسطته نقل أنواع الخطوط والامضاءات والرسومات على أنواعها لمسافات بعيدة جداً تزيد عن مئات الكيلو مترات

وهذا الاختراع كأكثر الاختراعات الدقيقة أخذ وقتا طويلا وعملا شاقا حتى تم بصورته الحالية وصار الانسان يخط بيده على فرخ من الورق على الجهاز فى أي مدينة فينتقل خطه بالذات الى جهاز آخر فى أى مكان يريد

وصورة هذا الجهاز مبينة فى (شكل ١) وهو ظاهر على جزئين القسم العلوى



(شكل ١)

منه عبارة عن مستقبل الاشارات والجزء السفلى عبارة عن المرسل وطول الجهاز كاملا لا يزيد عن ٤٥ سنتياً . يوجد فى كل محطة جهاز كهذا به مرسل ومستقبل فيوصل مرسل المحطة الاولى لمستقبل الثانية والعكس بالعكس

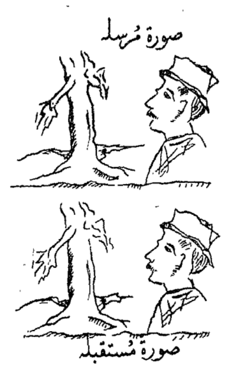
فالمرسل يتركب مع العارضة ع يتصل بها ملف من الورق للكتابة عليه والعارضة ذات حركة مفصلية من الخلف بحيث يمكن تحريكها بسهولة لاعلا وأسفل

والقلم الذى يكتب به الشخص مثبت فى نقطة تقابل نهايتى الذراعين ذ و ذَ أما طرفا هذين الذراعين فمتصلان بالرافعتين ل و لَ ومنها لذراعين أخريين ذ و نَ فى نهاية كل منهما توجد فرشة معدنية صغيرة تتحرك على قطع معدنية متجاورة على شكل قوس س و سَ ومعزولة بمادة عازلة عن بعضها ويوجد بين كل قطعتين منها سلك على شكل مقاومة كهربائيـة فتصـير هذه القطع بمجموعها عبارة عن مقاومة متغيرة وهي المعبر عنها بالروستات وكل روستات يتركب من ٤٩٦ قطعة ولكن للسهولة جعلناه فى الرسم ثمانية فقط

فعند تشغيل الجهاز نفرض اننا حركنا القلم على العارضة ع فبتحريكه يتحرك لذراعان ذ ، ذَ وبالمثـل تتحرك الرافعتان ل و لَ فتنتقل الحركة للذراعـين الاخـيرين فتتحرك معهما الفرشتان على قوس المقاومة فتارة تكون مثـلا على رقم ٥ وتارة على ١٠ وهكذا وذلك تبعا لحركة القـلم ومن ذلك يمر تيار كهربائى آتياً من البطارية الـكهربائية ط فى خمس أو عشر مقاومات قبل أن يخرج للسلك العمومي ك فتتغير حينئذ شدته تبعاً لحركة القلم

بعد ذلك يسافر هذا التيار ويدخل فى جهاز المستقبل وهو عبارة عن ملفين ف و فَ محصورين بين أقطاب مغناطيسية م و مَ ويتصل بهذين الملفين رافعتان ن و نَ مشابهتين للرافعتين ل و لَ فى المرسل وفى نهاية هاتين الرافعتين تتصـل الاذرع ا و اَ بحركة مفصلية وفى نقطة تقابلهما مثبت قلم آخر فيـدخل التيار فى الملفين ف و فَ فيتحركان بحركة صـغيرة أو كبيرة (كنظرية الجلفانومتر الـكهربائى) وذلك تبعاً لشدة وضعف التيار وهذه الحركة محكومة ومنظمة بزنبلك مثبت بالملف وبعمود الادارة له فتنتقل الحركه السابقة للرافعتين ومنها للذراعين ثم للقلم فيتحرك القلم على فرخ الورق بحركة مشابهة تماماً للتى حصلت فى المرسل

وقد تمكنوا من نقل صور كثيرة بهذا الجهاز كما هو مبين فى (شكل ٢) فالرسم العلوى هو ما رسم على المرسل والسـفلى هو ما ظهر على المستقبل الذى يبعد عنه بمسافة ٣٠٠ كيلو متر



(شكل ٢)

وقد كثر استعمال التيلوتوغراف بين العواصم الكبرى وبعضها ومزايا هذا الجهاز أنه لايحتاج لعامل ماهر لارسال الاشارات بل يمكن لأى شخص أن يكتب رسالته على المرسل مباشرة فتنتقل فى لمح البصر بصورتها للجهة الاخرى وبما أن الجهاز لايحدث صوتاً ما أثناء ارسال واستقبال الاشارات كما هو العادة فى التلغراف المعتاد (مورس) فهو يصلح فى المخابرات السرية

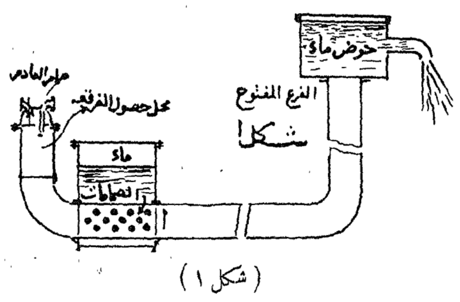
مضخات الفرقعة

إختراع همفرى
(Humphrey)

اخترع المدعو هربرت همفرى سنة ٩٠٦ مضخة لا تحتاج لأى آلة لتشغيلها وتمتاز فوق ذلك عن جميع المضخات المعروفة بعدم وجود مكابس لها أو مراوح أو أى جزء آخر من الاجزاء التى نراها عادة في المضخات وكان أول سماع الجمهور عن هذه المضخة وتوجيه اهتمامه اليها يوم حفلة افتتاح محطة شركة مياه شنجفورد التى تحتوى على عدد كبير من هـذه المضخات وقد ظهر من التجربة ان هـذه المضخات أمكنها أن تخرج من باطن الأرض كمية هائلة من الماء تبلغ ١٨٠ مليون جالون فى يوم كامل وأوصلتها الى خزان يرتفع عن سطح النهر بمقدار عشرة أمتار والغريب فى مسألة هذه الشركة انها كانت تفكر وتصمم فى مشروع انشاء المحطة على اعتبار وضع المضخات المركزية الطاردة المعتادة ولكنها رأت بعـد عمل الحساب اللازم انهـا ستتكبد صعوبات جمة ومصاريف باهظة لتنفيذ مشروعها بالنسبة لكمية المـاء الهائلة المطلوب اخراجها يومياً وقد تصادف مرة ان أحد مهندسيها ذهب لنادى المهندسين بلندن في ليلة كان الأستاذ همفرى يلقى محاضرته الأولى على موضوع مضخته فسمعه المهندس هناك ولاحظ ان هذه المضخة هى التى يمكنها أن تقوم بهذا العمل فاستنجدته الشركة بعـد ذلك وعرضت عليـه مشروعها وطلبت منـه أن يبيعها عدداً كبيراً من مضخاته التى من قوة ٣٠٠ حصان وفعلا تم الاتفاق بينه وبين الشركة ووفرت بهذا العقد ٢٠ ألف جنيه فضلا عن تكاليف الوقود السنوية التى نقصت الى أكثر من نصف المقدار الذى كان متفقاً عليه وقد كان المخترع شديد الثقة باختراعه لدرجة انه قبـل أن يدفع للشركة تعويضاً قدره ٢٠ ألف جنيه اذا فشل فى مشروعه وتعهد لها أيضاً فوق ذلك اذا زاد مقدار الوقود اللازم لكل حصان بخارى عن ١ر١ رطل أن يدفع لها ١٠٠٠ جنيه عن كل عُشر رطل من هذه الزيادة

ولكن ظهر بعد ذلك ان المسألة لا تحتاج لكل هذه التعهدات لأن المشروع نجح نجاحاً باهراً وفاز المخترع فوزاً مبيناً

أما نظرية المضخة فهي كما يأتي : اذا تصورنا ماسورة على شكل حرف U (شكل ١) مفتوحة من أحد الطرفين ومسدودة من الطرف الآخر ممتلئة بالماء



(شكل ١)

لغاية ثلاثة أرباعها ثم أدخلنا فى الجزء الفارغ من الفرع المقفول كمية من الغاز المفرقع (كبخار البنزين مع الهواء مثلا) وأشعلناه بشرارة كهربائية فان القوة الناتجة من الفرقعة تضغط سطح الماء وتدفعه كله الى الفرع الآخر وبعد حصول ذلك يأخذ الماء فى الرجوع ثانياً بتأثير ثقله والقوة المخزونة فيه ويملأ الفرع المقفول لارتفاع أكبر من الأصل وفي أثناء ذلك يكبس أمامه الغازات الناتجة من الفرقعة وعند وقوف الماء عن الحركة تتمدد هذه الغازات ثانياً وتطرده أمامها حتى ترجعه للفرع المفتوح وهكذا تتكرر هذه المسألة ويبقى الماء مدة من الزمن يروح ويغدو في الفرعين كالبندول ولا يقف عن التذبذب إلا بعد فقد جميع قوته

فلتحويل هذه النظرية الى مضخة صناعية يمكن الاستفادة منها يلزم أولاً عمل فتحة فى الماسورة لدخول الماء المراد رفعه منها وثانياً وضع طريقة أوتوماتيكية أى تشتغل بنفسها للتخلص من بقايا الغازات المحترقة بعد عمل مفعولها وادخال غازات جديدة أخرى تشتعل فى الوقت المناسب

فالغرض الأول يمكن الوصول اليــه بصناعة علبة كالعلبة ا (انظر الشكل) محاطة بجملة ثقوب كل ثقب منها مسدود بصمام بسيط يفتح من الخارج الى الداخل وهذه الصمامات تكون دائماً مقفولة بتأثير الماء الموجود داخل الماسورة ولكن عنــد اندفاع الماء فى الفرع المفتوح وقت حصول الفرقعة يزول هــذا الضغط وتفتح الصمامات بتأثير الماء الخارجى فيــدخل هذا الماء ويتبع الماء المرفوع في الفرع المفتوح وأيضاً يملأ جزء عظيم من الفرع المقفول بالنسبة لوجود فراغ جزئى فيه نتيجه تمدد الغازات المفرقعة تمدداً سريعاً يخفض ضغطها ويجعله أقل من الضغط الجوى الخارجى وهــذا الفراغ نفسه يكون أيضاً سبباً فى فتح صمام العادم الموجود قريباً من نهاية الفرع المقفول

وبعد انتهاء تأثير الفرقعة يرجع الماء ثانياً للفرع المقفول ويضغط في طريقه صمامات الماء فيقفلها كما كانت وفي أثناء ذلك يطرد أمامه الغازات الباقية ويخرجها من صمام العادم حتى يصل هو اليــه ويلطمه فيقفله ويلاحظ هنا أن هذا الماء لا يصل لنهاية الفرع المقفول تماماً بالنسبة لبقاء قليل من الغازات فى القمة وهذه الغازات تقع تحت ضغط شديد بالنسبة لهجوم الماء وتكتسب قوة عظيمة مدة لحظة قصيرة لأنه بعد ذلك تنتشر لتفرج عن نفسها فتدفع أمامها الماء ثانياً وفى هذا الدور لا يفتح صمام العادم بل يُقفل قفلاً تاماً بواسطة رافعة انزلاق بسيطة وهــذه الرافعة تفتح فى الوقت نفســه بطرفها الآخر صمام الحر فيدخل المخلوط المفرقع وراء الماء

بعد انتهاء هذا المشوار يأخذ الماء فى الرجوع ثانياً فيكبس أمامه المخلوط الذى يقفل بضغطه صمام الحر وعنــد وصول الماء لقمة الفرع المقفول تمر شرارة كهربائية داخل المخلوط فيفرقع ويطرد أمامه الماء ثانياً ثم يتبع ذلك فتح صمامات علبة الماء وهكذا تتكرر العمليات الأربع السابقة وتستمر المضخة على تشغيل نفسها فتخرج كمية عظيمة من الماء بسرعة تختلف بالنسبة لطول عمود الماء المتحرك وذلك بناءً على قوانين التذبذب فاذا فرضنا مثلا ان طول هــذا العمود ٥٠ قدماً وقطره قدمان تكون سرعة خروج الماء في هــذه الحالة ١٤ قدماً

في الثانية وعدد الذبذبات في الدقيقة ٣١ وأما اذا ضوعف الطول فينقص عدد الذبذبات الي النصف

طريقة تشغيل وتوقيف المضخة سهلة جداً فاذا أراد العامل توقيفها ما عليه إلا ان يفتح دائرة الشرارة الكهربائية فقط فتبطل بذلك الفرقعات ويأخذ الماء في الهدو ويسكن أخيراً بعد ما يمتلىء فضاء الفرع المقفول بالمخلوط المفرقع لتكون المضخة على استعداد بعد ذلك لتشغيلها مرة أخري وفى هذه الحالة لا يستلزم الامر غير قفل الدائرة الكهربائية كما كانت فيفرقع المخلوط المخزون وتشتغل المضخة

وحيث أن مسألة التوقيف والتشغيل سهلة جداً بهذا المقدار ولا تتعلق على شيء خلاف فتح وقفل دائرة كهربائية بسيطة فيمكن والحالة هذه وضع مفتاح هذه الدائرة في قاعة المهندس مباشرة بحيث يمكنه وهو فى قاعته أن يشغل ويوقف المضخات بدون إحتياج لاى عمل كبير كما هو الحال فى ادارة الآلات البخارية وغيرها

والخلاصة ان هـذه المضخة اعجوبة من عجائب هذا القرن وهي تدل دلالة واضحة على ذكاء مخترعها الذى يفكر الآن في استعمالها لكبس الهواء وفى تسيير السفن مستبدلا الريش برد الفعل الناتج من النافورات الخارجة من المؤخرة وبذلك لا تسير السفينة الا بالمضخة مباشرة بدون احتياج لمكابس أوكرنكات أوريش وخلافه من الاعضاء التى تقلل كثيرا من المحصول العام

الطوربيد

سفن الطوربيد والغواصات

كثر استعمال الطوربيد فى الحرب السابقة حتى أصبح جديراً بان نكتب عنه شيئاً فهو عبارة عن مقذوف من الصلب على شكل السيجار يبلغ طوله تقريباً خمسة أمتار وقطره الاكبر نصف متر ووزنه الكلى ٦٠٠ كيلو جرام منها مئة كيلو جرام وزن المادة المفرقعة المخزونة فى مقدمته وثمنه ٥٠٠ جنيه

ويتركب من الداخل كما فى (شكل ١) من خمسة عنابر صغيرة منفصلة بعضها

(شكل ١)

عن بعض بحواجز من الفولاذ تبتديء أولا بمخزن البارود وهو فى المقدمة ثم يليه مخزن الهواء المضغوط فعنبر التوازن فقاعة الآلة المحركة فعنبر التعويم ثم المؤخره وفيها الدفة والريش التى تستمد حركتها من الآلة السابقة وهى تشتغل بالهواء المضغوط ويوجد فى نهاية المقدمة مباشرة امام مخزن البارود قلاووظ صغير عبارة عن جزء من جهاز أمن يوضع فى هذه النقطة لمنع انفجار الطوربيد باى عارض قبل اطلاقه من السفينة لأن أقل صدمة في المقدمة تدفع للوراء سناً مخصوصاً مدبباً يدخل فى مخلوط سريع الالتهاب فيلهبه وينتقل اللهب باسرع من لمح البصر الى مخزن البارود فينفجر الطوربيد فى الحال فلمنع هذا الخطر عن السفينة التى تقذف الطوربيد وضعت ريشة بريمية صغيرة فى طرف المقدمة تماماً مثبتة بقلاووظ فى كل من المقدمة وجسم السن المدبب لربطهما ببعض وجعلهما قطعة واحدة فلا يستطيع السن بعد ذلك الرجوع للوراء ولمس المخلوط المفرقع الا بعد قذف الطوربيد من السفينة فى الماء ففى هذه الحالة تأخذ الريشة في الدوران بتأثير

تيار الماء المضاد لها أثناءسير الطوربيد فتنفك من القلاووظ وتنفصل السن عن جسم المقدمة فيصير بعد ذلك حرًّا في اختراق المخلوط عند التصادم

ولمنع الريشة نفسها من الدوران أثناء وجود الطوربيد في السفينة يوضع فيها مسمار زنق فتمتنع عن الحركة مدة وجود هذا المسمار وعلى ذلك يلزم رفعه قبل قذف الطوربيد لانه كثيراً ما يحدث أثناء المعركة الهائلة ودهشتها التي تستولى على النفوس أن لا يفقه لهذا الامر أحد فيندفع الطوربيد دون ان يرفع المسمار فلا يصل السن أبدا الى البارود مهما كانت قوة التصادم ويتعلق الطوربيد أخيراً بالشباك التى تحيط البوارج كما حصل ذلك في الحرب الروسية اليابانية فقد وجدوا في شباك احدى الدردنوطات بعد موقعة (بورأرثور) الشهيرة ١٢ طوربيداً في حالة سليمة لم تنفجر قط للسبب السابق ذكره

ويأتى بعد أجهزة الأمن مباشرة مخزن المفرقعات ويحتوى على كمية عظيمة من قطن البارود المكبوس على هيئة أقراص مرصوصة بعضها بجوار بعض يعرفي وسطها مواد سريعة الالتهاب وبجوار ذلك مخزن الهواء المضغوط وهو على شكل اسطوانة سمك جدارها $\frac{1}{4}$ بوصة تقريباً ويتحمل ضغطاً يصل أحياناً لغاية ٢٢٥٠ رطل على البوصة المربعة وبالنسبة لعظم هذا الضغط تغلف الجدران بامتن انواع الفولاذ المصنوع في المعامل المخصوصة الموثوق بها لعدم حصول الانفجار الذى ربما يصيب السفينة بكارثة وفي نهاية الاسطوانة السابقة تمر أنبوبة رفيعة متينة جداً تصل الى الآلة المحركة في العنبر الرابع لتشيغلها بالهواء الواصل اليها وهذا الهواء يمر قبل ذهابه للآلة على صمام يشتغل من نفسه لتنظيم كميته وتتركب الآلة المحركة نفسها التى تسير الطوربيد من آلة معتادة ذات سلندرات مثبتة على زوايا ١٢٠° مع عمود الادارة وهى عادة من صنع فابريقة (برزرهورد) ويبلغ قوتها ٥٦ حصاناً وقد امتازت الآن شركة (بلس ليفت) الامريكانية بصنع توربينات هوائية تستعمل خصيصاً في تحريك الطوربيدات بدلا عن الآلات السابقة وهذه التوربينات لا يزيد وزنها عن ٢٠ رطلا وتنتج قوة لا تقل عن ١٣٠ حصان أما عنبر التوازن فيحتوى على أجهزة ميكانيكية لا يفهمها إلا الاختصاصيون والغرض منها تسيير الطوربيد في اى عمق من الماء

ونظرية ذلك هو انه عند ما يسير الطوربيد في أي عمق يكون محاطاً بضغط مخصوص من الماء مناسب لهذا العمق فهذا الضغط يؤثر على قرص معدنى يدور بحركة دائرية (قرص هيدروستاتيكى) بجوار سطح العنبر الخارجى وقد ينفذ عمود ادارة هذا القرص من ثقب محاط بالمطاط الي داخل العنبر وهناك يتصل بزنبلك ممتلئ قوى هو سبب دورانه ومن السهل ضبط قوة هذا الزنبلك وجعلها مناسبة لضغط الماء المحيط بالقرص في أى عمق مطلوب . ويوجد أيضاً بخلاف القرص الهيدروستاتيكى بندول لضبط ميل الطوربيد . وهذا البندول والقرص السابق يتصلان بآلة محركة ثانية صغيرة تشتغل أيضاً بالهواء المضغوط وفائدتها تشغيل الدفة الأفقية عند حدوث ما قد يقع على القرص أو البندول من التأثير الناتج من انحراف الطوربيد عن العمق أو الاتجاه المعطيين له وبذلك يحفظ الطوربيد دائماً اتجاه سيره حتى يصل الى الجهة المقصودة

بقى الآن عنبر التعويم وقد سمى بهذا الاسم بالنسبة للفراغ الكبير الذى يشغله والذى يمنع الطوربيد من الغرق أثناء سيره ويوجد بداخل هذا العنبر جيروسكوب معتاد (Gyroscope) يزن تقريباً خمسة أرطال نصفها للحدافة وهو معلق رأسياً في وضع معارض لقطر الطوربيد ومثبت على محور زنبلك قوى يملأ باليد ويتصل بتروس تنتهى بعمود طويل مثبت طرفه بصمام الهواء المضغوط الذى يغذى الآلة الرئيسية والغرض من ذلك انه عند قذف الطوربيد من السفينة يفتح الصمام وبفتحه يجذب معه العمود السابق فتبتعد التروس المعشقة عن الزنبلك ويصير هذا الأخير حراً فينفك ويدير حدافة الجيروسكوب بسرعة كبيرة جداً تبلغ أحياناً ٣٠٠٠ لفة في الدقيقة وهذا الجيروسكوب يتصل كالقرص الهيدروستاتيكي بمحرك هوائى صغير يحكم الدفات الرأسية فاذا تصادف ان حاد الطوربيد عن طريقه يميناً أويساراً فان الجيروسكوب الذى يكون موضع محوره حافظاً الطريق الصحيح يؤثر على المحرك الهوائى فيشغل الدفات الرأسية ويرجع الطوربيد الى مجراه الأصلى

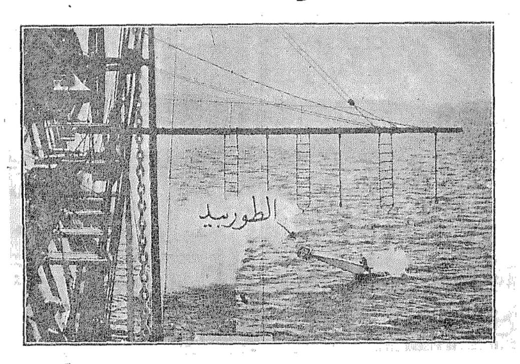
وبالنسبة لأهمية هذا الجيروسكوب فانه يحتاج لكثير من العناية في تصميمه وصناعته ولذلك فهو لا يقل في الثمن عن ٦٠ جنيهاً

دائرة مفعول الطوربيد

يمكن للطوربيد بسهوله أن يسير بنفسه مسافة لا تقل عن ٤٠٠٠ياردةوانما سرعته تنقص مع زيادة طول الطريق وقدظهر تحسين عظيم فى هذه المسافة والسرعة بفضل اختراعات معامل ويت هيد (white head) الانجليزية وهذا الاختراع عبارة عن جهاز صغير لا يزيد وزنه عن ١٢ رطل لا يعرف تركيبه فانه سر محفوظ عند مخترعه يوضع بجوار مخزن الهواء والغرض منه تسخين الهواء قبل ذهابه للآلة بسائل كياوى مخصوص للحصول منه على قوة إضافية تجعل الطوربيد يقطع مسافة ٧٠٠٠ ياردة بسرعة ٤٣ عقدة

قذف الطوربيد

يقذف الطوربيد اما على سطح الماء كما فى (شكل ٢) أو وهو مغموراً فيه



(شكل ٢)

وفى كلتا الحالتين تستعمل لقذفه ماسورة مشابهة لماسورة المدفع وانما تقل عنها متانة لان القوة التى تقذف الطوربيد أقل بكثير من القوة اللازمة لقذف القنابل بالنسبة لكون الطوربيد يحمل الهواء المضغوط اللازم لتسييره

آخر اختراعات الطوربيد

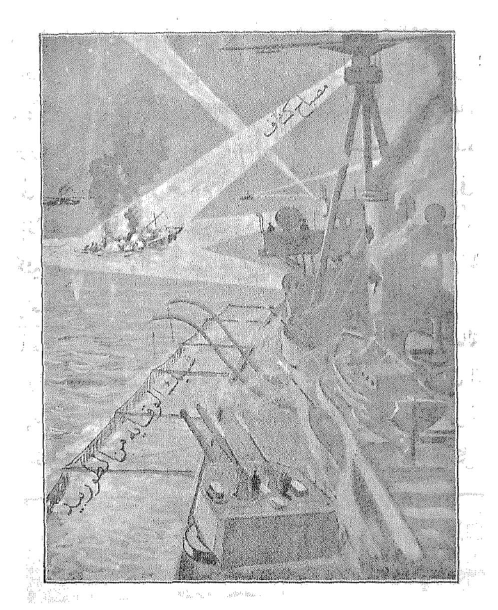
بعد ظهور التلغراف اللاسلكى وتقدمه فكر كثير من المخترعين في استخدام

التموجات الكهربائية المغناطيسية فى تسيير الطوربيد عن بعد وأول من جرب ذلك معامل ارمسترنج (Armstrong) فقد صنعت طوربيدا لهذا الغرض يختلف عن الطوربيدات السابقة بكبر حجمه ويزيد عنها بوجود محرك كهربائى (موتور) لتشغيل الدفات وأجهزة التوازن التى سبق شرحها وهذا الموتور يكون دائماً تحت تأثير التموجات التى يستقبلها الطوربيد من السفن الحربية أو الشواطئ بواسطة أنتينا عبارة عن عمود مستمر من الماء يخرج دائماً من فتحه فى الوسط ولا يمكن استعمال الأنتينات المعدنية خوفاً من تحطيمها أثناء السير فيحيد الطوربيد بعد ذلك عن طريقه الصحيح

وقد صنعت معامل كرسو (Creusot) أيضاً طوربيداً فى غواصة لا يركبها أى انسان وانما تسير وتظهر فوق الماء وتطلق طوربيدها وترجع كل ذلك بتأثير تموجات كهربائية مغناطيسية تبعثها اليها سفينة بعيدة أو محطة لاسلكية من الشاطئ ومحمول هذه الغواصة ٧ أطنان تقريباً مركب عليها صاريان طول كل منهما عشرة أقدام معلق بينهما سلوك الأنتينا التى تستقبل التموجات وهي تحمل خلاف ذلك بطرية كهربائية لتشغيل الموتور وتوجيه الدفات واضاءة مصابيح مخصوصة على سطح الغواصة ليلا لمساعدة المكلفين بها بمراقبة طريق سيرها فى الظلام

حماية البوارج من الطوربيد

يمكن حماية البوارج من الطوربيد باحاطتها بشبك معدني متين يعلق على عوارض طويلة تثبت في البوارج بحركة مفصلية بحيث يمكن رفع ووضع هذه الشباك حول البارجة باقصر وقت من الزمن وهذه الشباك مبينة فى (شكل ٣) غير انه قد ظهر من الحرب السابقة ان هذه الشباك ليس لها فائدة تذكر لأن الطوربيد الحديث مسلح فى مقدمته بآلة حادة معدة لقطع هذه الشباك واختراقها ليتمكن من الوصول الى جسم السفينة واصطدامه بها . ومما هو جدير بالذكر ان بعض الأمريكان اخترع طوربيداً داخله مدفع صغير متين محشو بقنبلة من أقوى المواد المفرقعة تنطلق من نفسها عند حصول التصادم لأن قطن البارود غير كاف لنسف مقدمة البوارج الحديثة لسمك فولاذها ولوجود قاعها المزدوج



(شكل ٣)

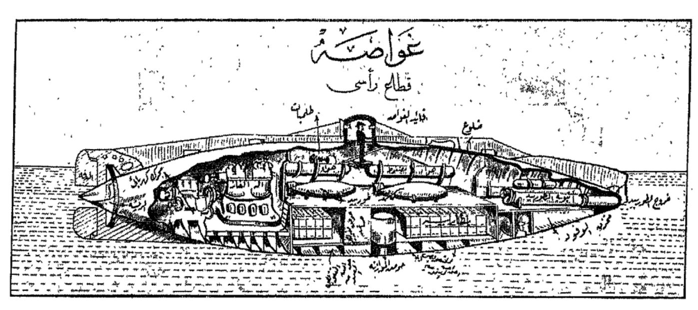
سفن الطوربيد أو النسافات

للطوربيد سفن خفيفة وسريعة جداً لا تحمل من السلاح غير أنابيب لقذفه وعدد قليل من المدافع الصغيرة الحجم وهذه السفن مخصصة فقط للهجوم بالنسبة لخفتها وسرعتها وقلة ثمنها فتدخل فى المعارك وتقرب كثيراً من الدردنوطات وغيرها من البوارج الضخمة ثم تطلق طوربيداتها يميناً وشمالا وتنجو بسرعتها خوفاً من اصابتها لأن أقل قنبلة فيها تحدث تلفاً عظيما بالنسبة لرقة فولاذها كما هو ظاهر من شكل ٣ وتاريخ بناء هذه النسافات يرجع الى زمن بعيد فقد بنيت أول نسافة سنة ١٨٣٣ في معامل ثورنكرافت (ThonyeratF) وكان لا يزيد محمولها عن

٨ طناً وطولها ٦٠ قدماً وسرعتها ١٥ عقدة ولكن فى سنة ١٨٩٣ بنيت انجلترا سفناً أكبر من ذلك وأطلقت عليها اسم مدمرات وفى سنة ١٨٩٧ ظهر التوربين البخارى وتوصل المستر بارسون(Parson) لاستعماله فى سفينة بناها فى معامله وسماها توربيناً فنجحت نجاحاً باهراً عند أول تجربة لها وبنى سفناً بعدها وصلت سرعتها الى ٤٠ عقدة وتمتاز هذه السفن بأنها لا تستخدم الفحم فى وقودها لتحضير بخارها وانما تستعمل البترول وهذا هو السبب فى خفتها لأن البترول أخف بكثير من الفحم وأكثر منه حرارة وأقل احتياطاً للملاحظة والخدمة

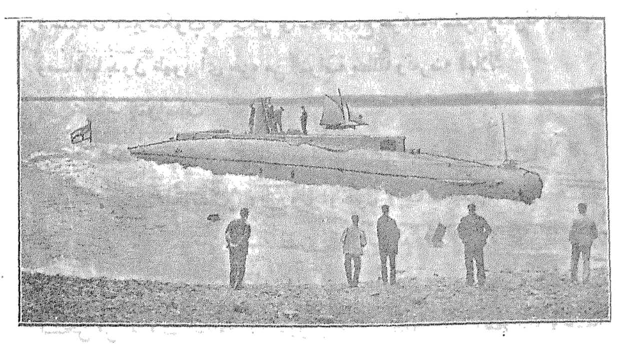
الغواصات

هذه السفن تستعمل أيضاً الطوربيد بكثرة ليلاً ونهاراً فى حالة الهجوم والدفاع والطرز الحديث منها يحمل أكثر من عشرة أنابيب لاطلاق الطوربيد فى أى جهة من الجهات ويوجد مع ذلك بعض مدافع سريعة منصوبة على ظهر الغواصة تختفى معها أيضاً وهي تتركب كما في (شكلى ٤و٥) من هيكل مستدير



(شكل ٤)

مغلف بالصاج الرقيق وهذا الهيكل مستطيل من جهة الخلف ومستدير من الامام لسهولة تثبيت أنبوبة الطوربيد فيه ويوجد فى الوسط برج صغير وفى الذيل ريشة محاطة بدروع تقيها وبجوارها جملة دفات رأسية وأفقية لسهولة قيادة السفينة وموازنتها وبالنسبة للضغط العظيم الذى يقع على الهيكل السابق أثناء الغوص فى أعماق بعيدة يصنع له عادة ضلوع قوية متجاورة على طول جسم الغواصة



(شكل ٥)

كيفية الغوص

يمكن تغويص الغواصات بطريقتين إما بواسطة الريش الرأسية أو بطريقة الدفات الأفقية فالطريقة الأولى عبارة عن ريش مثبتة في وضع رأسى بكيفية تجعلها عند الدوران فى جهة تجر الغواصة تحت الماء وفى الجهة الأخرى ترفعها وهذه الطريقة صعبة التشغيل ولذلك استبدلت بالدفات الأفقية وهذه الدفات تتأثر بضغط الماء الحادث من سير الغواصة فتجبر السفينة على الغوص متجهة بمقدمتها نحو القاع بزاوية يمكن تغييرها حسب الارادة ويلزم قبل عمل ذلك ملأ أحواض التعويم المبينة فى الشكل بالماء للمساعدة على الغوص

البيرسكوب

فى حالة اختفاء الغواصة تحت الماء يلزم لها جهاز تراقب به سطح الماء وما عليه من السفن وهذا الجهاز هو البيرسكوب وتتأسس نظريته على المرايا العاكسة الموضوعة بالتوازى لبعضها فى نهايات المواسير الطويلة فصورة السفن على سطح الماء تقع على سطح منشور زجاجي فى نهاية ماسورة خارج الماء فتنعكس على سطح مرآه مقعرة يظهر فيها صورة مصغرة داخل الغواصة يمكن تكبيرها بعد ذلك وبالنسبة لضرورة ظهور البيرسكوب خارج الماء فانه يكون كثيراً معرضاً للتلف بقنابل العدو وعلى ذلك فان المخترعين الآن يسعون لتحسين المكروفون

لاستبدال البيرسكوب به ليمكن بواسطته سماع حركات السفن ومعرفة اتجاهها ومسافاتها بدون ظهور أي جزء من الغواصة مطلقاً وتعرضه للهلاك

محركات الغواصات

المحركات المستعملة فى تحريك الغواصات وهى ظاهرة فوق الماء هى الآلات ذات الاحتراق الداخلى كآلات البترول أو ديزل وإنما لا يمكن استعمال هـذه الآلات في حالة الغوص بالنسبة لضرر الغازات العادمة التى لا يمكن اطلاقها فى الخارج وعلى ذلك يقوم بدلها محرك كهربائى يأخذ تياره من بطارية كهربائيـة تُشحن من الآلات السابقة أثناء دورانها عنـد الظهور على سطح الماء وهـذا المحرك له فائدة أخرى فى تقويم الآلات الرئيسية نفسها وأيضاً لملأ اسطوانات الهواء المضغوط اللازم لاطلاق الطوربيد ولتفريغ خزانات التعويم من الماء عند الصعود على سطحه

تقدم آلات الغاز

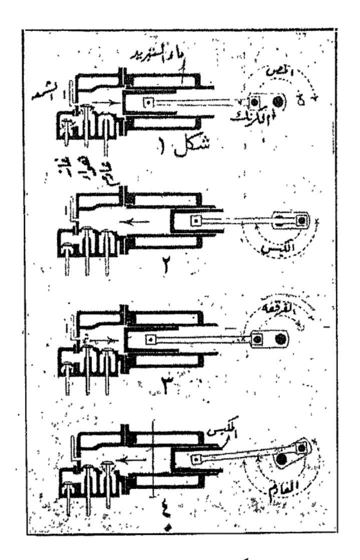
الشغل في آلات البخار يحدث من الحرارة الناتجة من الاتحاد الكيماوى بين الوقود وأوكسجين الهواء وهذه الحرارة تؤثر فى سطح القزان وتنتقل منه للماء فيتحول الى بخار يصل بمواسير الى الآلة فيدخل تجاه مكبسها ويدفعه للوراء ويحركه بحركه مستقيمة مترددة تتحول الى حركه دائرية بواسطة عمود التوصيل المتصل بالكرنك وقد حسبوا ماينتفع به من الحرارة فى هذه الحركة فظهر انه جزء ضئيل جدا لا يزيد عن ١٠ ٪ وما بقى من حرارة الفحم يضيع من المدخنه وعلى ذلك تعتبر الآلات البخاريه من الآلات الرديئة المحصول رغما عن التحسينات الكثيرة التي تضاف اليها دائما

أما آلات الغاز المسماه بآلات الاحتراق الداخلى فتمتاز عن الأولى بكونها لا تحتاج لافران أو قزانات بل ان الشغل الحرارى يحصل مباشرة داخل الاسطوانة أمام المكبس على شكل فرقعة تحدث من اتحاد كربون الوقود بالاوكسجين

وأول آلة اخترعت بهذا الشكل كان مكبسها يتحرك للامام بالقوة الدافعة من الحدافة وفى أثناء تحركه يجتذب معه الغاز والهواء اللازم لاحتراقه وبعد قطعه جزءا من المشوار تنكشف فتحه مخصوصة وينذلع منها لهب داخل الاسطوانه فيشعل المخلوط فيتمدد ويطرد المكبس بقية المشوار وعند رجوع المكبس بقوة الحدافة يطرد أمامه ناتج الاحتراق ثم تتكرر العملية السابقة

مكثت آلات الغاز بهذا الشكل مدة من الزمن حتى ظهر المهندس الفرنساوى (بودى روشيه) وبين أن المخلوط المفرقع يزيد قوة اذا ضغط قبل اشتعاله ولكن بقيت هذه النظرية المهمة مطوية لا ينتفع بها حتى ظهر المهندس الالمانى (أوتو) وطبقها على آلة صنعها سماها بذات الاربعة المشاوير تتلخص فيما يأتى :

المشوار الاول — وهو مشوار المص شكل ١ وفيه يتحرك المكبس جهة اليمين فيفتح كلا من صمامي الهواء والوقود فيدخلان الاسطوانه معا



(شكل ١ و ٢ و ٣ و ٤)

المشوار الثانى — وهو مشوار الكبس شكل ٢ وفيه يرجع المكبس جهة اليسار ويكبس المخلوط بعد قفل الصمامين السابقين

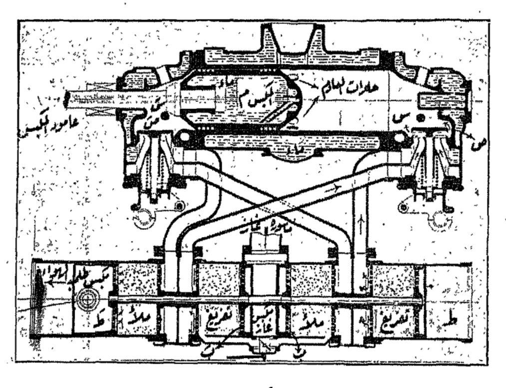
المشوار الثالث — مشوار الفرقعة شكل ٣ وفيه يندلع اللهب فيفرقع المخلوط المضغوط ويدفع المكبس جهة اليمين

المشوار الرابع — مشوار العادم شكل ٤ وفيه يرجع المكبس جهة اليسار ويطرد أمامه ناتج الاشتعال من صمام العادم الذى يفتح فى هذه اللحظة

وبالنسبة لحصول الفرقعة داخل الاسطوانة فان الحرارة فيها تكون شديدة جداً ويلزم تبريدها دائماً باحاطتها بالماء وطبعاً الحرارة التى يمتصها هذا الماء هى جزء من حرارة الوقود وعلى ذلك فهى تعتبر خسارة ولكن لا يمكن التخلص منها مطلقاً

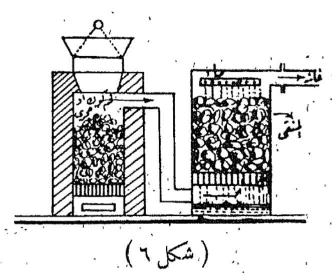
تحسينات المستر (دوجالد كلاركس) (ClerKs)

خطت آلات الغاز بعد ذلك خطوة كبيرة باقتراح المستر د . كلاركس فانه ارتأى جعل الاسطوانة مقفولة الوجهين كاسطوانة آلات البخار وبذلك يدخل المخلوط المفرقع أمام كل وجه من وجهى المكبس وتحصل الفرقعة مرة من الأمام ومرة من الخلف فتزيد قوة الآلة بالنسبة لوزنها وتكون أكثر انتظاماً فى حركتها وطبعاً فى هذه الحالة لا يدخل الهواء والغاز الاسطوانة من تلقاء ذاتيهما بل يُدفعا بواسطة طلمبتين صغيرتين وبعد اشتعالهما يخرج العادم فى كل مرة من الحارات المبينة فى (شكل ٥) مطروداً بدفعة المخلوط الجديد عند دخوله



(شكل ٥)

الآلات السابقة وغيرها كان أكثر تشغيلها بغاز الاستصباح ولكن بالنسبة لعدم وجود هذا الغاز إلا في المدن الكبيرة فضلا عن نفقته الباهظة قد فكروا فى تحضيره بطريقة موفرة لتكون الآلة مستقلة بنفسها فى محضرات مخصوصة سموها مولدات الغاز (شكل ٦) وهى عبارة عن اسطوانة كبيرة من الحديد أو الزهر مغلفة بالطوب الاصوانلى وملأى بالفحم الحجري المشتعل في الطبقة السفلى فاذا مر الهواء على هذه الطبقة عند امتصاصه بمكبس الآلة يتحد أوكسيجينه بالكربون ويكوّن ثانى أوكسيد الكربون وهذا الغاز عند نفوذه من الطبقات



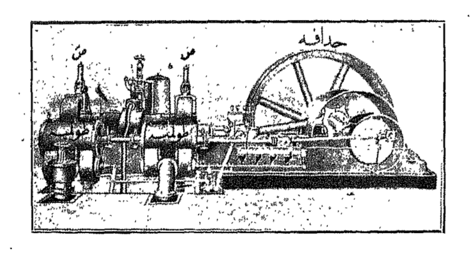
(شكل ٦)

الوسطى يتحلل الى أول أوكسيد الكربون وأوكسجين يتحد بكربون آخر ويكون أيضاً أول أوكسيد فهذا النوع من الغاز يقبل الاشتعال والفرقعة عند وجود الهواء الكافى له وهذا الهواء يجده فى اسطوانة الآلة كما سبق وإنما من الضرورى تنظيف الغاز قبل ذهابه للآلة وذلك بتمريره على اسطوانة ملأى بفحم الكوك المندى بالماء كما هو ظاهر فى الرسم

وحيث ان الأفران العالية المستعملة فى صناعة الحديد هى بمثابة محضرات كالسابقة فقد فكر المستر (بنيامين هوارث) فى استقبال الغاز منها واستعماله فى تشغيل آلات الغاز وفعلا قد نجح فى ذلك ووفر للعالم عدة ملايين من الأحصنة كانت تضيع هباء منثوراً فمثلا ألمانيا وحدها تنتفع إلا ن بأكثر من ½ مليون حصان من غاز أفرانها العالية وانجلترا يمكنها أن تأخذ من غاز أفرانها ما يقرب من ثلاثة ملايين حصان تضىء بها كل مدنها وتسير كل قطاراتها وتشغل كل مصانعها

آلة غاز كورتينج ذات المشوارين (Kortius)

هذه الآلة من أبدع آلات الغاز الحديثة وتتركب كما في شكلى (٥و٧) من الطلمبتين ط ، طَ وهما عبارة عن طلمبتى الهواء وطلمبتين آخرتين ب ، بَ وهما عبارة عن طلمبتى الغاز وهذه الطلمبات متصلة بالجسم الاسطوانة بالصمامات ص ، صَ وفى داخل الاسطوانة يوجد المكبس م وطول هذا المكبس مساو لطول مشواره ولذلك لا تنكشف حوارى العادم الموجودة فى وسط الاسطوانة إلا عند ما يتمم المكبس مشواره وفي اللحظة التى تفتح فيها هذه الحوارى تفتح أيضاً الصمامات ص ، صَ فيدخل الهواء أولاً مضغوطاً بطولمبته ويعقبه الغاز



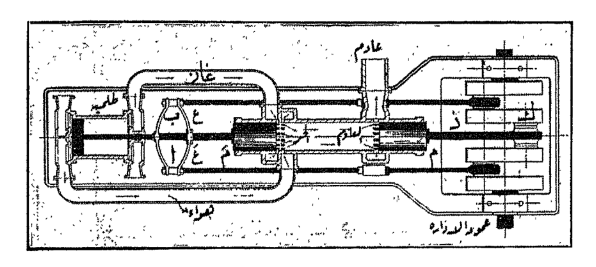
(شكل ٧)

مضغوطاً أيضاً فيطردان أمامهما الغازات العادمة ويخرجانها من مجارى العادم لحين رجوع المكبس فيقفل المجارى ويستمر المكبس فى سيره ويكبس أمامه المخلوط حتى نهاية المشوار فتمر فى هذه اللحظة شرارة كهربائية من المسمار س أو سَ فيفرقع المخلوط ويطرد المكبس ثانياً للوراء

وبما أنه فى كل مشوار من مشاوير هذا المكبس يحدث فرقعة فان شغل هذه الآلة يكون أكبر بكثير من شغل أى آلة أخرى تماثلها في الحجم ولكن بالنسبة لكثرة الفرقعات فان حرارة المكبس تصل لدرجة عالية جداً تكون خطرة لاحتمال اشتعال الغاز قبل ميعاده وعلى ذلك من الضرورى وجود وسائل فعالة لسرعة التبريد كملء قلب المكبس نفسه بالماء المستمر كما هو واضح في الرسم

آلة غاز (أوتشلهوزر) (oe.helhauser)

هذه الآلة من أعجب آلات الغاز أيضاً وتختلف عن الآلات السابقة بكون اسطواناتها مفتوحة الطرفين وبداخلها مكبسان متقابلان يتحركان في اتجاهين مختلفين كما هو ظاهر من (شكل ٨) والمكبس الاول م يتصل بذراع توصيل ذ بالكرنك الرئيسى ك مباشرة وأما المكبس الثانى مَ فعموده مثبت من الخلف بالذراع ا ب على نهايتيه عمودان طويلان ع ، عَ يتصلان بركبتين فى الكرنك السابق وعلى ذلك فان حركة المكبس الاول م فى جهة اليمين تساعدها حركة المكبس الثاني مَ فى جهة اليسار فيشتغل المكبسان معاً بتوازن مضبوط



(شكل ٨)

وحوارى العادم فى هذه الآلة موضوعة بجوار المكبس الاول تفتح عند وصول المكبس لآخر مشواره وفى هذه المدة تفتح أيضاً حواري الحر الظاهرة في آخر مشوار المكبس الثانى (لأن المكبسان يصلان للنهاية معاً) فيدخل الهواء والغاز مدفوعين بقوة الطلمبات وبطردان العادم وعند رجوع المكبسين يضغطان بينهما المخلوط الى النهاية حيث تمر شرارة تفرقعه فيطرد المكبسين ثانياً وبذلك نتحصل على فرقعة كل دورة واحدة من الحدافة وتصير الآلة من ذات المشوارين وقد يمكن صناعة آلات من هذا الطرز من قوة ثلاثة آلاف حصان وأكثر أحياناً

التلكترو جراف

التليكترو جراف (Telectrograph) هو جهاز الغرض منه نقل الصور الفوتوغرافية الى مسافات بعيدة بواسطة الكهرباء وهو مستعمل بكثره الآن فى إدارة بعض الجرائد الكبرى كجريدة (الديلى ميرور) الانجليزية لنقل الصور الفوتوغرافية من الممالك البعيدة

وأبسط التلكتروجرافات وأسهلها فهما هو الجهاز الذى اخترعه الاستاذ (أرثر كورن)(Arthur Korn) واستعمله ما بين باريز ومنت كارلو والنظرية المبنى عليها هو أن ظل الصورة الفوتوغرافية له تأثير على التيار الكهربائى الخارج من محطة الارسال الى محطة الاستقبال فتقل أو تزيد شدته تبعاً لكثافة الظل ثم أن هذا التيار يعيد تأثيره بعد ذلك فى محطة الاستقبال ويولد ظلالا أخرى يظهر من مجموعها شكلا يشابه الصورة الفوتوغرافية

والطريقة التى توصل بها الاستاذ لغرضه المقصود هى أعمدة السيلنيوم والسيلنيوم مادة غير معدنية من فصيلة الكبريت ويشبهه فى خواصه الكيماوية وانما يختلف عنه فى مقاومته الكهربائية التى تتغير تبعاً للضوء المعرض له. ففى الظلام تكون المقاومة كبيرة وفى النور تكون صغيرة

وأعمدة السيلنيوم لها أنواع كثيرة أبسطها عمود (بدويل) (Bidwell) ويصنع من أسطوانه من الفخار يحفر عليها من الخارج حلزونات كمجارى القلاووظ يوضع فى كل منها سلك ثم تغمر الاسطوانه بما عليها فى معدن السيلنيوم السائح فيلصق السيلنيوم ويتجمد بهيئة طبقة رقيقة وبعد ذلك تحفظ الاسطوانة فى نفاخه من الزجاج مفرغه من الهواء

ولارسال أى صورة فوتوغرافية يلزم أولا صناعة صورة موجبة منها على شريط فوتوغرافى شفاف ثم يلف هذا الشريط على أسطوانه من الزجاج مفتوحة الوجهين ومجوفة وبداخلها منشور ثلاثي من البلور وعلي ذلك اذا سقط أى شعاع ضوئى شديد كشعاع مصباح (نرنست) مثلا على الصورة الملتصقة بسطح الاسطوانه

فان هذا الضوء ينفذ بأكمله اذا قابل بقعة شفافه من الصورة وينستر اذاصادف بقعة معتمة ويمر بعضه فى الحالات الاخرى

فلنفرض انه نفذ بأكمله فانه عند ذلك يصادم المنشور الثلاثي وينحرف منه نحو وجه الأسطوانة ويخرج من هناك على عمود السيلنيوم فيؤثر عليه ولتمرير كل أجزاء الصورة تحت هذا الشعاع تدار الاسطوانة حول نفسها وفى أثناء ذلك تحرك ببطء فى اتجاه راسمها فيرسم الشعاع عليها خطاً حلزونياً كخط القلاووظ

وبهذه الطريقة يمر الشعاع الضوئى على كل بقعة من الصورة بانتظام فاذا قابل بقعة شفافة مثلا نفذمنها ووقع على العمود السيلنيوم فيؤثر على مقاومته الكهربائية فتتغير بذلك شدة التيار الذاهب لمحطة الاستقبال وأما اذا صادف بقعة نصف شفافة فينفذ جزء صغير منه ويؤثر على مقاومة العمود بنسبة أقل وهكذا تظهر تغيرات مختلفة فى مقاومة السيلنيوم يتبعها شدد متغيرة فى التيار ولكن أظهرت التجارب ان التأثير فى عمود السيلنيوم لا يكون سريعاً بدرجة يتبع بها تغيرات الضوء بل دائماً يكون فعله متأخراً عن الضوء فيختل بذلك نظام التيارات الذاهبة لمحطة الاستقبال

فللتخلص من ذلك افتكر المخترع أن يستعمل عمودين من السيلنيوم يوصلان فى ضلعين متقابلين من أربعة أضلاع كوبرى (ويتستون) الشهير (المستعمل فى الكهرباء لقياس المقاومات) وفى كل ضلع من الضلعين الآخرين بطارية كهربائية وقد جعل المخترع عمود السيلنيوم الاول ذات مقاومة كبيرة وتأثير سريع والثانى ذات مقاومة صغيرة وتأثير بطيء ثم وصل مع الاول جلفانومتر بالتوازي يتركب من مغناطيس منحنى معلق بين قطبيه قرص صغير من الالومنيوم بواسطة سلكين من الفضة يحملان التيار اليه وهذا القرص معرض لطريق شعاع الضوء المسلط على العمود الثانى ولكن عند مرور التيار فى العمود الاول فانه يمر أيضاً فى سلكي الجلفانومتر فينحرف قرص الالومنيوم فيسمح للضوء بالوصول للعمود الثانى ويؤثر عليه وطبعاً كلما زادت شدة التيار المار كلما كبر انحراف القرص وكثر الضوء الساقط على العمود الثاني

وبهذه الطريقة يشتغل العمودان معاً تحت تأثير الضوء النافذ من الصورة

الفوتوغرافية مباشرة فيكون الجهاز بذلك أكثر حساسة وأسرع تأثراً

بعد انتقال التيارات بالسلوك الموصلة تصل لمحطة الاستقبال فتدخل هناك في جلفانومتر كالسابق شرحه يتركب أيضا من مغناطيس معلق بين قطبيه قرص وهذا القرص يحجز شعاع ضوئي شديد عن عمود سيلنيوم أمامه ففي حالة عدم وجود تيار لا يصل لهذا العمود ضوء مطلقا ولكن عند مروره في سلكي الجلفانومتر يحرفها مع القرص فينفذ الشعاع كله أو بعضه تبعا لمقدار الانحراف ويقع على العمود

وهذا العمود يتصل ببطارية كهربائية وجلفانومتر آخر يشبه السابق وانما يزيد عنه حساسه فعند سقوط الضوء على العمود تتغير مقاومته فتنقص أو تزيد شدة التيار المار في الدائرة فينحرف الجلفانومتر بنسبة شدة هذا التيار وعند انحرافه يسمح لشعاع ضوئي أخر بالمرور كله أو بعضه من ثقب في خزانة داخلها شريط فوتوغرافي ملفوف على اسطوانة مشابهة لاسطوانة محطة الارسال في الشكل والحركة فيظهر تأثير الضوء على الشريط بهيئة خطوط متجانبة يظهر من مجموعها صورة فوتوغرافية مشابهة تماماً لصورة محطة الارسال كما في الشكل المبين هنا

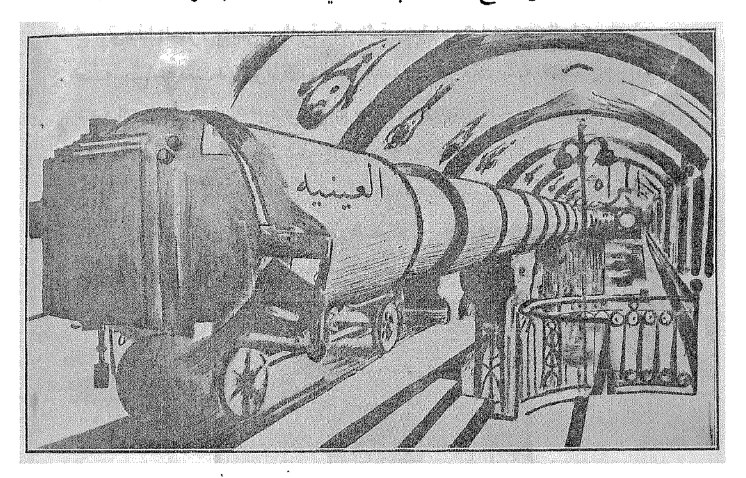


(شكل ١)

أكبر وأثمن تلسكوب فى العالم

تلسكوب مدينة باريز

تلسكوب باريز هو أضخم وأثمن تلسكوب فى العالم فهو يقرب الينا القمر لمسافة ٣٥ ميل من سطح الارض وبواسطته يمكنا أن نراه بقطر قدره ٢ متر



(شكل ١)
تلسكوب مدينة باريز

وأول من اقترح فى انشائه هو العالم ديلونكل (Deloucle) وكان غرضه من ذلك درس السماء درساً دقيقاً ورصد الكواكب الصغيرة

ورغماً عن الصعوبات الجمة التى كانت كثيراً ما تقف في سبيل صناعة هذا التلسكوب تحققت أمانيه وتم فى سنة ١٩٠٠ وكان قبل هذا الاقتراح أكبر تلسكوب موجود في العالم هو تلسكوب (يركس) وقطر عدسته

الامامية ١٠٠ سنتيمتر ويتبع هذا التلسكوب فى الكبر تلسكوب لك (icK)
وقطر عدسته ٩٠ سنتيمتراً وأما تلسكوب باريز فقطر عدسته الامامية ١٤٨
سنتيمتراً وطوله الكلى ٧٥ متراً ووزنه هو وأجزاؤه كلها ٣٤٠٠٠ كيلو جرام

ولكل تلسكوب على العموم عدستان المرئية وتوضع فى الامام وهى التي توجه نحو الشيء المراد رؤيته والعينية فى الخلف لرؤية هذا الشيء وأهمية التلسكوبات تتعلق على هذه العدسات ففى التلسكوبات البخسة الثمن التى ترى الاشياء فيها محاطة بالالوان ناتجة من تحليل الضوء بالنسبة لاختلاف قابلية الانكسار في أشعته المختلفة فالاشعة البنفسجية عند مرورها من العدسات تأتي الى البورة على مسافة أقصر من الاشعة الحمراء وعلى ذلك اذا وضعت العين على بورة الاشعة الاخيرة فانها تكون في هذه الحالة بعيدة عن بورة الاشعة الاولى ولكن فى التلسكوبات الثمينة تستعمل العدسات المركبة لأنها في هذه الحالة تجمع جميع الاشعة الضوئية ذات الالوان المختلفة في بورة واحدة

وقد افتكر المسيو ديلونكل لمحو تأثير الالوان الضوئية في تلسكوبنا الكبير جعل قطر العدسة الامامية ١٤٨ سنتيمتراً تقريباً وطول بورى قدره ٢٠٠ قدم لأن البورات البعيدة يسهل فيها تصليح العيب الناشئ من تحليل الضوء بخلاف البورات القصيرة

وبعد الموافقة على ذلك انتخبت جملة فوريقات لصناعة أجزاء التلسكوب فقامت بعمل العدسات فوريقة (مانتوس) وهي من أشهر الفوريقات فى عمل العدسات ولكن رغماً عن هذه الشهرة فانها كابدت صعوبات عظيمة في عمل العدسة الكبيرة لأهميتها لأنها تحتاج لمهارة ودقة عظيمتين وتعب كثير وهذا التعب يزيد كلما زاد حجم العدسة خصوصاً في مسألة سبكها وتبريدها تبريداً بطيئاً وصقلها فأقل فقيعات هوائية توجد في وسط العدسة تفقد قيمة العدسة بالكلية وبالمثل أصغر اعوجاج فى سطحها الخارجى يتلفها بالمرة وأما ان نجت العدسة من هذه العيوب فهي في هذه الحالة تساوى آلاف من الجنيهات

وعلى ذلك بعد أن حضرت الشركة الافران اللازمة ملأتها بالزجاج السائح وصارت تغلى فيه مراراً لخروج جميع فقيعات الهواء وأخيراً صبت الزجاج

في القالب المعد لذلك وأخذت تبرده بكل بطء (لأن التبريد السريع تنكسر منه العدسة بالنسبة لانكماش الجزء الخارجى من الزجاج عند تبريده وبقاء الجزء الداخلى فى حالة التمدد لارتفاع درجة حرارته)

وبعد مرور شهر كامل على عملية التبريد وجد في العدسة عند إخراجها شروخاً صغيرة أتلفتها فاضطرت الفوريقة في اعادة العمل ثانياً وثالثاً الى أن تحصلت أخيراً على عدسة سليمة

بقى بعد ذلك مسألة أخرى أصعب من الاولى وهى مسألة صقل العدسة فهذا الصقل كان يمكن عمله باليد بكل مهارة واعتناء لولا ان العامل اذا لمس سطح العدسة بيده الدافية يتسبب عن ذلك تمدداً في الزجاج الخارجى بحيث اذا صار تسوية هذا السطح مع وجود هذا التمدد فانه بعد ما يبرد محل اللمس ثانيا يحصل انخفاضا فى السطح قدره جزء من ٧٥٠٠٠ جزء من البوصة وهذا المقدار كاف لأن يسبب التواء في أشعة الضوء الساقطة على العدسة عند استعمالها وبذلك تفسد عملية الصقل

ففضل أخيرا المسيو (جوتييه) أن يجرى عملية الصقل بالآلات ولو أن فى ذلك صعوبة أكبر من الصعوبة الاولى بالنسبة لتغير درجة حرارة أجزاء الآلة نفسها عند التشغيل إلا انه يمكن التغلب على ذلك بسهولة بواسطة تسخين جميع أجزاء آلة الصقل تسخينا مستمرا لدرجة حرارة ثابتة دائما وبالفعل قد تمت عملية الصقل بهذه الطريقة بعد مرور سنة كاملة وبعدها أجرى عليها جملة تجارب لمعرفة ما اذا كان سطح العدسة منتظما وليس به أى اعوجاج ما فوجد ان أكبر اعوجاج فيها لا يزيد مقداره عن جزء من ٢٥ ألف جزء من البوصة

بقى الآن مسألة أخرى لا تقل أهمية عن سابقتها وهى نقل العدسة لباريز فاذا نقلت بقطارات السكة الحديدية المعتادة فان عدم انتظام سرعتها ووقوفها فى المحطات ربما يسبب تغييرا واضطرابا فى جزئيات الزجاج الداخلية وعلى ذلك عملت الترتيبات اللازمة لحملها على قطار خصوصى سافر بها ليلا لباريز بسرعة ثابتة لم تتغير طول مسافة الطريق وعند وصولها هناك كان الاستعداد كاملا لخفارتها وحملها الي محل تركيبها

وأما الاجزاء الميكانيكية كالماسورة وما يتبعها فقد قامت بعملها فوريقة (جو تييه) وهذه الفوريقة لاقت أيضاً صعوبات كثيرة فى عمل الماسورة وأجزائها

فالصعوبة الاولى التى قابلتها هى كون هذه الماسورة ذات طول عظيم وثقل كبير فلا يمكن في هذه الحالة جعلها رأسية كالتلسكوبات المعتادة لان طولها يبلغ ٦٠ متراً تقريباً وقطرها ١٤٧ سنتيمتراً ووزنها ٢١ طناً فطبعاً ليس من السهل اقامتها فى وضع رأسى ثابت لرصد الكواكب مع حفظها من تأثير الرياح وماشابه اذا كانت معرضة للجو وأما اذا أردنا والحالة هذه احاطتها بقبة من البناء فقد يكون قطر هذه القبة ٧٠ متراً ويلزم بناءها بناء مخصوصاً ليسهل دورانها حول قاعدتها لتتبع حركات الكواكب في السماء وهذا ليس بالأمر اليسير

وقد اتفق أخيرا المهندسون ازاء هذه الصعوبات على جعل الماسورة أفقية كما في الشكل وتثبيتها فى محلها ثم وضع أمام التلسكوب مرآة كبيرة جدا يمكن توجيهها الى الكوكب المراد رصده ثم النظر الى صورته فى المرآة بالتلسكوب

وبعد الموافقة على ذلك ابتدأت الفوريقة فى عمل الماسورة وأجزائها الميكانيكية وقد صرفت عناية خاصة ودقة زائدة جدا فى سبيل صناعتها فجعلت الماسورة مكونة من ٢٤ قطعة ملبسة فى بعضها على شكل اسطوانة وهذا التلبيس صنع بدقة ومهارة عظيمتين بحيث ان الاسطوانة المكونة من هذه الاجزاء لا تفرق عن الاسطوانة التامة بمقدار جزء من عشرة آلاف جزء من السنتيمتر.

وبعد اتمام صنعها ركبت هذه الأجزاء والمرآة العاكسة على أعمدة من الحديد مثبتة في قواعد من الاسمنت لأن ثقل التلسكوب ٢١٠٠٠ كيلو جرام والمرآة ١٣٠٠٠ كيلو جرام ولسهولة تحريك هذه الأخيرة وضعت فى وسط حوض ممتلئ بالزيبق لانها في هذه الحالة تعوم بسهولة فوق الزيبق وبذلك يخف حملها بمقدار تسعة أعشار وزنها فيسهل بذلك تحريكها

وقامت فوريقة (دسبريت) بعمل المرآة العاكسة وهو كاخوانه السابقين كابد صعوبة عظيمة فى صنعها فقد بنى لها فرنين خصوصيين الاول لسبكها

ويسع ١٥ ألف كيلو جرام من الزجاج السائح والثانى لتبريدها تبريدا بطيئاً وقد نجحت مرآة واحدة بعد ٢٠ مرة

بعـد ذلك كله انتهى التلسكوب ووضع فى محل العرض فى بناء مخصوص مبين فى الشكل فالجزء الخلفي الظاهر فى الرسم المركب على أربع عجلات عبارة عن العينية وهو يبعد عن الشيئية بمقدار ٢٥٠ قدماً وعلى ذلك يلزم عنـد التشغيل وجود عاملين أولهما يقف عنـد الشيئية والمرآة والثانى عند العينية والتعليمات تصل من أحدهما للآخر بتلفون

وبعد انتهاء عملية الضبط تظهر صورة الشيء المرئي كالقمر مثلا فى العينية ومنها تقع على ستارة كبيرة ورائها ارتفاعها عشرة أمتار فيظهر عليها القمر بقطر قدره متران فيسهل في هذه الحالة درسه درساً دقيقا ورؤية البراكين والوديان التى على سطحه فسبحان الخالق العظيم

التلسكوب الزيبقى

اذا كانت أهمية التلسكوبات تتعلق على كبر حجمها فهى كلما كبر هذا الحجم كلما كثرت الصعوبات فى صناعة العدسات والمرايات اللازمة لها والتى تستوجب مهارة ودقة وتعبا عظيما لاخراجها سليمة بدون أى اعوجاج أوفقعيات وعلى ذلك يكون ثمنها غاليا يبلغ آلاف من الجنيهات

غـير ان الاستاذ (وود) من علماء الولايات المتحدة توصل في عام ١٩٠٨ لعمل تلسكوب عاكس يحدث فيه التكبير بواسطة مرآة متقعرة من الزئبق السائل وذلك بأن يضع الزئبق النظيف فى حوض مستدير كبير ثم يحرك هـذا الحوض بحركة دائريه منتظمة فيتقعر الزئبق بالنسبة للقوة المركزية الطاردة ويأخذ شكلا منحنيا جميلا

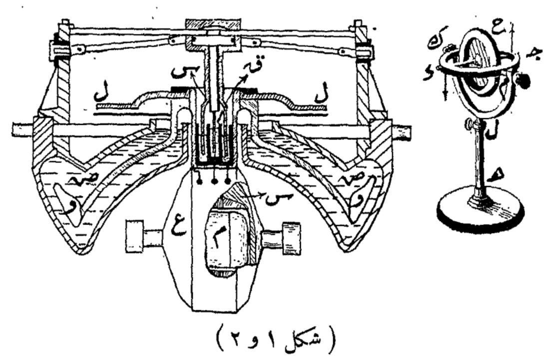
وقد يمكن تحريك هذا الحوض بتثبيت عمود رأسى في قاعه ويوضع عليـه طارة تتصل بسير من المطاط لمحرك كهربائى صغير ولـكنه بالتجربة وجد ان هذه

الحركة تضطرب أحياناً ولا يكون سطح الزئبق منتظما فاستبدل هـذه الطريقة بطريقة أخرى بأن ثبت على السطح الخارجي للحوض جملة مغناطيسيات ثم وضع على طوق يحيط بالحوض وأكبر منه قطرا وبعيدا عنه وغير متصل به مغناطيسيات أخرى تجعل أقطابها وأقطاب المغناطيسيات الاولى المضادة لها فى تقابل أمام بعضها فى مبدأ الامر وفى هذه الحالة اذا دورنا الطوق الخارجى بأي واسطة فان الجذب الحاصل بين الاقطاب المغناطيسية وبعضها يدير الحوض أيضا بدون وصول حركة الدوران اليه مباشرة وبذلك يصير سطح الزئبق منتظما

والمرآة التى عملها الاستاذ (وود) كان طول بعدها البورى ٥٠ قدما اذا كانت دائرة بسرعة ١٢ لفة في الدقيقة وثلاثة أقدام اذا كانت السرعة ٢٠ لفة فى الدقيقة

البوصلة الجيروسكوبية

يطلق اسم « جروستات » على كل عجلة ذات أفريز ثقيل تدور حول مركزها دورانا سريعاً واذا كان معها ما يتبعها من الحوامل أو التعليق سمي الجميع بالجيروسكوب وأبسط الجيروسكوبات هو المبين فى (شكل ١) ويتركب من



(شكل ١ و ٢)

حدافة صغيرة ح (وهى الجيروستات) تلف بسرعة كبيرة حول محورها الافقى حء فى اللقمتين ء و ح وهاتين اللقمتين موجودتين فى برواز ج م ء ك يتحرك بسهولة حول المحور الافقى المنتهى بالنقطتين م و ك الموجودتين على نصف الدائرة م ل ك التى تتحرك حول حاملها الرأسى ه ل وبذلك يكون هناك ثلاثة محاور مرتبطة مع بعضها بزوايا قائمة واحد منها رأسى واثنان أفقيان — فاذا تصورنا أن الاحتكاك في هذه المحاور معدوم أى ان الحركة فيها غير مقيدة يظهر لناعند إدارة الحدافة بأي واسطة ممكنة جملة خواص غريبة فى الجيروسكوب أهمها بقاء الحدافة فى اتجاه ثابت في الفضاء مهما تحول الجيروسكوب لاي جهة ومن ضمنها انه اذا أثرنا بقوتين متساويتين ومتضادتين على الطرفين ح و ء كالمبينين فى الشكل فان البرواز لا يميل كما ينتظر بل يبقى أفقيا وانما يتحرك الجيروسكوب حول محوره الرأسى بسرعة مناسبة للقوتين المؤثرتين

استخدام الجيروسكوب فى الاختراعات الحديثة

بالنسبة لخواص الجيروسكوب الغريبة استخدمه بعض المخترعين فى مسائل كثيرة كتوجيه الطوربيد مثلا فى اتجاه مستقيم لا يحيد عنه وكالقاطرات ذات القضيب الواحد فيسكةحديد (برينان)التى تحفظ توازنها التام بتأثير جيروستات ضخم يدور حول محور متعامد مع القضيب م لمنع ترجح البواجر يمينا ويسارا يوضع حدافه ثقيـله فى وسط السفينة تدور حول محور رأسى مثبت على برواز ذات محور أفقى وفي البوصله الجيروسكوبيه اختراع الدكتور (انشتز)

وهذه البوصـله ديناميكيه بمعنى الـكلمة وليس لهـا علاقة بالمغناطيسية أو بالارض مطلقا فهى بهذه الخاصية تفوق بوصـلة البواخر المعتادة بعدم تأثرها بحديد السفن أو دروع البوارج أو محركات الغواصاتالـكهربائية التى تؤثركثيرا على البوصلة المغناطيسية وتجعلها عرضـة للاضطراب فتختل الملاحة وتنحرف السفينة عن مجراها

وتتركب البوصلة الجيروسكوبيه كما فى شكل ٢ من جيروسـتات س يدور حول محوره فى العلبة ع وهذه العلبة معلقة فيطوق و عباره عن عوامه مغموره فى حوض من الزيبق ض محمول على مراكز كما تحمل البوصـلة المعتادة والتعليق يكون بكيفية بحيث أن مركز الثقل فيها يكون واقعاً أسفل مركز التوازن

والعوامة لهـا قمة مثبت فيها دليل البوصله ل ل ويوجـد أعلا القمة حوض آخر صغير من الزيبق ق مغمور فيه طرف عمود من الفولاذ مثبت طرفه الآخر فى الغطاء الزجاجى الخارجى والغرض منـه أن يكون دليـلا لحفظ الجهاز فى موضـعه ولدخول التيـار الـكهربائى للمحرك الـكهربائى م الذى يدير الجيروسكوب

وحيث ان هذا المحرك يدور بتيار متغير ذات انتقال ثلاثى فيلزم له والحالة هـذه ثلاثة سلوك فالسلك الأول هو ما سبق والثانى يدخل من المـاسورة س المغمورة فى حوض ثالث من الزيبق الموصل والثالث يدخل من خلال الزيبق العمومي حتى يصل للعوامة ومنه للموتور وطبعاً كلهذه الموصلات معزولة عن بعضها وعن الجهاز بأكمله بالمواد العازلة

والحدافة مصنوعة من الفولاذ مع النيكل وتلف ٢٠٠٠٠ لفة فى الدقيقة أى بسرعة محيطية تزيد عن عشرة كيلو مترات فى الدقيقة وهذه السرعة يتأثر بها روح الحدافة بشد لا يقل عن عشرة أطنان على البوصة المربعة والعجيب أن ٩٥ ٪ من قوة الموتور تنعدم فى التغلب على مقاومة الهواء فقط بالنسبة لاحتكاكه الكبير بسطح الحدافة حتى ان هذا السطح يظهر عليه نعومة غريبة بعد زمن قصير وقد يمكن استخدام التيارات الهوائية المتولدة حول الجيروستات لتقليل حركة الاهتزاز فيه وذلك بعمل ثقب في العلبة ع مقسوم نصفين بحاجز متحرك يخرج منهما الهواء على شكل نافورتين متساويتين ان كان الجهاز ثابتاً ولكن عند انحرافه يميل الحاجز ويغطى أحد النصفين ويزيد فى فتحة الآخر فيختل توازن النافورتين ويتولد من ذلك حركة تضاد حركة انحراف الجيروسكوب وترجعه لوضعه الأصلى

والبوصلة الجيروسكوبية تثبت فى أي مكان في الباخرة وتصحح من وقت لآخر تبعاً لخطوط العرض ولسرعة السفينة ولها قوة أرشاد تزيد عن البوصلة المعتادة بثلثمائة مرة

الطريقة الحديثة لقطع ألواح الفولاذ

أبسط التجارب التى يمكن عملها على غاز الاوكسچين بعد تحضيره فى المعامل الكيماوية هى حرق قطعة حديد مسخنة فيه أو مزج غاز الايدروچين به واشعال المخلوط فيتحد الغازان ببعضهما ويتولد من اتحادهما حرارة شديدة جداً يمكن الانتفاع بها بواسطة جهاز مخصوص يسمى البورى وهو يتركب من ماسورة رفيعة يمر منها غاز الاوكسچين محاطة بماسورة أخرى أكبر منها قطراً يمر منها غاز الايدروچين وهذان الغازان يجتمعان ببعضهما عند الفوهة فيتحدان بلهب شديد يصهر الحديد

فهذه التجربة والسابقة كانتا معروفتين من زمن بعيد ولكن لم يفكر أحد في الاستفادة منهما صناعياً الا قريباً حيث طرق بفكر أحد المهندسين أن يستعمل البوري لرفع الحديد الملتصق على ثقوب الهواء في الأفران العالية فنجح في ذلك وأخذ عنه مهندس آخر فجرب التجربتين معاً لقطع لوح سميك من ألواح الفولاذ فسلط نافورة لهب البورى على موضع القطع فوصلت درجة حرارته الى ١٦٠٠ درجة سنتيجراد وبعد ذلك مباشرة أى في الوقت نفسه سلط نافورة أخرى من غاز الاوكسچين النقى فاتحد هذا الغاز بالحديد الساخن وكون معه أوكسيد حديد صهر بسهولة وأمكن رفعه بقوة تيار الاوكسچين وقد توصل هذا المهندس بواسطة استعمال اللهيب الحاد أن يشق فى الحديد شقاً رقيقاً لا يزيد سمكه عن جزء من أربعة وثمانين جزء من البوصة

ومن ذلك الحين كثر قطع الحديد بهذه الطريقة بعد ادخال بعض التحسينات فيها كتشغيل جملة نافورات دفعة واحدة بتركيبها على قاعدة متحركة تتحرك على دليل يتبع شكل المنحنيات المطلوبة وقد يمكن بسهولة قطع ألواح البوارج التى يزيد سمكها عن نصف متر بهذه الكيفية

ولاهمية غازى الاوكسچين والايدروچين هنا صارا يحضران الآن بكمية كبيرة فى المعامل ويحفظ كل منهما في اسطوانة متينة من الفولاذ تتحمل ضغطاً لغاية ألفين رطل على البوصة المربعة وبالنسبة لخطورة هذا الضغط يركب على الاسطوانة صمام أمن يحفظها من الانفجار هذا خلاف صمام آخر لتنظيم كمية الغاز عند خروجه من الاسطوانة أثناء العمل

منبهات البواخر

من جبال الجليد العائمة

تركت حادثة الباخرة تيتانيك أثراً محزناً في أوروبا وأمريكا لوقوع هـذ المصاب فى وسط المحيط الفاصل بينهما وقدكان سبب هـذه الكارثة اصطدام الباخرة بجبل جليد شاهق دفعـه التيار فى طريقها وبالنسبة لكثرة الضحايا التى ذهبت فكر العلماء بعـد ذلك فى وقاية البواخر من هذه الاخطار وتنبيه الربان قبل مجيئها

وعلى ذلك ظهرت جملة اختراعات يتأسس معظمها على نظرية (الثرمو بيل) المعروفة ومضـمون هـذه النظرية انه اذا برشم شريطان معدنيان من مادتين مختلفتين ببعضها من جهة وتُرك طرفاها الآخران منفصلين فانه عند تسخين أو تبريد الطرفين المبرشمين مع بقاء الطرفين الآخرين فى درجتهما الاعتيادية يظهر تيار كهربائى فى الشريطين ينتقل لأى دائرة خارجية توصل بهما

فاذا تصورنا جهازاً طويلا بهذا الشكل وضع في الماء خارج السفينة بحيث ان نقطة برشامة تكون في المقدمة والأطراف الاخرى فى المؤخرة نجد عند اقتراب السفينة من الجليد ودخولها في منقطة المياه الباردة التى حوله فرقاً بين درجة حرارة البرشام ودرجة حرارة الاطراف فيتولد من ذلك تيار كهربائى ينتقل بسهولة بواسطة أسلاك لقاعة الربان وهناك يدخل فى متمم كهربائى (ريلى) الغرض منـه تكميل دائرة كهربائيـة أخرى تتغذى بتيار شديد فيهـا مصباح أحمر يضىء وجرس يدق للدلالة على اقتراب الخطر

وبالمثل اذا خرجت السفينة بعد ذلك من هذه المنطقة ودخلت منطقة أخرى حارة فانه يتولد في الثرمو بيل تيار في اتجاه معكوس بالنسبة للتيار الاول فيدخل فى متمم آخر يقفل دائرة كهربائية تضىء مصباحاً أخضراً للدلالة على زوال الخطر وبالنسبة لأهمية هذه الأجهزة وضرورة الاعتماد عليها فى الليالي المظلمة يلزم

اختبارها من آن لآن وقد جعلوا ذلك سهلا عند الربان فهو يتوصل لذلك بقفل دائرة كهربائية منفصلة عن الدوائر السابقة فيمر التيار فى مقاومة كبيرة موضوعة فى الماء بجوار رأس الترمو بيل فعند مروره فيها تسخن وتنتقل الحرارة للماء المجاور لها فيتأثر الترمو بيل ويظهر فعله ان كان صحيحاً أو مختلا

وعلى العموم فان هذا الاختراع له فوائد جمة وأكبر دليل على ذلك ما حدث لاحدى بواخر الاطلانطيق فانها أرسلت تلغرافاً لاسلكياً لنيويورك مفاده انه ظهر في جهازها فرق محسوس بين درجة حرارة الماء في مقدمة السفينة ودرجة الماء فى المؤخرة وان الباخرة لهذا السبب أنقصت سرعتها خوفاً من الخطر وفعلا لم تقطع السفينة بعد ذلك مسافة قصيرة إلا وظهر أمامها جبل عظيم من الجليد اجتنبه الربان بسهولة لأنه كان مترقباً له

رؤية الاشخاص البعيدة بالكهرباء

هذه المعضلة طرق بابها كثير من المخترعين المشهورين ولكن لم يقدر أحد منهم أن يحلها حلا تاماً إلا ان بعضهم نجح فى بعض التجارب الأولى التي ربما توصلهم يوماً ما الى الفوز الأخير

وهذه التجارب تبتدأ أولا باظهار صورة الجسم في محطة الارسال على ستارة كبيرة ومنها تخرج تيارات كهربائية في سلوك موصلة حتى تصل لمحطة الاستقبال فتؤثر هناك بتأثيراتها المختلفة وتعيد شكل الصورة على ستارة أخرى والذى نجح فى استعمال هذه الطريقة هو الاستاذ (أرنست روهمر) مخترع الفوتوغرافون فقد صنع جهازاً لذلك كلفه ما يقرب من ٥٠٠٠٠ جنيه تمكن بواسطته من رؤية طفل صغير بعيداً عنه بأميال عديدة

والنظرية التى جرى عليها هو انه وضع حاجزاً فى محطة الارسال لظهور هيئة الجسم عليه وقسم هذا الحاجز الى مئة وعشرين مربعاً ووضع وراء كل منها عموداً حساساً من معدن السيلنيوم (وهو معدن تتأثر مقاومته الكهربائية بالضوء) ثم وضع حاجزاً آخراً فى محطة الاستقبال مقسم الى مئة وعشرين مربعاً أيضاً ووصل كل مربع من هذا الحاجز بسلك للمربع المقابل له فى الحاجز الاول وهذا السلك يمر فيه تيار كهربائى معزول يرجع بطريق الارض فعند ظهور هيئة الجسم على الحاجز الاول تتوزع أضواؤه وأظلاله المختلفة على المربعات فيصيب كل مربع كمية محدودة من الضوء يتأثر بها عمود السيلنيوم الذى خلفه فتتغير مقاومته ومتى تغيرت المقاومة تتغير شدة التيار فى السلك ويظهر تأثير ذلك تماماً فى كل مربع من مربعات محطة الاستقبال بواسطة جلفانومترات صغيرة من ذات المرايا المعروفة

وعلى ذلك فان كل البقع المضيئة والمظلمة التى تقع على مربعات محطة الارسال تنتقل بهيئتها الى المربعات المقابلة لها فى محطة الاستقبال وينتج من مجموعها صورة عمومية تشابه صورة محطة الارسال وهذا الامر يشبه تماماً صناعة الصور

فى الكتب القديمة فاننا لو تأملنا في هذه الصور نجد انها مكونة من نقط سوداء صغيرة مزدحمة بجوار بعضها فى بعض أجزاء الصورة ومتفرقة في البعض الآخر .وهذه النقط بمفردها عند رؤيتها مكبرة لا يظهر لها معنى ولكن باجتماعها مع بعضها يظهر لها صورة كالصور الفوتوغرافية

فهذا التشبيه ينطبق تماماً على نظرية نقل هيئية الاجسام لمسافات بعيدة وانما يشترط لتمام النجاح أن يكون موجوداً هناك على الاقل ١٠٠٠٠ مربع تتوزع عليها أجزاء الصورة

وقد استعمل العالمان (فورنير) (ورجنو) طريقة أخرى لظهور الصورة على حاجز المستقبل مخالفة لطريقة (روهمر) وهي تتركب من عدد كبير من ملفات مغناطيسية صغيرة تستقبل التيارات الكهربائية من محطة الارسال وموجود أمام كل ملف منها رافعـة دقيقة تتصل بغطاء مرآة صغيرة جداً فعند مرور التيار في الملف يتمغطس ويجذب اليه الرافعة فينكشف الغطاء عن المرآة بمقدار يختلف تبعاً لشدة التيار المار في كل ملف على حدته وبذلك يظهر سطح بعض هذه المرايا ويختفى سطح البعض الآخر كله أو جزؤه وفي هذه الحالة اذا سلطنا ضوء شديد على جميع المرايا فان الضوء ينعكس كاملا من المرايا المكشوفة وناقصاً من النصف مكشوفة ويختفى في الباقية وهذه الاضواء المنعكسة تجتمع على حاجز ويظهر من شكلها العمومي صورة مشابهة تماماً لصورة محطة الارسال

وقد نجحت هـذه الطريقة ولكن لم يعم استعمالها بالنسبة للنفقات الباهظة التى يتطلبها الجهاز الواحد الذي يلزمه ١٠٠٠٠ ملف ومرآة خلاف السلوك التى لا تحصى اللازمة لتوصيل المحطتين ببعضها

الايرو بلانات

أو الطيارات

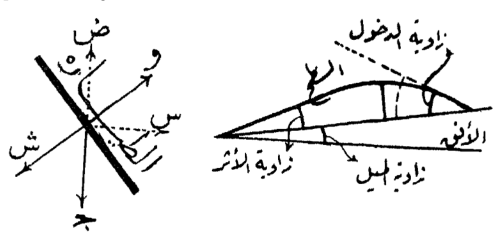
كان أول القرن الماضى عهد تقدم البخار وآلاته وأما فيآخره فكان لا لات الغاز النصيب الأوفر من اهتمام المهندسين فتحسنت كثيراً وأمكن بعد ذلك استعمالها فى السيارات والطيارات والمناطيد على اختلاف أنواعها ومن ذلك الحين ابتدأ عهد تقدم الطيران ونجح الانسان لأول مرة في اختراق طبقات الجو فلم يمض إلا يسيرا حتىعبر الاطلانطيق سابحاً فى الهواء

ويرجع الفضل في ذلك لكثير من المهندسين نذكر منهم (شانوت) و(مكسيم) و (فيليب) و (لانجلى) و(رايت) . . الخ

نظرية الطيران

ظهر الايروبلان العجيبْ وكان السبب في ظهوره تلك اللعبة الصغيرة آلا وهي الطيارة فانه على هذه اللعبة يمكن تطبيق كل القوانين الأساسية التى ساعدت على صناعة الايروبلان

فاذا تركنا طيارة بسيطة للريح فانه يرفعها لارتفاع مخصوص تبقى فيه ثابتة ما دامت سرعة الريح لا تتغير ومن ثباتها يستدل على حصول توازن بين جميع القوى المؤثرة عليها المبينة في (شكل ١) فالأولى منها المرموز لها بالحرف ج



(شكل ١و٢)

عبارة عن جذب الارض لكتلة الطيارة وهذا الجذب يبقى تقريباً ثابتاً فى جميع أوضاع الطيارة وأما القوة الثانية(و)فهي عبارة عن قوة الريح وتؤثر فى اتجاه عمودى على سطح الطيارة وأخيراً القوة الثالثة ش عبارة عن الشد الواقع على حبل الطيارة

وقد يمكن تحليل القوة (و) الى قوتين أخرتين مساويتين لها ويكون لاحداها تأثير تزحزح أفقي كالقوة س وللأخرى تأثير رفع مضاد لجذب الارض كالقوة ص ويمكن ملاحظة ذلك بوضوح عند هبوط سرعة الريح فان الطيارة في هذه الحالة تأخذ فى الانخفاض

اذا فرضنا الآن ان حبل الطيارة انقطع فان التوازن الحاصل بين القوى السابقة ينعدم ولا يبقى من القوى المؤثرة إلا قوة التزحزح وقوة جذب الارض فقط فتذعن الطيارة لتأثيرها فتهبط نحو الارض متؤخرة للوراء ولكن اذا توهمنا انه في هذه اللحظة مع وجود الريح أمكننا أن نضع فى الطيارة محركا عديم الوزن يدير مروحة تولد قوة مضادة لاتجاه قوة التزحزح ومساوية لها فانه فى هذه الحالة يرجع النوازن وتثبت الطيارة في موقفها وكذلك اذا تصورنا ان سرعة الريح هبطت ثم أخرجت الآلة قوة دافعة أماميه مساوية لقوة الريح فان الطيارة فى هذه الحالة تندفع للامام وتصير ايروبلانا

فالنظرية السابقة كانت أساس بحث العلماء وأخصهم (ليلنثال) و (رايت) و (شانوت) فصنعوا جملة طيارات صغيرة وكبيرة وغيروا فى شكلها وعملوا عليها جملة تجارب استنتجوا منها أخيراً النتائج الآتية : —

أولا — ان السطح المنحنى هو أكثر موافقة من السطح المستوى

ثانياً — ان السطح الاكثر إنحناءً من الامام ومائلا جهة الارض لهو السطح الاكثر سلامة من السطوح الاخرى

ثالثاً — ان مقدار الثقل الذى يحمله السطح السابق يمكن زيادته بتكبير زاوية الميل لحد معلوم (راجع شكل ٢)

رابعاً — ان قوة التزحزح تتغير بتغير زاوية الميل ولحد معلوم أيضاً

خامساً — ان قوة الحمل تزداد تبعاً لمربع السرعة وعلى ذلك يمكن لآلة صغيرة أن تحمل حملا كبيراً اذا سارت بسرعة عظيمة

سادساً — ان مقدار ما يحمله الايروبلان يتعلق بمساحة أسطحه ولهذا كثيراً ما نرى ايروبلانات بسطحين وثلاثة أسطح وأكثر أحياناً وتمتاز هـذه الانواع بسهولة تثبيت الدفة بين هـذه الاسطح تثبيتاً قوياً وهذا مما لا يمكن عمله بسهولة فى الايروبلان ذى السطح الواحد عمل (بلريوت) و(لاثام)

سابعاً — يشترط فى الايروبلان أن لا تقل سرعته عن ٤٠ ميلا فى الساعة ليكون سهل الانقياد وفى توازن تام

ثامناً — يلزم للايروبلان أثناء طيرانه أفقياً قوة أخرى لموازنته تساوى القوة اللازمة لصعود سيارة مثلا كثقل الايروبلان على مستوي مائل بزاوية تساوي زاوية ميل الايروبلان أثناء هبوطه نحو الارض بعد وقوف الآلة وهذه الزاوية تبلغ تقريباً ٨ درجات

تاسعاً — يلزم للايروبلان فضلا عما سبق قوة أخرى لمقاومة الهواء واحتكاكه به فالقوة الاولي المذكوره فى البند السابق ينقص مقدارها اذا ازدادت السرعة وأما القوة الثانية فانها بالعكس تزداد عنـد ازدياد السرعة وعلى ذلك تكون القوتان عاملتين احداهما بعكس الاخرى وينتج من ذلك وجود سرعة مخصوصة يطير بهـا الايروبلان بأقل قوه ممكنة وقد يمكن الحصول على سرعة أكبر من هذه السرعة بدون احتياج لزيادة قوة الآلة أو تخفيف الحمل وذلك بتقليل مقاومة المقدمة وتصغير زاوية الميل

عاشراً — يلزم تشغيل الآلة بأكبر قوة ممكنة لها في حالة الصعود لانه عند توجيه سطح الايروبلان ودفتـه للجهة العليا تزداد قوة التزحزح ويتسبب عن هذه المقاومة ضعف السرعة

حساب الاحصنة البخارية اللازمة للايروبلان — يمكن حساب القوة اللازمة للايروبلان بمعرفة وزنه وسرعته فمثلا ايروبلان وزنه مع راكبه ٥٠٠ رطل وسرعته ٤٠ ميل في الساعة يكون بناء على ما سـبق وطبقاً للقوانين الميكانيكية البسيطة

القوة اللازمة في كل ثانية = $\frac{٥٢٨٠ \times ٤٠}{٦٠ \times ٦٠}$ × ظا (٨)° قدم × ٥٠٠ رطل

= ٥و٧ × ٥٠٠ قدم رطل

= $\frac{٥و٧ \times ٥٠٠}{٥٥٠}$ = ٧½ حصان

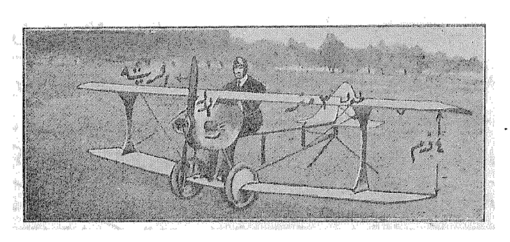
ويلاحظ هنا انه يلزم اضافة ⅕ هذه القوة فى حالة الصعود فتصير بذلك القوة الكلية اللازمة ٩ أحصنة تقريباً ولا يدخل فى هذا الحساب القوة الكبيرة التي تفقد فى الاحتكاكات وفي الريشة ومقاومة الهواء وخلافه فلجعل الحساب صحيحاً يلزم اضافة ٨٠ ٪ على القوة السابقة فتكون القوة النهائية اللازمة للايروبلان السابق هى ١٦ حصاناً أى بنسبة حصان واحد لكل ٣١ رطل من الوزن

التوازن في الايروبلانات

الايروبلان أثناء طيرانه يكون عرضة للانقلاب وقد يمكن تقليل هذا الخطر بالطيران فى المناطق العالية بالسرع الكبيرة ولكن رغماً عن ذلك فقد أزهقت أرواح كثير من الطيارين بسبب عدم ضبط الايروبلان وجعل مركز ثقله مقابلا دائماً لمركز ضغط الهواء فلسهولة عمل ذلك أضيفت أسطح ثانوية متحركة أمام الاسطح الثابتة ليتمكن الطيار بواسطتها من تغيير زاوية الميل كما يشاء وأحياناً تقوم هذه الاسطح بعمل التوازن كله كما في ايروبلان (رايت) ولكن أكثر الطيارين يفضلون الطيارات التى تنتظم وتتوازن من نفسها ليخف العبء الثقيل الواقع على الطيار أثناء جولانه فى الهواء

وقد يوجد ايروبلانات من ذات السطحين كايروبلانات (فوندين) و(فارمان) لها فضلا عن السطح الامامي ذيل مستوى فى الخلف بجوار الدفة والغرض منه تخفيف تأثير التغيرات الفجائية التى تحصل في زاوية الميل وأيضاً لتساعد الايروبلان على أن يأخذ دائماً وضعاً أفقياً ولكن هذا الذيل لا يمكنه أن يقوم بكبح جماح الايروبلان أثناء اقترابه من الارض كما تقوم بذلك المستويات الامامية السابقة التى يرفعها الطيار عند هبوطه نحو الارض فتقل سرعته ويصل سالماً بدون مصادمة

بقى الآن مسألة احتمال الانقلاب الجانبي فلمنع ذلك تقوس نهايات الاسطح الرئيسية قليلا للجهة العليا فان ذلك يمنع الانقلاب وانما يزيد قليلا في التمرجح وعلى العموم فان توازن الايروبلان صار سهلا فى قبضة الطيار خصوصاً عند طيرانه بسرعة عظيمة فانه في هذه الحالة يكون أقل احتياجاً للملاحظة كما هو الحال فى الدراجة مثلا اذا سارت بسرعة عظيمة فان راكبها يمكنه أن يرفع يديه بسهولة مع عدم الاخلال بالتوازن ولكن لا بد للايروبلان السريع أن يكون سطح أجنحته صغيراً وفى هذه الحالة يصعب الهبوط به نحو الارض وقد يمكن التغلب على هذه الصعوبة باختراع أجنحة يمكن طيها ونشرها كلها أو بعضها حسب الارادة كما فعل ذلك المسيو (بسكوف) من مشاهير طيارى فرنسا فقد صنع هذا العام ايروبلاناً عجيباً بالنسبة لصغر حجمه مركبا من سطحين كما فى (شكل ٣)



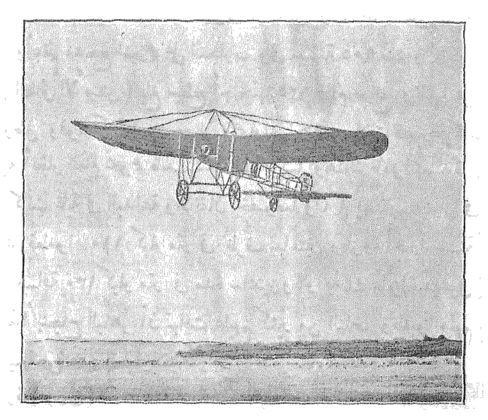
(شكل ٣)

يسهل طيهما ونشرهما بغاية السهولة وقد وضع فيه محركا ذات سلندرين قوة ١٦ حصانا وطار به جملة مرات أظهر الايروبلان فيها كفاءة عجيبة فى توازنه وتغلبه على الريح في مناطق يزيد ارتفاعها عن ٥٠٠٠ قدم وكان يطير بسرعة ١٠٠ كيلومتر في الساعة ويحمل وقوداً يكفى ساعتين عبارة عن ثلاثة جالونات من البنزين فقط ومن الغريب ان المسيو بسكوف يجهد نفسه الآن في تصميم ايروبلانا أصغر من ذلك بينما آخرون مشغلون ببناء الايروبلانات الضخمة ذات الاجنحة المعدنية المشققة التى تحمل أكثر من عشرين شخصا ولم تقف مطامع جماعة المخترعين عند هذا الحد بل هم يريدون ادخال البندولات والجيروسكوبات لتتولى هذه الاجهزة من

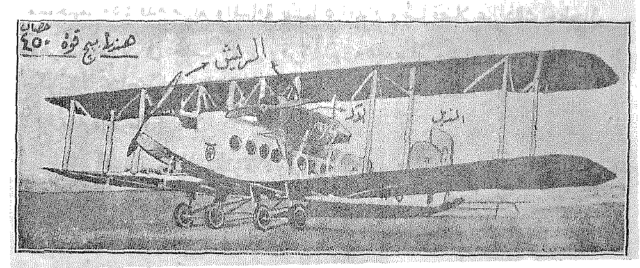
تلقاء ذاتهـا توازن الايروبلان بحيث اذا حدث خالل فيـه تفتح هذه الاجهزة صمامات مخصوصة تتصل بخزان هواء مضغوط ليخرج منه الهواء فيدير آلة صغيرة تقوم مقام يد الطيار في تحريك الروافع ليرجع الايروبلان الى توازنه

وصف أنواع الايروبلانات الشهيرة

يوجد نوعان من الايروبلان ذى السطح الواحد (شكل ٤) وذى السطحين (شكل ٥) وأشهر الايروبلانات التى من النوع الاول هو ايروبلان (رايت)



(شكل ٤)



(شكل ٥)

واخوته ولهؤلاء الأبطال فضل كبير على الطيران فهم الذين صنعوا أول طيارة كاملة سبحت فى الهواء وكانت أول تجاربهم سنة ١٨٩٦ وانتهت سنة ١٩٠٣ فوضعوا في هذه المدة معظم قوانين التوازن وغيره وفى آخر هذه السنة تمكنوا من استعمال آلات الغاز فى طياراتهم فصنعوا لذلك آلة ذات أربعة سلندرات تزن ٢٥٠ رطل وتلف ١٠٠٠ لفة فى الدقيقة وتعطى ١٢ حصان وبواسطتها طاروا مسافة كيلو متر فى دقيقة وبعد ذلك ركبوا طيارة أخرى ذات آلة قوتها ١٧ حصان وطاروا بها مسافة ١٨ كيلو متر فى ٦ دقائق وكان هذا الطيران أول نجاح في العالم وأعظم مشجع لغيرهم على التجارب وفي سنة ٩٠٥ صنعوا طيارة ثالثة سموها (الطائر الأبيض) بلغ سطح أجنحتها ٦٢٥ قدم مربع وثقلها بمن عليها ١٠٠٠ رطل وقوة آلاتها ٢٤ حصان وعملوا بها جملة رحلات قصيرة كانت سبباً فى توجيه أنظار العالم نحوهم فاستدعوا الى فرنسا وهناك قاموا بعدة رحلات هوائية كانت غاية فى البداعة والاتقان خصوصاً وانه لم يسبقهم انسان فى عمل ذلك فقد قطعوا ١١٠ كيلو متر فى ظرف ساعتين وفازوا أخيراً سنة ١٩٠٨ بالطيران مسافة ١٣٠ كيلو متر فى مدة ساعتين ونالوا بذلك جائزة (ة ميشيل) وكان نتيجة هذا النجاح الباهر أن تهافت عليهم كثير من الناس وطلبوا منهم صناعة كمية عظيمة من هذه الطيارات

طيارة (فوزين)

ظهرت هذه الطيارة سنة ٩٠٨ وتتركب من سطحين من طرز سطح (شانوت) مساحتهما ٤٥٠ قدم مربع والمسافة بينهما ٥ أقدام ولها فضلا عن ذلك سطحان آخران صغيران فى الخلف كالذيل وقوة آلتها ٥٠ حصان وتمتاز عن طيارة رايت بكونها لا تحتاج لمهارة عظيمة لادارتها

طيارة (فارمان)

هذه الطيارة حازت الجائزة الاولى فى سباق ريمس الشهير لأنها اجتازت أكبر مسافة وحملت أكبر عدد من الأشخاص وأخذت الجائزة الثانية لأنها وصلت الى أكبر ارتفاع وهى فى شكلها كالطيارة السابقة الا انها تمتاز بوجود مستوى أمامي علوى وكذلك بوجود مستويات أخرى مفصلية في خلف الاسطح

الرئيسية يسهل رفعها وخفضها أثناء الطيران لعمل التوازن

طيارة (كورتس)

هي أصغر الطيارات ذات السطحين لا يزيد سطحها عن ٢٨٠ قدم مربع ولكنها أسرعها لأنها حازت جائزة غوردون لما قطعت ٣٥ كيلو متر في ربع ساعة ووزنها الكلى لا يزيد عن ٥٠٠ رطل ولا تحمل إلا رجلا واحداً

الطيارات ذات السطح الواحد

أشهر هذه الطيارات طيارة (بلريوت) وشكلها يقرب كثيراً من شكل الطيور وقد امتازت بأنها أول طيارة اجتازت بحر المانش وهى صغيرة الحجم لها جناحان مقوسان مساحتهما ١٥٠ قدم مربع ووزنها براكبها ٧٠٠ رطل فيخص القدم المربع خمسة أرطال وهذا مقدار كبير يدل على اتقان التصميم

طيارة (لاثام انطوانيت)

هذه الطيارة لها قوة عجيبة في الصعود لارتفاعات شاهقة وقد حازت الجائزة الاولى فى ذلك وهى على شكل قارب صغير مثبت عليه جناحان يبلغ مساحتهما ٥٠٠ قدم مربع ولها سطحان صغيران في الخلف يساعدان على عمل التوازن والآلة المحركة موضوعة أمام الطيار تدير ريشة قطرها ٢ متر

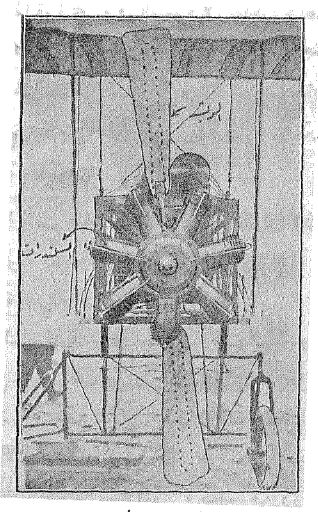
الآلات المحركة للطيارات

ان هذه المسألة كانت عقدة كبيرة فى تاريخ الطيران لان المخترعين وخصوصاً (رايت) كابدوا صعوبة عظيمة فى مبدأ الامر للحصول على آلات تكون فى وقت واحد عظيمة القوة خفيفة الوزن

وكان السير مكسيم قد فكر فى استعمال آلات البخار وفعلا صمم آلة بخارية تعطى حصاناً لكل ستة أرطال من وزنها بما فى ذلك المرجل ومايتبعه من المهمات الاخرى ولكن قاسى مشقة فى استعمال هذه الآلات بالنسبة للماء والوقود اللازمين دائماً لتغذية هذه الآلة وهذا ما وجه أفكار المخترعين الآخرين الى آلات البنزين المستعملة في السيارات فحسنوا فيها كثيراً وخففوا من وزنها بقدر ما تسمح به الحالة ثم استعملوها فى الطيارات فأتت بالغرض المطلوب ولو انها تختل أحياناً

وتؤدى الى حوادث مهلكة وقد جعلوا هذه الآلات ذات حركات أوتوماتيكية أى انها تغذى نفسها بنفسها بالبنزين والزيت وخلافه بدون احتياج لأدنى ملاحظة ومعظمها من ذات الستة أو الثمانية سلندرات لتنظيم القوة الدافعة للاستغناء عن الحدافات الثقيلة

وأنواع هذه الآلات كثيرة منها محرك (رايت)و(جرين)و(انزاني)(وجنوم) وهذاالاخير أكثرها نجاحاً ويرجع الفضل فى ذلك الى الخاصية الغريبة التى فيه وهىان سلندراته السبعة هي التى تلف حول عمود الكرنك الثابت خلافاً لجميع الآلات المعروفة وطبعاً فىذلك فائدة كبرى وهى تصادم السلندرات أثناء دورانها بالهواء البارد فلا تحتاج في هذه الحالة لماء التبريد فيتوفر وزنه هذا فضلا عن ان السلندرات في دورانها تصير بمثابة حدافة تنظم الادارة وقوة هذه الآلة ٥٠ حصان وقطر سلندراتها ١١ سنتيمتر وطول مشوارها ١٢ سنتيمتر وهى تعطى حصاناً لكل ثلاثة أرطال من وزنها تقريباً وشكلها العمومى مبين (بشكل ٦)



(شكل ٦)

والغريب فى أمر هذه الآلة ان مخترعها المسيو (سيچن) لما عرض فكرة دوران السلندرات على العلماء قابل انتقاداً شديداً منهم ولكنهم لما رأوا تفوقها صرحوا بأنها أردأ آلة ممكن تصميمها نظرياً ولكنها أحسنها عملياً ولا شك فى انه سيأتي يوم يزيد فيه تحسن هذه الآلة حتى تعطى حصاناً لكل رطل من وزنها

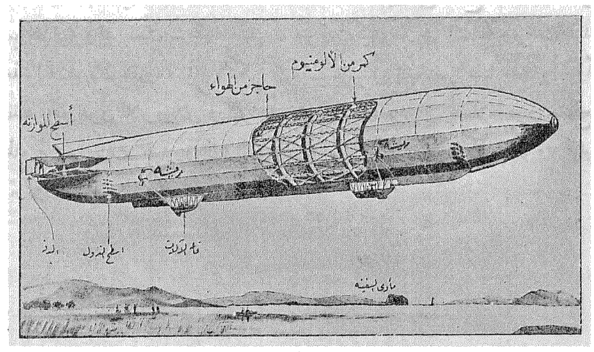
الريش

تصنع الريش عادة من الصلب أو الالومنيوم أو الخشب وقد استحسنوا عملها من الاخير لخفة المادة ومتانتها أيضاً وصناعتها تحتاج لمهارة كبيرة لانه مهما بلغت الطيارة حد الاتقان والآلة حد التفوق فانهما لا تفيدان كثيراً اذا كانت الريشة ليست مصممة على أصولها لان أكبر محصول لها الآن لا يزيد عن ٧٠ ٪

الهيدروبلانات — كثيراً ما فكر المخترعون قديما فى بناء سفن صغيرة تجرى على سطح الماء بدلا من اختراقها اياه ولكنهم لم ينجحوا فى ذلك الحين لضعف قوة الآلات البخارية بالنسبة لثقلها ومنذ ظهرت الآلات ذات الاحتراق الداخلى أى آلات البنزين صنعت زوارق كثيرة تقذف جريا على سطح الماء بدلا من سيرها فيه وقد بلغت سرعتها مايقرب من ٣٥ كيلو متر فى الساعة ووقفت عند هذا الحد لان مقاومة الماء لايمكن التغلب عليها أو التخلص منها تماما وأخيراً انتبه المخترعون للايروبلان فركبوا بأسفله زورقين صغيرين يحملانه فوق سطح الماء وسموا ذلك هيدروبلانا تمكنوا به من السير على الماء بسرعة ٧٠ كيلو متر فى الساعة

البالونات أو المناطيد

كثير من الناس لايفرق بين الأيروبلانات أو الطيارات والبالونات أو المناطيد فالاولى هى التي سبق شرحها . وهى أثقل من الهواء لاتطير بغير مساعدة آلاتها وأجنحتها وأما الثانية ففى مجموعها أخف من الهواء المساوى لحجمها لانها عبارة عن جراب ضخم جداً ممتلئ بغاز خفيف كالايدروچين مثلا وشكل الجراب أما ان يكون كرويا أو اسطوانيا والثانى يفضل عن الاول لقلة مقاومة الهواء له وبما أن المنطاد عند طيرانه بسرعة عظيمة في الجو ومصادمة الهواء يقع تحت ضغط عظيم يؤثر على غلافه الخارجى ويتسبب من ذلك هروب الغاز فلا بد والحالة هذه من تقوية الغلاف ببنائه على هيكل معدني من المقدمة الى المؤخرة وهذا الهيكل يصنع من قضبان قوية ثم يقسم الى خانات يوضع فى كل منها جراب صغير لتخزين الغاز فيه ثم يترك بينه وبين الغلاف مسافة هوائية (كما فى شكل ١)



(شكل ١)

لمنع وصول تأثير حرارة الشمس الى الغاز المخزون والسبب في عمل هذا التقسيم هو حصر الضرر فى جزء واحد من المنطاد اذا أصيب اثناء الطيران خوفا من تلفه جميعه كما حصل للمنطاد المشئوم (ريببليك)

اغلفة المناطيـد

يصنع غلاف المنطاد الخارجي من نوع من القماش تصنعه شركة الاطار المعروفة باسم كونتننتال وهو يتركب من أربع طبقات بعضها فوق بعض الاولى تصنع من القطن الممزوج بكرومات الرصاص الاصفر لمنع نفوذ أشعة الشمس والثانية من المطاط والثالثة من القطن المعتاد والرابعة من المطاط ايضا لحماية القطن من تأثير غاز الايدروجين وتزن الياردة المربعة من هذا القماش عشرة اوقيات ويتحمل القدم المربع منه ضغطا لا يقل عن الف رطل

توزيع الحمل على المنطاد

من الضروري أن يكون الحمل فى المنطاد موزعا توزيعاً منتظما على طوله خوفا من انهدام الجراب بسبب إختلال الموازنة ولمنع ذلك فى المناطيد الحديثة يبنى الهيكل المعدني على طول قاع المنطاد ويوزع عليه الحمل والآلات بالتساوى ثم تثبت عليه الريش وفى ذلك مزية أخرى لان نقطة تأثير الريش تكون فى هذا الوضع مقابلة لمركز ضغط الهواء بخلاف البالونات القديمة فان نقطة تأثير الريش فيها تكون أسفل مركز ضغط الهواء فيتمرجح البالون ويقل الانتفاع بالآلة المحركة

توازن المناطيد

السبب الاكبر فى إختلال موازنة المناطيـد هو تغير ضغط الهواء الجوى وتأثير التيارات الهوائية التى تتبع المنطاد اثناء صعوده وهبوطه وهروب الغاز من جانب دون الآخر وتحرك الاشخاص من جهة لأخرى فكل هذه العوامل تكون سبباً فى تمرجح المنطاد ولكن قد يقل تأثيرها اذا كان مركز الثقل فى نقطة قريبة من قاع المنطاد أو على الاقل يمكن تخفيف هذا التأثير بواسطة وضع أثقال متحركة أو تثبيت سطوح أمامية وخلفيه لتساعد على الصعود والهبوط بدون صعوبة كما فعل ذلك (رينارد) فى تجاربه الاولى وكما هو متبع الآن فى أغلب المناطيد ولكن يفضل فى بعضها استعمال بالونات صغيرة اسطوانية تثبت فى الخلف بدل هذه السطوح وعلى كل حال فان مسألة التوازن ترجع بالاكثر لمهارة قائد المنطاد

تاريخ المناطيد وعصر تقـدمها

أول من صنع منطادا يسير بنفسه هو (هنرى جيفارد) مخترع الانجكتر وكان ذلك فى سنة ١٨٥٢ وقد وضع فيه آلة بخارية قوتها ٣ أحصنة ووزنها ٤٦٠ رطل وطار به في باريز بسرعة لم تزد عن ١٢ كيلو متر فى الساعة

ثم أتي بعده (ديبوى دى لوم) فبنى منطادا للحكومة الفرنساوية فى حرب السبعين واستبدل فيـه الآلة البخارية بقوة ثمانيـة رجال يديرون ريشة قطرها ثمانية أمتار

وفى سنة ١٨٨٤ بنى الكبتن (رينارد) بالونا كان أكثر اتقانا من سابقيه وضع فيه محركا كهربائياً قوته ٩ أحصنة يشتغل ببطارية من الاعمدة الثانوية وقد نجح فى مواجهة الرياح القوية ومقاومتها بسرعة ٨ كيلو مترات فى الساعة فشعر الجميع من ذلك الحين بقرب نجاح المناطيد

ثم ظهر بعد ذلك المهندس البرازيلي (سانتوس دومونت) و بنى منطادا حاز به جائزة نادى الطيران بباريز حيث دار حول برج ائفيل على مسافة بعيـدة فزاد إهتمام الناس بالمناطيد

و بينما كان هذا المهندس يجرى تجاربه فى باريز كان مخترع آخر يدعى الكونت (زبلين) يجرب منطاده الاول على بحيرة كونستانس وكان طول هذا المنطاد ٤٣٠ قدم وقطره ٤٠ قدما وهو منشورى الشكل مقسم ١٧ قسم كل منها منفصل عن الآخر بحاجز من الألومنيوم (انظر شكل ١) وفى قاع المنطاد قاعتان لآلتـين كبيرتين لايشتغل منهما غير آلة واحـدة والاخرى احتياطية لاستعمالها وقت الضرورة

ثم بنى الكونت بعد ذلك منطاده الثانى ويمتاز عن الاول بالكبر والاتقان فجربه سنة ٩٠٦ فوقفت آلاته فى وقت غير مناسب فدفعته الريح للارض فتحطم

فاضطر المخترع بعـد ذلك أن يبنى منطاده الثالث فجاء أضخم من سابقيـه و بلغت قوة كل آلة من آلتيه ١١٠ حصان وحمـل ١١ رجل مدة ساعتين وربع وقطع بهم اكثر من مئة كيلو متر

ثم بني منطاده الرابع بمساعدة حكومته فأتمه سنة ٩٠٨ وقطع به ما يقرب

من ٤٠٠ كيلو متر في ظرف ١٢ ساعة وسافر به في مناطق نهر الرين وفي ختام الرحلة حصل للمحركات خلل وهرب الغاز فاضطر للهبوط ولكنه صادم الارض بقوة تسبب عنها اشتعال البترول فاحترق المنطاد بأكمله فحزن المخترع عليه وعلى نفاذ ماليته فتبرع له الاهالى بمبلغ ثلث مليون جنيه بني بها منطاداً آخر فاق المناطيد السابقة لانه قطع ٩٠٠ كيلو متر في مدة ٣٨ ساعة ومن ذلك الحين اهتم الكونت بتحسين منطاده

المناطيد الفرنساوية

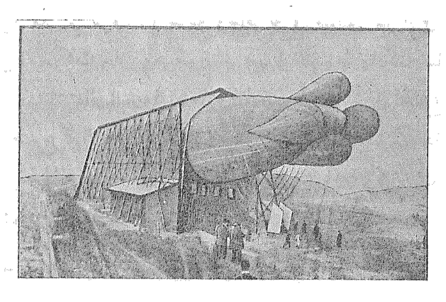
أشهر المناطيد الفرنساوية التى صنعت هو المنطاد لى (باتري) سنة ٩٠٧ طوله ٢٠٠ قدم وقوة آلته ٧٠ حصاناً وكان يطوف كثيراً حول باريز وأخيراً قام منها الى فردون وبعد وصوله أخذته عاصفة قطعت حباله وطار نحو السماء ولم يعلم مقره بعد ذلك

ويأتى بعده المنطاد (ريبليك) ويشبه السابق كثيراً ولكنه يزداد عنه فى الحجم وقد قام برحلات كثيرة واشترك فى مناورة الجيش الفرنساوى سنة ٩٠٩ ولكنه لسوء الحظ طارت من ريشته قطعة ثقبت الغلاف الخارجى فهرب الغاز وسقط المنطاد فقتل من فيه

مناطيد (كليمنت)

أنشأ هذا النوع من المناطيد المسيو كايمنت صاحب فابريقة السيارات الشهيرة وقد أتم صنع منطاده الاول سنة ٩٠٨ وطوله ٥٧ متر وقطره ١١ وله في الخلف أربع بالونات على هيئة الكمثرى لعمل التوازن كما فى (شكل ٢)

وأما المنطاد الثانى فهو من النوع ذى العربة المعلقة ويعتبر أكبر منطاد من نوعه طوله ٣٠٠ قدم وبه آلتان قوتهما ٢٢٠ حصان يديران ريشتين من الخشب منصوبتين على جانبى عربته وهذا المنطاد أظهر قدرة كبيرة في الحمل فقد أمكنه أن يحمل ٢٥ شخصاً بلوازمهم خلاف البنزين لمسافة ١٠٠٠ كيلو متر بسرعة ٧٥ كيلو متراً فى الساعة وهذه القدرة تجعله يضارع مناطيد زبلين

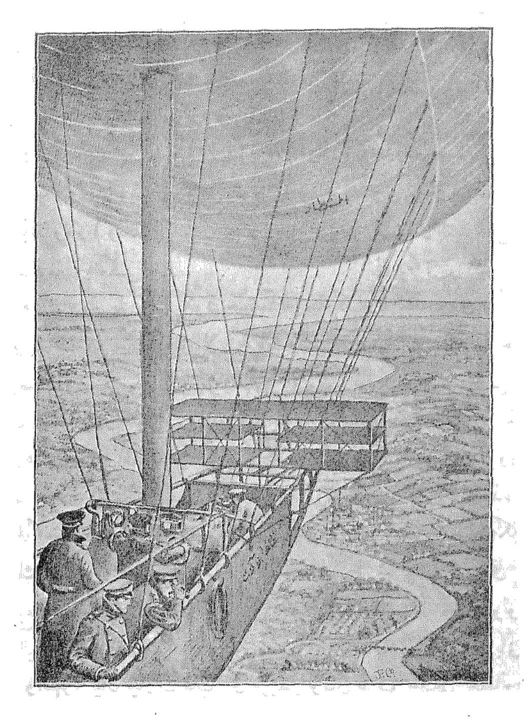


(شكل ٢)

استعمال المناطيد فى الحروب

تستعمل المناطيد في الحروب للاستطلاع ولا يخفى أهمية معرفة مركز العدو عند قواد الجيوش ولو ان المناطيد الحالية ليست كاملة من هذا الوجه لضعفها عن مقاومة العواصف الشديدة على انها لا تخلو من بعض الفائدة فى أيام الصحو والمناطيد شديدة التعرض لنيران المدافع ولكن يمكن توقى هذا المحذور بالطيران فى المناطق العالية التى تبعد عن الارض بأكثر من ٦٠٠٠ قدم ويمكن للمستطلعين أخذ الملاحظات بدون خطر وهي على هذا البعد كما هو ظاهر من (شكل ٣)

وقد ظهر للمنطاد وجه آخر من وجوه الاستعمال وهو قذف المفرقعات على الجيوش ومحاربة الطيارات بواسطة المدافع السريعة المركبة عليها الا انه يسهل مطاردتها والتفوق عليها بالايروبلانات الخفيفة لسرعتها وصغر حجمها



(شكل ٣)

الالكتروكارديوغراف

الالكتروكارديوغراف هو جهاز الغرض منه تسجيل دقات قلب الانسان بالتيارات الكهربائية التي تخرج منه حيث ظهر من التجارب التي عملت على قلوب الحيوانات المختلفة وأخصها الضفادع والسحالف أن قلوب الحيوانات بعد انفصالها من الأجسام تمكث مدة من الزمن تبعث تياراتاً كهربائية متقطعة يسهل ملاحظتها بالالكتروكارديوغراف

وهذا الجهاز يتركب من ثلاثة أجزاء (أولها) جلفانومتر حساس يشعر بهذا التيارات (وثانيها) قوس كهربائي ذو ضوء شديد لتصوير تأثير هذه التيارات في الجلفانومتر (وثالثها) حوض ممتلئ بالماء الحامض لانتقال التيار من الجسم للجلفانومتر وبالعكس

فالجلفانومتر يلزم أن يكون حساساً لدرجة كبيرة كجلفانومتر (أنثوفن) وهو يتركب من سلك دقيق لا يزيد قطره عن جزء من عشرة آلاف جزء من البوصة ويصنع من الكوارتز المفضض ويوضع بين قطبين لمغناطيس صناعي قوى فعند مرور التيارات القلبية فيه يتولد حولها ساحة مغناطيسية ينتج من تأثيرها على ساحة المغناطيس السابق حركة جزئية لا تمكث إلا مدة مرور التيار فقط وبعد انقطاعه يرجع السلك لحالته الأولي وقد يسهل رؤية هذه الحركة مهما كانت ضئيلة بتوجيه ضوء القوس الكهربائي من خلال عدسة مكبرة الى السلك فيتكون له ظل يقع داخل علبة مظلمة على شريط فوتوغرافى حساس تنطبع عليه صورة السلك عند تحركه وقد يمكن أخذ سلسلة صور فوتوغرافية متوالية بواسطة لف الشريط على بكرة تدور بعدة ساعة أو محرك كهربائى صغير

ولسهولة بيان تيارات قلب أى مريض يوصل طرف سلكى الجلفانومتر الى الصدر الأول جهة قمة القلب والثانى أسفلة أو يوصلا لا نائيين ممتلئين بالماء الحامض يضع فيهما المريض يديه فيخرج التيار من قلبه ليده ويمر بالماء الى الجلفانومتر ثم يرجع منه عن طريق الاناء الآخر الى القلب وقد يجوز فى هذه الحالة وضع الجلفانومتر على مسافة بعيدة من المريض ربما تزيد عن عشرات الكيلومترات ليراقب الطبيب الأدوار التى تعتري المريض وهو على مسافة بعيدة منه

الاسمنت المسلح

لو تأملنا في طريقة البناء اليوم لوجدناها لا تختلف كثيراً عن الطريقة التى كان يتبعها أجدادنا في الزمن الغابر وتتلخص فى تركيم الأحجار بعضها فوق بعض محشوة بالمونة وهـذا العمل يعتبر فى نظر المهنـدس ناقصاً بالنسبة لكثرة المادة المستعملة وضرورة استخدام عدد كبير من الأيدى العاملة هـذا فضلاً عن ملأ جزء كبير من الأراضى الثمينة ولا تقتصر المسألة على ذلك بل هناك خطر من هبوط الأرض تحت مواضع مختلفة من البناء

فلهذه الأسباب بحث المهندسون فى إزالة هـذه العيوب مراعين الاقتصاد فاستعانوا بأعمدة الزهر فى حمـل السقوف ورفع العقود ولكنهم وجدوا لهـا نقائص من حيث سرعة الانقصاف عند الشد

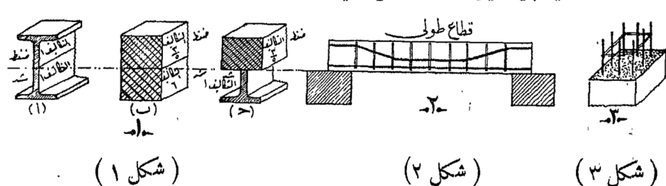
ففكروا بعد ذلك فى استعمال الصلب الطرى لصناعة الكمر من جميع أنواعه وأخيراً أضافوا اليه خرصانة الأسمنت وسموا ذلك الأسمنت المسلح وتعمل هذه الخرصانة باضافة قطع الأحجار الصغيرة والرمل والزلط الى الأسمنت وكيفيـة صناعة هـذا الأخير هو أن يحرق الطفل مع الحجر الجيري ثم يسحق المخلوط سحقاً جيداً فيصير أسمنتاً إذا مزج بالماء يتجمد ويتحول إلى كتلة صخرية

وقد ظهر أن خرصانة الأسمنت تزيد متانة بمر الأيام بخلاف جميع مواد البناء الأخرى وأن الصلب المدفون فيها لا يصاب بتلف مطلقاً بخلاف الصلب المعرض للحالات الأخري فانه يتعرض للتلف مهما أحيط بأنواع البويات والدهان

والمعتـبر فى خرصانة الأسمنت المسلح أن الضغط تتحمله الخرصانة وحدها وأما الشـد فيقع على الصلب والسبب فى ذلك هو ضعف الخرصانة عن مقاومة الشد وبناء على ما سبق لو اعتبرنا أن الصلب يتحمل الضغط ٣٠ مرة أكثر من الخرصانه فانه في الوقت نفسة يتكاف ٥٠ مرة أزيد منها وبذلك تكون الخرصانة نفسها أوفر سن الصلب بمفرده بمقدار $\frac{٣}{٥}$ وذلك فى حالة الضغط فقط وأما فى حالة الشد فان الأمر بعكس ذلك لأن الصلب يتحمل ٣٠٠ مرة كالخرصانة ويزيد عنها فى

التكاليف ٥٠ مرة وبذلك يكون أوفر منها بمقدار السدس

وقد يسهل تمثيل ذلك بالشكل المبين فالجزء ا (شكل ١) يمثل كمرة من



(شكل ١) (شكل ٢) (شكل ٣)

الصلب الخالص نصفها العلوى واقع تحت ضغط والسفلى تحت شد كما هو الحال فى الأعتاب وفى كل من النصفين نعتبر ان التكاليف وحدة وأما الجزء ب فيمثل كمرة من الخرصانة الخالصة استبدلناها بالاولى نصفها المضغوط يتكلف $\frac{3}{6}$ الوحدة وأما المشدود الذى يقوم مقام الكمر فيتكلف ٦ أضعاف الوحدة فتصير التكاليف الكلية زيادة عن ثلاثة أمثال الحالة الاولى وأخيراً يأتى الجزء حـ وفيه النصف المضغوط وهو مصنوع من الدكة ويتكلف $\frac{3}{6}$ والمشدود من الكمر ويتكلف وحده وبذلك لا تزيد التكاليف الكلية عن $\frac{4}{6}$ الحالة الاولى فمن هذا الوجه نعتبر هذه الحالة أوفر الحالات وأصلحها ولكن طبعاً لا يمكن تطبيق ذلك عملياً بشكله الحالى بل يصنع النصف العلوى للعتب من الخرصانة الخالصة والسفلى من الخرصانة المسلحة بقضبان الصلب المتجاورة لتقوم بتحمل الشد ولكن بالنسبة لتقوس القوى الواقعة داخل الكمرة فلا يستحسن وضع الصلب فيها مستقيما بل يوضع على حسب طريقة المستر (هينبيك) المبينة فى (شكل ٢) والقضبان السفلية فيها مستقيمة والعلوية منحنية وبين بعض القضبان وبعضها قطع مشكلة بشكل حرف u الغرض منها حمل جزء من الشد وأيضاً لربط الاجزاء الواقعة تحت القوى المختلفة بعضها ببعض

خواص الاسمنت المسلح المهمة

للاسمنت المسلح ثلاثة خواص طبيعية مهمة يتوقف عليها نجاح خلط الاسمنت بالصلب وتكوين كتلة صخرية منهما

فالخاصية الاولى هى خاصية التصاق الصلب بالاسمنت التى لولاها لفقد الاسمنت المسلح أعظم مزاياه فقد ظهر من التجارب ان الصلب بعد وضعه في الاسمنت يلتصق به التصاقاً جيداً ولا ينفصل عنه إلا بقوة قدرها ٨٠٠ رطل لكل بوصة مربعة من سطح الالتصاق وعلى ذلك فلا يوجد هناك خوف مطلقاً من انفصال الصلب

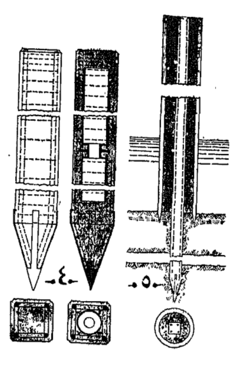
وأما الخاصية الثانية فهى خاصية التساوى فى التمدد الحرارى ولذلك أهمية كبرى لانه لو تمدد الصلب زيادة أو أقل من الاسمنت عند اختلاف درجة الحرارة لانفصل الاول عن الثانى وضاع التماسك بينهما

ثم يأتى بعد ذلك الخاصية الثالثة وهى خاصية التساوي فى التمدد تحت تأثير قوة الشد عليهما وبالأخص فى الجزء الاسفل من الاعتاب فقد ظهر من التجارب ان الاسمنت يتمدد ١٥ مرة بقدر الصلب اذا وقع الاثنان تحت تأثير قوة واحدة وعلى ذلك فان الاسمنت يتشقق عادة فى الاجزاء الواقعة تحت الشد ولكن ذلك لا يخيف مطلقاً لأن الصلب هو المعتمد عليه دائماً فى تحمل قوى الشد فى تصميم أعتاب الاسمنت المسلح ولو كان العتب مصنوعاً بدون صلب فيه لانكسر بشد لا يزيد عن ٢٠٠ رطل على البوصة المربعة وأما وجود الصلب فيزيد متانته ويجعله يتحمل لغاية ٢٠٠٠ رطل على البوصة مع العلم بأن عتب الاسمنت الخالص يهوي دفعة واحدة بدون انذار بخلاف المسلح فانه يشقق أولا وعند رفع الحمل عنه يسترد شكله ويصير بهذه الخاصية من المواد المرنة

أعمدة الاسمنت المسلح

كما ان الاسمنت المسلح له فضل كبير فى صناعة الاعتاب فانه يصلح كثيراً فى بناء الأعمدة المحملة طولياً بالتوازى لمحورها وكيفية صناعتها هو أن يصب الاسمنت حول عمدان في الصلب مرتبطة بعضها مع بعض بمربعات من السلوك متجاورة من الاول الى الآخر كما هو واضح من (شكل ٣) والغرض من هذه المربعات هو حفظ استقامة العمود ومنع تقوس الاسمنت فيه وقد يمكن صناعة أعمدة من هذا النوع تحمل لغاية ٢٥ ألف طن كما فى عمارة عموم مصلحة البوستة

بلندن وكذلك يمكن صناعة خوازيق كالمستعملة فى الاساسات وانما تمتاز عن الاعمدة السابقة بمتانة رأسها لتتحمل دق الآلات عليها وبتسليحها بسن من الصلب لسهولة اختراق طبقات الارض كما هو ظاهر من رسم (شكل ٤) وكثيراً

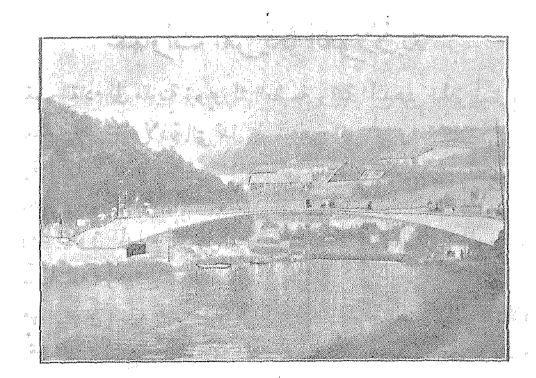


(شكل ٥)   (شكل ٤)

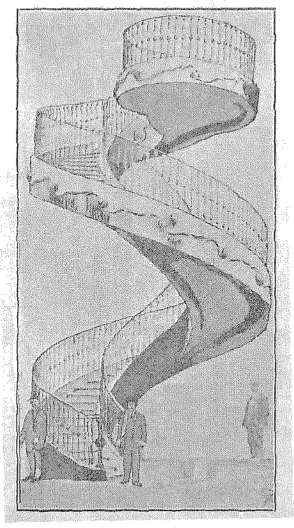
ما يقتضى الامر اقامة أعمدة في الانهر وسواها ففى هـذه الحالة يصلح استعمال الاسمنت المسلح وكيفية ذلك هو أن يدق أولا عمود من الصلب (انظر شكل ٥) ثم يحاط باسطوانة من الاسمنت المسلح تنفذ قليلا في الارض وبعـد ذلك يملأ الفضاء بخرصانة الاسمنت فتصير المجموعة عبارة عن عمود متين يصلح لحمل الاثقال الكبيرة

استعمال الاسمنت المسلح

كثر استعمال الاسمنت المسلح في المدة الاخيرة لدرجة كبرى بالنسبة لمتانته وسهولة صناعته بصبه فى قوالب خشبية بالشكل المراد عمله وعلى ذلك فهو يستعمل الآن فى صناعة الارصفة والخزانات والسفن ورواقد السكك الحديدية وأعمدة التلغراف والقلاع ودروع السفن وغيرها وفى شكلى (٦و٧) مثلان جميلان من صناعة الاسمنت المسلح



(شكل ٦)

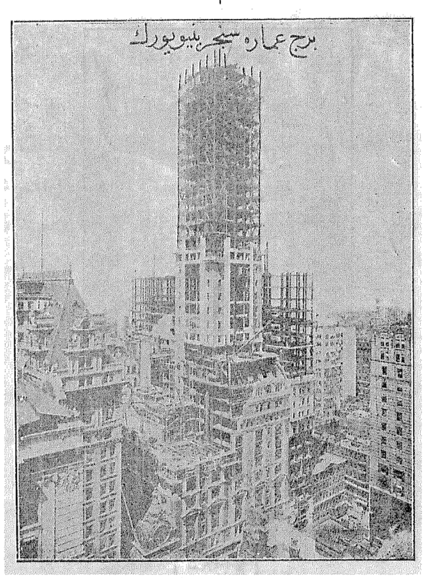


(شكل ٧)

عمارات أمريكا الفولاذية

يقف القادم الي مدينة نيويورك العظيمة وقفة المندهش الحائر لعظم ما يراه من فخامة عماراتها الفولاذية التي تدل على منتهى القوة والبراعة كما تدل على قدرة الجبابرة في اقامة تلك الصروح الشاهقة التي تناطح بعلوها السماء وتغور بقممها في فلكها الواسع الارجاء

وقد تكون الموانع الطبيعية التي حالت دون توسيع نطاق المدينة طولا وعرضاً بالنظر لازدياد سكانها المتواصل هي التي دفعت بجماعة المهندسين الي توسيعها ارتفاعاً سيما وقد رأوا ان قيمة الارض قد ارتفعت الى الحد الاقصى وبلغ ثمن القدم المربع منها في جهة « مانهاتن » ١٢٠ جنيهاً كما أنفق مليون جنيه في وضع الاساس الحديدي للبناء العظيم المقام عليها وهو الذى ترى صورته هنا



(شكل ١)

واذا كان من الصعب تشييد عمارة من هذا القبيل بالحجر والقرميد فمن السهل اقامتها بالفولاذ والحديد

فمساحة قاعدتها عشرة فدادين وارتفاعها ٦١٢ قدماً وتحتوي على ٦٣ طبقة ويقطنها عدد كبير من الناس يكفي لاحياء مدينة . واذا أضفت الى كل هذا ما تشتمل عليه العمارة من المعدات والادوات فانك تراها مدينة كاملة بكل معانى الكلمة ففيها المراجل البخارية للتدفئة وتحريك المولدات الكهربائية للاضاءة وفيها طلمبات الماء ومراوح التهوية والانابيب المفرغة لسحب الاقذار والفضلات من جميع الطبقات وحملها الى مكان مخصوص وفيها فى كل مسكن تليفون وأنابيب لتبريد الماء وأجهزة لتقطيره وصندوق للبريد يتصل بمصرف عمومي يجتمع فيه كل الخطابات . هذا فضلا عن الروافع الكهربائية العديدة التى تخترق كل أماكن العمارة ليسهل على كل المقيمين الصعود والنزول بسرعة

أنواع العمارات الفولاذية وسرعة بنائها

والعمارات الفولاذية نوعان نوع تبنى فيه الحيطان الخارجية كالمعتاد ثم يركب فى داخلها هيكل كبير من الفولاذ يربط القاعدة بالقمة ويحمل جميع الحيطان الداخلية والسقف وما شاكلها ونوع يشيد كله من الصلب بما فيه الحيطان الخارجية ويحاط بطبقة رقيقة من البناء والاسمنت لتحميه من غارات الجو وتجعله أكثر صلاحية للسكنى . ويفضل هذا النوع الاخير عن العمارات الاعتيادية لانه أكثر سعة منها بالنسبة لرقة حيطانه . أما سرعة بناء تلك العمارات الفولاذية فحدث عنه بما شئت لاننا اذا أردنا مثلا أن نبنى عمارة من هذا القبيل فما علينا بعد تثبيت هيكلها الفولاذى الخارجى إلا بناء الحيطان والسقف كلها مرة واحدة وذلك بتكليف كل فريق من العمال بالعمل فى سقف طبقة واحدة مع بناء حيطانه أما في المبانى الاعتيادية فلا يمكن القيام بهذا العمل لانه يلزم أولا رفع الحيطان على الاساس بالتدريج وبعد أن يتم تشييدها تقوم مرة أخرى وهكذا في كل طبقة من طبقات البناء . وبناء على ذلك لا يمكن أن يشتغل فى هذه العمارة غير عدد قليل من العمال يصرفون زمناً كبيراً فى نهو أعمالهم كما هو المشاهد والمعروف

طريقة اقامة العمارات الفولاذية

أما كيفية اقامة العمارات الفولاذية فبسيطة حيث تنتخب أولا قطعة الارض المراد اقامة العمارة عليها ثم يبـدأ المهندس فى رسمها وتقسيمها ومعرفة أطوال الكمر والاعمدة والاعتاب وحساب قوى الشد والضغط وغيرها من الحسابات الكبيرة المهمة التى تحتاج الى عناء عظيم لأن أقل خطأ فيها ربما يؤدى الى سقوط العمارة بعد انشائها والى هلاك عدد كبير من الناس

واذا ما أتم المهندس عمله وزعت نسخ من رسمه على المهندسين الملاحظين وعلى البنائين والعمال ثم يبدأ فى حفر الاساس وكل الصعوبة فى ذلك لانه لا بد من الوصول الى الطبقة الحجرية لتكون قاعدة للعمارة وهـذه الطبقة كثيراً ما تكون على عمق كبير من سطح الارض فيضطر المهندسون الى الاستمرار فى الحفر والتغلب على الصعوبات التى تقابلهم حتى يصـلوا الى العمق المطلوب ولو بعد ٢٠٠ قدم

وبعد الانتهاء من اقامة الاساس يبدأ بتنصيب الاعمدة عليه بكل دقة لتتحمل الاثقال الدائمة كالحيطان والسقف والاثقال المتحركة كالاشخاص والمنقولات ثم تقوم العيارات بحمل القضبان والفولاذ والاعتاب وسواها فيستلمها العمال ويثبتونها في مواضعها ويبرشمونهـا بكل سرعة ويستمرون هكذا فى عملهم الى أن يصلوا الي الطبقات الاخـيرة وهذه تحتاج الى مهارة وبراعة لان كثيرين من العمال لم يتعودوا قبـل اليوم أن يتسلقوا الى هذا العلو الشاهق على نهاية الكمر والاركان الحادة ومع ذلك تراهم يشتغلون بكل حذر واحتراس ويتأنون كثيرين في وضع المواد وتناولهـا لان سقوط قطعة ما ولو صغيرة من هـذا العلو العظيم تكفى لاحداث خطر كبير . وقد سقطت يوماً قطعة حديدية من يد عامل كان يشتغل فى الطبقة التاسعة والثلاثين فوقعت على سقف عربة من عربات الترام فاخترقتـه ومرت منه الى أرضية العربة حتى وصلت الى الارض فغارت فيها

ولنرجع الآن الى ما كنا فيـه فنقول بينما يكون تركيب الفولاذ قائماً على ساق وقدم يكون كل فريق من العمال منهمكا في عمله فهذا يقيم الحيطان والسقف

وذاك يركب الابواب والنوافذ وهؤلاء يمدون أسلاك الكهرباء وهكذا يظهر العمل دفعة واحدة فى كل أنحاء العمارة . وكثيراً ما تنتهى الطبقات العالية وتصير صالحة للسكنى قبل الطبقات الارضية . وبالاجمال فان العمارة تشيد في وقت قصير لا يزيد عن ستة شهور

تأثير الزلازل والحرائق والزوابع على هذه العمارات

كثيراً ما تصاب مدن الولايات المتحدة بارتجاجات شديدة عقب زلزال عنيف واذا كان أشد هذه الارتجاجات خطراً هو الهزات الافقية لانها تفكك المونة في المبانى الاعتيادية وتفرق القوالب عن بعضها تفريقاً يخل الحيطان ويهدم العمارة كلها رأساً على عقب فان تلك الارتجاجات لا تستطيع اتيان مثل هذا التفكك والخلل في العمارات الفولاذية وغاية ما في الامر انها تؤثر على الاعمدة فتجعلها تميل عن وضعها الرأسي واذا عرفنا ان هذا الميل يولد ضغطاً شديداً على الروابط والاركان فاننا نعرف أيضاً ان هـذا الضغط يتوزع بالتساوى على جميع النقط المهمة فى أنحاء العمارة فلا يحدث خطراً ما

أما من جهة الحريق فقـد دلت جميع الحوادث على ان العمارات الفولاذية أكثر أماناً وأقل تعرضاً للنيران من العمارات الاعتيادية خصوصاً اذا كانت القضبان الفولاذية مغلفة من الخارج بطبقات من الاسمنت والابواب والنوافذ مصنوعة من المعدن

وفوق ذلك فقد أثبت الكشف الذي أجرى على العمارات الفولاذية القديمة ان الزمن لم يؤثر على فولاذها أقل تأثير بل لم تغير الرطوبة والاحماض الموجودة داخل مواد البناء من شكله والفضل في ذلك كله راجع الى التحوطات الشديدة التى اتخذت لمنع هـذا الضرر بتغليف القضبان من الخارج تغليفاً تاماً باسمنت بورتلاند الجيد مع ابعاد أنابيب المياه والبخار والغاز وغيرها عن القضبان ووضعها فى مجار معزولة عزلا كاملا

بقيت مسألة مهمة وهي الضغط الشديد الذى ينشأ على واجهة العمارة العالية عند هبوب الزوابع التى تصـل سرعة ريحها أحياناً الى ٧٠ ميلا فى الساعة ولما

كانت هـذه الرياح تؤثر بضغط قدره ٣٠ رطلا على كل قدم مربع من واجهة العمارة فيكون مقدار الضغط الكلى الواقع على كل الواجهة التي تبلغ مساحتها آلاف الاقدام المربعة هائلا جداً لذلك اتخذوا تحوطات من شأنها مقاومة ذلك الضغط بتدعيم الحيطان من الوراء بكمر من الفولاذ العريض يثبت بين الحائط وبين أعمدة العمارة الرئيسية وسقفها أو بتدعيمها بعقود تبرشم فيها

وأكبر العمارات الفولاذية الآن هي عمارة شركة التأمين على الحياة المعروفة « بالمتروبوليتان » فان طولها يبلغ ٤٢٥ قدماً وعرضها ٢٠٠ وارتفاعها ٧١٥ وهو ارتفاع لم يصل اليـه كل بناء بناه الانسان الى الآن حتى ان سكان طبقاتها العاليـة يشاهدون الشمس في غروبهـا بين تكون أحياء المدينة كلها في ظلام كاحل كأنهم يتمتعون بالهواء النقى الخالى من الغبار وبالراحة التامة حيث لا يسمعون ضجيجاً ولا يرون ذباباً ولا هواماً

وتمتاز هذه العمارة العظيمة بوجود ساعة كبيرة مركبة عليها تعد أكبر ساعات العالم حيث يبلغ قطر مينتها ٢٥ قدماً وهى تضاء ليـلا بنور ساطع يظهر منهـا شعاع أحمر عند كل ربع ساعة وشعاعين أبيضين عند النصف وثلاث أشعاع عند الثلاثة أرباع الساعة وشعاع واحد منير عنـد كمالها وأما في النهار فتدق أربعة أجراس مختلفة لتبين المواعيد السابقة

على ان المهندسين لم يكتفوا بضخامة هذه العمارة واعلائها الى حد لم تصـل اليه عمارة أخرى بل أخذوا يوالون همتهم لبناء ما هو أضخم وأعظم ارتفاعاً منها وفعلا طلبت شركة « ايكويتابل » للتأمين على الحياة أن يشيدوا لها عمارة ذات ٦٢ طبقة ويكون ارتفاعها عن سطح الارض ٩٠٩ أقدام . واذا صدقنا قول البعض من أولئك المهندسين فاننا سنسمع بعد قريب بعمارات يصل ارتفاعها الى ألفى قدم مع عدم الاخلال بقوانين الحـكومة التى تشترط عليهم أن لا يحمل القدم المربع من الاساس أكثر من ١٥ طناً

القوة الهائلة التى تحويها ماء الشلالات

شلالات (نياجرا)

شلالات (نياجرا) هى شلالات عظيمة واقعة بين بحيرتى (ارى) و (أنتاريو) بامريكا الشمالية ومساحة البحيرة الاولى عشرة آلاف ميل مربع وتعلو عن سطح البحر بمقدار ٥٦٥ قدما ومساحة الثانيـة ٧٥٦٠ ميلا مربعا وتعلو بمقدار ٢٣٢ قدما ويأتيها الماء من البحيرة الاولى بعـد أن يمر في طريقه على شلالات نياجرا ويسقط منها بنسبة ٢،٥ الف قدم مكعب في الثانية الواحدة من ارتفاع قدره ٣٠٠ قدم وعلى ذلك اذا حسبنا القوة الناتجة من سقوط هذا الماء بواسطة قوانين سقوط الاجسام نجـد أنها تزيد عن مليون حصان بخارى وهذه القوة الهائلة أكبر مما يمكن الحصول عليـه من احتراق كل الفحم الذى يستخرج سنويا من مناجم الولايات المتحدة باجمعها

وقد كانت هذه القوة العظيمة في السنين الماضية أمام الانسان يراها ويخاف منها ولا يجسر من التقرب اليهـا ثم تحول خوفه الي عجب والآن شعر باحتياجه اليها فاخذ يستخدمها فى منافعه العمومية وأول من نجح فى ذلك شركة أمريكانية تحصلت على امتيازات من حكومة الولايات المتحـدة لتركيب آلات تدور بقوة هـذا الماء قوتها ٢٠٠ الف حصان حولتها الى قوة كهربائية وأرسـلتها الي جميع الانحاء المحيطة بها لادارة آلاتها وقد أوصلتها أولا الى مدينة (بفلو) على بعـد ٣٥ كيلو مترا من الشلالات وهناك سيرت بها القطارات والترموايات وأنارت الاحياء كما أن المدينة استبدلت جميع آلاتها البخارية بمحركات كهربائية فابطلت جميع آلات البخار مع أن ثمن الفحم هناك كان لايزيد عن ريالين لـكل طن

بعد ذلك أرسلت الشركه قوتها الـكهربائية لجميع المدن مدينة بعد أخرى حتى أوصلتها الى مدينة (سراكوس) فى الشرق ومدينة(تورنتو)في القرب والمسافة بينهما ٤٠٠ كيلو مترا ولم تكتف بذلك بل نصبت آلات لطحن الغلال ولصناعة

الورق ولاستخراج المواد الكيماوية من مركباتها وبالجملة جعلت المناطق المحيطة بالشلالات من أعمر بقاع الارض وأوسعها تجارة وأكبرها صناعة

وقد رأت الشركة بعد ذلك أن تقيم آلات أخرى تدور بالماء لتزيد قوتها وفعلا أوصلتها الآن الى ٤٠٠ ألف حصان

ونظراً لما لاقته هذه الشركة من النجاح العظيم تألفت جملة شركات أخرى على ضفتي الشلالات ونصبت آلات مائية كبيرة ذات قوة هائلة

كيفية استخدام سقوط الماء

الآلات التي تدور بقوة سقوط الماء تسمى بالتربينات المائية وهذه التربينات موضوعة أسفل الشلال على بعد ١٧٠ قدماً والماء يصل اليها بواسطة مواسير رأسية كبيرة قطرها أربعة أمتار وعند مروره داخل التربينات يحركها فتدور وتدير معها مولدات كهربائية رأسية تخرج تياراً ذات ضغط عالي قدره ٥٠٠٠٠ فولت ولسهولة التخلص من الماء بعد نجاز عمله في التربينات حفروا له قناة عظيمة يجرى فيها حتى يصل للنهر ثانياً في نقطة تبعد عن الشلال بمسافة سبعة آلاف قدم تقريباً وكل تربين من التربينات السابقة يلف ٢٠٠ لفة في الدقيقة ويعطي ١٢٠٠٠ حصان لان الماء يمر فيه بنسبة مئة ألف جالون في الدقيقة الواحدة

وهذه القوة فضلا عن استعمال جزء كبير منها في الاضاءة والنقل فانها تستخدم بكثرة في صناعة المواد الكيماوية كعمل الصودا الكاوية ومركبات الكاور واستخراج الالومنيوم وخلاف ذلك .

ومعدن الالومنيوم كثير الانتشار في الكون لانه موجود في كل أنواع الطفل وكان يستخلص بطرق شاقة ومتعبة وغالية لصعوبة فصله من المواد المتحد معها وأول من استخرجه بالطرق الكيماوية هو (وهلر) وكان يتكلف معه الرطل ٢٠ جنيهاً وبقى كذلك حتى سنة ١٩٠٠ حيث كثرت الكهرباء ورخصت فجربوها في صناعته فنجحوا وهبط ثمن الرطل الى خمسة قروش

ومعدن الالومنيوم مشهور بخواص خاصة به أهمها خفته ومتانته ولذلك فهو يستعمل بكثرة في السيارات والطيارات على العموم وأيضاً تصنع منه الاواني المنزلية وأدوات الزينة بالنسبة لسهولة تهذيبه وأما في ميدان الكهرباء فمعدن

الالومنيوم له أهمية كبرى فهو موصل جيد متين خفيف يمكن استعماله بسهولة في نقل التيارات ذات الضغوط العاليـة لرخصه وقلة مصاريف حوامله ويصنع الالومنيوم بوضع أوكسيد الالومنيوم النقى (ألومينا) (ويحضر بمعاملة هيدرو أكسيد الالومنيوم وهيدرو أكسيد الحديد بالصودا الكاوية) فى فرن كهربائى شديد الحرارة وهذا الفرن عبارة عن صندوق من الحديد مبطن بالجرافيت يتصل بالقطب السالب للتيار بينما القطب الموجب يربط فى حزمة من قضبان الكربون توضع رأسـية فى الفرن فعند صهر الالومنيا يضاف عليها (الكرئولايت) أى فلورور الصوديوم والالومنيوم ثم يمرر التيار فى المخلوط فيلقى مقاومة كبيرة ينتج منها شدة فى الحرارة ينفصل بسببها الالومنيوم وينزل لقاع الفرن أى لجهة القطب السالب من التيار فيؤخذ من فتحة مخصوصة

والتوربينات المائية نوعان نوع يسمى بتوربين رد الفعل وآخر يسمى بتوربين الاندفاع

والتوربين الاول يتركب من عمود ادارة رأسي مثبت عليـه قرصان كبيران واحد فوق الآخر والمسافة بينهما مقسمة لجملة خانات بعـدد من الريش الرقيقة المقوسة المثبتة فى كل من القرصين

والمـاء يسقط على هذا التوربين ويمر فى طريقه من خلال الخانات وفى أثناء مروره يفقد ضغطه بالتدريج حتى يساوى الضغط الجوى عند نهاية الفتحة التى يخرج منها وبذلك يؤثر بتأثير رد الفعل على الريش ويعطيها حركة دوران مستمرة

وهذا التوربين بالنسبة لخروج الماء منه ينقسم الى ثلاثة أقسام : —

(١) التوربين ذات المجرى الخارجى

(٢) التوربين ذات المجرى الداخلى

(٣) التوربين ذات المجرى الموازى

ففى الاول يدخل المـاء من الوسط ويمر فى الخانات ويخرج من جهة الحافة وأما فى الثاني فيدخل الماء من جهة الحافة ويؤثر على الريش ويخرج من حول المركز وفى الثالث تكون فيه حركة الماء تقريباً موازية للمحور

ولمنع فقد قوة الماء فى دورانه حول نفسه دورانا لا فائدة منه تحاط الفتحة التى يدخل منها الماء بخانات أخرى ثابتة تقابل الخانات المتحركة ويثبت فيها ريش مقوسة أيضاً تسمى (ريش الدليل) وهذه الريش منحنية بشكل يجعل الماء عند تركه اياها ودخوله على الريش المتحركة يؤثر على هذه الاخيرة تأثيراً منتظما بدون اصطدام ويخلص منها براحة تامة

تربينات الاندفاع

هذا التوربين يتحول فيه شغل الماء مباشرة لشغل ميكانيكي بالنسبة لأن ضغط عمود الماء ينقلب الى شغل مؤثر مباشرة قبل وصوله للتوربين

وأشهر أنواع هذا التوربين عجلة (بلتون) وهى عبارة عن عجلة تدور حول محور أفقى مثبت على محيطها عدد من الاوعية الكروية الشكل معدة لاستقبال الماء عليها من نافورة أمامها فيتصادم الماء فيها وهذه الاوعية مقوسة بشكل منحني مخصوص مصمم بكيفية تجعله بانطباقه مع سرعة الدوران يخرج الماء من الاوعية فاقداً كل قوته ساقطاً نحو القاع

فاذا فرضنا ان سرعة الدوران هى نصف سرعة ماء النافورة فقد يمكن فى هذه الحالة الانتفاع بكل سرعة الماء وبذلك لا يخلص الماء من التوربين إلا بقوة ثقله فقط وفى هذه الحالة يكون المحصول ١٠٠ ٪ ولكن ذلك لا يمكن أن يكون لأنه يلزم للماء سرعة ولو صغيرة لتسهل له طريق الخروج من التوربين هذا فضلا عن ان الوعاء الداخل أمام النافورة يزاحم بعض المزاحمة الوعاء الخارج منها ولذلك لا يزيد أبداً محصول التوربينات المائية عن ٨٠ ٪



« تم الجزء الأول ويليه ان شاء الله الجزء الثاني »

فهرست

كتاب الاختراعات الحديثة

صحيفة

صحيفة



الفات نظر

قد حصل خطأ مطبعى فى بعض الكلمات الانجليزية فى الكتاب يمكن إدراكها بسهولة من مراجعة الكلمات العربية المكتوبة بجوارها



صورة مأخوذة عن اللطائف المصورة عدد ٢٤٢

الساقيه الحديثه

اختراع المؤلف

اعــلان

يتشرف المؤلف بأن يعلن الجمهور خصوصاً الذين كتبوا له مراراً عن ساقيته بأنه سيصنع منها كمية كبيرة فى بعض المصانع قريباً ان شاء الله وسينشر مرة أخرى عن ذلك

كتاب



او الاستدلال على اخلاق الناس وقواهم ومواهبهم
وضروب حركاتهم من النظر الى اشكال اعضائهم · وفيه فراسة
الاعضاء والفرينولوجيا وفراسة الامزجة
وفراسة الامم وفراسة الحيوانات
ومقابلتها بفراسة الناس

تأليف

جرجي زيدان

منشىء الهلال

مطبعة الهلال بالفجالة بمصر

سنة ١٩٠١

تاريخ علم الفراسة

الفراسة عند العرب « علم من العلوم الطبيعية تعرف به اخلاق الناس الباطنة من النظر الى احوالهم الظاهرة كالالوان والاشكال والاعضاء أو هي الاستدلال بالخلق الظاهر على الخلق الباطن » . وأما الافرنج فيسمونه بلسانهم (Physiognomy) وهو اسم يوناني الاصل مركب من لفظين معناهما معاً « قياس الطبيعة او قاعدتها » والمراد به هنا الاستدلال على قوى الانسان وأخلاقه من النظر الى ظواهر جسمه

والفراسة قديمة يقال ان هوميروس الشاعر اليوناني كتب شيئاً منها في علم الكف نحو القرن العاشر قبل الميلاد وأنكر بعضهم ذلك . ولكنهم لا ينكرون انه كان على بينة من هذا الفن يستدلون من وصفه ترسيتس . واليك قوله في ذلك نقلاً عما نظمه البستاني من الالياده

سفهٌ له قذف الشتائم ديدنٌ	وخصومة الحكام اقبح خطة
وقحٌ تجاوز كل حد وهو ان	يستضحك القوم استطال ببهجة
لم يرع قط مقامه وغدا بهم	خلقاً وخلقاً شر اهـل الحملة
هو أكبس وأملكٌ افدعُ اعرج	وشعوره كادت تعدٌ بشـعرة
كتفاه قوّستا لخامل صدره	وبصدره لم يحو غـير ضغينة

يريدون انه استدل على اخلاق ترسيتس الباطنة من اوصافه الظاهرة

ولكن ابقراط ابا الطب أشار الى شيء من هذا العلم سنة ٤٥٠ قبل الميلاد مختصراً وهو يعتقد بتأثير العوارض الخارجية على الاخلاق وظهور اثر ذلك في الملامح . وغالينوس اقلوديوس الحكيم اليوناني من أهل القرن الثاني للميلاد كتب فصولاً مطولة في علم الفراسة

ولاحظ آخرون ان المصريين القدماء كانوا على شيء من علم الفراسة بدليل ما قرأوه في بعض قراطيس البردي المكتوبة في عصر العائلة الثانية عشرة في (نحو

القرن العشرين قبل الميلاد)

وذكر يوسيفوس المؤرخ الاسرائيلي في كلامه عن قيصر انه استطاع نفاق الكسندر من النظر الى خشونة كفيه

على ان الفراسة لم تدوّن وتعتبر علماً مستقلاً قبل ما كتبه ارسطو الفيلسوف اليوناني الشهير في القرن الرابع قبل الميلاد . فقد خصص لهذا العلم ستة فصول . فذكر في الانسان علامات تدل على قوته او ضعفه على ذكائه او غباوته على حذقه او بلادته . واستدل على ذلك ايضاً من الملامح والالوان واشكال الشعر والاعضاء والقامة والصوت . ومن مقابلة اوجه الناس باوجه الحيوانات . فمن كان في وجهه ملامح احد الحيوانات حكم بقرب اخلاقه من اخلاق ذلك الحيوان . وعنده لكل حيوان اخلاق خاصة كما سنبينه في بعض فصول هذا الكتاب

وانتشرت فراسة ارسطو هذه في الاجيال المظلمة وعوّل الناس عليها وترجموها الى اكثر اللغات والف غيره على مثالها ممـــا يضيق هذا المقام عن استيفائه

اما العرب فقد كانوا في الجاهلية يعتقدون اشياء تعدُّ من قبيل الفراسة كالقيافة والريافة والعيافة

وكانت القيافة عندهم صناعة يستدل بها على معرفة احوال الانسان ويسمونها قيافة البشر لان صاحبها ينظر الى بشرات الناس وجلودهم وما يتبع ذلك من هيئات الاعضاء وخصوصاً الاقدام ويستدل بتلك الاحوال على الانساب . والريافة عبارة عن تعريف الرائف الماء المستجن في الارض اقريب هو ام بعيد بشم رائحة ترابها ورؤية نباتها وحيوانها ومراقبة حركاته . والعيافة تتبع آثار الاقدام والاخفاف والحوافر في الطرق التي تتشكل بشكل القدم التي تقع عليها . ومن ذلك علم « الاختلاج » وهو الاستدلال على ما سيقع للانسان من النظر الى اختلاج اعضائه من الرأس الى القدم

اما في الاسلام فقد نقلوا علم الفراسة في جملة ما نقلوهُ عن اليونان والرومان من علوم الطب وغيرها . فألف فيه بعضهم كتباً مستقلة وذكرهُ آخرون في جملة ما كتبوه في علوم الطب كالرازي الطبيب فانه لخص كتاب ارسطو وزاد فيه . وابن سينا اشار

الى كثير منه في كتبه وكذلك ابن رشد والشافعي وابن العربي وغيرهم

وكانت كتب هؤلاء وأمثالهم من علماء الاسلام عمدة الافرنج في اجيالهم المظلمة وعنهم اخذ غيرهم من كتاب العربية في ذلك الزمن ولم يصل الينا منها الاّ القليل

ومن اشهر ما وصل الينا من كتب العرب في علم الفراسة كتاب « السياسة في علم الفراسة » لابي عبدالله شمس الدين محمد بن ابي طالب الانصاري المتوفي سنة ٧٣٧ للهجرة . وفيه احكام علم الفراسة منسوبة الى اصحابها باحرف يرمز كل حرف الى اسم القائل . وقد طبع هذا الكتاب بمصر سنة ١٨٨٢

وعثرنا في المكتبة الخديوية بالقاهرة على منظومة خطية في علم الفراسة « لمحمد غرس الدين ابن غرس الدين بن محمد بن خليل خطيب الحرم النبوي » . وعلى كتاب خطي اسمه « البهجة الانسية في الفراسة الانسانية » للعارف بالله زين العابدين محمد العمري المرصفي . وعلى « مختصر في علم الفراسة » . وعلى رسالة « في الفراسة والرمل » وأخرى في « علم الفراسة لاجل السياسة » — ذلك كل ما ظفرنا عليه من الكتب العربية في هذا الموضوع وكلها مختصرات لا تشفي غليلاً

وقد اطلعنا على شذرات في بعض كتب الادب كالمستطرف للابشيهي وسعود المطالع للابياري والعقد الفريد لابن عبد ربه والكشكول . وفي حياة الحيوان وكشف الظنون وغيرها

وانتشر علم الفراسة في الاجيال المظلمة . ولم يكتف اصحابه بالاستدلال من الملامح على الاخلاق والقوى ولكنهم صاروا يتنبأون بالغيب . وتوسعوا بذلك حتى صاروا يستدلون من خطوط الكف وخطوط الجبين وباشكال الاعضاء على مستقبل الانسان من سعد او نحس . وخلطوا بينها وبين النجامة والسحر فاصبحت الفراسة من العلوم الخرافية وزادت الناس اوهاماً على اوهامهم . والمرء ان لم يزجره العلم او الدين فانه صائر الى الاوهام من تلقاء نفسه . وعظم البلاء في اوربا حتى اصدر جورج الثاني ملك انكلترا امرًا بجلد كل من يدعي هذا العلم او يتعاطاه وفعل مثل ذلك غيره من ولاة الامور ورجال الدين فقلت ثقة الناس بعلم الفراسة وكاد يتلاشى امره

ثم عاد فلبس ثوباً جديداً على اثر ظهور فجر التمدن الحديث المؤسس على العلم الصحيح اذ أخذ الناس في تمحيص الحقائق فنظروا في علم الفراسة بعين العلم الطبيعي المبني على المشاهدة والاختبار فألف بتيستابورتا احد الايطاليان في اواخر القرن السادس عشر رسالة في الفراسة الانسانية بين فيها حقيقة هذا العلم وفرق بينه وبين ما ادخلوه فيه من الخرافات والاوهام . وهو اول من نبه الاذهان الى ذلك وكتب غيره بعده ولكنهم لم يفوا الموضوع حقه

وفي ١٧٧٨ ظهر كتاب العالم الالماني والباحث الشهير جون كسبار لافاتر وقد بحث في هذا العلم بحثاً طبيعياً مبنياً على الفيسيولوجيا والتشريح ونواميس الاخلاق وزينه بالرسوم العديدة . ولم يكد يظهر في عالم المطبوعات حتى نقل الى كل لغات اوربا وبين يدينا نسخة من ترجمته الانكليزية في طبعة حديثة متقنة تزيد صفحاتها على خمسمائة صفحة ورسومها على اربعمائة رسم . ولكن الكتاب لايخلو من المغالط والاوهام ولا غرو لان لافاتر ذكر في كتابه خلاصة ملاحظاته ومطالعاته الخصوصية على طريقة البحث الجديد وكل جديد يحتاج الى تنقيح . على ان كتابه هذا اول كتاب استوفى هذا البحث . واما ما تطرق الى احكامه من الاوهام فقد استدركها من جاء بعده من الباحثين واكثرهم نسج على منواله وفيهم الالمان والانكليز والفرنساويون

واوسع ما وقع الينا من هذه المؤلفات كتاب بالانكليزية تأليف صموئيل ولس صاحب جريدة الفرينولوجيا . نشر في نيويورك سنة ١٨٦٦ في نحو ثمانمائة صفحة وفيه الف رسم

فعلى ما تقدم ذكره من الكتب العربية والافرنجية جلّ معتمدنا في كتابة هذا الكتاب . ناهيك بما وقفنا عليه من آراء اهل العلم غير هؤلاء وما رجعنا اليه من كتب المراجعة كالموسوعات والقواميس والفهارس وما اختبرناه بنفسنا او استدللنا عليه بمطالعاتنا وعلى الله الاتكال

موضوع هذا الكتاب

(اولاً) : صدرنا الكتاب بمقدمات تمهيدية في « هل الفراسة علم صحيح » و « هل هي تصدق دائماً » و « ان الفراسة قريحة خاصة »

ثم ذكرنا تعليل الفراسة واتينا على خلاصة تشريحية وافية . ثم بينا ناموس التشابه وناموس التناسب . واستطرقنا من ذلك الى باب فراسة الامزجة ففصلنا الامزجة ودلائلها وأنواعها على رأي القدماء وعلى رأي المحدثين . ثم تكلمنا عن زاوية الوجه وشكله ونسبة ذلك الى الاخلاق

(ثانياً) عمدنا الى فراسة الاعضاء بالتفصيل فبدأنا بفراسة الذقن ثم فراسة الفم فالانف فالعين فالحاجب فالخد فالجبهة فالعنق فالاذن فالشعر . وفصلنا فراسة كل من هذه الاعضاء تفصيلاً حسناً . وذيلنا كلامنا عن كل منها بما جاء فيه من أقوال العرب . ثم تكلمنا عن فراسة الايدي ففراسة الاقدام فعلم الكف . ثم فراسة الخطوط ودلالتها على الاخلاق . ثم فراسة المشي والاشارات وفراسة الازياء . وكل ذلك بعبارة واضحة مزينة بالرسوم والاشكال

(ثالثاً) لما فرغنا من فراسة اعضاء الانسان ودلالة كل منها على اخلاق صاحبه جئنا الى البحث في فراسة الامم فذكرنا أصناف الناس ومميزات كل صنف منهم وتطرقنا الى البحث في الامم على اختلاف اماكنها وممالكها وفراسة كل امة على حدة . وبينا ما اختصت به كل منها من الاخلاق والاطوار

(رابعاً) اتينا على خلاصة علم من اهم علوم الفراسة نعني به علم الفرينولوجيا (فراسة الرأس) وهو يدل على اخلاق الناس وقواهم من النظر الى اشكال رؤوسهم وما فيها من الارتفاع او الانخفاض او السعة والضيق

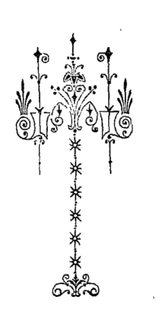
(خامساً) ذكرنا مقالة ضافية في فراسة المهن والصناعات كالقواد ورجال

السياسة والمصورين والشعراء والموسيقيين والممثلين ورجال الدين والمخترعين والمكتشفين والفلاسفة والمصارعين والجراحين والخطباء . ونشرنا رسوم مشاهير كل مهنة في صورة واحدة للمقابلة وبيان ما يشتركون فيه من الظواهر وما تدل عليه تلك الظواهر من الاخلاق

(سادساً) لما فرغنا من فراسة البشر على اختلاف فروعها جئنا الى فراسة الحيوانات واستطرقنا منها الى فراسة المقابلة بين الانسان وانواع الحيوان . وهي الاستدلال على اخلاق البشر باخلاق ما يشبههم من ضروب الحيوان

(سابعاً) اوضحنا كل ما تقدم من الابواب والفصول برسوم يزيد عددها على ميئتين وسبعين رسماً . وفيها رسوم نخبة مشاهير الناس على اختلاف الازمنة والاماكن

فجاء كتاباً فريداً في بابه فعسى ان يلاقي استحسان حضرات القراء وحسبنا الله ونعم الوكيل



مقدمات تمهيدية

هل الفراسة علم صحيح

للعلماء في علم الفراسة اقوال متناقضة . فمن قائل بصحته الى ادق جزئياته وقائل بفساده من اساسه و بينهما اقوال متفاوتة لا محل لتفصيلها . وعندنا ان الفراسة علم صحيح الى حدّ محدود . اذ لا يختلف اثنان في امكان الاستدلال على اخلاق الناس من النظر الى ظواهرهم . من مناًّ لا يتفق له ان يرى رجلاً فيتوسم فيه الذكاء والفهم وسلامة النية و يرى رجلاً آخر فيحكم عليه بالحمق والرياء او خبث النية . وكم نرى من رجال لانتمالك اذا نظرنا الى هاماتهم وتكوين جماجمهم عن ان تحكم بشجاعتهم او جبنهم بذكائهم او عيهم . وفي التاريخ ادلة لا تحصى تؤيد ما نقوله باجلى بيان فضلاً عما جاء على السنة الانبياء والحكماء

ففي امثال سليمان « ذو الاثم هو رجل بليعال ذانه يسعى بخيانة الفم يغمز بعينيه ويتكلم برجليه ويعلم باصابعه » و « من اغمض عينيه فلكي يفكر في الخدائع ومن عض على شفتيه فقد اتمّ الشر » و « في وجه الفطن تضيء الحكمة وعينا الجاهل في اقاسي الارض »

وقال يشوع بن سيراخ في كتابه (ص ١٣ ع ٣١و٣٢) « قلب الانسان يغير وجهه اما الى الخير واما الى الشر . طلاقة الوجه من طيب القلب والبحث عن الامثال يجهد الافكار » و (ص ١٩ ع ٢٦و٢٧) « من منظره يعرف الرجل ومن استقبال وجهه يعرف العاقل . لبسة الرجل وضحكة الاسنان ومشية الانسان تخبر بما هو عليه »

وفي القرآن « ان في ذلك لآيات للمتوسمين » و « تعرفهم بسيماهم » وفي الحديث « اتقوا فراسة المؤمن » و « اطلبوا الخير عند حسان الوجوه » وقال الامام علي « ما اضمر احد شيئاً الاَّ ظهر في فلتات لسانه وصفحات وجهه » ومن الحكم المأثورة « عين المرء عنوان قلبه »

ولعلماء الاخلاق اقوال عديدة تؤيد ما تقدم لا حاجة بنا الى ايرادها . وانما

نعمد الى الادلة الحسية والشواهد العيانية . ألم يكن محمد علي باشا الكبير لحسن فراسته يستطلع اخلاق المذنب ويحكم عليه لمجرد ما يظهر لهُ من ملامحه ؟ . وقد كان يفعل مثل ذلك ايضاً علي بك الكبير امير المماليك في القرن الثامن عشر . وكثيراً ما نسمع بامثال هذه الفراسة عن الامير بشير الشهابي الشهير وعن ابراهيم باشا المصري وغيرهما من رجال الذكاء والاقتدار ممن عاصرناهم او سمعنا عنهم . ناهيك بما في التاريخ من امثلة هذه الحوادث مما يضيق المقام عن استيفائه ومرجعه الى ان بواطن الانسان تتجلى في ظواهره وخصوصاً في وجهه

اذا جاءك شاب يلتمس منك مصلحة فلا بد من ان يؤثر منظره فيك تأثيراً تبني عليه حكمك في اخلاقه . فقد يتبادر الى ذهنك انه نشيط مقدام او كسول خامل او خفيف الروح او ثقيلها او ذكي الفؤاد او احمق او غير ذلك . ولو سئلت عما حملك على ذلك الحكم ما استطعت تفصيل السبب . وقد تقول انك استطلعت ذلك من شكل عينيه او حجم رأسه او ما شاكل . ولكن ذلك التأثير لم يحدث عبثاً ولا بد من روابط بين الظواهر والبواطن — وهذا هو اساس البحث في علم الفراسة . فان اصحاب هذا الفن نظروا في تلك العلاقات ورتبوها في ابواب وايدوها بالحقائق الطبيعية او العقلية الى ما بلغ اليه جهدهم . فوجدوا لشكل الذقن مثلاً علاقة بالمحبة والبغض والثبات والتقلب . ورأوا لالوان العين واشكالها علاقة بالذكاء والبله . ووجدوا نحو تلك العلاقة في اشكال الجبين واقداره فرتبوا ذلك بشكل علم له قواعد وروابط

ولكن بعضهم تطرفوا في تلك الدلالات حتى نسبوا الى كل نكتة في البدن خلقاً او قوة . فقالوا مثلاً « من كان على جانبي عنقه شامة كان تقياً وفياً » و « من كان باحدى اصابع يده شامة كان رديء الحظ ممقوتاً سيء الاخلاق » وقس على ذلك دلالات خطوط الكف ونحوها

ومن الادلة على صحة علم الفراسة اختلاف الناس في اخلاقهم وقواهم باختلاف طبائعهم وامزجتهم . فان اهل كل مزاج يشتركون بظواهر متشابهة وبواطن متشابهة كما سنبينه في حينه . وكذلك اختلاف طبائع الناس باختلاف اصنافهم فللقوقاسي سحنة

يشترك فيها كل القوقاسيين وهم يشتركون ايضاً في اخلاقهم وعقولهم وسائر احوالهم . والزنوج يتشابهون في اشكال وجوههم ورؤوسهم وابدانهم ويتشابهون ايضاً باخلاقهم وعقولهم ويقال مثل ذلك في الصنف الاحمر والاصفر

ومن هذا القبيل ايضاً فراسة الامم واشتراك كل امة باخلاق ظاهرة تدل على اخلاقها الباطنة . فان للمصري مثلاً سحنة خصوصية واخلاقاً خصوصية . وكذلك الهندي والصيني . ولرأس الالماني شكل خاص وله مزايا خاصة يمتاز بها عن الفرنساوي كما تمتاز سحنته عن سحنته . وقد كان للرومان سحنة غير سحنة اليونان وكان لهم اخلاق غير اخلاقهم ومواهب غير مواهبهم

وزد على ذلك انك لو امعنت النظر لرأيت لاهل المهن العقلية صفات خاصة بكل مهنة تشترك بين افرادها ظاهراً وباطناً وتمتاز عما لاهل المهن الاخرى . فللمصورين سحن متشابهة وهم متشابهون في الاخلاق ويصدق ذلك ايضاً على القواد ورجال الدين والموسيقيين والشعراء وغيرهم . وسنأتي على تفصيل ذلك في ما بعد . وبالجملة فالفراسة علم طبيعي مبني على قواعد ثابتة الى حد محدود كما سنبينه في مواضعه

هل تصدق الفراسة دائماً

وحجة القائلين بفساد علم الفراسة ان احكامه لا تصدق دائماً . فمن احكامه مثلاً ان سعة الجبهة وبروزها وعلوها تدل على الذكاء والتعقل . ولكنك ترى كثيرين من اصحاب هذه الجباه ضعفاء العقول . وقس عليه حكمهم في عكس ذلك . والسبب في حدوث هذا الخطأ اننا نحكم على اخلاق الرجل بالنظر الى دليل واحد ولا نعتبر الادلة الاخرى وقد يكون في ظواهر اعضائه الاخرى ما يناقض دليل جبهته ويدلّ على ضعفه او بالعكس

وقد يكون السبب عارضاً على ذلك الرجل طرأ عليه في اثناء حياته من سوء تصرفه او فساد تربيته . او ان يكون ذلك الفساد قد تطرق اليه من اجداده . ولايضاح ذلك نفرض رجلاً باسلاً مقداماً وأدلة الشجاعة ظاهرة في عرض اكتافه

وطول قامته وتكوين جمجمته فولد اولاداً ابدانهم مثل بدنه وفيهم كل ما فيه من ظواهر الشجاعة والقوة . ولكن بعضهم انغمس في الترف وانقطع للقصف واللهو والافراط والاسراف حتى استنزف قواه وانهك جسمه وأمات عواطفه . واما ما ورثه من ظواهر الشجاعة فلا يزال ظاهراً فيه . ثم أورث ذلك الضعف لاولاده فشبوا وظواهرهم لا تدلّ على بواطنهم فاخطأت الفراسة فيهم . وكثيراً ما يقع ذلك في العشائر القديمة المتسلسلة من اجداد تفردوا بمواهب رفعتهم الى منازل الامراء او الملوك ثم انغمس اعقابهم في الملذات والقصف ونحوها من اسباب الرخاء فضعفت قواهم وظلت ملامح القوة ظاهرة في تكوين جماجمهم واكتافهم وغيرها من الاعضاء الصلبة التي قلما يؤثر التغيير في شكلها — على ان دلائل ذلك الانحطاط قد تظهر في عيونهم او ملامحهم . وقد يظهر تغيير العينين في الشخص الواحد حالما تتبدل طرق معائشه . فالشاب قد يشب ذكياً ودلائل الذكاء ظاهرة في عينيه فاذا فسدت تربيته وانغمس في المسكرات حتى صار سكيراً رأيت سحنته تغيرت وظهر ذلك خصوصاً في العينين . لان انسجتهما لدنة نحيفة . وفي الشكل الاول صور بعض السكيرين فانك تراهم يتشابهون في اشكال عيونهم . ولو اتيح لنا ان نرى صورهم قبل ابتلائهم بالسكر لرأينا بين الحالين بوناً شاسعاً



(ش ١) وجوه السكيرين

ويقال مثل ذلك في من يصاب بالجنون فان سحنته تتغير تغيراً كلياً حتى اذا كنت تعرفه في حال تعقله ورأيته في حال جنونه فتكاد لا تعرفه . وكثيراً ما نشاهد

ذلك في من يصابون بحمى الدماغ و يعتريهم جنون وقتي فان سحنتهم تتبدل فاذا فارقتهم الحمى عادوا الى ما كانوا عليه . أليس ذلك كله لعلاقة ثابتة بين حال الدماغ وظواهر السحنة ؟

و بناءً على ما قدمناه فالفراسة علم طبيعي صحيح . واذا اخطأت احكامه في بعض الاحوال فلعوارض طارئة كما تقدم . او لقصر الابحاث فيه حتى الآن مما يرجى ملافاته بالبحث الطويل على مرور الايام بما يكتشفونه من العلاقات والاسباب

وفي كل حال فان الحكم الصحيح في هذا الفن لا يتأتى الاّ للذين يحسنون دراسته وتفهمه و يتبرون ما قدمناه والاّ كان حكمهم عرضة للخطأ . ولذلك قال الطرسوسي « ان علم الفراسة حرامٌ على الاغبياء »

الفراسة قريحة خاصة

وعندنا مع ذلك ان الفراسة ملكة لا ينبغ فيها الاّ اناس فيهم استعداد خاص لها فهي كالشعر ونحوه من الفنون الجميلة . فقد ينظم غير الشاعر ولكنه لا يكون شاعراً . وكذلك التصوير فانه لا يبرع فيه الاّ الذين فطروا عليه منذ ولادتهم . وهكذا يقال في الموسيقى وهي أقرب تلك الفنون الى علم الفراسة . فان الموسيقي الحقيقي يدرك من طبقات الانغام ما لا يدركه غيره فقد تسمع لحناً فتطرب له ولا تدرك فيه نقصاً ولو مهما اجهدت نفسك في انتقاده واما الموسيقي فانه يكشف الخطأ بمجرد سماع النغم وكذلك المتفرس اذا لم يكن مفطوراً على الفراسة مستعداً لقبولها فكثيراً ما تكون احكامه فاسدة وقد تفوته امور كثيرة لا يفطن لها

ويدلُّ على ان الفراسة ملكة طبيعية يمتاز بها اناس دون آخرين انك تراها في بعض الناس خلقية بلا علم ولا درس وترى جماعة يفنون العمر في درسها ولا يتقنونها . فقد كان محمد علي باشا وعلي بك الكبير والامير بشير كما تقدم اصحاب فراسة بلا علم فلو تعلموا هذا الفن لكانوا من النابغين فيه . وهو في كل حال يحتاج الى الذكاء وحدة الذهن وسرعة الخاطر . وذكروا ان الحسن بن السقاء من موالي بني سليم كان

ينظر الى السفينة فيحزر ما فيها فلا يخطئ وكان حزره للمكيول والموزون والمعدود سواء حتى يقول ان في هذه الرمانة كذا وكذا حبة وزنتها كذا وكذا ويأخذ العود الآس فيقول فيه كذا وكذا ورقة . فاختصاص هذا الرجل وامثاله بذلك يدلُّ على ان الفراسة ملكة غريزية

وقد يتبادر الى الذهن ان الفراسة تتبع الذكاء او هي نتيجته والواقع انها لا تستغني عن الذكاء ولكنها غيره كما يظهر للمتأمل وانما هي تحتاج الى دقة الملاحظة وسرعة الخاطر

ومما هو حريٌّ بالاعتبار ان النساء اقدر من الرجال على هذا الفن . لان المرأة مقدرة خصوصية على استطلاع اخلاق الناس . وهي تستطيع ذلك بالبداهة بلا برهان ولا تعليل . فاذا رأت رجلاً لا تلبث ان تتفرس فيه حتى تحكم في اخلاقه حكماً قاطعاً كأنها تقرأه في كتاب منزل . ولكنك اذا كلفتها البرهان على قولها لم تجد لها اليه سبيلاً . وهي مزية يعترف لها بها علماء العقليات والاخلاق . وهم يميزون بينها وبين الرجل بأنها تحكم بعواطفها وهو يحكم بعقله

فروع علم الفراسة

قلنا ان موضوع الفراسة الاستدلال على الخلق الباطن من النظر الى الخلق الظاهر ولا يراد بذلك مجرد النظر في ملامح الوجه او شكل القامة ولكنهم استدلوا على الاخلاق بالنظر الى اعمال الجسم كالمشي والكتابة ونحوها . ناهيك بما استدلوا به من خطوط الكف واشكال الجمجمة وغير ذلك . فالفراسة علم واسع ومن فروعه فراسة الرأس وفراسة الوجه وفراسة الكف وفراسة المشي وفراسة الخط وفراسة المقابلة وهي الحكم على اخلاق الناس بالنظر الى ما يشابه وجوههم من وجوه الحيوانات و . . . . .

تعليل الفراسة

معلوم ان لكل عاطفة من عواطف الانسان تأثيرًا خاصاً في ملامح وجهه . فاذا غضب احدنا او حزن او فرح او اهتم ظهر اثر كلّ من هذه العواطف على وجهه . وعندنا علامة للغضب وأخرى للفرح وأخرى للاهتمام . ومعنى هذا التأثير طبياً تغييرٌ يحدث في عضلات الوجه تحت الجلد فتنكمش او تنقبض او تنبسط تبعاً للتأثير الذي اصابها فتتغير ملامح الوجه . ومن النواميس الطبيعية ان الاجسام الحية تنمو وتكبر بالاستعمال وتضعف وتندثر بالاهمال . ويعللون ذلك النمو بتوارد الدم الى العضو في اثناء استعماله وكلما زاد عمله زاد توارد الدم اليه فيزداد نموه . وذلك هو شأن عضلات الوجه ايضاً . فان ما يتكرر استعماله منها يزداد نموه . فلو تعود احدنا الغضب كل يوم فان العضلة التي تنقبض للغضب يزداد نموها وقد يدوم انقباضها حتى تظهر هيأة الغضب على الوجه في غير حال الغضب . وقس على ذلك ما يصيب عضلات العواطف الاخرى

واذا ابصرت رجلاً طويل القامة عريض المنكبين قلت انه شجاع واذا رأيت آخر عريض المنكبين واسع الصدر حكمت بتأنيه وحزمه وعلو همته . وبعكس ذلك ضيق الصدر فانه عجول قلق ضعيف العزيمة . ويعللون بذلك ان واسع الصدر يكون كبير الرئتين فيستنشق من الهواء في مرة ما يغنيه عن سرعة التنفس فيكون رزيناً صبورًا

وتنطبق هذه الحقيقة على الحيوان ايضاً فان الضعيف من الحيوانات قصير الخطو سريعه والقويّ طويله . فذوات الصدر الضيق تسرع في الركض وواسعة الصدر تتأنى فيه . فالارنب كثيرة الخوف نحيفة البنية سريعة الحركة وصدرها ضيق . واما الاسد والفيل فانهما كبيرا الصدر وكلاهما صبور حازم شجاع . وتعليل ذلك ان التنفس مصدر الحرارة وبانقطاعه تنقطع الحياة واليه مرجع القوة والهمة والنشاط . فكلما يساعد على اذخاره يزيد في اسباب الهمة والنشاط . وفي ما تقدم مثال لعلاقة الخلق الباطن بالخلق الظاهر وتعليله بالنواميس الطبيعية

a العظم الجبهي

b العظم الوجني

c الاسنان

d الدريز الجداري

e العظم الصدغي

f الفقرات العنقية

g الكتف

h النتو الغرابي لعظم اللوح

i اللوح

k القص

l الاضلاع السفلي

m العضد

n الزند

o الكعبرة

p الرسغ

q الاصابع

r الفقرات القطنية

s العجز

t الحرقفة

u راس الفخذ

v الفخذ

w القصبة

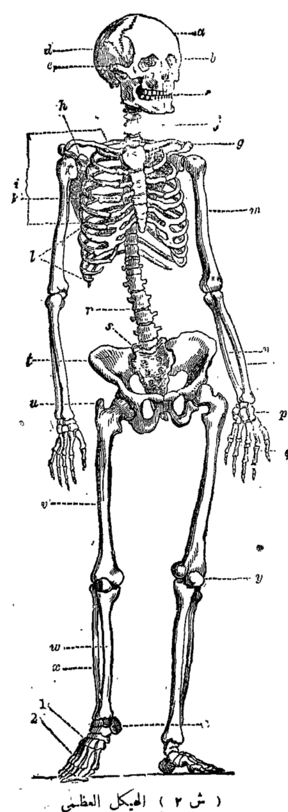
x الشظية

y الرضفة

z العقب

1 الرسغ

2 المشط



(ش ٢) الهيكل العظمي

﴿ تنبيه ﴾ إن الاحرف الافرنجية في اوائل هذه السطور اشارة الى امثالها في الرسم المقابل وكل حرف يدل على عضو يتصل اليه بخط منقط

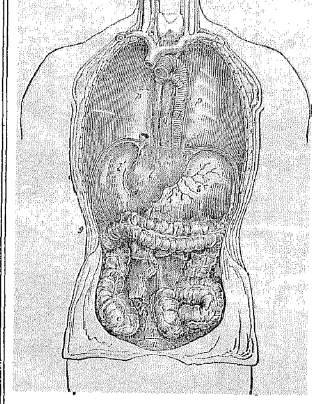
خلاصة تشريحية

ولما كانت الفراسة تبحث في اشكال الاعضاء رأينا ان نبين نسبة تلك الاعضاء بعضها الى البعض

اذا نظرت الى الجسم الانساني رأيته موءلفاً من اجزاء صلبة وهي العظام واجزاء لدنة وهي اللحم واجزاء سائلة وهي الدم والمفرزات الاخرى . واذا تأملنا في وظائف تلك الاعضاء رأينا لها تقسيماً آخر . فهي بهذا الاعتبار تقسم الى ثلاثة اجهزة (١) جهاز الحركة (٢) جهاز التغذية (٣) الجهاز العصبي

فجهاز الحركة يتألف من العظام والعضلات . والعظام اذا تجردت من العضل كانت هيكلاً موءلفاً من ثلاثة اجزاء : الجذع والرأس والاطراف . انظر الجدول المقابل

فالجذع هو الجزء المتوسط وبه تتصل سائر الاجزاء . وهو عبارة عن العمود الفقري والاضلاع والحوض . ويتألف من الاضلاع قفص تستقر فيه الاحشاء الصدرية . اما الخلاء بين القفص الصدري والحوض فيتألف منه التجويف البطني وتستقر فيه المعدة والامعاء وسائر الاحشاء البطنية



(ش ٣) الاحشاء الصدرية والبطنية

وفي الشكل الثالث صورة الجذع مفتوحاً من الامام لتظهر فيه الاحشاء

وعماد الجذع او هو عماد الجسم كله « العمود الفقري » وهو موءلف من فقرات متراصة بعضها فوق بعض ويستقر عليه الرأس في أعلى العنق وتنشأ منه في اسفل العنق الاضلاع وبها تتصل الكتفان وبهما يتعلق الطرفان العلويان . ويتعلق بالجذع من الاسفل الطرفان السفليان

والفقرات حلقات تستطرق تقوبها بعضها

الى بعض فيتألف من مجموعها قناة يستقر بها النخاع الشوكي (الدودة الظهرية) والنخاع المذكور حبل عصبي ينتهي الى قاعدة الجمجمة من ثقب في اسفل الرأس وهناك يتصل بالدماغ

والرأس يستقر على العمود الفقري وهو جزآن الجمجمة والوجه . فالجمجمة تجويف عظمي يحتوي الدماغ وهو آلة العقل وعليه اهم اعمال الحياة . والوجه في مقدم الرأس واسفله وهو مؤلف من عدة عظام يتألف من مجموعها تجاويف تستقر فيها اهم الحواس . ففي اسفل الجبهة تجويفا العينين بينهما تجويف الانف ثم الفم . والفم يتألف من الفكين العلويين والفك السفلي . واهم عظام الرأس العظم الجبهي (a) والجداريان (b) والعظم المؤخري (g) والصدغيان (c) والفك السفلي (d) والفكان العلويان (e) والوجنيان (f) وللفك السفلي اهمية كبرى في علم الفراسة فانتبه له

(ش ٤) الراس

واما الاطراف فأربعة اثنان علويان واثنان سفليان لا حاجة بنا الى تفصيلها

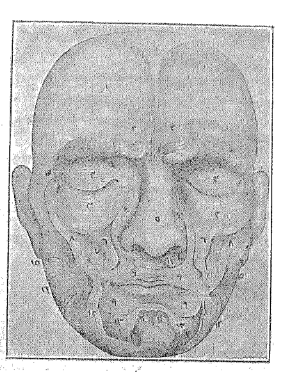
واما العضلات فهي الهبر الذي يكسو العظام وبانقباضه وانبساطه تتحرك الاعضاء على كيفيات شتى يظهر مثالها في صورة الزند وعضلاته في الشكل الخامس

وانما يهمنا من العضلات في علم الفراسة عضلات الوجه لأن على انقباضها وانبساطها تتوقف ملامح الوجه وتقاطيعه . ولكل منها وظيفة خاصة فبعضها لتقطيب الجبهة والبعض الآخر لرفع الحاجبين او فتح العينين او اطباقهما او تحريك الشفتين او غير ذلك . وتعرف وظيفة كل منها باسمها كما ترى في (ش ٦) وهي صورة الوجه وقد نزع الجلد عنه لتظهر العضلات

فالعضلة المؤخرية الجبهية (١) عضلة رقيقة تنشأ من مؤخر الجمجمة وتسير الى الامام على مقدم الجبهة حتى تختلط بالحاجبين فاذا انقبضت اليافها شدّت الحاجبين الى الاعلى . والعضلة المجعدة

(ش ٥) الزند وعضلاته

للحاجب (٢) تختلط بالسابقة ووظيفتها تقطيب الحاجبين عندالعبوسة . ولها طرف يندغم باعلى الانف فيساعد على جذب الحاجبين الى الوسط والاسفل . والعضلة المستديرة الجفنية (٣) تختص بحركة الجفنين من قبض او بسط او فتح او اطباق . والعضلة الرافعة للشفة العليا ولجناح الانف (٤) اسمها يدل على وظيفتها . والضاغطة للانف (٥) تنشأ من الفك العلوي عند اسناخ الاسنان العليا وتندغم في الغضروف الانفي . و بانقباضها تجذب جناح الانف الى الاسفل فينضغط



(ش ٦) عضلات الوجه

(١) العضلة المؤخرية الجبهية (٢) الجعدة للحاجب (٣) المستديرة الجفنية (٤) الرافعة للشفة العليا ولجناح الانف (٥) الضاغطة للانف (٦) الرافعة للشفة العليا (٧) الرافعة الخاصة للشفة (٨) الرافعة لزاوية الفم (٩) المحيطة الشفوية (١٠ و ١١) الخافضتان لجناح الانف (١٢) الخافضة لزاوية الفم (١٣) الخافضة للشفة السفلى (١٤) الرافعة للذقن (١٥) المضحكة

و يلي ذلك العضلات المحركة للفم وهي ذات اهمية كبرى في علم الفراسة . لان ملامح الفم من اكثر ملامح الوجه تعبيراً عن الاخلاق ولذلك فقد جعلنا لها رسماً خاصاً (ش ٧)

واهم عضلات الفم العضلة المحيطة الشفوية (١) في الشكل السابع وهي تحيط بالفم وعليها يتوقف قوام الشفتين ووظيفتها اطباق الفم . وهي لا تتصل بشيءٍ من عظام الوجه ولكن العضلات الأُخرى التي تحرك الفم تنشأُ من بعض عظام الوجه وتندغم فيها . مثل العضلة الرافعة للشفة العليا (٣) فانها تنشأ من العظم الوجني وتندغم في الشفة العليا اي بالقسم العلوي من المحيطة الشفوية ومثلها الرافعة لزاوية

(ش ٧) عضلات الفم

الفم (٤) . ثم العضلة الوجنية (٦) وهي تنشأ من العظم الوجني وتندغم في زاوية الفم . ثم العضلة المبوقة (٧) وهي عضلة منبسطة تبطن الخد وتنشأ من اسناخ الاسنان الخلفية لكلا الفكين وتندغم في زاوية الفم . وبانقباضها تجذب تلك الزاوية الى الوراء . والخافضة لزاوية الفم (٨و٩) عضلة مينة تنشأ من الفكي السفلي وتندغم ايضاً في زاوية الفم وبانقباضها تجذبها الى الاسفل . والخافضة للشفة السفلى (١٠) واسمها يدل على عملها . واخيراً العضلة الذقنية (١١) وهي عضلة صغيرة تنشأ من الفك السفلي عند اسناخ القواطع وتندمج بالنسيج الخلوي اسفل جلد الذقن . فاذا انقبضت هذه والتي قبلها تألف منهما معاً بروز الشفة السفلى وهو الذقن . ويسمون هذه العضلة ايضاً « المتكبرة » لان انقباضها يكسب السحنة هيأة المتكبرين . وهي مفردة خلافاً لسائر عضلات الوجه فانها مزدوجة

هذه اشهر عضلات الوجه ومنها يتكون الوجه . وبانقباضها وانبساطها تتبدل الملامح وتظهر العواطف ولا بد من استيعابها واستبقائها في الذاكرة اذ قد نضطر الى ذكرها في اثناء كلامنا في ما يلي

واما جهاز التغذية فهو مؤلف من اعضاء الهضم واعضاء الامتصاص والدورة الدموية والتنفس والافراز . فاعضاء الهضم مستقرة في الاحشاء البطنية والصدرية (راجع ش ٣) وهي القناة الهضمية وملحقاتها . فاذا انهضم الطعام وصار سائلاً دار في الجسم بانابيب يتألف منها الجهاز الليمفاوي والجهاز الدموي والغدد

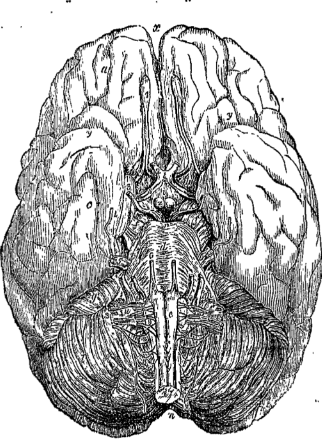
فالجهاز الدموي يدور به الدم وهو مؤلف من القلب والشرايين والاورده . فالاوردة تحمل الدم الفاسد من اطراف الجسد الى القلب حتى يتطهر في الرئتين . والشرايين تحمل الدم المطهر الى اطراف الجسد لتغذية الاعضاء

والجهاز اللمفاوي انابيب دقيقة شفافة متصلة بالغدد المنتشرة في انحاء الجسد واكثرها في العنق والابط والاربية . ووظيفة الاوعية اللمفاوية امتصاص سائل الليمفا من الانسجة وحمله الى الاوردة وهناك يختلط بالدم الفاسد الذاهب الى التطهير . ومن اهم وظائفها انها اذا قلّ الغذاء المحمول الى الانسجة لسبب من الاسباب كالجوع او المرض

أذابت الدهن المختزن في النسيج الخلوي تحت الجلد وحملته الى الجهاز الدموي للاغتذاء به · وهذا هو تعليل الهزال الذي يصيب الجائعين او المرضى · ومن الاوعية الليمفاوية جزء يقال له الاوعية اللبنية تمتص الطعام المهضوم من الامعاء وتحمله الى القناة الصدرية ومنها الى الدم

واما الغدد ويسمونها ايضاً المرشحات لانها تعمل عملاً يشبه الترشيح او التصفية فهي ذات اهمية كبرى في التغذية · وبعضهم يعد المعدة والامعاء والكبد من جملتها لانها اعضاء مفرزة · ولكننا عددناها من اعضاء الهضم · ويلحقها الغدد المساعدة على الهضم كالغدد التي تفرز اللعاب والصفراء والعصير البنكرياسي ما عدا الغدد التي تفرز بقايا المواد المندثرة كالكلى والجلد

واما الجهاز العصبي فعليه تتوقف الاعمال العقلية والحيوية · وهو قسمان كبيران المجموع السمباثوي والمجموع الدماغي الشوكي · والاول يقال لهُ ايضاً العقدي لانه مؤلف من عقد اكثرها مستقر في الاحشاء وعليها تتوقف حركات الاعضاء غير الخاضعة للادارة التي تعمل عملها سواء اردنا ام لم نرد كالقلب والامعاء والكبد · (والثاني) المجموع الدماغي الشوكي وقد سمي بذلك لانه مؤلف من الدماغ والحبل الشوكي · فالدماغ كتلة عصبية مستقرة في الجمجمة ومنه تنبعث اعصاب الحس الى العينين والانف والفم والاذن وغيرها



(ش ٨) قاعدة الدماغ

1 العصب الشمي 2 العصب البصري 3 الزوج الثالث 4 الزوج الرابع 5 التوامي الثلاثي 8 العصب السمعي 9 العصب اللساني البلعوى a و y و o الخ وتلافيفهُ و l و l l المخيخ وفي وسطهِ e النخاع المستطيل

وهو ثلاثة اقسام (١) المخ وهو القسم الاكبر ويشغل اعلى الجمجمة من الجبهة الى مؤخر الرأس. وهو فصان جانبيان يفصل بينهما شق غائر (X). وفي كل منهما ميازيب متعرجة غير منتظمة تسمى تلافيف المخ . واذا قطعنا المخ حتى ينفصل الى قسمين رأينا باطنه ابيض اللون وظاهره سنجابياً . ولتشريح المخ علاقة كبيرة في درس الفراسة وخصوصاً فراسة الرأس . لان الدماغ آلة العقل وقد وجدوا بالاستقراء ان لتلافيفه دخلاً كبيراً في الاعمال العقلية . فان القوى العقلية ترتقي كلما نمت تلك التلافيف وتعرجت . (٢) المخيخ ويشغل اسفل مؤخر الرأس عند العظم المؤخري وله شأن في الفراسة لانه مركز الحب الجنسي (٣) النخاع المستطيل وهو جسم هرمي الشكل طوله ثلاثة سنتيمترات الى اربعة اذا وصل الى قاعدة الجمجمة اتصل بالحبل الشوكي . وفي النخاع المستطيل مكان اذا وخز بابرة امات صاحبه حالاً لانه مركز التنفس

واما الحبل الشوكي فهو حبل عصبي يتصل بالنخاع المستطيل عند فتحة الجمجمة ويمتد في القناة الشوكية بالعمود الفقري الى العجز وهو مؤلف من الجوهرين السنجابي والابيض ولكن السنجابي من الداخل والابيض من الظاهر عكس ما في الدماغ . ويتفرع من الحبل الشوكي اعصاب تخرج من بين الفقرات الى سائر اجزاء الجسد وعليها تتوقف حركات البدن

ناموس التشابه

اذا نظرت الى الكائنات بوجه الاجمال رأيت لكل منها خاصة وشلاً يمتاز بهما عن سواه . فان لبر الشام مثلاً اقليماً غير اقليم مصر وشكل ارضه يختلف عن شكل ارضها ولبنان يمتاز عنهما جميعاً . ولكل من هذه البقاع خاصة تمتاز عما للاخرى بنسبة ما بينهما من الفرق . وهكذا لو اجلت النظر في عالم النبات فانك ترى بين انواعه فرقاً تختلف ظواهره باختلاف خصائصه ويقال مثل ذلك في الحيوان

ولكننا مع ذلك نرى المخلوقات تتشابه من وجوه كثيرة . وعلى هذا التشابه قسموها الى جماد ونبات وحيوان . وذكروا لكل قسم منها خصائص يمتاز بها عن

القسمين الآخرين . ثم نظروا في كل من هذه الاقسام على حدة فرأوا بين اجزائه تخالفاً يقضي بانقسامها الى مجاميع فقسموا النبات الى انواع والحيوان الى انواع . وعلى هذا المبدأ قسموا كل نوع الى ما تحته . وهنا موضع نظر في امرين (١) ان الانواع المتشابهة شكلاً تتشابه عملاً والعكس بالعكس (٢) ان التشابه اكثر وضوحاً في الجماد مما في النبات وفي هذا اوضح مما في الحيوان . فان لكل ملح من الاملاح المعدنية بلورات لها شكل خاص تعرف به حيثما وجدت . واما انواع النبات فان بين افراد النوع الواحد فروقاً تستحق الاعتبار . وهي اظهر من ذلك بين افراد الحيوان . فالتشابه قريب وثابت في الاجسام الجامدة ثم يبعد ويتشوش في الاحياء ويزداد تشوشه كلما ارتقي في سلم الحياة . ومعنى ذلك ان افراد النوع الواحد من المخلوقات يزيد الاختلاف بين ظواهرها بنسبة التفاوت في اعمالها . فالجماد قليل العمل بسيط التركيب والاختلاف بين افراده قليل . والنبات وظائفه مركبة واعماله ارقى فتنوعاته اكثر. واما الحيوان فانه ارقى من النبات و وظائفه اكثر والاختلاف بين افراده ابعد

وبعبارة اخرى ان التشابه بين بلورتين من بلورات الملح يكاد يكون تاما . واما بين قمحتين او شعيرتين او تفاحتين فالتشابه ابعد ؛ وهو ابعد من ذلك بين فرسين او نعجتين او دجاجتين — واما في الانسان فالاختلاف بين افراده ابعد مما بين سائر انواع الحيوان وهو اكثر في الامم المرتقيــة مما في الامم المتوحشة . فالاختلاف بين عشرة من زنوج افريقيا اقل مما بين عشرة من أهل أوربا

ومعلوم ان وظائف المخلوقات او اعمالها المفروضة عليها تكثر وتتعدد بزيادة ارتقائها في سلم الوجود . فالجماد اقل عملاً من النبات وهذا اقل عملاً من الحيوان . واما الانسان فانه اكثر عملاً من الجميع

وبناءً على ما تقدم ان ظواهر الاجسام تختلف باختلاف بواطنها . فكلما تفرعت اعمال الجسم تعددت ظواهره . وما ذلك الا لعلاقة ثابتــة بين ظواهر الاجسام وبواطنها والخلق الظاهر يدل على الخلق الباطن — وهي الفراسة

ناموس التناسب

ضع بين يدي النباتي ورقة من شجرة وهو يصف لك نوع تلك الشجرة وحجمها وشكل اثمارها . وادفع الى العالم بطبائع الحيوان عظمة من عظام حيوان لا يعرفهُ فيصف لك شكل هيكله العظمي وقد يلبسه العضل ويكسوه بالجلد والشعر. وربما وصف لك طباعه . وما ذلك الاَّ لان في الاجسام الحية ناموساً يقضي بتناسب اعضائها شكلاً ووظيفة . فالشجرة المستطيلة كل شيء فيها مستطيل من الساق الى الاغصان فالورق فالثمر . والشجرة المستديرة كل ما فيها مستدير ولو كانت الشجرتان من نوع واحد . فالتفاحة المستطيلة تحمل تفاحاً مستطيلاً والتفاحة المستديرة تحمل تفاحاً مستديراً وقس على ذلك

والتناسب المشار اليه أكثر ظهوراً في الحيوان مما في النبات . وفي الانسان اوضح مما في الجميع . فان اشكال قوائم كل حيوان تناسب شكل سائر بدنه . وهي تتناسب في كل فرد من افراد النوع الواحد تناسباً خاصاً . فالانسان الطويل يكون رأسه مستطيلاً واطرافه مستطيلة وكفاه مستطيلتين وقدماه مستطيلتين . وربع القامة تميل اعضاؤُهُ الى التربيع . ويقال نحو ذلك في القصير . كما ترى بهذه الاشكال

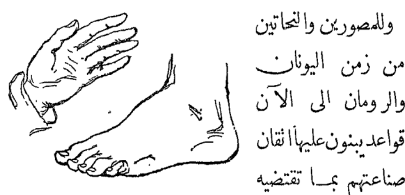


(ش ٩) راس رجل قصير وكفهُ وقدمهُ



(ش ١٠) راس رجل طويل وكفهُ وقدمهُ

وللمصورين والنحاتين من زمن اليونان والرومان الى الآن قواعد يبنون عليها اتقان صناعتهم بما تقتضيه من التناسب بين





(ش١١) راس رجل معتدل وكفهُ وقدمهُ

اعضاء الجسم . فالقامة عندهم ستة اضعاف طول القدم . وطول الوجه من اعلى الجبهة الى اسفل الذقن كطول الكف من الرسغ الى طرف الوسطى وكل منهما يساوي عُشر القامة . والصدر ربع القامة . ومن اعلى الصدر الى اعلى الجبهة سبع القامة . ومحيط الرسغ نصف محيط العنق . واذا قسمت الوجه الى ثلاثة اقسام متساوية انتهى القسم الاول منها عند التقاء الحاجبين والثاني في طرف الانف والثالث في اسفل الذقن . والقامة اذا قُسمت الى نصفين كانت السرة وسطاً بينهما . فاذا توسد الانسان على ظهرهِ واسبل ذراعيه الى جنبيه وجعل السرة مركزًا ورسم دائرة فانها تمس الرأس والقدمين على السواء . واذا بسط الرجل ذراعيه عرضاً على زاوية قائمة من جسمه كانت المسافة بين طرفي الانامل طول القامة تماماً

هذه هي القواعد العامة في تناسب الاعضاء يسير عليها المصورون والنحاتون في اتقان صناعتهم . ولكنها صور ذهنية لا تكاد تنطبق على الواقع . اذ يندر ان يتفق ذلك التناسب بالضبط الكلي في جسمٍ لما قدمناه من ميل الطبيعة الى التنوع والتفرع تبعاً للمؤثرات الخارجية او للوراثة او لاحوال اخرى . ومن اكبر المؤثرات في ذلك التفاوت اختصاصُ بعض الاعضاء بالعمل دون البعض الآخر . واكثر ما يكون ذلك في الرياضة البدنية فان الاعضاء التي تستعمل تنمو وتتقوى وتبقى سائر الاعضاء كما هي فيختل التوازن . واعدل الامزجة ما تناسبت فيه الاعضاء تناسباً تاماً ولم يتغلب فيه عضو على عضو ولا جهاز على جهاز

فراسة الامزجة

يراد بالمزاج حالة من حالات البدن تتغلب فيها بعض اجهزته على البعض الآخر. وكانت الامزجة عند القدماء اربعة ثم ظهر انها اكثر من ذلك كثيرًا حتى يكاد كل الانسان يختص بمزاج ولا يتشابه اثنان تشابهًا تامًّا . ولكن المحدثين حصروا تلك التنوعات في ثلاثة امزجة . ولتفهم ذلك نبسط حال الامزجة قديمًا وحديثًا فنقول

راي القدماء. ذكر بوقراط ابو الطب اربعة امزجة ميز بينها بتغلب احدى الطبائع التي يتألف منها الجسم على رأيه وهي اربع الدم والليمفا والصفراء والسوداء . فما تغلب من هذه الطبائع نسب المزاج اليه . ومنها اسماء الامزجة وهي الدموي والليمفاوي والصفراوي والسوداوي واضاف بعضهم المزاج العصبي وابطل السوداوي



(ش ١٢) توماس مور
مثال المزاج الدموي

(١) ﴿ المزاج الدموي ﴾ : وصاحبه مشرق الوجه محمر البشرة ازرق العينين ممتلئ الاعضاء لامع الشعر مع ميل الى لون الخروب . حاد الطبع سريع الحكم سريع التقلب ممتلئ النبض سريعهُ (ش١٢)

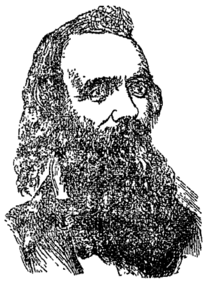
(٢) ﴿ الليمفاوي ﴾ : وصاحب هذا المزاج متراخ بطيء الحركة لين العضل ممتلئ الجلد مع رخاوة وضعف مستدير الجبهة ابيض البشرة ممتقعها باهت العينين والشعر غليظ المفاصل فاتر العزيمة بطيء التأثر ضعيف النبض (ش١٣)



(ش١٣) وليم مول بنمور
مثال المزاج الليمفاوي

(٣) ﴿ الصفراوي ﴾ : وصاحب هذا المزاج قوي البنية صلب الاعضاء واضح الملامح اسمر البشرة او اصفرها اسود الشعر والعينين قوي النبض بطيئه حازم نشيط ثابت العزيمة (ش ١٤)

(٤) { العصبي } : وصاحبه خفيف العضل رقيق الشفتين لامع العينين سريع النبض على غير امتلاء سريع الانتباه سريع الحركة ناعم الشعر نحيف البنية سريع التأثر (ش ١٥)



(ش ١٤) مكالوم مثال المزاج الصفراوى

واما السوداوي فانهُ يشبه الصفراوي لكن صاحبه اقل نشاطاً واضعف بدناً وعقلاً مع ميل الى الانقباض والانفراد

هذه هي الامزجة على رأي القدماء واسماؤُها تدل على ان واضعيها انما بنوها على بعض الظواهر البدنية بقطع النظر عن خصائص الاعضا على مقتضى التشريح والفيسيولوجيا . وكأن مرجع الامزجة عندهم الى اربعة اعضاء رئيسية وهي : المعدة والكبد والقلب والدماغ



(ش ١٥) مكدونالد كلارك مثال المزاج العصبي

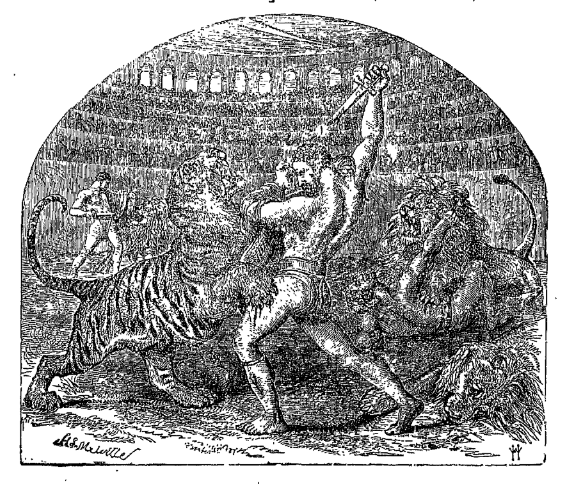
{ رأي المحدثين } واما اليوم فقد قسموا الامزجة على مقتضي العلم الحديث فجعلوها ثلاثة حسب انقسام اعمالها . فقد تبين مما قدمناه في الخلاصة التشريحية ان اهم اجزاء البدن المجموع العصبي والمجموع الغذائي والمجموع العضلي فبنوا حكمهم في تقسيم الامزجة على تغلب احد هذه المجاميع . فمن تغلب فيه المجموع العصبي سموه عصبياً ومن غلب فيه العضل سموه عضلياً ومن تغلب فيه الغذاء سموه حيوياً . وعليه فالامزجة على التقسيم الجديد ثلاثة — العضلي والحيوي والعصبي :—

(١) { المزاج العضلي } : اومزاج الحركة وهو يشمل العظام والعضلات وبها تتم الحركات البدنية . وصاحب هذا المزاج كبير العظام طويل القامة غالباً . خشن البنية مستطيل الوجه بارز الوجنات كبير الاسنان القواطع مستطيل العنق عريض المنكبين معتدل الصدر سعة وامتلاء . متوسط حجم البطن طويل الاطراف

قوي العضل اسمر اللون اسود الشعر غزيرهُ وقويهُ · بارز التقاطيع والملامح ثابت الطبع قوي في كل شيء — قوي البدن قوي العزيمة قوي الارادة ويغلب ان يكون من اهل البطش ولهُ السيادة والنفوذ على مريديه ومعارفه يقودهم بافكاره واعماله كما يشاء · وصاحب هذا المزاج كبير في كل شيء — إما في الحرب او في التجارة او في السياسة او في العلم او في الصناعة · ولا بد من امتيازه على رفاقه بالخير او بالشر · وتغلب فيه الخشونة وصلابة الرأي وقد كان هذا المزاج متغلباً في الرومانيين وهم اصحاب المطامع الكبيرة والهمم العالية

(ش ١٦) جيمس مونرو
مثال المزاج العضلي

واصحاب هذا المزاج قويو الارادة شديدو العزيمة اهل همة واقدام ويغلب فيهم حب السيف على حب



(ش ١٧) مصارعو الاسود

القلم . لا يميلون الى النحافة والملاطفة ولين المعاشرة

ولهذا المزاج تنوعات وفروع لامحل لتفصيلها ومن اوضح ابدان اصحاب المزاج العضلي صور المصارعين الرومانيين (ش ١٨)


(ش ١٨) سيلاس رايت
مثال المزاج الحيوي

(٢) ﴿ المزاج الحيوي ﴾ : يمتاز اصحاب هذا المزاج بقوة اعضائهم الغذائية ومقرُّها في الاحشاء ولذلك كان الجذع فيهم عريضاً كبيراً بالنظر الى الاطراف . ويغلب في اعضائهم الاستدارة . وجوههم مستديرة ومناخيرهم واسعة واعناقهم قصيرة واكتافهم عريضة ومستديرة وصدورهم رحبة واذرعتهم ممتلئة واكفهم قصيرة والبشرة فيهم محمرة غالباً والوجه مشرق بابتسام والشعر ناعم حريري اسود او مائل الى السواد والعينان رشيقتان سوداوان او زرقاوان والانف عريض (ش ١٨)

وهم ميالون الى الرياضة لا يستطيعون البطالة فتراهم دائماً في شغل ولكنهم يفضلون الاشتغال باللهو على الاعمال الشاقة . وهم اهل نشاط وهمة واندفاع وحمية وذكاء وسرعة خاطر مع تقلب وتردد . يحفظون سريعاً و ينسون سريعاً . ذكاؤهم اكثر من ثباتهم وظواهرهم اكثر من بواطنهم . وهم اهل عواطف ولكنها تهبُّ عاجلاً وتخمد عاجلاً . ويغلب فيهم الميل الى اللهو والترف والتأنق في المآكل والمشرب وعندهم « ان الانسان يجب ان يتمتع بكل ملاذ الحياة ما دام حياً » ومن اسباب السعادة عندهم ان يبقوا احياء . ويكثر اصحاب هذا المزاج في انكلترا

(٣) ﴿ المزاج العصبي ﴾ : وهو كالمزاج العصبي في التعريف القديم ومرجعه الى تغلب المجموع النخاعي الشوكي وخصوصاً الدماغ . وصاحبه رقيق الجسم كبير الرأس بيضي الوجه بارز الجبهة عريضها برَّاق العينين دقيق العنق متوسط الصدر . اذا نظرت الى مجمله رأيته اقرب الى اللطف والدماثة مما الى القوة والخشونة . وهو ناعم الشعر اسوده املس البشرة حاد الصوت متنوعهُ . ويكثر هذا المزاج في النساء فالمرأة

العصبية يغلب فيها الجمال وخفة الروح ولكنها تشتهي استدارة الزندين وانتفاخ الخدين وامتلأ الجسم



(ش ١٩) الاستاذ طولوك
مثال المزاج العصبي

ومن اخلاق صاحب هذا المزاج شدة الاحساس وسلامة الذوق وحب الجمال الطبيعي والصناعي وسرعة الانتباه مع سرعة الخاطر وقوة العواطف وحدة الذهن ودقة الشعور. وهو مزاج ارباب الفنون الجميلة وخصوصاً الشعراء . والمزاج العصبي آخذ في الانتشار اليوم في العالم المتمدن نظراً لاشتغال الناس بعقولهم واهمالهم ابدانهم وخصوصاً النساء

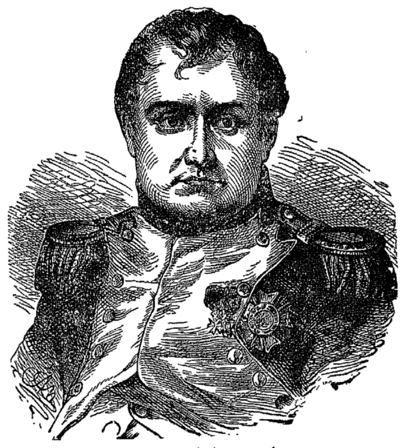
ويندر ان يتفرد الانسان بمزاج من هذه دون سواه . والغالب ان يكون المزاج مزيجاً من اثنين فينشأ من ذلك امزجة ثانوية وهي ستة

(١) المزاج العضلي الحيوي
(٢) « العضلي العقلي
(٣) « الحيوي العضلي
(٤) « الحيوي العقلي
(٥) « العقلي العضلي
(٦) « العقلي الحيوي

وجملة القول ان الانسان يولد وفيه ميل وراثي الى مزاج معين فاذا ساعدته احواله وتربيته ظهر فيه ذلك المزاج. والا فانه يتغير بتغير الاحوال ونوع التربية. وقد رأيت ان لاصحاب كل مزاج صفات مشتركة فيما بينهم يدل ظاهرها على باطنها وهو اساس الفراسة

﴿ شكل الوجه وزاويته ﴾

﴿ شكل الوجه ﴾ : قبل الكلام في ملامح الوجه بالتفصيل نذكر شكل الوجه على الاجمال لانه مثال الملامح وقد رأيت في تقسيم الامزجة الجديد ان لوجه كل فرقة منهم شكلاً خاصاً . فوجه اصحاب المزاج العضلي مستطيل ووجه اصحاب المزاج الحيوي مستدير ووجه العصبيين بيضيٌّ . على اننا اذا دققنا النظر في الوجوه لانكاد نرى وجهين متشابهين تمام المشابهة . ولكنهم يقمسون الوجوه الى ثلاثة اشكال : المستطيل والمستدير والبيضي . ولكل منها فروع تشترك فيما بينها . ولهذه الاشكال علاقة كبيرة بالاخلاق والعقول . فان الوجه المستطيل المربع يدلُّ على التعقل والذكاء وقوة الارادة لعرض جبهته وذقنه مثل وجه نابوليون بونابرت (ش ٢٠)

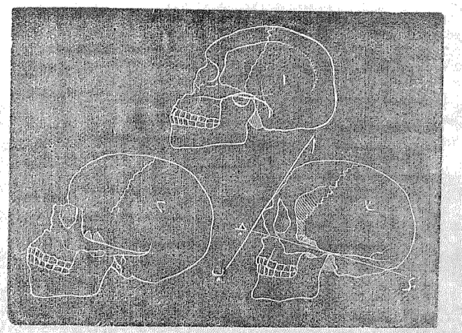


(ش ٢٠) نابوليون بونابرت

والوجه البيضي يستلزم سعة الجبهة وصغر الفك وهو وجه اصحاب المزاج العصبي واصحابه رقاق لطاف اصحاب عضل وعصب . وبمراجعة ما كتبناه في الامزجة كفاية

واما المستدير فهو يغلب في السمان وكانت العرب تحب هذا الوجه وتفضله على سائر الوجوه — وهذا اصل تشبيه وجه المليحة بالبدر عندهم

﴿ **زاوية الوجه** ﴾ ولزاوية الوجه علاقة كبيرة باخلاق الناس . وهي عبارة عن خط مستقيم يمتد عرضاً من طرف الانف الى اسفل الاذن وخط يصعد من طرف الانف الى اعلى الجبهة . والزاوية الحادثة من التقاء هذين الخطين عند طرف الانف هي زاوية الوجه . وهم يقيسون ارتقاء الامم بانفراج تلك الزاوية . فهي حادة في الزنوج ثم تنفرج في الامم المرتقية حتى تبلغ معظم انفراجها في الجنس القوقاسي ومنه كل الامم المتمدنة



(ش ٢١) زاوية الوجه

وفي الشكل (٢١) جماجم اصناف الناس — فالجمجمة العليا (١) زنجية والتي الى اليسار (٢) اوسترالية . والاخيرة (٣) قوقاسية . وعلى هذه الاخيرة زاوية (ج) عند التقاء الخطين (اب) و (ج ك) لو رسمت مثلها في الجمجمتين الأُخريين لكانت هي اوسعها ثم (٢) ثم (١) . والبحث في زاوية الوجه يختص بفراسة الرأس (الفرينولوجيا) وسيأتي ذكره

فراسة الاعضاء بالتفصيل

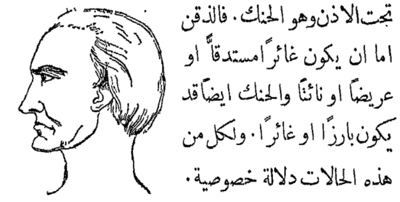
تبين مما تقدم امكان الاستدلال على الخلق الباطن من الخلق الظاهر . ونحن باسطون في ما يلي خلاصة ما وصل اليه اهل هذا الفن بابحاثهم في دلالة كل عضو من اعضاء الوجه وغيرها على اخلاق اصحابه . ولا نتحمل تبعة ذلك الا في ما نخصه بدليل فيسيولوجي او تشريحي او نبدي رأْينا فيه ونترك الحكم في ما خلا ذلك لفطنة القارىء . لان البحث في هذا العلم حديث لا يزال قابلاً للنقد والتحوير . فلنبد باعضاء الوجه عضوًا عضوًا وعلى الله الاتكال

فراسة الذقن

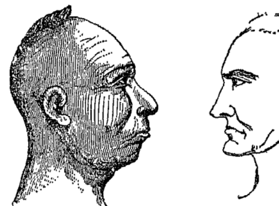
الذقن والمخيخ قلما ينتبه الناس الى علاقة الذقن بالاخلاق . والذقن في الحقيقة من اكثر الاعضاء علاقة باخلاق الناس . ومن ادلتهم على ذلك ان معظم الذقن من الفك السفلي . والفك السفلي يقابل المخيخ في مؤخر الدماغ . وبين المخيخ وذلك الفك علاقة شديدة . ومن اهم وظائف المخيخ في الفيسيولوجيا الحب والموازنة والارادة . فتتصل هذه الخصائص بالفك السفلي ومنه الى الذقن . فالذقن في الفراسة دليل الارادة والحب الجنسي . ولو استقريتَ الذقون في انواع الحيوان لرأيتها تزداد ظهوراً بنسبة ارتقاء ذلك الحيوان . فهي في الطيور اثرية . وا كثر الحيوانات لا ذقون لها او ان ذقونها صغيرة جدًّا والحب الجنسي يكاد يكون اثرياً فيها . والمعتوهون يولدون صغار الذقون . ويراد بكبر الذقن بروزه الى الامام او الى الاسفل . واما صغرهُ فهو ضمورهُ حتى لا يكون لهُ بروز في مقدمه ولا في الحنك . ويتضح لك ذلك من النظر الى الشكلين (٢٢و٢٣)

وفي الذقن بروزان واضحان : البروز الامامي وهو الذقن الحقيقي والبروز الخلفي

تحت الاذن وهو الحنك. فالذقن اما ان يكون غائراً مستدقاً او عريضاً او ناتئاً والحنك ايضاً قد يكون بارزاً او غائراً. ولكل من هذه الحالات دلالة خصوصية.



(ش ٢٢) الذقن الكبير



(ش ٢٣) الذقن الصغير

فبروز الذقن يدلُّ على طول الفك السفلي وبروز الحنك يدل على عرضه

وقد وجدوا في جملة علاقات هذا الفك بالمخيخ انه اذا كان الفك السفلي طويلاً يغلب ان يكون المخيخ طويلاً واذا كان الفك عريضاً فالمخيخ يكون ايضاً عريضاً. فعندهم ان الذقن اذا برز الى الامام وكان الخط من زاوية الحنك الى رأس الذقن طويلاً دلَّ ذلك على شدة الحب. واذا كان رأس الذقن من الامام عريضاً دل على الثبات والصبر. فبروز الذقن دليل الحب وبروز الحنك دليل الثبات. كذلك كان هارون بور صاحب الشكل (٢٢) وكاترينة الثانية امبراطورة الروس (ش ٢٤) فان ذقنها وحنكها كثيرا النمو وكان الحب والثبات ناميين فيها. وبعكس ذلك الذقن

(ش ٢٤) كاترينه الثانية

القصير الضامر فانه يدل على الضعف والبغض. وكان ضمور الذقن ونقصه من الصفات

المذمومة عند العرب ومن ذلك قول بعضهم يذم امرأة

اصرميني يا خلقة الجـدار * وصليني بطول بعد المزار
فلقد سمتني بوجهك والوصل * قروحاً اعيت على المسبـار
ذَقنٌ ناقص وانف غليظ * وجبين كساجة القسطار

﴿ الذقن والمحبة ﴾ تقسم الذقون باعتبار احوال بروزها الامامي الى خمسة اشكال وهي (١) الذقون المحددة (المروَّسة) ذات البروز المستدير (٢) الذقون المفروضة (٣) الذقون المربعة الضيقة (٤) الذقون المربعة الواسعة (٥) الذقون المستديرة الواسعة

(١) ﴿ الذقون المحددة ﴾ : وهي البارزة الى الامام بروزاً مستديراً كما ترى في الشكل (٢٥) فانها تدل على شدة الحب الجنسي والشره فيه حتى يؤدي باصحابه احياناً الى البله . وهذا الشكل من الذقون اكثر شيوعاً في النساء مما في الرجال . كذلك كان موليير محيي التمثيل في فرنسا (ش٢٦) فان ذقنه كان من هذا النوع وهو مشهور بحبه لامرأته مع انها كانت تسيء اليها وتعرقل مساعيه حتى قال يشكو حالهُ لصديق « ان حضور هذه المرأة امامي ينسيني كل ما صممت النية عليه لأذيتها وهي لاتحتاج لدفع حجتي الى اكثر من كلمة واحدة تدافع بها عن نفسها فيخال لي اني اتهمتها زوراً وانها بريئة فاعتذر لها والتمس الصفح عن جسارتي فاذا خلوت بنفسي عدت الى صوابي ورأيتني مسحوراً او كأن خبلاً اصابني فأعود الى هواجسي » اه

(ش ٢٥) الذقون المحددة

(٢) ﴿ الذقون المفروضة ﴾ : وهي المزدوجة البروز حتى يخيل لك انها

ذقنان اوذقن مقسوم الى قسمين بميزاب طولي — وليس بحفرة او نقرة — فان الذقون ذوات النقرة (الطبعة) لهـا خاصات اخرى والذقون المفروضة اكثر شيوعاً في الرجال مما في النساء . واصحابها لا يشبعون من المحبة ولا يستطيعون البقاء بلا محب يحبهم فاذا كان صاحب هذا الذقن شاباً فانه يطلب الفتاة ولو في الصين ويستهلك في سبيل طلبها . (أنظر ش٢٧)



(ش ٢٦) موليير

واذا كانت صاحبة هذا الذقن فتاة وكان الفرض في ذقنها عميقاً فقد تخرج في حبها عن حدود اللياقة

(٣) ﴿ الذقون المربعة الضيقة ﴾ : ويراد بها ان يكون بروز الذقن من الامام خطاً عرضياً مستقيماً ولكنه قصير . فاصحاب هذه الذقون كثير و المحبة ومنهم في الغالب عمال الخير . لانهم يحبون كل شيء حتى الفقراء والضعفاء . والمرأة صاحبة هذا الذقن يغلب ان تتزوج رجلاً ادنى منزلة منها لانها تحبه ولا تلتفت الى فقره



(ش ٢٧) الملك ادوارد السابع في شبابه



(ش ٢٨)

الذقن المستدير الواسع

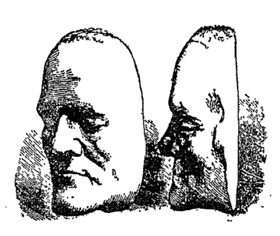
(٤) ﴿ الذقون المربعة الواسعة ﴾ : وهي كالسابقة الا انها أطول منها وتدل على شدة المحبة حتى تقرب من العبادة واصحابها هم اهل العشق الشديد والحب المفرط حتى يمسهم الجنون ولعل قيساً العامري (مجنون ليلى) كان منهم!!

(٥) ﴿ الذقون المستديرة الواسعة ﴾ : وهي كالنوع الاول ولكن بروزها اكبر واوسع واصحابها اذا احبوا ثبتوا في الحب . لان السعة دليل الثبات في كل شيء . فالمرأة صاحبة هذا الذقن شديدة المحافظة على محبة زوجها ولو اساءها وقهرها



(ش ٢٩) هنري الاول

﴿ الذقن والارادة ﴾ قد تقدم ان بروز الذقن يدل على المحبة الجنسية وقاعدتها تدل على الارادة . وبين الحب والارادة نسبة معنوية . ويراد بالقاعدة ما تحت البروز من مقدم الفك اسفل الاسنان القواطع . فبروز هذه القاعدة واستطالتها وسعتها تدل على قوة الارادة وصاحب هذا الذقن اذا قال فعل (ش ٣٠ و٣١) ويشبهه صاحب الحنك العريض (ش ٢٩) فان حنكه قائم الزاوية تقريباً . واصحاب هذه الذقون وهذه الاحناك هم في الغالب رجال الحزم والبطش والشدة والقوة . كذلك كان نابوليون وقيصر وولنتون وكروميل ولا يراد بذلك ان الارادة لا تكون في غير رجال الحرب . فهي تكون على معظمها ايضاً في ربات العائلات وفي رجال



(ش ٣٠) فرنكلين

(ش ٣١) ولنتون

الاعمال كالمخترعين والعلماء وقد تكون في اهل التجارة او الفلاحة لانها تميز صاحبها عن رفاقه في اي مهنة كانت فان بين ذقن ولنتون القائد الشهير وذقن فرنكلين الفيلسوف مشابهة عظمى وكلاهما بارزان



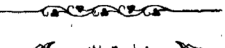
(ش ٣٢) رينان الفيلسوف



(ش ٣٣) البروزان

عريضان (ش ٣٠ و ٣١) وذقن رينان الفيلسوف (ش ٣٢) بارز ضيق

واذا تعاظم البروزان في مقدم الفك والحنك في ذقن واحد كما في (ش ٣٣) كان صاحبه شديد المحبة والارادة كانه يجمع بين عملي القلب والعقل



فراسة الفم

قد يصمت اللسان . والشفاه الساكنة افصح ما يعبر عن الجنان — برسائل تنفذها الى القلب بطريق العينين (لا الاذنين) فتبث ما يكنه الضمير من حب او بغض او فرح او غضب او عتب او اعتذار . فترد العينان الرسالة والاذنان غافلتان عما دار من الحديث . لان الشفاه تترجم العواطف بلسان لا تفهمه الآذان . فتدل بغلظها او رقتها ببروزها او غورها باسترخائها او تراكبها باحمرارها او بهوتها على المحبة

او البغض او الفرح او الكدر او الكبر او الوداعة او غير ذلك من العواطف واظلالها

﴿ فلسفة التقبيل ﴾ : بين اللمس والانعطاف علاقة متبادلة وخصوصاً لمس الشفاه لانها اكثر حساسة من سائر سطح الجلد (الا الانامل) فاللمس يعقبه انعطاف ينجم عن اتصال عصبي بين الشفاه ومركز الحب في المخيخ وبينها وبين الذقن . والذقن نائب المخيخ في الوجه — تلك هي فلسفة التقبيل . وليس غرضنا البحث في القبلات وفلسفتها وانما اردنا انها ليست من قبيل العبث . بل هي لغة الحب ودليل الانعطاف . يكفينا تغزل الشعراء بالثغر . وتشبيههم الريق بالخمر فانه يدل على تأثيرها المسكر في النفوس واليك قول عنترة العبسي

وودت تقبيل السيوف لانها * لمعت كبارق ثغرك المتبسم

﴿ الصداقة والسخاء ﴾ : اكثر الشفاه دلالةً على الصداقة ما كان جزؤها الاحمر غليظاً بارزاً بغير استرخاء . فاذا رافق ذلك البروز تعاظم ما يحيط بزاويتي الفم بما يسمى العضلة المبوقة (ع ٧ ش ٧) حتى يتكون هناك ميزابان ضعيفان او ثلاثة كما في الشكل (٣٤) دلَّ ذلك على السخاء وكبر النفس . واصحاب هذه الشفاه بيوتهم مفتوحة للاضياف وموائدهم مباحة لابناء السبيل وهم كثار في القرى قلال في المدن

(ش ٣٤) دليل السخاء في الفم

﴿ الحب ﴾ : قلنا ان الشفاه الغليظة في موضع الاحمرار دليل الصداقة وهي ايضاً دليل الحب ويزداد الحب باتساع مساحة ذلك الموضع كما في الشكل (٣٥) اما شكل (٣٦) فان رقة شفتيه تدل على ضعف تلك العاطفة في صاحبها ، واصحاب الشفاه الغلاظ يحبون التقبيل واذا قبلوا كانت قبلاتهم حارة

﴿ الغيرة ﴾ : والحب الصادق اذا اشتد يغلب ان تصحبه الغيرة ودليل الغيرة ان يصحب

(ش ٣٥) (ش ٣٦)

ذلك الغلظ انحراف تحت الشفة السفلى

﴿ النهم ﴾ : واذا تدلت الشفة السفلى وبرزت العليا مع ضخامة دلّ ذلك على النهم والميل الشديد الى الملذات الشهوانية (ش ٣٧)

﴿ الثبات والانفة ﴾ : ودليل الثبات في الفم ان تكون الشفة العليا مستقيمة على خط عمودي بما يشبه الاشارة بالفم الى المخاطب ان يبقى على ما هو عليه كما في الشكل (٣٩) ويقرب من الثبات الانفة ويُدل عليها بتحدب قليل في تلك الشفة (ش ٣٨) . واذا زاد ذلك التحدب كان صاحب تلك الشفة صعب الانقياد . يريد ان يقودك ولا تستطيع استخدامه

(ش ٣٧) دليل النهم

﴿ الرزانة ﴾ : ويدل على الرزانة انحدار طرفي الشفة العليا نحو الاسفل مع تجعد حولها وهي اكثر في النساء مما في الرجال وصاحب هذه الشفة قلما يميل الى المجون (انظر ش ٤٢ في الصفحة المقابلة)

(ش ٣٨) (ش ٣٩) (٤٠) (٤١)

﴿ السرور ﴾ : ترى اناساً مفطورين على الانبساط والطرب لا صبر لهم على الاحزان فاولئك يغلب ان



(ش ٤٣) بلاني

(ش ٤٤) ستيرن

يعلو زوايا شفاههم تجعدان او ان يكون فيها ميل الى التجعد ولا يمكننا التعبير عن ذلك باوضح من قولنا : ان يكون في الفم ميل الى الابتسام . ويغلب في اصحاب هذه الشفاه حب المجون . وممن اشتهروا بذلك الطبع سرفانتس ورابيلي وستيرن وبلاني وغيرهم (انظر ش٤٣ و٤٤)



(ش ٤٣) المستر غلادستون

﴿ رباطة الجأش ﴾ :
واذا كانت الشفتان غائرتين من الوسط وبارزتين عند زاويتي الفم دلّ ذلك على رباطة الجأش وصاحب هذه الشفاه قوي الارادة رابط الجأش مالك قياده لا خوف عليه من التهور في اموره ولا الانقياد الى عواطفه بل هو يكون كما يشاء . وهي سجايا الرجال العظام . وهكذا كان تيارس السياسي الفرنساوي الشهير (ش ٤٥)



(ش ٤٥) تيارس

واعتبر ذلك في الحيوانات فانها لا تستطيع كبح شهواتها ولا تعرف الكظم وكلها ذات افواه بارزة

﴿ التأنق ﴾ : وقد يتعاظم ذانك التجعدان او يصيران تجعداً واحداً يستطيل الى أسفل الذقن كما يحدث عند الاغراق في الضحك وربما اختلط بما يسمى بالنونة (الغمازة) فيدل عند ذلك على حب التأنق والتدقيق في كل شيء. فاذا كان صاحب هذه العلامة عالماً فيغلب ان يدقق في كل بحث . ومن أمثلتهم المشرح المشهور بلومنباخ (ش ٤٦)

واذا كان من عامة الناس ظهر التأنق والتدقيق في طعامه وشرابه ولباسه وكلامه

(ش٤٦) بلومنباخ

ولأصحاب الفراسة في الشفاه علامات أخرى يستدلون بها على أخلاق أخرى كاستطاله الجزء الظاهري من الشفة السفلى من منتصف الذقن فما فوق الى منتصف الجزء الاحمر على ان يكون ذلك الوسط ممتلئاً (ش٤٩) فيستدلون به على حب الانسان لعائلته وانه يشتهي ان يكون له منزل خاص يأوي اليه. واذا تعاظم ذلك الامتلاء (ش ٤٨) تحوّل الى حب الوطن والحنو اليه ويستشهدون على صحة ذلك بظهور هذه العلامة في اكثر حماة الاوطان مثل جورج وشنطون محرر اميركا وبطريك هنري وو بستر وغيرهم .

فاذا زاد ذلك الامتلاء حتى شمل كل الشفة كما في (ش ٤٧) تحوّل الى حب الوطن العام والانعطاف الى كل اصناف البشر . واصحابه هم محبو الجنس البشري

(ش٤٧) (ش ٤٨) (ش ٤٩)

وأحسن الافواه دلالة على الخلق الحسن عند العرب هو « ان يكون الفم معتدلاً بين السعة والضيق مع صبغ الشفتين ورقتهما وان تكون اللثة صبغة مستوية لحم الاسنان

ولسانه الى الحمرة والملوسة غير خشن ولا مفلح ولا جاف ولا غليظ ولا رقيق جداً ولا مشاب اللون بصفرة . وان يكون طيب النهكة نقي بياض الاسنان حسن التركيب »

فراسة الأَنف

قد يستتر الذقن باللحية والفم بالشاربين وقد تتوارى العينان وراء النظارات والجبهة يغطيها الطربوش — ولا يزال الأَنف بارزًا في طول الوجه لا يستره شيء . فهو أثبت دلالات الأَخلاق وأظهرها . وقد عني أصحاب الفراسة القدماء في بيان علاقته بها ولكن ابحاثهم ما زالت ناقصة حتى أتمها أهل هذا العصر وأيدوها بالعلم الصحيح

﴿ خصائص عامة ﴾ : معلوم ان الانف آلة الشم وعلى صحته تتوقف صحة هذه الحاسة . فاذا كان نحيف التركيب دقيق النسيج كان شعوره بالروائح أتم وأدق . ولكنه ايضاً من آلات التنفس وهو سبيل الهواء الى الرئتين فحجمهُ يجب ان يناسب حجمها . فاصحاب الصدور الواسعة يجب ان تكون مناخرهم كبيرة وهو الواقع . فان نافخي الابواق وغيرهم ممن يعانون الاعمال الشاقة او غيرها من ضروب الرياضة البدنية تكون صدورهم واسعة ومناخرهم كبيرة (انظر ش ٥٠) فانها صورة هنيبال القائد القرطجني وعظم مناخره يدل على عظم صدره . وهذه القاعدة عامة في الحيوان والانسان

(ش ٥٠) هنيبال القائد القرطجني

وللانف ايضاً دخلٌ في الصوت فاتساع تجاويفه يزيد الصوت قوة وجهارة ولذلك فان صوت الغلام لا يخشن الاَّ بعد ان يتم تكوين انفه ويتسع تجويفه

﴿ دلالة الانف على الارتقاء ﴾ : واذا نظرت في انوف الناس على اختلاف الشعوب او في الشعب الواحد على اختلاف الاعمار رأيته من اوضح الادلة على درجات الارتقاء . فان انف الطفل لا يزال صغيرًا منخفضاً حتى يبلغ رشده ويشتد ساعدهُ فيكبر ويبرز . ودليل ذلك قريب يشاهده كل واحد . انظر الى اي طفل شئت فترى انفه اضعف من انف ابيه واصغر وفيه فطسٌ يزول كلما نما حتى يصير شاباً فيصير انفه مثل انف ابيه

واعتبر ذلك في الامم فترى الشعوب الهمجية صغار الانوف مع فطس في الارنبة وغور في جسورها ثم يقلُّ ذلك الفطس حتى يبرز الانف جيدًا في الامم المرتقية ويتضح لك ذلك جلياً اذا قابلت بين انف الزنجي وانف القوقاسي كما ترى في الشكلين (٥١ و ٥٢) فانهما يمثلان الفرق بين هذين الانفين وترى الفرق بينهما كبيرًا . وقد وجدوا بالاستقراء ان نسبة انف القوقاسي الى وجهه كنسبة واحد الى ثلاثة ونسبة انف المغولي الى وجهه كنسبة واحد الى اربعة . والزنجي اكثر من ذلك . ناهيك بالتفاوت في بروزه بين هذه الامم



(ش ٥١) انف القوقاسي (ش ٥٢) انف الزنجي

ومما يستحق الاعتبار ان القدماء كانوا اذا نحتوا تمثالاً وارادوا بيان عظمة صاحبه وقوة بطشه زادوا في طول انفه حتى انك تميز تمثال الملك من تمثال الخادم بمجرد النظر الى طول الانف . ويسهل ذلك علينا من النظر الى الآثار المصرية . وكذلك فعل مصورو الاعصر المتأخرة مثل رفائيل وغيره

﴿ اشكال الانوف ﴾ : للانوف اشكال عديدة لانها تختلف باختلاف اطوالها

وباختلاف ارتفاع جسورها وشكل تلك الجسور وباختلاف حجم المناخر وغير ذلك
اما بالنظر الى اشكال جسورها فتنقسم الى خمسة اقسام

(١) الانف الروماني « الاشمّ »
(٢) « اليوناني
(٣) « الاسرائيلي « الاقنى »
(٤) الانف الافطس
(٥) « الاذلف

(١) ﴿ الانف الروماني ﴾ : يمتاز هذا الانف بارتفاع قصبته وورود الارنبة بحسن استواء القصبة . وهو ما يعبر العرب عنه بالشمم — على ان يكون بين اعلى الانف وملتقى الحاجبين فرض او ميزاب عرضي كانه حزّ بسكين . وهو دليل العظمة وعلو الهمة عند كل الامم . فالافرنج يسمونه رومانياً لانه كان غالباً



(ش ٥٣) يوليوس قيصر

في الرومانيين اهل الاقدام والهمة العالية . وهو انف القواد والفاتحين . وقد سماه افلاطون « الانف الملوكي » اشارة الى أنه دليل القوة . ورسمه النحاتون والمصورون القدماء في وجوه معظم الآلهة العظام . فهو انف مينارفا وجوبتير وهركيل واصحابه يحبون السيادة ولهم همة تفلُّ الحديد وعزم لا يتقاقل ونفس كبيرة لا يكترثون بصغائر الامور . كذلك كانت انوف القواد العظام في سائر انحاء العالم . فهو انف رعمسيس الثاني البطل المصري العظيم وجثته باقية في المتحف المصري بالجيزة يشاهدها من اراد والشمم ظاهر فيها . وهو انف شارلمان وشارلكان وكولمبوس وكورتس والملكة اليصابات و ولنتون . فضلاً عن قواد الرومان ومنهم يوليوس قيصر (ش٥٣) و بومبيوس وغيرهم وهم كثار

واما العرب فقد كان الشمم يدلُّ عندهم على معناه الاصلي اي « الارتفاع والتكبر » وهو صفة محمودة في الرجال يكنى بها عن الشهامة وعزة النفس . ومنه قول حسان بن ثابت الانصاري في آل جفنة (بني غسان)

بيض الوجوه كريمة احسابهم * شمُّ الانوف من الطراز الاول

وقول كعب بن زهير

شم العرانين ابطال لبوسهم * من نسج داود في الهيجا سرابيل

ولا يشترط في ما تقدم ان يكون صاحب هذا الانف قائداً حربياً او ملكاً ولكنه يكون عزيز النفس طلاباً للعلى طامعاً في المناصب ولو كان امرأة او صبياً . وكان الشمم في النساء عند العرب صفة محمودة كقول الشاعر

دعت نسوة شمّ العرانين بدناً * نواعم لا شعث ولا جفرات

وقول الآخر

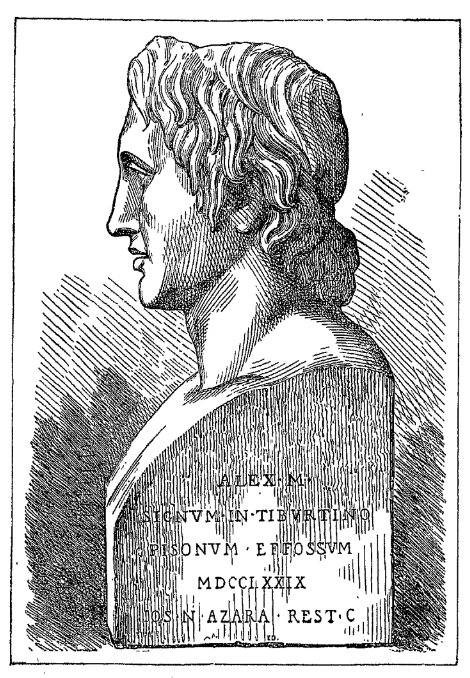
وتريك عرنيناً به شممٌ * أقنى وخداً لونهُ ورد

وقول الفرزدق

في كفه خيزران ريحهُ عبق * من كف أروع في عرنينه شمم

(٢) ﴿ الأنف اليوناني ﴾ : سمي بذلك لتغلبه في اليونانيين وهو مستوٍ

يكاد يكون هو والجبين على خط واحد لولا انحدار خفيف تحت الحاجبين مثل أنف اسكندر الاكبر (ش٥٤) وهو دليل الدقة والاناقة وسلامة الذوق في الفنون الجميلة مع حب الجمال بانواعه . كذلك كان اليونان وتشهد بذلك آثارهم وتواريخهم . ولا يستلزم ذلك ان تكون تلك الخلال عامة فيهم ولكنها غالبة في اكثرهم وخصوصاً في نسائهم .



(ش ٥٤) اسكندر الاكبر

وهو الأنف اليوناني من أقدم أزمانه الى اليوم . وممن كان أنفه يونانياً من مشاهير المحدثين غير اليونان ملتون الشاعر الانكليزي وسبنسر ورفائيل المصور الايطالي وكلود وبيرون

وشيلي وغيرهم من أرباب الفنون الجميلة . واشتهر من صاحبات هذا الانف كاترينة الثانية امبراطورة الروس وايزابلا دي كاستيل وبياتريس . وهو أجمل ما يكون في المرأة ويناسب ما فطرت عليه من الرقة وسلامة الذوق . فصاحبة هذا الانف سواء كانت في القصور أو في الاكواخ فان الجمال يتجلى في كل ما يحيط بها والذوق يظهر في ثيابها واثاث بيتها . وقد تزين قاعتها بازهار حقيرة فيخيل لك انها مزدانة باللؤلؤ



(ش ٥٥) يوسيفوس المؤرخ الاسرائيلي

والياقوت وربما كست وسائدها بالكتان وانت تحسبه حريرًا . وترى عليها الثوب القطن فتحسبهُ ديباجًا

وهنالك جماعة من كبار الرجال أنوفهم وسط بين الروماني واليوناني واخلاقهم وسط بين أخلاق الامتين . منهم قسطنطين الاكبر والفريد الاعظم ووشنطون ونابوليون وريشيليو وغيرهم

(٣) ﴿ الانف الاسرائيلي ﴾ : ويسمونه أيضًا السوري نسبة الى البلاد التي قطنها بنو اسرائيل . وهو أقنى أي مرتفع في وسطه ثم ينضغط عند الطرف كالقنطرة ويغلب في اليهود حيثما وجدوا . وتراه ظاهرًا جليًّا في وجه يوسيفوس المؤرخ الاسرائيلي المشهور (ش٥٥). وهو كثير الآن في سوريا وخصوصًا في طرابلس الشام. وقد وجد ولكنسون العالم الاثري ان آناف الفينيقيين كانت كذلك. وكثيرًا ما يشاهد هذا الانف في العرب البادية

وبعض علماء الفراسة يسمون هذا الانف « الانف التجاري » لاقتدار أصحابه في التجارة باعم معانيها وهي اكتساب الاموال على سبيل المبادلة والاسرائيليون مشهورون بذلك . والسوريون اهل تجارة من عهد أسلافهم الفينيقيين

(٤) ﴿ الانف الافطس ﴾ : هو ما تطأمنت قصبته وانفرشت مناخره كما في الزنوج ونحوهم . وهو دليل الانحطاط والضعف واصحابه ما برحوا من أقدم أزمنة التاريخ وهم أضعف الامم واعجزهم عن الفتح . وما فيهم من يطالب العلى او يلتمس السلطان ولا من يبني القلاع او الهياكل ولا من ينحت التماثيل او يصور الصور

ولم يشتهر من أصحاب هذه الانوف الاَّ بضعة رجال لا يستحق ان يسمى عظيمًا منهم الاَّ كوسيوسكو البولوني على أن فطسه لم يكن بالامر الكبير . وعلى كل حال ان الشاذ لا يقاس عليه

(٥) ﴿ الانف الاذلف ﴾ : ونريد به الانف المطمئن القصبة كالافطس مع دقة الارنبة حتى تنتهي برأس حاد . وشكل هذا الانف عكس شكل الانف الاسرائيلي تمامًا أي انه مقعر من وسطه . ويسمونه أيضًا « الانف السماوي » أو « الانف

الباحث » وهو كثير في الاحداث وفي النساء . وصاحبة هذا الانف تسأل عن البيضة من باضها ولكنها خفيفة الروح . وكذلك الاطفال فانهم كثيرو الاستفهام عن كل ما تقع ابصارهم عليه . ولا بد من التمييز بين الانف الاذلف وما قد يشبهه من الانوف الدقيقة الراس وما فيها تقعير . واما هذا فان تقعيره يبدأ من أصل الانف وينتهي برأس دقيق في طرف الارنبة

ولهم نظر آخر في الآناف من حيث حجمها وشكلها كعرض القصبة أو ضيقها وطول الارنبة أو قصرها وعرضها أو ضيقها وكبرها أو صغرها وغير ذلك مما لا نرى الافاضة فيه لضعف أدلته . ولكننا نقتصر على الاجمال في ذلك اتماماً للفائدة

فالانف العريض يدلُّ على القوة فاذا كان الانف رومانياً مع عرض في قصبته وارنبته كانت دلائل ذلك الانف أقوى فيه . وهكذا يقال في سائر أشكالهِ

والانف الدقيق الرأس مع استطالة يسمونه « الانف النبيه » . فاذا زاد طول الارنبة غلبت في صاحبه السويداء وهو كثير في رجال الكهنوت . ومن أصحاب هذه الانوف أدموند سبنسر وجون نوكس ودانتي الشاعر الايطالي المشهور (ش ٥٦)

﴿ بروز الانف ﴾ : ويراد به بروزه بجملته في صحيفة الوجه . وهو يدلُّ عندهم على القوة والهمة . وبروزه على أشكال وكلها تدل على ميل أصحابها الى الخصام أو الجدال أو المناظرة . وقد قسموا ذلك فيهم الى ثلاث درجات (١) الدفاع عن النفس (٢) الدفاع عن الاهل (٣) التعدي وقسموها بهذا الاعتبار الى « الانف المدافع عن النفس » و « الانف المدافع عن الاهل » و « الانف المتعدي »



(ش٥٦) دانتي

فالانف المدافع عن النفس يمتاز

بعرض ثلثه الاخير فقط وصاحبه لا يهاجم ولكنه متهيء للدفاع عن نفسه . يحب الجدال ولكنه سريع الغضب ولا يريد أن يمسه أحد . واذا حاربه أحد في أرضه ثبت في الدفاع الى الموت . وهو ثابت في جداله وفي الدفاع عن كل ما يمس كرامته

وأما الأنف المدافع عن الأهل فعرضه أو بروزه في نحو المنتصف (ش ٥٧) و يدل على أن صاحبه شديد الغيرة على أهله يستهلك في سبيل الدفاع عن وطنه . وهو شائع في الولايات المتحدة باميركا . ويدل على أخلاق اهلها دلالة صادقة

وأما الانف المتعدي فعرضه في أعلاه (ش ٥٨) وصاحبه يحب المهاجمة وهو مجازف متهور . واذا كان محاربًا قتل ونهب وهو لا يبالي . وأذا كان كاتبًا هجم بقلمه لا يبالي بالقصاص ولا الوعيد . وأذا كان من أرباب التجارة كان مجازفًا لايخاف الخسارة ونظنه يفضل المضاربة على سائر التجارات ! !

(ش٥٧) الانف المدافع عن اهله



(ش٥٨) اوتو الاعظم امبراطور جرمانيا



(ش ٥٩) تاسو الشاعر الايطالي

والانوف المعتدلة المستوية أنوف أرباب الفنون الجميلة والشعراء وكذلك كان ملتن وشكسبير وبوب وتاسو (ش ٥٩) وموليير وباسكال وشيلر وغيرهم

وأخيرًا ان اتساع المناخر مع عظم الارنبة يدلان على القوة والثبات للاسباب التي قدمناها في كلامنا عن علاقة الانف بالتنفس

ولا يخفى ان ما فصلناه من أراء علماء الفراسة في دلالة الانف لا يتفق وقوعه على وضوحه الاَّ نادرًا اذ يغلب أن تكون أشكال الانوف مشتركة بين نوعين فاكثر فلا يصح ابداء الحكم في أخلاق أصحابها قبل التروي والمقابلة واعتبار التقاطيع الاخرى

وأحسن الانوف دلالة على الاخلاق عند العرب « ألانف الحسن الوضع المعتدل المناسب في خلقه من مقدار أرنبته وقصبته ومنخريه وتوسطه في الكبر والصغر والطول والقصر والكثافة واللطف وضيق المنخرين وسعتهما وحسن لونه وتخاطيطه ولطف اتصاله بالجبهة وتوسطه بين الشم والورود بالارنبة الى جهة الفم وسرعة التنفس منه وبطؤه. على ان يكون طيب الرائحة لين المجسة نقي البشرة من الشامات والخيلان والشعر الزغبي والرطوبة السائلة واليبوسة الجافة. لا أحدب ولا مستوي القصبة بالجبهة ولا منفصلها ولا أفطس ولا رقيق الارنبة قائمها ولا مقاص من الشفة العلية ولا قريب من طرفها »

فراسة العين

قال حيص بيص الشاعر العراقي

العين تبدي الذي في قلب صاحبها * من الشناءة أو حبٍّ اذا كانا
ان البغيض له عين يصدقها * لا يستطيع لما في القلب كتمانا
فالعين تنطق والافواه صامتة * حتى ترى من صميم القلب تبيانا

وقال صرّدر

ان العيون لتبدي في نواظرها * ما في القلوب من البغضاء والحزنِ

وقال التعاويذي

عيناك قد دلتا عينيَّ منك على * أشياء لولاها ما كنت رائيها
والعين تعلم من عيني محدثها * ان كان من حزبها أو من أعاديها

وقال أحد أدباء العصر

وإذا أعوز اللسان بيان * فعلى العين بسط تلك المعاني

فتراها تجول بين جفون * تتمنى لو انها شفتيان

وقال إمرسن الفيلسوف الاميركاني : العيون تنطق بكل لسان ولا تحتاج في أحاديثها الى ترجمان . لا ميزة عندها بين الاعمار أو المناصب أو الاجناس . ولا عبرة لديها بالغنى أو الفقر بالعلم أو الجهل بالقوة أو الضعف . ولا تفتقر في التعارف الى وسيط كما يفعل الانكليز . بل هي تقدم نفسها اليك وتخاطبك وتباحثك فتوحي اليك في لحظة مالا يستطيعه اللسان في ايام

يتحادث الناس بعيونهم كما يتحادثون بألسنتهم على ان حديث النواظر أفصح الحديثين لانه يدور في لغة عامة لا نحتاج في تعلمها الى قاموس . اذا قالت العين قولاً وقال اللسان آخر فالصادق هي لا هو والعمدة على قولها لا على قوله . وقد تجادل امرءًا في شأن فينكر عليك رأيك بلسانه وعيناه تعترفان به . وتدلّ العين على ما سيقوله اللسان من خير او شر قبل ان يتكلم . وكم من عيون تسطو عليك بلا ذنب وتنظر اليها فتحسبها تدعو الشرطة للقبض عليك ؟ ؟ تلك عيون وقاك الله من شرها

وللعين دلالات يقصر عنها اللسان — فمنها العيون المريبة والواثقة والخائفة والجريئة ومنها النافذة الكلمة والضعيفة الحجة . ومنها الوديعة والمتكبرة والمتمدنة والمتوحشة . والعينان تدلان على منزلة صاحبها في طبقات الهيأة الاجتماعية ولو حاول اللباس اخفاءها . . .

ناهيك بما قد تتقلب فيه باختلاف ما يطرأ عليها من العواطف فهي تحمرّ من الغضب وتبرق من الانعطاف وتذبل من العشق . والعرب كثيرو التغزل بالعيون الذابلة وهم يصفونها بالانكسار والفتور والسقام والكسل والمرض . قال ابن معتوق

يا حامل السيف الصحيح اذا رنت * اياك ضربة جفنها المتكسر

وقال عنترة

لها من تحت برقعها عيون * صحاح حشو جفنيها سقام

وقال شهاب الدين الاعزازي

ردَّ منا القلوب منكسرات * عند ما راح كاسرًا أجفانه

وقال جرير

ان العيون التي في جفنها مرض * قتلننا ثم لا يحيين قتلانا
يصرعن ذا اللب حتى لاحراك به * وهن اضعف خلق الله انسانا

وللعرب الفاظ يعبرون بكل منها عن حال من أحوال العين باختلاف العواطف فعندهم « الشزر » نظر العدو و « التوضح » نظر المستثبت و « الارشاق » النظر بشدة و « الشفن » نظر المتعجب . ويقولون « حمج » ان يفتح عينيه للتهديد و « حدج » لنظر الخوف وغير ذلك مما يدلُّ على اختلاف ظواهر العين باختلاف العواطف مما لا يحتاج الى زيادة بيان . فالعين أدلُّ سائر الاعضاء على الاخلاق

﴿ حجم العين ﴾ : أول ما يستلفت نظرنا في العين حجمها . وهي تتفاوت في ذلك تفاوتًا كبيرًا من الخوصاء (الغائرة الصغيرة) الى النجلاء (الواسعة الكبيرة) وبينهما درجات . وما زال الناس من قديم الزمان يمتدحون العين الكبيرة ولا سيما في النساء . ومن اكثر الامم اعجابًا بها العرب . فهي عندهم عنوان الجمال . وقد شبهوا المرأة الجميلة ببقر الوحش وبالغزلان لكبر عيونها وأشعارهم أصدق الادلة على ذلك . قال بعضهم

ما اطيب الموت في عشق الملاح كذا * لا سيما بجفون الاعين النجل

وقال الآخر

لا أكره الطعنة النجلاء قد شفعت * برشفة من زلال الاعين النجل

وقال الآخر

عيون المها بين الرصافة والجسر * جلبن الهوى من حيث ادري ولا ادري

وقال مجنون ليلى يخاطب ظبية قبض عليها

عيناك عيناها وجيدك جيدها * ولكن عظم الساق منك دقيق

وغير ذلك شيء كثير

وكبر العين في الفسيولوجيا قياس اقتدارها على النظر . قالوا : ولذلك فهي كبيرة في الغزال والارنب والهر من ذوات النظر القوي وصغيرة في الخنزير ووحيد القرن وغيرها من ذوات البصر الضعيف . واما الفراسة فانه يدلُّ فيها على اليقظة وصفاء الذهن فمن كبرت عينه كان سريع الانتباه . وعندنا ان تلك الخلال لا تتوقف على حجم العين بل على صفائها ومائيتها مما لا يمكن تصويره على الورق

﴿ جحوظ العين وغورها ﴾ : يراد بجحوظ العين بروز المقلة نحو قصبة الانف كما ترى في الشكل (٦٠) وهو ضد الغور (ش ٦١) ويستدلون بجحوظ العين على اقتدار صاحبها في تعلم اللغات . واصحاب العيون الجاحظة اهل فصاحة في الخطابة وسهولة في الكتابة . ولكنهم ينظرون في الامور اجمالاً وقلما يبحثون في دقائقها . وبعكس ذلك ذوو العيون


ش ٦١ العين الغائرة


ش ٦٠ العين الجاحظة

الغائرة فانهم اذا نظروا في امر تفهموا جزئياته ولكنهم قلما يعممون نظرهم

﴿ سعة العين ﴾ : يتوقف الجمال في العين على طولها لا على سعتها . ولكن سعة العين تساعد على توسعة المساحة التي يقع عليه البصر . ولذلك كان صاحبها واسع النظر ولكنهُ قليل الاستيضاح . فواسعو العيون يرون كثيرًا ويفتكرون قليلاً وطوال العيون يرون قليلاً ولكنهم يتفهمون المرئيات جيدًا

﴿ اتجاه العين الى الاعلى ﴾ : ان التطلع الى الاعلى يشبه شخوص العين الى السماء في أثناء الصلاة اذ يخيل للمصلي انه يخاطب العزة الالهية . وذلك شأن المصلين ولو كانوا من غير الموحدين . فان الوثنيين وعبدة النار اذا صلوا ارسلوا ابصارهم الى السماء . فمن كانت حدقة عينه متجهة نحو الاعلى كان متزلفًا كثير التوسل يظهر الدعة والمذلة

﴿ الاطراق ﴾ : اما من كانت حدقة عينه شاخصة الى الاسفل بما نعبر عنه بالاطراق فهو وديع متواضع حقيقة . وكأن لسان حاله يقول « ولا بد من التواضع والدعة قبل القدوم على التوسل والصلاة » والمصورون يرسمون عيني العذراء مريم

مطرقة اشارة الى وداعتها

﴿ الاجفان ﴾ : الجفن المنكسر او المكبوب ما كان فيه ميل الى الاطباق وأصحابه اهل وداعة وضمير حي وهم اقرب الناس الى التوبة والرجوع عن الخطأ

﴿ تجعد الآماق ﴾ : يستدلون على امانة الرجل من تجعدات تتشعع من موق عينه الخارجي ويقولون ان من كانت هذه التجعدات فيه واضحة كان صفياً وفياً اذا وعد وفى

﴿ الوان العين ﴾ : ويراد بها الوان الحدقة وهي كثيرة لا تكاد تحصى . لانك يندر ان ترى عينين في شخصين بلون واحد تماماً . ولكنهم قسموا العيون من حيث الوان حدقاتها الى قسمين كبيرين : العيون الزاهية اللون (الفاتحة) والعيون القاتمة (الغامقة) ويقولون بالاجمال ان العيون ذات الالوان الزاهية تدل على اللطف وذات الالوان القاتمة تدل على القوة . وقد تكون القوة في هذه كامنة لا تظهر الا عند الاقتضاء كأنها نار تحت رماد . ويغلب في اصحاب العيون القاتمة ان يكونوا من اهل الاقاليم الحارة وهم في الغالب سمر خشنو البشرة مع قوة الارادة وشدة العواطف . واما اصحاب العيون الزاهية فهم اهل الاقاليم المعتدلة والباردة وهؤلاء قد تهيج عيونهم حباً ولكنها لا تتوقد . . ويرافق هذه العيون غالباً بياض البشرة وخفة الشعر ويغلب فيهم لطف المزاج وسلامة الذوق ولين العريكة وسرعة الحركة . ويؤيد ذلك ان اصحاب العيون الزاهية اعرق في المدنية من اصحاب العيون القاتمة . واذا اتفق زهاء لون العين وقتوم لون الجلد في رجل فانه يجمع القوة واللطف معاً . ومتى عرفت دلالة كل من هذين القسمين بوجه الاجمال علمت ما قد يتوسط بينهما من الالوان المتفاوتة بين الزهو والقتوم

﴿ الاقليم وألوان العيون ﴾ : للاقليم تأثير شديد على الوان العين فمن كان أزرق العينين وأقام في بلاد حارة تميل عيون أولاده وأحفاده الى القتوم حتى تسود . فاذا انتقل هؤلاء الاعقاب الى بلاد اجدادهم ولدوا اولاداً زرق العيون . ويشبه ذلك ما يحدث في الوان البشرة ولكن تأثير الاقليم أسرع ظهوراً في العينين . ويقال مثل ذلك في الوان الشعر . ولنأت الآن الى الكلام في الوان العين بالتفصيل

﴿ العيون الزرق ﴾ : يتغزل شعراء الافرنج بالعيون الزرق كما يتغزل العرب بالعيون السود . وكل معجب بما عنده . فالافرنج يرون الجمال في العين الزرقاء ويشبهونها بالسماء الصافية وينسبون اليها كل عوامل الجمال . وبعكس ذلك العرب فانهم يستدلون بزرقة العيون على سوء الاخلاق . ويقولون ان الزرقة دليل البلادة والكسل . ومن اشعارهم قول بعضهم

مرّا على اهل الغضا ان بالغضا * رقارق لا زرق العيون ولا رمدا

على ان بعضهم مدح العيون الزرق لسبب طارئ كقول ابن نباتة

لك يا ازرق اللواحظ مرأى * قمري اضحى على الخلق يبهى

يا لها من سوالف وخدودٍ * ليس تحت الزرقاء أحسن منها

وأما اقوالهم في مدح العيون السود فاكثر من أن تحصى . منها قول ابي الفتح سلام

سويدا مقلتيه رمت سويدا * فؤادي اذ لها اضحت تغاير

أصابتهـا ونادت يا لقومي * قفوا وتأملوا فعل الضرائر

وقول البدوي

بالمقلة السوداء عقلي ذاهب * لاسيما والطلعـة القمراء

ان كان بالزرقاء جن خلائق * فانا جنوني كان بالسوداء

وقول ابي القاسم بن المحسن

ان العيون السود اقوى مضرباً * من كل هندي وكل يمـان

فضل العيون على السيوف لانها * قتلت ولم تبرز من الاجفان

وأقبح العيون الزرق عند العرب ما كان على بشرة سمراء أو سوداء . ومن هذا القبيل زعمهم في وصف الغول بانه اسود البشرة ازرق العينين كقول عنترة العبسي

والغول بين يديّ يخفي تارة * ويعود يظهر مثل ضوء المشعلِ

بنواظر زرق ووجـه اسود * واظافر يشبهن حد المنجلِ

ويدل ذلك على ان خصائص العيون ليس في الوانها وانما هي في صفائها وكدورتها

في حركاتها وسكناتها· في اشراقها وبهوتها مما لا يعبر عنه بالصور ولا بالكلام وانما هو سحر لا يستدل عليه بغير العواطف

﴿ العيون السود ﴾ : ذكرنا اعجاب العرب بهذه العيون واما الافرنج فانهم يقسمونها الى اقسام (١) العين الصغيرة البراقة التي تبدو كالخرزة السوداء (٢) العين الغائرة المتوقدة (٣) اللينة المتحركة مع نعاس (٤) الكبيرة مع جمال الشكل وحسن الوضع · فالاولى عين الجميل المعجب بجماله الباطل · والثانية عين المحب المخلص في حبه · والثالثة عين الترك وتكثر في نساء الاتراك (الهوانم)

وأما الرابعة فانها اجمل العيون وأشدها خطرًا على القلب · تبدو لك هادئة كالماء العميق والعواطف تتدفق من جوانبها · وكانك ترى شرر الذكاء يتطاير من بين اهدابها · تلك هي العين التي لا تحتاج الى ترجمان ويندر ان تعرف الابتسام · تخترق جدار الصدر حتى تقع على القلب فتصيب فيه مقرًّا رحيبًا ثم لا تتركهُ الا صريعًا تلك هي عروس الشعر العربي · هي العيون الدعجاء النجلاء التي تجرد السيوف وترمي السهام · قال المتنبي

عزيز أسى من دائه الاعين النجل * عياءٌ به مات المحبون من قبل
وما هي الا نظرة بعد نظرة * اذا سكنت في قلبه رحل العقل

وقال الآخر

رمى بسهام مقلته فارمى * غزال فاتن الالحاظ المى

وقال الخباز

اين السيوف من العيون تشابهًا * غلطًا وان كانت بصقل نلمع
ان السيوف قواطع بصقالها * الاَّ العيون اذا تصدت تقطع

وفي هذه العيون معان لا يمكن التعبير عنها · ويغلب ان يكون صاحبها نافذ الكلمة قوي الحجة اذا نظر اليك تسلط على افكارك وشعرت بشيء يقودك اليه · كذلك كانت عينا المرحوم جمال الدين الافغاني (ش ٦٢)



(ش ٦٢) جمال الدين الافغاني

ولعل هذا هو السبب في تعبير العرب عنها بالسحر وقد أفاض الشعراء في وصفها :
قال ناصر الدين بن قلاقس

بالله اقسم لولا سحر مقلته * وحسنه خلتْ الدنيا من الفتن

وقال ابن كيوان

بعينيه سحاَّر يعلمني السحرا * ويوحيه لي نثرًا فانظمه شعرا
وليس بقولي ان في اللحظ ساحرًا * مبالغة لا والذي خلق السحرا

وقال آخر

عيون عن السحر المبين تبين * لها عند تحريك الجفون سكون
اذا ابصرت قلباً خلياً من الهوى * تقول له كن عاشقاً فيكون

ويقوى سلطان العيون النجلاء الدعجاء اذا كانت في وجوه بيض فتزيدها جمالاً وقوة وهو منتهي الجمال عند العرب ومن ذلك صفة الحور عندهم وهنّ بيض الاجسام سود العيون

﴿ العيون السمراء ﴾ : والعرب يسمونها ايضاً الخضراء ولها جمال خاص بها يختلف باختلاف ما يبدو فيها من الحركة والسكون . فاذا تحركت كان صاحبها ميالاً الى السرور . على ان هذا اللون يتفاوت كثيراً في مقداره وقد تخالطه حمرة او خضرة او غير ذلك فيتكون منها العيون الشهلاء والشعلاء والصفراء والعسلية والزرنيخية والرصاصية والرمادية والسنجابية وغير ذلك مما لا يمكن حصره . وينسبون الى كل منها دلالة على اخلاق صاحبها مما يطول شرحه ولا نرى فيه فائدة فنقتصر على الشهلاء منها

﴿ العيون الشهلاء ﴾ : يقولون ان اصحاب العيون الشهلاء اصحاب عواطف وذكاء . فاذا كان صاحبها امرأة كانت سهلة القياد مع تغلب العقل على العواطف . شديدة الانعطاف الى زوجها تؤثر رضاهُ على كل شيء . قليلة الكلام كثيرة العمل . وجماعة كبيرة من عظماء الرجال وخصوصاً قواد البحار كانوا من اصحاب هذه العيون

﴿ ملامح العين ﴾ : نريد بملامح العين ما يبدو فيها من المعاني والامارات او الاشعة والاظلال مما لا يمكن رسمه ولا وصفه . فانك تنظر الى الرجل فتتوسم في عينيه الذكاء او البلادة او الصداقة او العداوة او السذاجة او الدهاء . ومن هذا القبيل قول بطرس الرسول في وصف اصحاب الشهوات « لهم عيون مملوءة فسقاً » وقس على ذلك

ولو سئلت عن بيان ذلك ما استطعت الى وصفه سبيلاً . وفي هذه الملامح الفراسة الحقيقية للعين اذ قد يكون الذكاء في العيون على اختلاف اقدارها واشكالها والوانها وكذلك البلادة أو السذاجة أو الدهاء . فالعين في اعتقادنا اكثر الاعضاء

دلالة على الاخلاق . واذا كنا لا نستطيع بسط ذلك او تصويره واضحاً جليا فلأن تلك المعاني لا صورة لها ولا شكل

﴿ الاجفان المرتعشة ﴾ : من الناس من يخاطبونك ولا يستطيعون التطلع الى وجهك ولا التفرس في عينيك وقد ينظرون اليك واجفانهم ترتعش كانهم يستحيون منك او يخافون النظر اليك — فاولئك هم اهل الخبث والرياء كأن الرجل منهم يخاطبك في شأن وفكره يشتغل في تدبير مكيدة او نصب احبولة . وهي الاجفان التي ارادها ابو الطيب المتنبي وهو يهجو اسحق بن ابراهيم بن كيغلغ — قال :

وجفونه ما تستقــرُّ كأنهــا * مطروفة او فتَّ فيها حصرمُ

ولا بد من التمييز بين ما قدمناه وما قد يشبهه في بعض النساء العصبيات اللواتي قد يكففن البصر حياءً او عياءً

واجمل صفات العين عند متفرسي العرب ان تكون « متوسطة في الحجم ساكنة في مركبها ترفة في نظرها . والتي لم تتفرق اشفارها ولم تضق ولم يضعف انسانها . وتكون صافية من الكدر نقية من النقط لينة حسنة في بريقها كامنة العروق معتدلة في الطرف بالجفن نجلاء الاشفار يخالطها السرور والمهابة . بياضها نقي وسوادها نقي لاعظيمة ولا صغيرة ولا غائرة ولا جاحظة ولا شاخصة كالجامدة ولا سريعة التقلب كحركة الزيبق ولا ناتئة الحدقة ولا صغيرتها ولا كبيرتها ولا واسعتها ولا مختلفة الوضع في البياض والسواد . وتكون رطبة المنظر من غير ضعف ولا علة شهلاء او خفيفة الشهولة او كحلاء او شعلاء خفيفة الشعولة . شحيمة الجفن الاعلى والاسفل ملوزة الوضع سوداء الحدقة الفاصلة بين بياضها . وقل ان تجتمع في عين هذه الاوصاف كلها بل غالبها فاجعل هذه العين الموصوفة انموزجاً واحكم لها ان صاحبها يكون حسن الطبع جيد العقل غزير المروءة وكثير الخير قوي الفطنة متصفاً بكل خلق فاضل »

فراسة الحواجب

يقسمون الحواجب من حيث اشكالها الى اربعة اقسام (١) الحواجب المتحدة في خط واحد (٢) الحواجب المتحدة في قوس واحدة (٣) الحواجب المقوسة المستقلة (٤) الحواجب المنفرشة . ولهـذه الاشكال تنوعات شتى لتفاوت كل منها بالثخن والطول



(ش ٦٣)
الحاجبان في خط واحد

(١) ﴿ الحاجبان في خط واحد ﴾ : وذلك ان يقترن الحاجبان عند اصل الانف فيتألف منهما خط ذاهب في عرض الجبهة (ش ٦٣) وقد يذهبان في خط واحد ولا يقترنان وتغلب هذه الحواجب في الرجال وتندر في النساء . وهي دليل الحسد فاذا رافقها غور العينين واسودادهما مع خشونة الملامح كان صاحبها كتوماً عبوساً عاتياً ظالماً سيء الخلق طماعاً



(ش ٦٤)
الحاجبان في قوس واحدة

(٢) ﴿ الحاجبان في قوس واحدة ﴾ : وقد يستطيل الحاجبان نحو جانبي الوجه ويرتفعان من الوسط حتى يتكون منهما قوس واحدة (ش ٦٤) وصاحب هذه الحواجب لطيف المزاج رقيق الخلق خفيف الروح ولكن يغلب فيه العبوسة كانهُ سوداوي المزاج

(٣) ﴿ الحاجبان في قوسين مستقلتين ﴾ : وهذا هو الغالب في اشكال الحواجب في النساء والرجال (ش ٦٥) ويكون في النساء دقيقاً مزججاً وهو ما يعبر العرب عنه بالحواجب النونية لمشابهتها بحرف النون كقول عنترة



(ش ٦٥) الحاجبان في قوسين

وبحاجب كالنون زين وجهها
وبناهدٍ حسن وكشح اهضم

وقول الآخر

وحاجبه نون الوقاية مــا وقت ＊ على شرطها فعل الجنون من الكسر

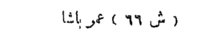
ومثله قول الآخر

وجبينها صلتٌ وحاجبها ＊ شخت المخط ازجُّ ممتد

فهو من محسنات النساء ودليل الخلق الحسن

واما في الرجال فاذا ثخن واقترن بالحاجب الآخر أو لم يقترن فصاحبه يقظان سريع الانتباه كثير الحذر (ش ٦٦)

(٤) ﴿ الحواجب المنفرشة ﴾ : ويراد بها انفراش شعر الحاجب من طرفه وذهابه الى الوراء (ش٦٧) وهي تدل على خلق ناقص . وقد يكون شعر الحاجب مسترسلاً الى الاسفل بدلاً من الاعلى او الوراء . ولا بد من التمييز بين هذه الحواجب والحواجب المقوسة المسترسلة فوق العينين واصحابها في الغالب اهل شجاعة وقوة وهيبة وصبر كالامير بشير الشهابي الكبير (ش ٦٨)



(ش ٦٦) عمر باشا

وافضل الحواجب عند منفرسي العرب « الحاجب الممتد المعتدل الحسن الوضع والنبات للشعر وتناسب الطرفين مع دقته وارتفاع مؤخره الى جهة الصدغ وبلجه وارتفاعه عن العين قليلاً »

(ش٦٧) الحواجب المنفرشة

على انك قلما تجد حاجبين على احد الاشكال الاربعة التي قدمناها تماماً والغالب ان تكون اشكال الحواجب مشتركة بين اثنين منها او اكثر . ولا بد من الانتباه قبل الحكم . على اننا لا نستحسن الحكم على الحواجب مجردة عن العيون بل لا بد

من اعتبار الاثنين معاً وهو مما يزيد الفروع ويكثر الاشكال

وقد درس بعضهم بعض اشكال الاحداق مع الحواجب وخصوصاً في النساء فاذا هي سبعة لكل منها دلالة خاصة (ش ٦٩)

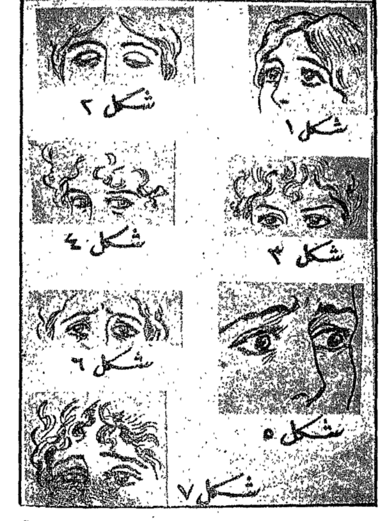
فالشكل الاول من اشكال العيون السبعة المرسومة امامك يدل على ميل الى الموسيقي والشعر وسائر الفنون الجميلة مع ذكاء وحدة وقد تكون اجفانها مطبقة احياناً كما في الشكل الثاني ولكن التفاتها الى فوق على ما في الشكل الاول يدل دلالة واضحة على ميل تلك الفتاة الى الفنون الجميلة



(ش ٦٨) الامير بشير

وترى في الشكلين الثالث والرابع مشابهة من بعض الوجوه فالاخلاق فيهما متشابهة . وتدل هذه العيون على ميل صاحبتها الى الدلال والترف والقصف الا ان صاحبة الشكل الثالث تحاول اخفاء اميالها والتلبس بالحشمة والرزانة والحق ظاهر من وراء ذلك

ويدل الشكل الخامس



(ش ٦٩) اشكال العيون والحواجب

على عيني فتاة يغلب الجد على طباعها فتأنف من المزاح وتعبد عن المجون فهي غير صالحة للزواج لانها لا ترضي زوجها ولا هو يرضيها ولو كان اغنى من قارون واحكم من سليمان . بل هي اصلح للتمريض في المستشفيات او التدريس في المدارس

واما عينا الشكل السادس فاخلاق صاحبتها كاخلاق الكهلات العزبات اللواتي يدركن الكهولة ولا يتزوجن وان تكن هي لا تزال في ابان الشباب . وأوضح الادلة على هذا الخلق تقوس الحاجب كما في هذا الشكل

اما الشكل السابع وهو الاخير فعيناه عينا فتاة تصلح للزوجية وخصوصاً لمن كثرت اشغاله و بعدت مطامح اغراضه فكأن اعتدال حاجبيها يدل على اعتدال اخلاقها واقتصادها وتدبيرها

وقد يهتم العزاب في هذا الموضوع اكثر من المتزوجين لانهم يستعينون به على اختيار الزوجات فليتبصروا لئلا يخلطوا بين الاشكال او يحسبوا هذه القواعد بلا استثناء فضلاً عما تؤثره التربية والتعليم مما قد يقوم مقام خلق جديد . أما اذا ثارت ثائرة الغضب او اتقدت شعلة الحدة فيرجع كل خلق الى اصله

﴿ فراسة الخد ﴾

تختلف دلالات الخدود باختلاف اشكالها والوانها وكلاهما يتوقف على حال الصحة ونوع المزاج . وعلى شكل الخد يتوقف شكل الوجه . فيقال بالاجمال ان الوجه المستدير اذا كان فيه لون دل غالباً على صحة اعضاء التغذية وقوتها وكان صاحبه حيوي المزاج . واذا كان الوجه مستديراً مع بهوت اللون كان صاحبه ليمفاوي المزاج وقس سائر اشكال الوجوه على ما قدمناه في باب فراسة الامزجة واشكال الوجوه (صفحة ٢٦) لان شكل الوجه يتوقف على شكل الخد . .

﴿ الاستحياء ﴾ : من الناس من اذا استحى من عمل او سمع ما يخجله تصاعد الدم الى وجهه حتى تتورد وجنتاه وهو غالب في النساء . و يدل ذلك على لطف الخلق

ودقة الشعور . وهو يكاد يكون خاصاً بالشعوب المرتقية ولا أثر لهُ في الزنوج ونحوهم . وقد ذكر بعضهم ان السرية الشركسية اذا كانت ممن يصبغ الحياء وجوههن عند الخجل تضاعف ثمنها

﴿ النونة ﴾ : وهي تدل في القاموس على النقرة في ذقن الصبي ومثلها « الفحصة » ولكننا نريد بها هنا دارة تبدو في الخد عند الضحك ويسميها العامة « الغمازة » وهي تدل على ميل صاحبها الى السرور مع بساطة القلب وسلامة النية بما يقرب من سجايا الاحداث

﴿ الصدغ ﴾ : وهو ما بين العين والاذن . وتعاظمه يدل عند علماء الفراسة على اقتدار خصوصي في مهنة الطب . فمن كان صدغه بارزاً كان ميالاً الى الطب فاذا تعلمه برع فيه وعندهم دلالات اخرى لكل من اجزاء الخد واشكالها مما لا نرى فائدة من نقله لاسناده الى مجرد الحدس



(ش ٧١) عثمان باشا الغازي

﴿ الوجنة ﴾ : الوجنة ما ارتفع من الخد ويسميها العامة كرسي الخد ويزعم بعض علماء الفراسة انها اذا برزت واتسعت (ش ٧٠) كان صاحبها شديد الدفاع عن نفسه وعن اهله وذويه . ويغلب في اصحابها ان يكونوا من رجال الحرب وبناة


(ش ٧٠) الوجنة البارزة العريضة

الحصون والمعاقل وهي عظيمة في الصينيين وهم مشهورون بميلهم الى بناء الاسوار والجدران . وكذلك اهل هولندا وهم مضطرون الى الدفاع عن بلادهم ببناء الجسور والسدود خوفاً من البحر . ومن اشهر قوادنا عثمان باشا الغازي ووجنته واسعة (ش ٧١)

وافضل الاوجه الدالة على الخلق الحسن عند متفرسي العرب « الوجه المزهر المتهيب المعتدل في تكوينه ولونه ووضع عينيه واذنيه وتخطيط انفه وظهور البشر والسرور على اسرته »

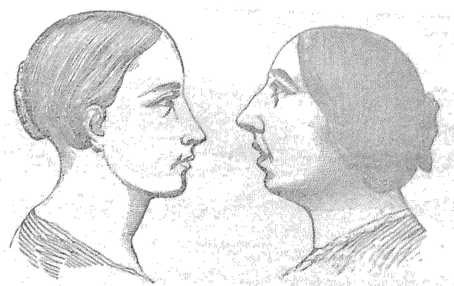
فراسة الجبهة

ان الكلام في فراسة الجبهة تابع للكلام في فراسة الرأس (الفرينولوجيا) وسيأتي الكلام عليه ولكننا نأتي هنا على بعض الخصائص المتعلقة بالجبهة وحدها

اذا تفرست في جباه الناس لا تجد جبهتين في شكل واحد وقياس واحد تماماً ولا بد من اختلافها بعضها عن بعض اما بالسعة او بالبروز او بالاستدارة او بالتغضن او بالانكباب او الانبساط او الانبطاح او الاشراف او الجلح او الخسوف ونحو ذلك ولهذه الاختلافات عندهم دلالات مختلفة

﴿ سعة الجبهة ﴾ : معلوم ان مقر العقل في الدماغ والدماغ في اعلى الراس وسعة الجبهة تدل على كبر الراس فتكون سعة الجبهة دليل العقل . على ان سعتها لا تدل دائماً على ذلك لان العمدة في حكمنا انما هي على مقدار الدماغ في الرأس وعلى نسبته الى بقية اجزاء الرأس

وقد يتبادر الى الذهن أن الفرق بين العقول اكثر كثيراً من الفرق بين الجباه ولكننا اذا قابلنا بين الجباه بالقياس العياني فرق الفرق اكثر كثيراً . كما يظهر ذلك من النظر الى الشكلين (٧٢و٧٣) فهل يصعب عليك الحكم في أي المرأتين



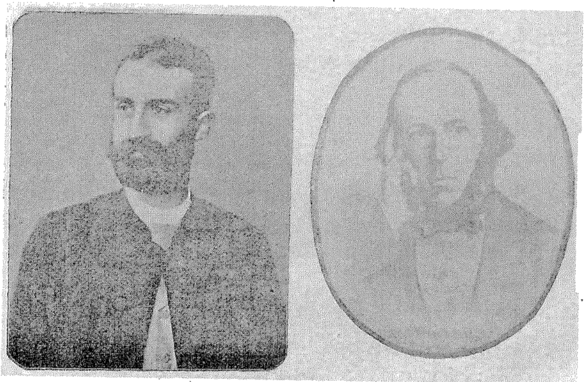
(ش٧٢) جبهة صغيرة (ش٧٣) جبهة كبيرة

اعقل ؟ ومن ينظر في الشكل (٧٤) ولا يحكم قطعياً ببلاهة صاحبه ؟



(ش٧٤) راس الابله

ومع ذلك فان انبه الحيوانات واذكاها لا تبلغ جبهته بالكبر مبلغ جبهة البله من الآدميين . وحجم الجبهة يتدرج في الآدميين بتدرجهم في مراتب المدنية فهي اعظم في القوقاسي مما في الاوسترالي واكبر في هذا مما في الزنجي وهو امر مشهور . ولو تفحصت جباه اعاظم الرجال لرأيتها كبيرة



(ش ٧٥) سبنسر (ش ٧٦) اديب اسحق

واسعة . نكتفي بالاشارة الى اشهرهم مثل نابوليون وشكسبير وملتن وغوتي وفرنكلين وسبنسر (ش٧٥) وهكسلي . وعندنا من اصحاب هذه الجباه اديب اسحق (ش٧٦) ونامق كمال بك (ش ٧٧)

﴿ تغضن الجبهة ﴾ : ونريد به ما يظهر في عرض الجبهة من الثنيات المتوازية كما في (ش ٧٨) وصاحبها ميال الى عمل الخير يشارك الناس في مصائبهم واتعابهم . وهي اظهر في الرجال مما في النساء وان كان النساء اشد شعوراً مع الناس من الرجال ولكن هؤلاء اكثر عملاً في اعالتهم

﴿ تغضن ما بين الحاجبين ﴾ : اذا اقطب المرء حاجبيه تكوّن بينهما تغضن عمودي يختلف باختلاف الناس . فقد يكون خطاً مفرداً او مزدوجاً او بضعة خطوط . ولكل منها دلالات



(ش٧٧) نامق كمال بك الكاتب التركي الشهير



(ش٧٨) لوثيروس



(ش ٧٩) المستر او سكذنيان

فاذا اشرف التغضن فوق الانف وكان متعددًا كان صاحبه متعقلاً حازمًا . واذا كان مفردًا دل على شرف النفس والانفة . واذا كان مزدوجًا (ش٧٩) كان صاحبه طلابًا للعدل لا يطيق الضيم . يحكم بالانصاف ولو على نفسه كذلك كان لوثيروس المصلح المسيحي المشهور وكان التغضن بين حاجبيه مزدوجًا (ش ٧٨)

وافضل الجباه دلالة على الاخلاق الحسنة عند العرب « المعتدلة الموافقة لوجه صاحبها التي ليس فيها تربيع ولا تحرف ولا هي مسحاة الى الرأس ولا مشرفة على الوجه ولا عظيمة ولا صغيرة ولا ضيقة ولا واسعة ولا طويلة ولا جلحاء ولا قصيرة الشعر ولا مستدقة ولا هي مخفة ولا خشنة ولا شعر الرأس مالك اعلاها بكثرة بل مستوية الخلق لينة عالية في وضعها حسنة المنظر نقية من الشامات ومن الخيلان ومن الشعر النابت بها كالزغب »

فراسة العنق

يظهر من ملاحظة أحوال الطبيعة ان ما كان من الحيوان ضعيفًا سقيم الطبع يكون ذا عنق طويل . فالزرافة والنعامة مثلاً قد خصتا بطول العنق لما تحتاجان اليه من بعد النظر لسلامتهما من الآفات . ومن المعلوم انهما يشتركان والطيور الطويلة الاعناق في الجبن والضعف مع اللطف

والارانب بما هي عليه من الجبن قد خصت بطول الاذان وبعد النظر وظل عنقها قصيرًا . لانها لا تأوي السهول بل تخلد الى مهاوي الارض وثقوبها . ولذا لم تكن في حاجة الى بعد النظر فلم تكن حادته . على ان حاسة السمع فيها بالغة حدًا عظيماً لحاجتها اليه فترى اذانها مستطيلة غضفاء

قابل هذه بالشجاع القوي من الحيوان كالجاموس والاسد والثور فتراها قصيرة الاعناق غليظتها . ومن الحكمة البالغة ان القوي من الحيوان ليس بالسريع الجري لكي يستطيع الضعيف النجاة من مخالبه . فالقوي بطيء الحركات والضعيف سريع الخطو

فالجبن واللطف والضعف مقرونة بطول العنق ودقته . والقوة والقسوة والثبات ملازمة قصير العنق وغليظه وبين هذين الطرفين أشكال وأحوال مختلفة

وينطبق هذا الناموس على البشر أيضاً . فالعنق القصير الغليظ في الرجل دليل القوة والشجاعة والصبر على المكاره . وكل رجال القوة البدنية واهل الجلاد والحرب غلاظ الرقاب . وغلظ الرقبة يدل على سعة الصدر وقوة البدن كما في الشكل (٨٠)

(ش ٨٠) السلطان عثمان الغازي

واما الرقاب الدقيقة فاصحابها نحاف لطاف مع جبن . وهي اكثر في النساء مما في الرجال والفرق بين الجنسين مشهور . والعرب تشبه العنق الطويل بعنق الظباء ويعدونه من دلائل الجمال كقول بعضهم

والجيد منها جيد جؤذرة * يعطو اذا ما طاله المرد

وقول الآخر

براقة الجيد واللبات واضحة * كانها ظبية افضى بها لببُ

واحمد الاعناق دلالة على الخلق الحسن عند العرب « ان يكون العنق معتدلاً بين الدقة والغلظ وبين القصر والطول وان يكون سبطاً لدناً خفي العروق والودجين والقصبة والحنجرة والفقار وحسن اللون مستوي المغرز »

فراسة الاذن

الاذن آلة السمع فاذا كانت عظيمة دلت على قوة حاسة السمع في صاحبها . وكبر الاذن يستلزم كبر الايدي والارجل وسائر الاعضاء والعكس بالعكس . وقد وجدوا بالاستقراء ان عمال البر ورجال الاصلاح يغلب ان يكونوا كبار الآذان كالأب متى احد دعاة الدين العظام وكذلك كوبر وماسون وغريزون واسحق هوبر وتوماس كاريت وابراهيم لنكولن وغيرهم . ووجدوا من الجهة الاخرى ان جماعة من رجال الاموال كانوا كبار الآذان أيضاً وفيهم كثيرون من بيت روتشيلد واستور وجيرار وغيرهم

وعندهم ان الاذن المستطيلة من الاعلى الى الاسفل لها قوة على تمييز الاصوات والتفريق بين طبقاتها ونغماتها . وبعكس ذلك الاذن العريضة . وبين عضو السمع وعضو النطق نسبة متبادلة . فمن كانت اذنه قادرة على تمييز الاصوات كان نطقه قادراً على اخراجها

ووجدوا ان الاذن الكثيرة التجعدات والطيات اشد حساسة وادق بناءً من سواها . وبعكس ذلك الاذن التي ليس لها الاَّ تجويف واحد . ويؤيدون ذلك بالقياس على آذان الحيوانات فان ادقها سمعاً أكثرها تجعداً

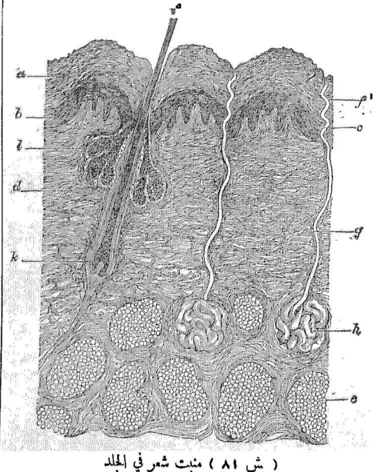
وخلاصة اقوالهم ان ذوي الآذان الحساسة دقيقو الشعور الموسيقي وهؤلاء هم اهل الرقة والذوق على حد قول شكسبير الشاعر الانكليزي المشهور « ان الرجل اذا لم يكن موسيقياً ولا يطرب للموسيقي فهو لا يصلح الاَّ لتدبير المفاسد ونصب المكايد ... »

واحمد الاذان دلالة على الخلق الحسن عند العرب « الاذان المناسبة لمقدار رأسها وتكون حسنة التكوين ليست بمنكسرة ولا منبسطة ولا رقيقة ولا غليظة الشحمة ولا نابتة الشعر في صماخها بكثرة ولا تكون مشرفة الاعلى صغيرة الشحمة . حسنة اللون والوضع والتكاسير التي بها »

فراسة الشعر

لا يخفى ان التنفس منبع الحرارة الحيوانية وبانقطاعه انقطاع الحياة. فمرجع الهمة والنشاط الى التنفس والدفء . فكلما يخزن الحرارة في اجسامنا يزيد في همتنا ونشاطنا

والحيوانات تشترك في شيء واحد يعمها جميعاً وهو الشعر. فالشعر او ما قام مقامهُ كالفرو والريش في بعض الحيوانات والطيور من حافظات الحرارة . وبالنتيجة فهو حافظ للهمة والنشاط



(ش ٨١) منبت شعر في الجلد

﴿ الشعر والقوة ﴾ : ومن الحقائق المقررة بالمشاهدة ان اشرس الحيوانات اغزرها شعرًا . وان نوابغ الاذكياء خفيفو الشعر الاَّ نادرًا . يستدلون على صدق ذلك بالجاموس الاميركي فانه غزير الشعر ويستحيل أن يكون اليفًا مهما أجهد المرء نفسه في تهذيبه . مع ان الاسد وهو ملك الحيوانات وسيدها قد يألف . والانسان قليل الشعر كثير الذكاء والدهاء

ولما كان الشعر من حافظات القوى كما تقدم فمن الواجب ان يكون كثير الشعر نشيطاً قوي البنية . وخفيفه داهية حاذقاً في كل ما يقتضي اعمال الفكرة واليك الدليل

من يطالع تاريخ رجال انكلترا يجد اكثر عظمائهم ونوابغهم خفيفي اللحية والشاربين . وللقارىء ان يبحث بين اصدقائه وخلانه ممن يعرف اخلاقهم ومقدرتهم

فيرى صحة هذا القول . أما غزير الشعر فانه ميال الى الاعمال التي لا تقتضي اجهاد العقل والعكس بالعكس

ولزيادة الايضاح نضرب مثلاً : اكثر القراء يعرفون مثل عيسو ويعقوب في التوراة فقد كان عيسو شعرانياً ويعقوب بعكس ذلك . وكان عيسو شجاعاً ميالاً الى الحرب والغزو وجبار بأس ولكنه ضعيف الرأي فلما عضه الجوع مرة باع بكوريته على ما كان لها من المنزلة في عيون القوم لذلك العهد

اما يعقوب احد التوأمين فكان بعيد الشبه من اخيه . مع ان المتبادر الى الذهن ان التوأمين يتشابهان لا في المنظر فقط بل في الاخلاق أيضاً . فانه كان محباً للعزلة والانفراد « قعيدة بيت » ولم يبدُ منه ميل الى القنص والصيد مع شيوع تلك العادة في ذلك الزمان . ومن المعروف ان قعيدة البيت يكثر التأمل والتفكر وقواه الجسدية تضعف وتنحل

فكان يعقوب حكيماً بصيراً بالامور ودخائلها حاضر الذهن اذا دعاه الداعي الى استعمال الحيل كما وقع له يوم لقي اخاه وهو عائد من المشرق الى فلسطين كما تراه مدوناً في موضعه

ولنا مثال آخر في شمشون فان قوته كانت تلازمه ما دام شعره طويلاً وتفارقه اذا قص شعره . والاكثرون يعجبون لذلك ويرومون الوقوف على العلاقة بين قوة شمشون وطول شعره . ولكن الفراسة تكشف لنا النقاب عن هذا السرّ وتعلمنا ان طويل الشعر مملوء بالنشاط والقوى الحيوية ميال الى تعاطي الاعمال العنيفة التي لا تقتضي امعان الفكرة او اجهاد القوى العاقلة . وعكس الامر بادٍ في عديمي الشعر او خفيفيه . فان الاجرد في الشرق عنوان المكر والدهاء والناس في بلادنا يتشاءمون من رؤيته . ولا يستفاد مما تقدم ان الشعر سبب القوة وانما هو مقارن لها ودليلها وهي حقيقة ثابتة عرفها الاقدمون من المتمدنين وغيرهم . فان جوبتير وهو عند اليونانيين اله القوة والمقدرة يمثلونه في اصنامهم واشعارهم بصورة رجل طويل شعر الرأس كث اللحية

وقد يعترض بان الاجيال البيضاء قليلة الشعر وهي المتغلبة على الاجناس الكثيرة الشعور فكيف يحدث ان القوي يخضع للضعيف ؟ والجواب على ذلك ان خفيف الشعر ضعيف البنية ولكنه ماضي القوى العقلية — والعقل هو الذي يدير الكون ويحكم في الكائنات فان الاختراعات والاكتشافات وجميع التدابير انما مرجعها العقل . وللعقل اليد الكبرى في تقدم الاجيال القوقاسية وميزتها على غيرها من ابناء نوعها

وهناك سبب آخر لتقدم الاوربيين وغيرهم من الامم القوقاسية على سائر الامم وهو ان القوقاسي يستطيع السكن في جميع الاقاليم سواء كانت حارة او باردة او معتدلة ولا يستطيع ذلك غيره من بني البشر . فللاوربي من الميزة على غيره ما يخوله السلطة والتقدم طبقاً لناموس الارتقاء العام القاضي ببقاء الانسب

ورؤوس الناس يحفظها الشعر وهو بمثابة غلاف للدماغ . ومن الحيوان ما يخزن قوته في الحبل الشوكي والكتفين والصدر فينمو الشعر على هذه الاجزاء بغزارة . أو ان هذه الحيوانات تستعمل الرأس للدفاع فقط ولذا كان عظم الرأس ثخيناً صلباً فيها . وزد على ذلك ان الزنوج والقرود الدنيا قليلة شعر الرأس قصيرته بين ان البيض والقرود العليا طويلته



(ش ٨٢) جون نوكس

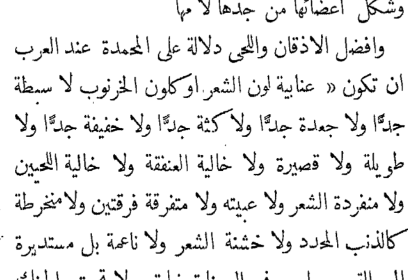
﴿ طول الشعر ﴾ : وطوال الشعر من الناس اسخياء بالطبع وعكسهم قصار الشعور فهم عصبيو الامزجة ذوو حدة وعجلة عديمو التأني

ومن دلالات علم الفراسة ان غزارة الشعر وطول اللحى واسترسالها تدل على طيب القلب والغيرة والهمة . فان الامم المنحطة قصار اللحى

وبعكس ذلك الشعب القوقاسي فانه طويلها (ش ٨٢)

وتدل اللحية الطويلة على القوة العضلية · ومن خف شعر عذاريه غلب عليه ان يشبه والدته بالخلق والخلق · وبعكس ذلك النساء اللواتي ينبت الشعر في وجوههن فان فيهنّ خلال الرجال فالفتاة الشعرانية تكون اخلاقها اشبه بابيها مما بأُمها

وعرض بعضهم في اوربا في اواسط القرن الماضي امرأة اسمها مدام كلوفوليا لها لحية كلحية الرجال (ش ٨٣) واهتم العلماء في امرها اذ ذاك وفحصوا اخلاقها واعضاءها · فوجدوها ورثت اخلاقها وشكل اعضائها من جدها لأُمها



(ش ٨٣) مدام كلوفوليا

وافضل الاذقان واللحى دلالة على المحمدة عند العرب ان تكون « عنابية لون الشعر اوكلون الخرنوب لا سبطة جدًّا ولا جعدة جدًّا ولا كثة جدًّا ولا خفيفة جدًّا ولا طويلة ولا قصيرة ولا خالية العنفقة ولا خالية اللحيين ولا منفردة الشعر ولا عبيته ولا متفرقة فرقتين ولا منخرطة كالذنب المحدد ولا خشنة الشعر ولا ناعمة بل مستديرة الى التربيع ليس في الوجنات نبات ولا تحت الحنك وفوق الحلقوم ولا متصلة الشعرة بشعر الرأس من الصدغين · فاذا وجدت هذه فانها دليل العقل والعلم والعفة والشجاعة والذكاء وكل محمدة · · · »

ولا يذهب عن بال القارئ ان ماتقصده بطول الشعر وقصره انما هو ميله الى ان يكون طويلاً او قصيرًا اي سرعة نبته وبطؤُه · فهذا الميل مع لون الشعر يحسبان من العلامات الفارقة في الفراسة

﴿ لون الشعر ﴾ : وللون الشعر يد في استطلاع اخلاق الناس · فعندهم ان سواد الشعر دليل القوة · والسبب في ذلك ان الشعر الاسود يحتوي كمية كبيرة من الحديد تتصل اليه من الدم ولا يمكن ذلك الاّ اذا كان الحديد كثيرًا في الدم · والدم ركن الحياة اوهو هي

وألوان الشعور متباينة في البشر حتى لا يميز بينها الاّ العارف الخبير بالالوان . وتعليل الالوان في الطبيعيات واختلافها باختلاف الاجسام ان المادة المركب منها الجسم المرئي تمتص كل اجزاء النور الابيض الاَّ واحداً تقذفه فيكسبها لونه . فسبب احمرار الدم ان النور اذا وقع عليه كأنه ينحل الى ألوانه السبعة الاصلية فيمتص الدم ستة منها الاَّ الاحمر فينعكس الى أبصارنا فنراه احمر . وكل مادة تمتص بعض ألوان النور وتعكس البعض الآخر تبعاً لتركيبها وخصائصها

ولهذا كان اختلاف الوان الشعور عائد الى اختلاف المواد الداخلة في تركيبها على تباين الاشخاص . ولما كانت هذه المواد مستمدة من الجسم البشري حق لنا ان نتخذها دليلاً على بعض الامور التي ننسبها الى الجسم المذكور

واختلف الناس في نسبة الجمال الى الوان الشعر فالافرنج يفضلون الشعر الذهبي . وأما العرب فيفضلون الشعر الاسود ويدلك على ذلك ما نظموه من الاشعار في التغزل به كقول ابن المعتز

سقتنيَ في ليل شبيه بشعرها * شبيهة خديها بغير رقيب
فامسيت في ليلين بالشعر والدجى * وخمرين من راحٍ وخد حبيبِ

وقول زياد بن حمل وفيه مثال الجمال عند العرب

وبالتكاليف تأتي بيت جارتها * تمشي الهوينا وما تبدو لها قدمُ
سودٌ ذوائبها بيض ترائبها * درمٌ مرافقها في خلقها عممُ

واما الافرنج فانهم يترنمون بالشعر الذهبي

{ الشعر الاسود } : ينسبون الشدة والقوة الى من كان شعره اسود فاحماً او ضارباً الى السواد وينسبون صحة ذلك الى ما تقدم من تكاثر الحديد في الدم . على انه قد يحدث ان يكون ذو الشعر الاسود لا سيما اذا كان سبطاً ممن تغلب عليهم السوداء . وفي عداد الكتبة جماعة من هذا الصنف وهم يميلون الى الكتابة الشجية المحزنة ومنهم الوعاظ الذين يمثلون الحياة الابدية على شكل لا يستحبه الاكثرون . ولكنهم لحسن الحظ قليلون اذ يندر ان نشاهد رجلاً جمع كل التقاطيع التي يضع

المنجمون صاحبها في برج زحل — وهي عبوسة الوجه وانعكاف الانف ونتو عظمي الخدين وسقامة اللون واسترسال الشعر

﴿ الشعر الاشقر ﴾ : قال الشاعر (والضد يظهر حسنه الضد) وعملاً بهذا القول ننتقل من وصف الشعر الاسود الفاحم الى الشعر الاشقر وصاحبه على الاكثر ميال الى التأمل والسير في عالم الخيال ويغلب على هذا الصنف من الناس عدم الرضى عن حالتهم واشتهاء غيرها دون ان يستطيعوا تقدير ما يلتمسون · وهم سريعو التقلب في ما يعتمدونه من الاراء والاعمال ويندر ان تطول قاماتهم وينقصهم المواظبة والثبات في الاعمال

﴿ الشعر الخروبي ﴾ : اما الشعر الخروبي وهو ما كان لونه الى السمرة فاصحابه في الغالب ميالون الى المخاطرة والسفر وحب الاستطلاع ويحبون الاشعار والروايات لكنهم حازمون واسعو الصدور وانما يعوزهم الاقتصاد · فهم ينفقون الدراهم بغير حساب لسوء التدبير · فاذا ازدادت سمرة الشعر ونعومته كان صاحبه ميالاً الى المعاشرة والاختلاط حتى يستجلب سرور القوم ويستميلهم اليه · وله انعطاف نحو جنسي الرجال والنساء صغير الدعوى ولكنه كبير الثقة بنفسه · والظاهر ان ابطال الروايات من قرصان البحر وغيرهم من الاقوام الذين قد يحبهم المطالع لمجرد قراءة سيرتهم انما كانوا من ذوي الشعور السمراء المتجعدة فوق الصدغ · وبين هذا الصنف من يميل اليهم الناس لاول وهلة فاذا كان الشخص امرأة صادفت ميلاً اليها بين الرجال او رجلاً لقي ميلاً اليه بين النساء

وصاحب هذا الشعر لا تبدو عليه علامات الشيخوخة بل يظل نشيطاً فرحاً ويغلب عليه الميل الى الاطفال وقد لا يخلو من الحدة بحيث لا يصبر على الانتقاد لما فطر عليه من تقديره نفسه حق قدرها · ويستولي عليه الغيظ اذا اخفق مسعاه في امر لكن هذا يصدق على من كان ناعم الشعر · فاذا كان خشنهُ كان ممن لا يهتم بعواقب الامور

﴿ الشعر الاحمر ﴾ : من الناس من يخالط شعور رؤوسهم السمراء جزئ

يضرب الى الحمرة ويدل هذا الجزء عندهم على الشجاعة والاقدام واذا زاد فزيادته تدلّ على الميل الى الخصام والجدال وقوة الارادة لما يستجمعه ذاك الشخص من نشاط الشعرين الاحمر والاسود

ومن المعلوم انلاحمرار الشعر درجات لا يستطيع المرء التمييز بينها لاول وهلة . وانما يقال على سبيل الاجمال ان الشعر الاحمر يفيد الذكاء وتوقد الذهن وعنداصحاب علم الفراسة انه دليل الخفة والطرب وخير الشعر الاحمر ما كان جعديه كما في تمثال ابولون . ويقال انه يدلّ على ميل فطري الى الشعر والرقة ويتصف اصحابه بقوة التخيل ودقة الحس

﴿ الشعر الذهبي ﴾ : واذا كان الشعر الاحمر ذهبي اللون فالاغلب في صاحبه ان يكون متقلباً ناقص الحزم لا سيما اذا كان كثير السبوطة . واذا اجتمعت هذه الصفات في امرأة كانت ميالة الى المغازلة والمعاشرة . وعندهم بالاجمال ان من كان هذا لون شعره يغلب عليه الطرب ويشتاق الى اهتمام الناس به ويرغب في ما يضمن له السرور ولو آل ذلك الى انقباض الآخرين — يفعل هذا وهو لا يريد لاحد كدراً

ويغلب في من كان شعرها ذهبياً وعيناها ضاربتين الى السمرة ان تكون ذكية ولكن يعوزها الثبات . واما الثبات فيكون حيث تزداد سمرة العينين ويتضح الحاجبان فالسمرة علامة القوة والاصفرار علامة الضعف حيثما كانا . تلك قاعدة عامة يستطيع كل واحد امتحانها في من يعرفه

﴿ قوام الشعر ﴾ : ونعومة الشعر دليل التأنث مع شغف بالمناظر الطبيعية والوقوف على اسرار الطبيعة وصاحبه يكره الشغب والضجيج . وقد لوحظ في هذا الصنف من الناس خفة الروح فهم تهزهم الموسيقى ويتأثرون لقراءة الروايات المحزنة حتى تسيل دموعهم

ويقال في ذوي الشعور الخشنة عكس ما يقال في اولئك فهم اقوى واكثر منهم اعتماداً على النفس واضبط لحاساتهم مع العنفوان والميل الى السيادة

﴿ الشعر الجعد ﴾ : وقد تبين بالاختبار ان صاحب الشعر الجعد ميال الى

الطرب والسرور . فهو أبداً فرح قوي العواطف الى حد التهيج . بعيد عن النميمة وسوء الظن . يغلب عليه التبصر والفطنة وحب الاقتصاد مستقل في حركاته واعماله

وعندهم في الشعر دلائل كثيرة لا تستفاد من غيره على ان ذلك لا يستلزم الاغضاء عن تقاطيع الوجه . وخير الطرق لممارسة الفراسة ان ينظر الطالب الى صورة فوتوغرافية مزوقة لاحد اصدقائه ممن يعرف اخلاقهم ويقيس ما استفاده من هذه الصورة في صاحبها على غيره فيكتسب تدريجاً ما يمكنه من الاستطلاع الذي يسعى وراءه

ويحسن ان يجمع الباحث بين لون الشعر ولون الوجه وان يضيف اليهما كيفية نمو الشعر . أنظر الى الفرق بين جبين وضاح خال من الغضون وبين جبين كسا اعلاه الشعر وانظر في شعور المصورين بما عرفوا به من شدة تعلقهم بالطبيعة وبجميع ما يسر الحواس الى حد الجنون فترى ما يدلك على علاقة الشعر بالاخلاق

وبين اصحاب المزاج الدموي فئة تمتاز باحمرار الوجه وطلاقته مع تجعد الشعر وميل الى الصلع في اعلى الرأس . ويكثر في هذا الفريق الميل الى المعاشرة والمخالطة لكنهم ذوو حدة

فراسة الايدي

فرغنا من النظر في فراسة أعضاء الرأس وهي اكثر الاعضاء دلالة على الاخلاق لقربها من الدماغ مركز الحس العام وآلة القوى العاقلة . على ان الاعضاء الاخرى لا تخلو من دلالة على اخلاق اصحابها وخصوصاً الايدي والاقدام

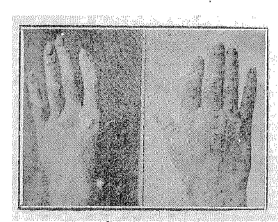
﴿ يد الانسان ﴾ : تمتاز يد الانسان عن ايدي سائر الحيوانات بلباقتها ودقة حركتها ونحافة تركيبها . فتأتي من الاعمال بما لا يستطيعه الحيوانات الاخرى . ومهما قيل في اتقانها فهي ترشد قلم الكاتب وفرشاة المصور وريشة الجراح وملقط الصائغ ومبرد الحداد وهي التي تطعم الطعام وتلبس اللباس وتصطنع ادوات الزينة . بل هي

معين الدماغ ورئيس اركان حربه وخادم العقل . بل هي اشرف خدمة العقل ولا سيما في الصناعة

ولا نطيل الكلام في اليد لانها لا تدل على الاخلاق الا من وراء حجاب وانما نأتي على خلاصة ما وصلوا اليه من هذا القبيل . فهم يقسمون الايدي او الكفوف الى ثلاثة اقسام تبعاً لمزاج اصحابها وهي (١) المستطيلة العظمية (٢) القصيرة اللحمية (٣) النحيفة . فالاولى يد صاحب المزاج العضلي والثانية يد صاحب المزاج الحيوي والثالثة يد العصبي (راجع فراسة الامزجة صفحة ٢٦) فاذا عرفت ذلك هان عليك معرفة اخلاق اصحابها

على ان بعضهم نظر في الكفوف نظراً آخر فقسمها الى ثلاثة اشكال جعل لكل شكل دلالة خاصة (١) الكفوف المحددة (المروسة) (٢) الكفوف المخروطية (٣) الكفوف المربعة

(١) ﴿ الكفوف المحددة ﴾ : يقرب شكل اصابعها من المغازل ولذلك سموها أيضاً « الكف المغزلية » اظفارها لوزية الشكل . فاحذر من هذه الاظافر فانها تشبه براثن الكواسر وتدل على طيش صاحبها واهماله واسرافه وكذبه وصلابة قلبه وقلة احساسه . واجمع بين اليد المحددة واليد المخروطية وابعدها عن المربعة لئلا تقتلها . ومحددات الايدي ذوات احلام واوهام لا يعرفن تدبير المنزل ولا يقدرن على ادارة العائلة يحببن اولادهن ولكن لا يعرفن كيف يربينهم . وترى في الشكل (٨٥) صورة كف اميرة تزوجت ثلاث مرات وافترقت عن ازواجها الثلاثة بالطلاق

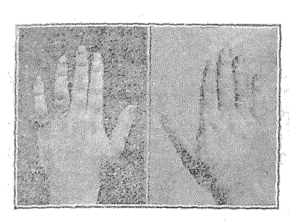


(ش٨٥) كف محددة لامرأة

(ش٨٦) كف محددة لرجل

(٢) ﴿ الكف المخروطية ﴾ : يشبه شكلها لاول وهلة شكل الكف المحددة

لكن اصابعها تنتهي باطراف مستديرة · فمن ساعده الحظ في الحصول على زوجة يدها مخروطية كان سعيداً لانها افضل الايدي من حيث الزواج · والسبب في ذلك انها مع خلوها من نقائص اليد المحددة فهي ايضاً خالصة مما في اليد المربعة من حب الاثر والشدة · وهي تدل على النباهة وحسن السياسة وحب الوفاق والسلام والامانة والشعور بالواجب مع قوة الحكم والحنو والصلاح · فهي خير كف يجب التماسها في الزواج وصاحبها يوافق صاحب اليد المحددة وصاحب اليد المربعة لانه متوسط الاخلاق بينهما



(ش ٨٦) كف مخروطية لرجل (ش ٨٧) كف مخروطية لامراة

(٣) ﴿ اليد المربعة ﴾ : وهي يد الاساتذة والعلماء وذوي العقول السامية والرياضيين واهل الحزم والهمم العالية والاقدام ورابطي الجاش وارباب الرياسات واصحاب الامر والنهي · وهم في الغالب اهل طمع واثرة يحبون ذواتهم ويستهلكون في سبيل الاستقلال · فلا نتوقع منهم الحنو والرقة · وقد يكونون حسني السريرة لكن بدون انعطاف · وهم لا يحبون الفنون الجميلة ولا يفرقون بين حسنها وقبيحها · ولكنهم اهل عمل وعدالة ونظام ولذلك فهم لا يتوافقون مع اصحاب الايدي المحددة

ش ٨٨ كف مربعة لرجل ش ٨٩ كف مربعة لامرأة

وعند العرب افضل الاكف دلالة على الخلق الحسن « الكف السوية الخلق اللينة المجسة الحسنة البشرة الرخصة الرفخة المعتدلة بين العبالة والهزال والتدوير والطول

والقصر وبروز العروق وخفائها وطول الاصابع وقصرها . والآخذة الى الطول افضل والخفية عقدها والنقية بياض لون الاظافر منها مع التشريب بحمرة خفية . واذا غمزت عليها اشتدت الحمرة فيها وأن تكون الاظفار مقبقبة والى الطول . وان يكون بها لين ورخوصة ولها عرض وانفراش مع التقبقب »

وكان من محامد الايدي عند العرب ان تكون لينة الانامل ومن ذلك قول النابغة الذبياني

سقط النصيف ولم ترد اسقاطه * فتناولته واتقتنا باليد
بمخضب رخص كان بنانه * عنم يكاد من اللطافة يعقد

وقول الآخر

ولها بنان لو اردت له * عقداً بكفك امكن العقد

فراسة الاقدام

وما قيل في فراسة الاكف يصدق على الاقدام وبين اليد والقدم نسبة متبادلة كما قدمنا في باب ناموس التناسب (صفحة ٢٤) فلا حاجة الى التكرار ولكننا نشير الى بعض الأمور الخاصة بالقدم مما لايخلو ذكره من فائدة

فالقدم ذات الاخمص العريض مع ضعف الخصرة يدلُّ على الرجولية والقوة والثبات . واما نحافة القدم وغور خصرها فيدلان على لطف المزاج ونحافة البدن وتناسب اعضائه . وبعضهم يحسبه من زيادة الارتقاء . اما العرب فقد كانوا يعدون خصر القدم من دلائل الجمال ومن ذلك قول بعضهم

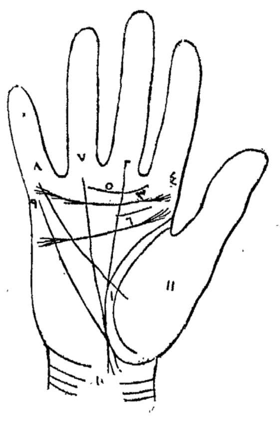
ومشت على قدمين خصرتا * للطافة فتكامل القدُّ

وادلُّ الاقدام على الاخلاق الحسنة عند القدماء « القدم السبطة الرخصة المستديرة الكعبين والعقب الخفيفة اللحم الخفية العروق في الاخمص اللطيفة المقدار المتناسبة الاصابع النقية الاظفار »

فراسة الكف

ونريد بها علم اسرار الكف وهو من العلوم القديمة ويسميه الافرنج (Palmistry) وكانوا يستدلون به على ما سيلاقيه الناس من السعد او النحس مما لا يخرج عن حدود الخرافة . على ان الافرنج درسوه درساً دقيقاً في الاجيال الاخيرة فتوصلوا الى نتائج لا يخلو ذكرها من فائدة قالوا :

في الكف من قواعد الاصابع الى الرسغ ميازيب او اخاديد بينها ارتفاعات تختلف كبرًا وسعة ، وعبروا عن الميازيب بالخطوط وعن الارتفاعات بالاكمات وجعلوا لكل منها اسماً من أسماء الكواكب أو بعض الاعضاء . فلنبدأ بالخطوط العرضية . فالخط المعبر عنه في الشكل (٩٠) بالرقم (٥) يسمونه حلقة الزهرة . والخط (٣) خط القلب و (٦) خط الرأس . واما الخطوط الطولية فالخط من (١ — ٢) يسمونه خط زحل . والخط (٧ — ١٠) خط ابولون . والخط (٨ — ١) الخط الكبدي . والخط المنحني من اصل الابهام الى الرسغ اسمه خط الحياة . وقد يكون مفردًا او مزدوجاً كما في الشكل (٩٠)



(ش ٩٠) خطوط الكف

واما الاكمات فمنها عند اصول الاصابع رقم (٤) اكمة جوبتير و (٢) اكمة زحل و (٧) اكمة ابولون و (٨) اكمة المشتري ويسمون المسافة بين خط القلب (٣) وخط الرأس (٦) في بطن الكف « سطح المريخ » والمسافة الواقعة في طرف الكف تحت الخنصر اكمة المريخ . وتحتها اكمة القمر . والارتفاع تحت الابهام (١١) يسمونه اكمة الزهرة .

و يبنون على نسبة هذه الخطوط بعضها الى بعض واشكال الزوايا الواقعة بينها اقوالاً قلما تفرق عن اقوال القدماء من حيث ضعف دلالتها وقربها من الخرافات

ولكن يقال بالاجمال ان كثرة الخطوط وعمقها تدلان على العمل . وان صاحب تلك اليد عامل نشيط . وقلتها مع ضعف ظهورها يدل على الخمول او الضعف ولا يعتدّ في ما خلا ذلك

فراسة الخطوط

ويتبع فراسة الايدي دلالة الخطوط على الاخلاق . ويقال في الحكم المأثورة « ما قرأت كتاب رجل الاَّ عرفت مقدار عقله فيه » وهو قول يؤيده الاختبار ويراد به ما ينطوي عليه الكتاب من المعاني والبراهين بقطع النظر عن شكل الخط . ولكن كما يدل انشاء الكاتب على عقله قد يدل خطه على خلقه . لان طباع المرء ترتسم على اعماله وسائر احواله . فمن كان من طبعه الميل الى العجلة رايته يستعجل في مشيه وفي اكله وفي كلامه وسائر اعماله . وبعكس ذلك البطيء فانه يكون بطيئاً في كل عمل يعمله . ومن كان ميالاً الى الترتيب والنظام رأيت ذلك ظاهرًا في قيافته وحسن زيه وفي اثاث منزله ومائدة طعامه وفي كلامه وقد يستطرق ذلك الى اعماله العقلية . فترى ادلته مرتبة متناسقة و براهينه مرتبطة متعاقبة وحساباته واضحة متوازنة . و بعكس ذلك قليل الترتيب فانك ترى التشويش مطبوعاً على كل حركة من حركاته المادية والادبية فاذا لبس ثوباً ساء هندامه وقد ينسى شد ردائه او يخرج بلا ربطة حول عنقه . واذا دخلت غرفته رأيت قميصه على السرير وحزامه على الكرسي ومنديله على الارض . ولو فتحت دفاتره لما علمت ما له ولا ما عليه ولا هو يعرف ذلك . واذا خاطبته في موضوع خلط في البراهين وخبط في الادلة على غير نظام . وقس على ذلك سائر احوال الناس فانك ترى اخلاقهم ظاهرة من خلال اعمالهم

ومن هذا القبيل ظهورها على خطوطهم وخصوصاً الذين يكتبون كثيرا وقد نسوا

القاعدة التي تعلموها في صغرهم فقد يتعلم عشرة منهم قاعدة واحدة على يد معلم واحد فيخرجون من المدرسة ولكل منهم شكل خاص يمتاز به خطه عن سائر الخطوط . ويندر ان يتشابه خطان مشابهة تامة والسبب في ذلك اختلافهم في الاخلاق والاطوار

وللافرنج في هذا الموضوع كتب مطولة ولكنها تبحث في دلالة خطوطهم في لغاتهم على اخلاقهم فلا تنطبق على لغتنا العربية وخطوطها واخلاق كاتبيها . ولكننا بحثنا في هلال السنة السادسة في دلالة الخطوط العربية على اخلاق كاتبيها على ما بلغ اليه نظرنا القاصر وهي من توابع علم الفراسة فيجدر بنا نشرها في ما يلي :

﴿ حسن الخط وقبحه ﴾ : من المشهور المتعارف ان رجال العلم يغلب فيهم قبح الخط وعدم انتظامه ويغلب الخط الجميل المتناسب في النساخ او الذين يكتبون افكار سواهم . وهو امر معقول ولكنه ليس قاعدة عامة . على ان الخط غير المنتظم يغلب في سريعي الخاطر حادي الذهن لانهم يسرعون في الكتابة ليدركوا مجاري افكارهم خوفاً من ضياع المعنى وانقطاع سلاسل المعاني . فهم لا يصبرون على تنسيق الحروف كتسنين السنين وتدوير القاف والعين ونحو ذلك مما يحتاج الى زمن . واما بطيء الفكر فليس ما يدفعه الى العجلة . وكذلك النساخ فهم انما يوجهون انتباههم الى ترتيب الحروف وتنظيمها وضبط كتابتها . واذا قرأت كتابة عالم سريع الخاطر رأيت فيها فضلاً عن تشويش الخط نقصاً في بعض الحروف او الالفاظ . فقد ينسى كلمة او حرفاً وقد يبدل حرفاً بآخر لانصراف مخيلته الى سلسلة افكاره وتتبع الصور المعنوية التي تتوالى امامها فلا ينتبه الى صور الحروف . بخلاف الخطاطين فانهم انما يصرفون قواهم جميعها الى اتقان ما يكتبونه . فقلما تجد في كتابتهم نقصاً او خطأً او اعوجاجاً

﴿ اتجاه السطور ﴾ : ومما تمتاز به الخطوط بوجه الاجمال اتجاه سطورها فهي من هذا القبيل على اربعة ضروب (١) السطور المستوية (٢) السطور الصاعدة (٣) السطور النازلة (٤) السطور المتعرجة . فالسطور المستوية تدل غالباً على هدو كاتبها وانتباهه لما حوله واحتراسه . واما الصاعدة ففيها دليل على الاقدام والطمع والهمة والنشاط . وقد وجدوا بالاختبار ان رجال الاعمال وخصوصاً الذين ارتقوا أوج المعالي

بجدهم واجتهادهم يغلب في خطوطهم الانحراف نحو الاعلى . ومن اعتقاد العامة ان اصحاب هذا الضرب من الخط هم من اهل السعادة والتوفيق واصل هذا الاعتقاد ناشئ عن ميلهم الى الجد والعمل والسهر

وقلَّ من جدَّ في امرٍ يحاولهُ ☆ واستعمل الصبر الاَّ فاز بالظفرِ

اما الخط النازل وهو الذي تنحرف سطوره نحو الاسفل فيدلُّ غالباً على الجبن والمرض او ضعف الارادة . وقد احكى بعض علماء هذا الفن ان سيدة كتبت اليه كتاباً رأى سطورهُ نازلة فتشاءَم وكتب اليها « لقد ساءَني انحدار خطك وخشيت ان تكوني مريضة او على شفا المرض فاكتبي اليَّ بواقعة الحال » فسكتت عنه مدة ثم كتبت اليه « لقد بشرتني بشارة سوءٍ فصدقت نبوتك ولم تمض ايام حتى اصبت بالمرض ولم اعد قادرة على الكتابة اليك » ويؤيد ذلك ان خط السيدات يغلب ان يكون نازلاً لانهنَّ اقل اقداماً واضعف ارادة من الرجال

اما الخط المتعرج فهو ما يصعد ثم ينزل ثم يصعد على غير انتظام كما ترى في (ش ٩١)

والرجاء من حضرتك ان لا تؤاخذهما عن العدد القادم
ولا ان تحملهما على ما مضى من الاهمال كما يظهر من بعض

(ش ٩١)

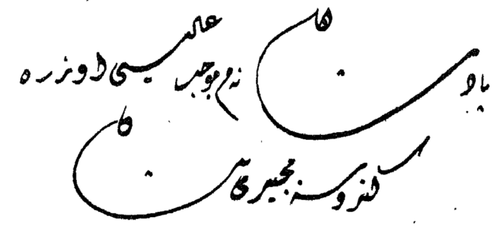
وهو يدل على مجاهدة الكاتب في التماس ما لا يستطيعه فهو في الغالب يتمدر نفسه اكثر مما هي ويحاول ان يكون كذلك فلا يستطيع

﴿ اشكال الحروف ﴾ : ولاشكال الحروف علاقة كبرى باخلاق كتابها وهي كثيرة لا تقع تحت حصر ولكننا نذكر بعضها على سبيل المثال

فالخط المتناسب الحروف الخالي من الشطب والطمس يدل غالباً على ميل صاحبه الى الترتيب والنظافة . فاذا كان قريباً من حروف الطبع غلب على طبعه الصبر وطول

الاناة وخصوصاً اذا رأيت فيه عناية بتدوير الحاآت والجيمات وتسنين السين والشين وتقويم الالفات لما يحتاج اليه ذلك من طول الاناة

ومن اشكال الخطوط ما يميل صاحبه فيه الى مد الحروف الانتهائية وخصوصاً الجيم والحاء والخاء والعين والغين اذا جاءت في اواخر الكلم. وكذلك اطراف السين والشين والصاد والضاد وصاحب هذا الخط ميال الى البذخ والترف . وهو الخط الذي يكتب فيه الفرمانات والعرائض كما ترى في (ش ٩٢)



(ش ٩٣)

ويلاحظ ايضاً في خط الفرامانات صعود في اواخر السطور فالصعود مع مد الحروف الانتهائية يمثلان الاقدام والبذخ معاً

واذا كان الخط متواصل الحروف كايصال الالف بواو الجمع في آخر اللفظ وايصالها بلام التعريف في اوله فهو يدل على ميل صاحبه الى العجلة وبعكس ذلك

(ش ٩٣)

الحروف المتقطعة. ومن كانت حروف خطه متناسبة الحجم متساوية الشكل فهو معتدل

المزاج ثابت المبدأ . اما الحروف غير المتناسبة فتدل على تقلب صاحبها وسهولة انقياده وتردده كما ترى في (ش ٩٣)

والخط المستدق مع الترتيب والتوسعة بين الكلمات والسطور يدل على لطف المزاج ورقة العواطف كما في ترى في (ش ٩٤)

واصنافاً من الاشجار اختلطت من بلدان مختلفة وجعل بين المغارس المنظمة خرقاً مفروشة
بالحصى وفي وسطها حوض مستدير عليه قبة نابتة هنا واطلقه للناس الازند في دهولا

(ش ٩٤)

ومن مال بكتابته الى تكبير الحروف والتوسعة بين الالفاظ كان كريماً او مسرفاً وبعكس ذلك دقيق الالفاظ متلاصقها فانه يكون غالباً حريصاً او مقتصداً

ومن كان خطه قائم الحروف عامودي الالفات واللامات كان بطيء الافكار صبوراً على الجدال . وأما صاحب الخط المائل الحروف القصير الالفات واللامات فانه عجول قليل الصبر على المماحكات سريع الفكر

وهناك خط لا تتميز فيه الفاء من الباء ولا يكاد يظهر فيه سن او انحناء فصاحبه متسارع قليل الاعتناء في تدبير شؤونه كما ترى في (ش ٩٥)

كذب الزاهد ما يبقى اخو الهوى منهن بين موت وبعادِ
متى ينال حبالهن معلقاً عقل الثريا وبعض نجوم شرادِ
واحب يعلو بعد نعمى بيننا ويهيج معتبره بغير بعادِ

(ش ٩٥)

هذه امثلة من اشكال الحروف وعلاقتها بالاخلاق يصح ان تتخذ مثالاً لما لم نذكره منها . ولا يبرح من ذهن القارئ اللبيب ان لكل قاعدة استثناء



﴿ فراسة المشي والقامة ﴾

يختلف الناس في مشيهم واشاراتهم اختلافاً بيناً . ولا بد لهذا الاختلاف من اسباب متصلة بقواهم ومواهبهم — فلا غرو اذا استدلوا على صفات الشخص من مشيته او اشاراته

ومن وسائل الاستدلال ما قد يستخف به كالثياب والطربوش او القبعة والحذاء وهي ينبوع ارشاد لدقيق النظر . وقد نستطيع اخلاق الشخص من مجرد ملاحظتنا تمشيط شعره وهيئة يديه واشاراته وجلوسه ووقوفه وانحنائه في السلام او هز اليد او من اعتنائه بثيابه او قلة اعتنائه بها ومن نظافة حذائه . ومن خطابه لرؤسائه او امثاله او مرؤسيه او اصدقائه

ويستطيع النساء من ذلك ما لا يستطيعه الرجال لانهن يحكمن لاول وهلة بالبداهة على اخلاق الشخص بمجرد النظر الى حركاته وسكناته وقيامه وجلوسه وتكلمه وسكوته وطبقات صوته ونحو ذلك

﴿ المشي ﴾ : اذا رأينا رجلاً يمشي منتصباً على عادته في المشي وخطواته ثابتة عرفنا انه ذو ثبات وحزم . فاذا كان لخطوه وقع شديد كان ممن يحبون السيادة والاستقلال ولا يهتمون بالآخرين ولا بما يرونه فيهم

والصخب — وهو ارتفاع الصوت وشدته — يدل على الميل الى السرعة والاستقلال واصحابه لا يهمهم راحة الغير وانما يسألون عن راحتهم فقط

ومن الناس من يغلب فيهم الهدو والسكينة فاذا حدثته اقبل عليك بلطف ولباقة ومشيته نشيطة بلا اختيال او تبختر حتى لا يكاد يسمع لوضع اقدامه صوت فالرجل رقيق الجانب يحاذر ازعاج الناس سهل الخلق قريب القياد ولا يعتد بارائه ولا يعجب بنفسه

ولوضع الرأس في اثناء المشي دلالة وفي حدب الكتفين مغزًى . فمن كان شأنه التأمل واعمال الفكرة يظلُّ مطرقاً في الارض ومن لم يكن دقيقاً في ملاحظة

الامور او الاستفادة منها مع ميله الى اخفاء مواهبه فهو كبير الدعوى ضعيف الحجة مكابرًا متعنتًا . واذا خلا بنفسه ظهر له المستقبل بجميع احواله . ومن هذا الصنف من الناس من يكون ابدًا حزينًا منكسر النفس في داخله .

﴿ القامة ﴾ : ومن الناس من تنظر الى قامته فترى ظهره ملويًا كالحية في انسيابها . فصاحب هذا الظهر خداع عديم الامانة يعيش بين الناس بمداخلته وكلامه وظرفه و يتمكن في الغالب من اكتساب ميل معارفه اليه وكأن عينيه فت فيهما حصرم فلا تزالان تطرفان

وهنا لك صنف آخر والمثال عليه رجل عريض المنكبين كثير الضجيج يقف ورجلاه مبتعدتان يشير بعصاه الى الاشباح والاجسام واذا لقيته فلا يبقى في ذهنك من اطواره وظواهره سوى صوته وكثرة ضجيجه ويغلب في ظهره ان يكون عريضًا . ومع ما يبدو به من امارات العنفوان والعزة فانه قريب الالفة كثير الاهتمام بالطعام

ولطول القامة وقصرها دخل كبير في الدلالة على اخلاق الناس ومواهبهم ويسهل عليك تعليل ذلك من مراجعة « فراسة الامزجة » فقد رأيت هناك ان طول القامة من دلالات المزاج العضلي وصاحبه قوي في كل شيء . وخصوصًا اذا رافق الطول عرض وهو مزاج الابطال . وبعكس ذلك قصر القامة فانه دليل الضعف ولكن بعض القصار تكون ادمغتهم كبيرة ويزيدها كبرًا انتسابها الى بقية اجسامهم لاننا انما نعتبر حجم الدماغ بالنسبة الى بقية الاعضاء . فاذا جاءنا رجلان احدهما طويل والآخر قصير وكان دماغاهما بحجم واحد ووزن واحد فنعد دماغ القصير اكبر فيظهر الذكاء فيه اكثر مما في ذاك

ومن الامثلة المشهورة قولهم « كل قصير فتنة » اي ان القصار اهل مكر وحيلة وربما كان الاصل في ذلك ضعف قصار القامة بالنسبة الى كبارها وسلاح الضعيف الحيلة فغلب في القصار التحيل . وطول القامة صفة محبوبة عند العرب ويوصف اصحابها بالعزم والبطش والجاه ومن ذلك قول بعضهم

أشمّ طويل الساعدين شمردلٌ * اذا لم يرح للمجد اصبح غاديًا

وبعكس ذلك قصر القامة ويعبرون عنهُ بالقماءة ويراد بها القصر والصغر وهي من العيوب المشهورة قال جواش :

واورثهم شر التراث ابوهم * قماءة جسم والرواء ذميم

وقال آخر

تبين لي ان القماءة ذلة * وان اشداء الرجال طوالها

وهم يدلون على القماءة بقصر الخطى واراد كثير عزة ان يحبب عزة الى نفسه وكانت قصيرة الحجال اي محبوسة في البيت لا تخرج منه فقال

وانتِ التي حببتِ كل قصيرة * اليّ وما تدري بذاك القصائرُ

عنيتُ قصيرات الحجال ولم ارد * قصار الخطى شر النساء البحاترُ

فراسة الازياء

لا نريد بالازياء أشكال الالبسة وضروب هندامها كما يتبادر الى الاذهان من معنى هذه اللفظة لان الناس في هذا العصر متفقون رجالاً ونساءً على ضروب متشابهة من الازياء لا يكادون يختلفون في جزء من اجزائها وخصوصاً الرجال فهم في بلادنا فئات قليلة بعضهم يلبس اللباس العربي القديم من الجبة والقفطان والعمامة وبعضهم يلبس اللباس الافرنجي من السترة والبنطلون والطربوش وفئة تلبس السراويل والكبران ولكننا نريد حال تلك الملابس من النظافة والترتيب والقصر والطول واللون فهم يختلفون في ذلك باختلاف اخلاقهم وأطوارهم واليك البيان

﴿ هندام الثوب ﴾ اذا رأيت شاباً حسن الهندام نظيف الثياب ثمينها لا تشك في انه كريم محب للترتيب ويكون في الغالب مواظباً على عمله ثابتًا في مباديه واذا كان ممن يفضلون من الوان الالبسة داكنها كالاسود وفروعه فاعلم انه من أهل الرزانة . اما اذا كان مبالغًا في وقاية ثيابه من الاوساخ والغبار حريصاً على الهندام حتى

يمنع نفسه من الذهاب او المجيء خوفًا على حسن زيه فهو محب لذاته قليل العناية في احوال ذويه واصدقائه لا يكترث بمساعدتهم او النظر في شؤونهم . واذا رأيته مع مبالغته في النظافة الخارجية قليل العناية في نظافة ما تحت اثوابه من الالبسة البيضاء مهملاً تنظيف جسمه فيغلب فيه الرياء والمداهنة فهو يعطيك من طرف اللسان حلاوة ويروغ منك كما يروغ الثعلب . وبعكس ذلك اذا رأيته كثير العناية في نظافة جسمه وترتيب اثوابه الداخلية دون الخارجية فاعلم انه سليم الطوية مخلص ينظر الى حقائق الاشياء ولا يعتد بظواهرها ولا يهمهُ مدحه الناس او ذموه ولكنه لا يصبر على سوء يرتكبه سهوًا كان او عمدًا ويكون في الغالب دقيق الاحساس حي الضمير يعطي كل ذي حق حقه

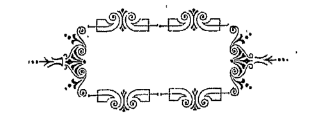
ومن كان ثوبه نظيفًا غير مرتب يغلب في طباعه الاسراف والكسل واذا شاهدت ترتيبًا في بعض اجزاء ثوبه دون البعض الآخر فهو محب للعمل ولكنه لجوج قليل الصبر . واذا رأيت تفاوتًا بين تلك الاجزاء كأن يكون بعضها ثمينًا والبعض الآخر رخيصًا او بعضها ضيقًا والبعض الآخر واسعًا او البعض الآخر قصيرًا والبعض طويلاً او رأيت ثوبه جديدًا وطربوشه أو حذاءه قديمًا فاعلم يقينًا انه ضعيف الرأي قصير النظر في الامور لا يصلح ان يكون مديرًا في عمل من الاعمال

والثوب الواسع المرتب النظيف دليل على صبر صاحبه ومواظبته وترويه واعتدال مشربه فاذا كان مع سعة ثوبه قليل العناية بنظافته فيغلب ان يكون مهملاً كسولاً وهكذا اذا شاهدت نقصًا في حاجيات ثوبه كان تكون صدرته ناقصة الازرار او ان يخرج بلا منديل في جيبه او نحو ذلك . واذا لقيت صاحبًا لك من ذوي اليسار وشممت من اثوابه رائحة البنزين او زيت التربنتينا فاعلم انه بخيل وقد نظف ثوبهُ من النكت لئلا يحتاج الى شراء ثوب جديد واذا رأيت في اثوابه رقعًا او رثيًا فهو شديد البخل طماع . اما اذا فعل ذلك مدفوعًا بضيق ذات يده فهو مقتصد مدبرٌ

﴿ الطربوش ﴾ : لا مشاحة في ان وسخ الطربوش يدل على الاهمال اكثر مما على البخل واما اذا رأيت عليه آثار التنظيف العنيف كالغسل او نحوه فاعلم ان صاحبه

شديد الحرص . ومن لبس طربوشه مائلاً الى الامام حتى تبلغ حافته اعلى الحاجبين فهو معجب بجماله او قوّته والغالب انه يقدر نفسه اكثر مما هي واذا رأيته مع ذلك يرسل هداب طربوشه (الزر او الشرابة) الى الامام فهو لا يخلو من البله ومن يضع طربوشه وضعاً افقياً كان معتدل المزاج محنكاً . واذا ارسله الى الوراء فهو كثير الاهتمام حازم متبصر الاّ اذا كان ارساله على هذه الصورة لاظهار شعره المدهون . واما وضعه مائلاً الى احد الجانبين فدليل على الاعجاب مع الخفة والاستسلام الى الشهوات

﴿ الشعر ﴾ : ان قص الشعر قصيراً حتى لا يحتاج الى مشط في تسريحه يدل على اقدام صاحبه ونشاطه وانقطاعه الى العمل . واما قصه طويلاً وتمشيطه على اشكال هندسية وشدة العناية في ترتيبه فدليل على الميل الى التشبب والمغازلة ويندر ان يكون صاحب هذا الشعر مقداماً نشيطاً . وارسال الشعر طويلاً وعدم العناية في تمشيطه وترتيبه من اكبر ادلة الكسل والاهمال على انها قد تكون دليلاً على الاجتهاد لانصراف ذهن صاحبه الى اعمال اخرى هامة تستغرق كل وقته وهذا نادر



فراسة الامم

فرغنا من فراسة الاعضاء في الانسان الواحد الى غاية ما بلغ اليه علماء هذا الفن ونحن باسطون في ما يلي فراسة الامم. لان الباحث في اصناف الناس يرى لكل امة صفات عامة تشترك فيها ظاهرًا وباطنًا على مثال ما قدمناه في « فراسة الامزجة » . فقد تبين لك هناك ان اصحاب المزاج الواحد يتشابهون في ظواهرهم وفي بواطنهم وكذلك افراد الامة الواحدة وافراد الصنف الواحد من الناس للاسباب التي قدمناها من علاقة الخلق الظاهر بالخلق الباطن وهو اساس علم الفراسة

اذا نظرت الى البشر بوجه الاجمال رأيتهم يتشابهون في صفاتهم العامة ويتخالفون في صفات خاصة تختلف باختلاف الاقليم او التوارث أو أحوال أخرى ويقسمون بهذا الاعتبار الى اقسام شتى يتشابه اهل كل قسم في صفات مشتركة بينهم. فاهل المنطقة الحارة يتشابهون في ظواهرهم وبواطنهم في غير ما يتشابه به اهل المنطقة المعتدلة وهؤلاء يشتركون في صفات غير ما في اهل المنطقة الباردة وقس على ذلك مما لا محل لاستيفائه

﴿ اصناف البشر ﴾ : وينقسم الناس باعتبار اشكالهم واخلاقهم ومراتبهم الى اربعة اقسام يسمون كلاًّ منها صنفًا او جنسًا وهي : القوقاسي والمغولي والاميركاني (الاصلي) والزنجي. ولكل صنف من هذه الاصناف صفات متشابهة ظاهرًا وباطنًا

(١) ﴿ القوقاسي ﴾ : وهو ارقى اصناف الناس واكثرهم تمدنًا ومنهم امم اوربا ومن نزح منهم الى اميركا وغيرها وسكان غربي آسيا الى نهر الكنج . وسكان شمالي افريقيا على سواحل بحر الروم . ناهيك بمن تمدن من اهل العالم القديم كالفينيقيين والبابليين واليونان والرومان وغيرهم

ويسمى القوقاسيون ايضًا الجنس الابيض لان اكثرهم بيض على ان منهم شعوبًا سمراء كالمصريين والمراكشيين والهنود. وتختلف شعورهم من الاسود الحالك

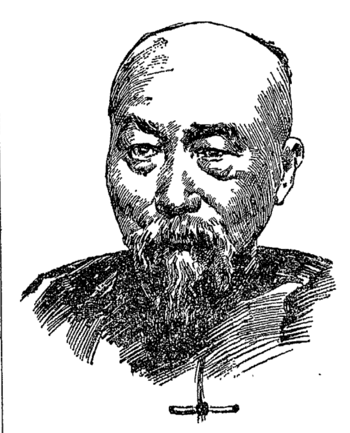
الى الاحمر والاشقر والابيض ولكنها تشترك في ميلها الى الطول والسبوطة. وقد تكون جعدة جعودة قليلة بعيدة عن جعودة شعر الزنوج

ويميز علماء الانسان بين اصناف البشر بشكل جماجمهم وزوايا وجوههم. فزاوية وجه القوقاسي اكثر انفراجاً من زوايا سائر الوجوه (راجع ما كتبناه من زاوية الوجه صفحة ٣٢) ويمتاز رأس القوقاسي باستدارته وانتظامه وتناسبه وتكامل جبهته وضيق وجنتيه واطمئنانهما واستواء الوجه وميله الى الشكل البيضي مع ظهور الملامح وبروز الانف وصغر المناخر وصغر الفم وامتلاء الذقن وبروزه. وتختلف الوان العيون فيهم اختلافاً عظيماً. ولما كان القوقاسي ارقى اصناف البشر فهو اكثرها تفرعاً وتنوعاً للاسباب التي قدمناها في كلامنا عن «ناموس التشابه» صفحة ٢٢ وسيأتي تفصيل ذلك

(٢) ﴿ الجنس المغولي ﴾ وهو يشمل سكان اواسط اسيا وشرقيها وشماليها وجنوبها الشرقي وهم شعوب الصين واليابان وتيبت وبوتان والهند الصينية. ومنهم اهل لابلاندا في اوربا والاسكيمو في اميركا. وقد تمدن الصينيون واليابانيون تمدناً حسناً ولكن انقطاعهم عن العالم جعل ذلك التمدن محصوراً في دائرة ضيقة

ويمتاز المغولي بتسطح الوجه وقصر الانف مع ميله الى الفطس وسواد العينين مع صغرهما وانحراف زاويتيهما الخارجيتين نحو الاعلى وهم خفاف الحواجب خشان الشعور مع سبوطة وسواد وخفة. خفاف اللحى والعارضين زيتونيو اللون انظر (ش ٩٦ و٩٧).

ويلحقون بالمغول اهل ملقا وسائر جزائر الهند

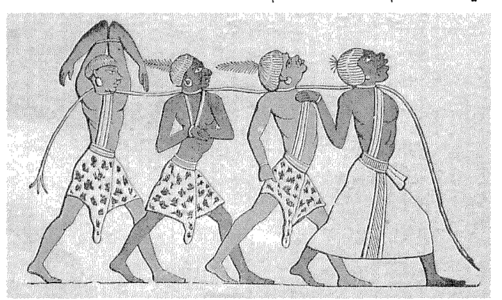


(ش ٩٦) لي هونغ تشانغ



(ش ٩٧) كونفوشيوس

(٣) ﴿ الاميركاني ﴾
ونريد به سكان اميركا الاصليين ماعدا الاسكيمو وتمتاز جماجمهم بالاستدارة من جهة الوجه مع عرض الوجنات حتى يظهر الوجه عريضاً جداً بين الاذنين جباههم عريضة وبارزة من اسفلها ثم تتقهقر ولا تعلو كثيراً . انوفهم تشبه الانف الاسرائيلي (راجع فراسة الانف صفحة ٤٣) عيونهم قاتمة اللون افواههم مستقيمة الشكل والاسنان عمودية . شعورهم خفيفة جداً ويندر ان ينبت الشعر في وجوههم . الوانهم سمراء مع ميل الى اللون النحاسي . صدورهم عريضة وابدانهم عضلية



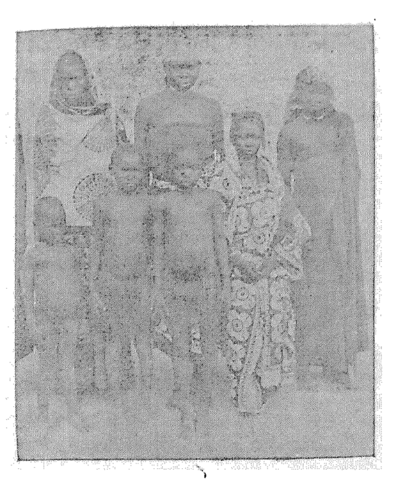
(ش ٩٨) الزنوج والاحباش في عصر الفراعنة

ومن اخلاقهم النشاط والشجاعة والغضب والثبات والحذر والحيلة والقسوة وحب

الانتقام . قوة الفهم حسنة بهم واما الحكم والتجريد فانهما ضعيفان وعقولهم محصورة جدًّا

(٤) ﴿ الزنجي ﴾ :

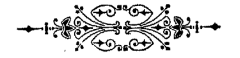
وهو جنس معروف بيننا اذ ليس فينا الاَّ من رأى العبيداوالجواري .مساكنهم في اواسط افريقيا والحبشة واوستراليا ومعظم جزيرة بورنيو وغيرها من جزائر الهند الشرقية



(ش ٩٩) اهل خط الاستواء اليوم

ومن امم الزنج سكان الكونجو والهوتنتوت وموزمبيق وقبائل خط الاستواء وهم مشهورون بسواد البشرة وفطس الانف وسعة المناخر وضيق الوجه وبروز الوجنتين وضخامة الشفتين وبروز الفكين وغور العينين مع سوادهما وسواد الشعر مع جعودة خاصة

ومن اخلاق الزنجي الكسل والخمول ولكنه قوي صبور يحس ويحب ويتقلد ويميل الى الخرافات وسرعة الغضب مع التحيل والتقلب. وهو انما يعيش في حاضره ولا يتكلف النظر في مستقبله كانه طفل لا يهتم الا بما بين يديه . ولكنه يقبل التعليم مع انحطاط عام في قواه واخلاقه



الامم القوقاسية

قلنا ان الجنس القوقاسي ارقى سائر الاجناس وهوا كثرها تنوعاً وتحته شعوب كثيرة بعضها قديم وبعضها حديث ولكنهـا ترجع الى اصول رئيسية اشهرها : (١) التيوتون ومنهم الشعوب الجرمانية والاسوجية والنروجية والدنماركية والانكليز السكسونيون (٢) القلت (السلت) ومنهم الفرنساويون والاسبان والبلجيك (٣) السلاف ومنهم شعوب روسيا (٤) الساميون ومنهم سكان سوريا قديماً وحديثاً واهل جزيرة العرب ومصر (٥) الهنود ومنهم شعوب الهند من الصنف الآري (٦) البلاسجية ومنهم اليونان والرومان . وكل من هذه الشعوب يشترك بالصفات الظاهرة والباطنة واليك أمثلة من أشهرها

﴿ الجرمان ﴾ : وهم من الاصل التيوتوني وقد وجد الباحثون في طبائع الانسان ان التيوتوني اوسع جمجمة واكبر دماغاً من سائر الشعوب القوقاسية -- عرفوا ذلك بقياس تجاويف الجماجم . والجرمان اقرب شعوب التيوتون الى اصلهم وادمغتهم كبيرة وهم اهل تعقل وفلسفة . وقد قاس الاستاذ مورتون خمس عشرة جمجمة من جماجم الالمان فكان معدل سعتها ٩٥ قيراطاً مكعباً وفي (ش ١٠٠) صورة غوطي الشاعر الالماني وهي مثال الشكل الجرماني وكذلك (ش ١٠١) صورة البرنس بسمارك سياسي الالمان

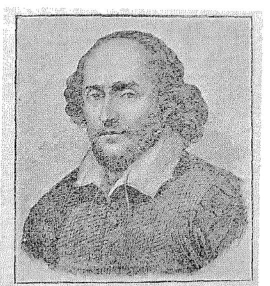
والالمان (أو الجرمان) زرق العيون خفاف الشعر واضحو الملامح عضليو البنية مع علو الجبهة وامتلائها وعرضها . وهم عراض الاحنكاك كبار الذقون ممـا يدلُّ على صبرهم وثباتهم وقوة عقولهم . وقد اشتهر الالمان بابحاثهم الفلسفية وغيرها مما يحتاج الى اعمال الفكرة ودقة البحث وهم اهل حذر ورفعة

(ش ١٠٠) غوطي الشاعر الالماني الشهير



(ش ١٠١) البرنس بسمارك سياسي الالمان

﴿ الانكليز ﴾ : ويراد بهم الانكلوسكسون وهم من التيوتون أيضاً واخلاقهم تشبه اخلاق الالمان . ومعدل سعة الجمجمة الانكليزية ٩٦ قيراطاً فدماغهم اكبر من دماغ الالمان . والانكليز ممتلئو الاجسام واسعو الصدور كبار الهامة اقوياء المعد والاكباد سريعو الدورة اصحاء التغذية . وجوههم مشرقة تتدفق الصحة منها . ومن اخلاقهم الاعتداد بالنفس والكبرياء والطمع والهمة وحب الاثرة مع النشاط والاقدام والثبات والاقتصاد وحب الخير والتدين



(ش ١٠٢) شكسبير الشاعر الانكليزي

والانكليزي قاس في معاملته بارد في محبته لكنه اذا احب ثبت في الحب مع لطف ودعة . وهو اقدر على الاعمال المادية منه على الاعمال الخيالية او التعمق في الفلسفة والالماني اقدر منه على هذه . وفي صورة شكسبير الشاعر الانكليزي (ش ١٠٢) ما يدل على استعداد الانكليزي للعمل والصبر على الجهاد في سبيل الفتح ونحوه والانكليز بين ظهرانينا ولا تخفى اخلاقهم علينا

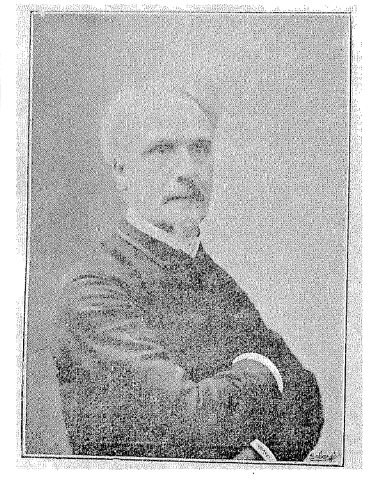
﴿ الانكليز الاميركان ﴾ : ونريد بهم الاوربيين الذين استوطنوا اميركا بعد اكتشافها واكثرهم من الانكليز وانما تنوعت اخلاقهم بالاختلاط وتأثير الاقاليم

فاستطالت رؤوسهم وضاقت عظام وجوههم فضاقت جماجمهم حتى أصبحت سعتها ٩٣،٥ القيراط وتغيرت اخلاقهم تغيرًا بينًا وتبدلت امزجتهم فالانكليزي دموي المزاج والاميركاني صفراويهُ . والمزاج الحيوي متسلط في الانكليزي والعصبي او العقلي غالب في الاميركاني فالانكليزي اكثر تكبرًا واعتدادًا بنفسه وثباتًا وصبرًا من الاميركاني والاميركاني اكثر حركة وادق نظرًا واسرع خاطرًا واكرم نفسًا من الانكليزي ومن ادل الصور على الشكل الاميركاني صورة كرنيليوس فندربلت (ش ١٠٣)

(ش ١٠٣) كرنيليوس فندربلت

وأنف الاميركاني وسط بين الروماني واليوناني ووجنتاه مرتفعتان نوعًا وذقنه بارز ولون البشرة أقتم مما في الانكليز وهي تزداد قتومًا بتوالي الاجيال

﴿ الفرنساويون ﴾ : وهم من الشعوب القلتية والقلتي اوسع صدرًا من الانكليزي لكنه اضعف معدة وهو عضلي لكن تعوزه الاستدارة . وجمجمته اصغر من جمجمة النيوتوني . ويستدلون بذلك على ان دماغ القلتي اصغر من



(ش ١٠٤) روشفور الكاتب الفرنساوي

دماغ التيوتوني بنحو ستة قراريط او ثمانية . واليك اوصاف الجنس الفرنساوي كما وصفه الدكتور فيمون العالم الفرينولوجي الفرنساوي قال :

« الرأس الفرنساوي اصغر من الجرماني والفهم فيه اقوى مما في الجرماني والتأمل اضعف . اي انه اسرع ادراكاً منه واعجز عن اعمال الفكرة طويلاً . فاذا عرضت مسألة تحتاج الى نباهة كان الفرنساوي اسبق الى ادراكها . وأما الامور التي تفتقر الى اعمال الفكرة والتأمل فالالماني اصبر كثيرًا فيها . والالماني اقوى من الفرنساوي في الموسيقى والرياضيات واكثر حذرًا وتحوطًا منه . واما الفرنساوي فانه اسلم ذوقًا في الفنون الجميلة ونحوها مع الميل الى الاحسان والانتصار للضعيف »



(١٠٥) فيكتور هيكو الشاعر الفرنساوي

والفرنساوي مشهور بتسرعه وحدته وسرعة خاطره مع عجزه عن الثبات ولكنه يحب البهرجة وله اقتدار على اختيار الاذواق الجميلة وكل ذلك ظاهر في اعمال الفرنساويين وتواريخهم وكأنه مصور على ابنيتهم والبستهم وشوارعهم واقوالهم وسائر اعمالهم

﴿ الايطاليان ﴾ وهم اكثر اختلاطاً من سائر شعوب اوربا ولذلك يعسر تحديد العنصر الايطالياني تحديداً واضحاً فان فيهم النيوتون والرومان والقلت وغيرهم

ومن صفات الايطاليان العامة اشراق اللون واستطالة الرأس وكبر العينين. يغلب المزاج الدموي في شبانهم والليمفاوي في شيوخهم . ولهم باع طولى في الزراعة والتجارة والصناعة ويصح ذلك على اهل لومبارديا وبارما وبولونيا ورومانيا الى رفينا وريميني . واما اهل جينوا فيغلب فيهم الكبرياء وخشونة المعاملة والصبر على المكاره والشقاء ومنهم اشهر النوتية ورجال الاسفار من قديم الزمان وهم قصار القامة سود العيون صغارها مع حدة البصر



(ش ١٠٦) رافائيل المصور الايطالي

فاذا تجاوزت جنيوا الى سلسلة جبال الابنين حتى ابروتزو وكالامبريا رأيت هناك شعباً من اكثر الشعوب ميلاً الى الاستقلال ويظن انهم بقية الشعب الايطالي الاصلي .

واما اهل رومية فهم بقية شعب الرومان ولا تزال ملامح الرومانيين بادية في فلاحيهم . وهم كبار الرؤوس مسطحوها قصار

الجبهة عراضها وجوههم واسعة مربعة ورقابهم قصيرة غليظة .

واهل نابولي اصولهم مختلطة باليونان واخلاق اليونان ظاهرة فيهم فضلاً عن اختلاطهم بالفينيقيين قديماً وبالعرب بعد الاسلام

واهل صقلية وسردينيا وكورسيكا فيهم بقايا من اهل المغرب يرجع تاريخهم الى زمن القرطجنيين . وهم يمتازون بسمرة الوانهم وامتقاعها بما يدل على المزاج الصفراوي



(ش ١٠٧) فيكتور عمونئيل ملك ايطاليا



(ش ١٠٨) غليليو العالم الايطالي

اما الايطاليان من اهل الطبقات العليا المتصلة انسابهم باليونان والرومان والغوط فقد ورثوا خلال تلك الشعوب وهذبوها بتوالي الاجيال فكانوا من ارقى شعوب اوربا ومنهم نبغ المصورون العظام مثل رافائيل (ش ٦ ١) وفيه مواهب اليونان في الرسم . ودانتي (ش ٥٦) وفيه شاعرية الغوط . وتاسو (ش ٥٩) ودماغه غوطي وشكل جمجمته يوناني . وكذلك غليليو صاحب دوران الارض (ش ١٠٨) وغريبالدي القائد الشهير فانهم جمعوا العنصرين الغوطي والروماني

﴿ الاسبان ﴾ : والاسبان وفيهم البورتغال لا يقلون اختلاطاً عن الايطاليان لتوسط اسبانيا براً وبحراً . فهي ما برحت عرضة للفتح والغزو والاستعمار منذ القدم

فسكنها الفينيقيون والقات والجرمان والرومان والعرب . واما اصل سكانها فهم الايبريون القلتيون



(ش ١٠٩) فاسكودي غاما الرحالة البرتغالي

ولو اردنا وصف اصولهم وفروعهم لطال بنا المقال . وانما نقول بالاجمال ان الاسباني اليوم ربع القامة قوي البنية جمجمته أعرض من جمجمة الفرنساوي نوعاً وأعلى ووجهه اكثر استدارة واقل زوايا . شعره اسود غالباً وعيناه سوداوان او خروبيتان ومزاجه صفراوي دموي

واما اخلاقه فهي انه اقل ذكاء من الايطالي ولكنه اثبت منه جاشاً واعز نفساً . وهو باسل متعصب محب للخرافات حقود ينهض للانتقام

(ش ١١٠) اسكندر الثاني قيصر الروس

﴿ الروس ﴾ : وهم من الشعوب السلافية وما من مملكة في العالم اكثر شعوباً من مملكة الروس حتى عدوا منهم نحو مئة طائفة يتكلمون اربعين لغة وفيهم الجرمان والفن والكلموك والارمن واليونان والشركس فضلاً عن الروس الاصليين

واظهر صفات الروس العرض . فالروسي عريض الرأس عريض الاكتاف عريض الصدر قصير الاطراف . وهم اقدر

الامم على الصبر في الاهوال · والروسي قوي التنفس صحيح الدورة والهضم قوي العضل الى الدرجة القصوى



(ش ١١١) بطرس الاكبر

وكأن الشعب الروسي شاب في ريعان شبابه لم يدرك البلوغ التام ولكن هيأته تدل على عظم مستقبله · فمستقبلهُ عظيم وان لم يظهر فيه ذلك تمام الظهور · ولكن ما ظهر منه حتى الآن يدل على استعداد فيه سيكون له شأن عظيم في الاجيال المقبلة · لان الروسي قويٌّ بدنًا وعقلاً وفيه ثبات وصبر واكبر الشواهد على تلك الخلال ما اتاه بطرس الاكبر (ش ١١١) مما يصح ان يكون مثال الصبر والثبات والذكاء والاقدام



(ش ١١٢) سقراط الفيلسوف اليوناني

﴿ اليونان القدماء ﴾ : وهم من الشعوب القوقاسية القديمة المعروفة بالشعوب البلاسجية ولم تكن جماجمهم كبيرة مثل جماجم الجرمان ولكنها كانت حسنة التركيب متناسبة الشكل ولذلك كانوا اقرب الى الجمال مما الى القوة · وهم اهل الفنون الجميلة والشعراء والموسيقيون واهل الخطابة والبلاغة · وكانوا بارزي الجباه مع ارتفاعها حتى تكون هي وقصبة الانف على خط واحد

﴿ الرومان ﴾ : ويمتاز الشعب الروماني بالقوة كما يمتاز اليونان بالرقة وقد كان ذلك ظاهرًا في وجوههم وصدورهم لان الرومان كانوا كبار الادمغة شم

الانوف غلاظ الاعناق اهل اقدام ونشاط وعزم وطمع . وكانوا اقوياء العواطف ميالين الى البذخ والفخر والجاه مما لا نطيل فيه لشهرته



(ش ١١٣) اوقليدوس الرياضي اليوناني

﴿ الساميون ﴾ : فرغنا من الكلام في الشعوب القوقاسية الاوربية وآن لنا ان نتكلم عن الشعوب القوقاسية في آسيا وافريقيا ومنهم العرب والسوريون من الشعوب السامية والهنود من الشعوب الآرية . والمصريون والمغاربة من اهل شمالي افريقيا



(ش ١١٤) بومبيوس القائد الروماني

فالعرب ولا سيما عرب البادية اقرب الساميين الى الاصل السامي وهم بارزو الاذقان عقف الانوف (راجع فراسة الانف) سود العيون والشعر سمر البشرة . وقد وجد الباحثون في طبائع الانسان ان جمجمة العربي ارق جدارًا واكثف بناءً من جماجم سائر البشر حتى تكاد تكون شفافة ولذلك فهو دقيق الشعور سريع الانتباه . ولا ريب ان العرب اسرع امم البادية خاطرًا واحد ذهنًا

والاسرائيلي رأسه اكبر من رأس العربي بل هو الآن اكبر من رؤوس

سائر الامم السامية واخلاقه شبيهة باخلاق العرب ولكنه يمتاز بتدينه وحبه للتجارة واقتداره على التحيل في اكتساب الاموال وقلما يشارك الناس في مصائبهم



(ش ١١٥) ابن نظام الملك في حيدر اباد

﴿ الهنود ﴾ : اما الهنود فهم من الشعوب الآرية مثل شعوب اوربا وجماجمهم تشبه جماجم امم اوربا لكنها اصغر منها مع دقة بنائها . وقد كان الهندي والتيوتوني والقلتي والبلاسجي عائشين في بقعة واحدة وراء افغانستان ثم تفرقوا شرقاً وغرباً وشمالاً وجنوباً في أعصر مختلفة . فالذين أقاموا في الهند أثر الاقليم في امزجتهم بتوالي الاجيال فانحطت قواهم عن اخوانهم الذين نزحوا الى اوربا حتى اصبح رأس الهندي لا يزيد على ثلاثة ارباع رأس اخيه التيوتوني . فلا عجب اذا تغلب الانكليز على اعمامهم الهنود وهم اقل منهم عدداً فان حجم الرأس قياس القوة . وزد على ذلك

ان رأس الهندي ضيق عند قاعدته مما يدلُّ على ضعف العزيمة في الحرب واما رأس الانكليزي فانه عريض هناك

هذه خلاصة فراسة الامم ولا يسع المقام اطول منها . وانما اردنا بايرادها تتمة الادلة على علاقة ظواهر الاجسام ببواطنها . على ان هذا البحث مع حداثته قد كتب العرب فيه على ما يوافق معارفهم في احوال البشر . وكان البشر عندهم ينقسمون باعتبار اماكنهم او احزابهم بقطع النظر عن اشكال رؤوسهم او ابدانهم او غير ذلك فكانت الامم عندهم لا يزيد عددها على بضع عشرة امة اشهرها الفرس والعرب والترك والروم والديلم والكرد والبربر والارمن والهند والحبش . وعندهم لكل امة صفات خاصة — قال صاحب آثار الاول في ترتيب الدول :

« ﴿ الفرس ﴾ : ذو شهامة ونجدة وصبر وحسن سياسة فكان لهم الملك ودام فيهم ودانت لهم البلاد واستمرت على الممالك الوف سنين وفيهم الرمي بالنشاب وأهل جبالهم رجالة شجعان مثاقفون يرمون بالحجر المصيب . والمنجنيق من استنباطاتهم ويقال انه ظهر في زمن النمرود وهو من نبطهم واعقاب دولتهم بالعراق . وقد جاء في تفسير قوله تعالى وان تتولوا يستبدل قوماً غيركم ثم لا يكونوا أمثالكم . قال بعض الصحابة من هؤلاء يا رسول الله قال هذا وقومه وأشار الى سلمان الفارسي . ﴿ العرب ﴾ اهل ركوب وخفة في الكر والفر وفيهم شجاعة وليس لهم ثبات وهم يجتمعون بالاطماع والآمال وتؤثر فيهم الخطابة والاشعار في كل فن حتى انهم يقعون في الاخطار او يتركون من الاموال ماله مقدارٌ ببيت شعر او كلمة سجع . ومن خصائصهم حفظ الجار والنزيل والذب عنه وفي بعضهم كرم وليس لهم من انواع الاسلحة الا الرمح ورمي القوس العربي في بعض طوائفهم وهو كالنادر فيهم . ﴿ الترك ﴾ ذو شجاعة وحمية وغلظة وقساوة على غير جنسهم وفيهم انقياد لمشايخهم وكبرائهم مع انهم ليس فيهم عصبية كما في الكرد وأخلاقهم عسرة وأشرفهم الخطا ثم الختن ثم الجكل ثم التبكت ثم القفجاق . والخطا والختن أجملهم وأصبحهم والجكل اعجزهم والتتر اطوعهم واليمك اسقطهم ولهم في الفروسية رمي النشاب والضرب بالدبوس والسيف ولهم الصبر فينبغي ان يوسع

عليهم في الانفاق وتزاح عللهم في ذلك ويمكنوا من عاداتهم ولا يرفهون فانهم ينقادون الى كل أمر يدعون اليه و يتبعون . ﴿ الروم ﴾ اهل صنائع وحرف وحكم وفيهم صبر وخدمة ولهم حيل في السياسات ووضع آلات حربية وحظهم في الفروسية قليل ولهم ضرب بالسيف ورمي بالجرخ والزنبورك . وميلهم الى المكايد في الحروب اكثر وفيهم صبر وحرص على جمع المال ومحبة الذهب والفضة والتنعم . ﴿ الديلم ﴾ أهل طبرستان والجبال فيهم الفروسية والشجاعة والصور الهائلة والاصوات المفزعة وهم يرمون بالمزاريق فتنفذ حيث أصابت ولا تكاد تخطيء . وهم اطوع الناس لكبرائهم الاّ ان آراءهم مضطربة وما استراحوا قط الا بطروا ولا ينبغي أن يولى عليهم غيرهم فان نفوسهم غير أبية و ينبغي لواليهم ان يغضي عن بعض هفواتهم ويسمح باليسير من جناياتهم وفيهم عنف وعسف لمن وليهم من غيرهم وكذلك البربر والعرب بالضد . ﴿ الكرد ﴾ هم في جبال الفرس وديار ربيعة فيهم الشجاعة والنجدة والحمية فرسانهم ورجالتهم وهم يتعصبون لبعضهم على كل حال كما تفعله العرب في بعض الاحوال وليس فيهم حيل ولا مكر و ينقادون للديانات والامانات وربما كان فيهم غدر في بعض الاوقات ولا يكون سببه الا التعصب والحمية . ﴿ البربر ﴾ فيهم الصبر على الشقاء والاقدام على الموت والحروب وهم أهل غلظة وجفاء وجهل وتأليفهم بالمواعظ والخطب والانقياد لمشايخهم ولكبرائهم وتؤثر فيهم النواميس غاية التأثير. وهم خفاف على الخيل خفاف الجري ومنهم رجالة يلحقون الخيل و يعمل فيهم الارهاب و يعظمون شيوخهم وفيهم قبيلة تعظم النساء وتحكمها وتنسب الاولاد اليهن و يتنقب الرجال وتسفر النساء في الغالب وهي قبيلة مسوقة وسياساتهم بالقهر والارهاب واستعمال السيف مكان السوط . ﴿ الارمن ﴾ فيهم صبر وخدمة وقد يكون فيهم جميل وفيهم ملاحة وذكاء وحسن تأن في الاعمال مع فساد وقلة أمانة . ﴿ الهند ﴾ أهل الحكمة والذكاء والفطنة وفيهم الحيل والمكر والوهم والخداع ولا يقاتلون الا بأمر ديني وأما الحمية والانفة والغيرة فعندهم قليلة ومنهم طائفة تنسب الى الشجاعة يسكنون في جبال الهند وهم عراة . ﴿ الحبش ﴾ هم أشفق أصناف السودان وأحسنهم وفيهم أمانة وشجاعتهم نادرة وهم أهل جد وصبر وأصناف

السودان كثيرة أشجعهم أهل غانة ثم كوكو والنوبة وأضعفهم الزيلع ثم كانم

« وبالجملة فأهل البلاد الباردة أشجع من أهل البلاد الحارة لتلزز أبدانهم واكتناز أعضائهم وقوتهم الا ان أهل البلاد الحارة اخش وارشق وربما كانوا أركب. وأهل الجبال أشجع واصبح من أهل السهل . وكذلك أهل المشرق أشجع من أهل المغرب وأهل الشمال أشجع من سكان الجنوب والوسط وسط » انتهى

فراسة الرأس

« الفرينولوجيا »

هو فرع من فروع علم الفراسة وضعه رجل جرماني اسمهُ فرنس جوزف كول في أواخر القرن الثامن عشر وقد استخرج قضاياه باختباره الشخصي في تلامذة المدارس وأهل المهن وغيرهم . وموضوعه استخراج مواهب الناس وأخلاقهم من النظر الى أشكال رؤوسهم وملاحظة ما فيها من البروز والتسطيح والسعة والضيق ونحو ذلك

ولا بد لدارس الفرينولوجيا من الالمام بتشريح الرأس ومعرفة ما يتألف منه من الاعضاء واشكالها ووظائفها وقدبينا ذلك في « خلاصة تشريحية » صفحة ١٧ من هذا الكتاب فلتراجع هناك

اما استطلاع الاخلاق والقوى بفراسة الرأس فقد الف فيه الافرنج كتباً كثيرة ولهم فيه أقوال متضاربة اكثرها لا يعتد به لاسناده الى الحدس والتخمين . وقد نشرنا في السنة السادسة من الهلال خلاصة ابحاث الفرينولوجيين للدكتور ابراهيم عربيلي نزيل نيو يورك فآثرنا نقلها لانها حوت زبدة اقوالهم وهي :

﴿ حجم الرأس ﴾ : يختلف حجم الرأس في الناس باختلاف اعمارهم ولكن المعوّل عليه في مقالتنا هذه الشاب البالغ اشده . فاذا رسمنا حول جمجمته خطاً يمرُّ

بالعظم المؤخري نالجدار يين فالصدغيين فوق الاذنين حتى يلتقي طرفاهُ في مقدم العظم الجبهي فوق الحاجبين في الوسط نجد المعدل غالباً من ٢٠ الى ٢٢ قيراطاً ونصف قيراط في الذكور واقل منه بنصف قيراط الى ثلاثة ارباع القيراط في الاناث . ومن كان هذا قياس رأسه كان متوسط القوى . واما ذوو العقول الثاقبة فمحيط رؤوسهم من ١٢ الى ٢٣ قيراط او ٢٤

ولا يخفى ان هذه الطريقة من القياس تختلف باختلاف شكل الجمجمة الاصلي لان الرؤوس قد تكون في البعض مستديرة وفي البعض الآخر مستطيلة اوواطية او عالية القمة والعظمان الجبهي والمؤخري قد يكونان مفلطحين او بارزين كثيراً او قليلاً فلا يبنى على ذلك حكمٌ قطعي . وعليه فلا يكون كبر حجم الرأس دلالة ثابتة على الحذق وجودة العقل . ولكنه يقال بوجه عام بناءً على المراقبات العديدة ان رؤوس الممتازين بجودة عقولهم وحذاقتهم اكبر حجماً من رؤوس غيرهم فان محيط رأس وبستر الشهير مثلاً ٢٤ قيراطاً والجنرال كلي ٢٣ قيراطاً ونابوليون ٢٤ قيراطاً وهماتون ٢٣ قيراط وبارك وجيفرسون كانا عظيمي الرأس . وهكذا فرنكلن فقد بلغ محيط راسه ٢٤ قيراطاً وكثيرون غيرهم ذوو رؤوس كبيرة تفرد اكثرهم بالذكاء وقوة العقل والنبالة . وكثيراً ما نعجب مما نراه في بعض الناس من الذكاء والفطنة وغزارة المعارف والعلوم وحفظ اللغات وهم مع ذلك صغار الرؤوس غير ان اكثر هؤلاء لا يبلغون مبلغ اولئك بقوة ادمغتهم وعلو تصوراتهم وجودة عقولهم . ويظهر الفرق بينهما في احتمال الاعمال العقلية الشاقة فترى اصحاب الادمغة الكبيرة يقتحمون اعمالاً يعجز غيرهم عن القيام بها

وبناءً على ما تقدم لابد قبل الحكم في جودة العقل من ملاحظة نوع فعله كقوة التصور وسرعة الخاطر او المقدرة على الاعمال الطويلة فان لذلك اهمية عظيمة ويجب الانتباه الى حجم الرأس وعلاقته بدرجات القوى المتفاوتة ما بين افراد النـاس من حيث زيادة حساسته او نقصانها . وقوة الارادة وضعفها والاقدام والثبات والكثرة والقلة او الهدو والطيش والتأني والعجلة وسداد الرأي وضعفه . فان اصحاب الرؤوس

الكبيرة اذا كانت ادمغتهم في حالة الصحة ظهرت فيهم عند العمل قوى عقلية عظيمة جدًّا الاَّ انها قلما تظهر افعالاً او احساسات فائقة الحد تميزهم عن سواهم ولكن اصحابها يقضون اكثر سني حياتهم في التأمل العميق بالمواضيع العقلية . اما الذين هم مع كبر رؤوسهم ذوو حركة وجدٍّ وسعي واقدام وعزيمة فهؤلاء لا يقف في سبيل تقدمهم ونجاحهم ولا يحول دون مشروعاتهم امر من الامور . واذا ساعدتهم الاحوال لاقتباس العلوم والمعارف كانوا نوابغ بين ابناء جيلهم . فاذا زادت فيهم قوة الحركة وسرعة العمل عن المعدل الطبيعي بلغوا باعمالهم واكتشافاتهم واختراعاتهم المستغرب بة اعلى درجة يستطيع الانسان الوصول اليها . واصحاب هذه المواهب لا يعجزون ولا يكلون ولا يفترون مدة حياتهم عن الجد والتبحر والتصور والتفكير في اختراع ولا اكتشاف امور غامضة صعبة . فيتأملون ويفتكرون في ما يسهل عليهم اصدارها من حيز تصوراتهم الى عالم الفعل ولا يتأخرون عن شيء الاَّ ويتمعنون به بتأنٍ وادمغتهم تعمل على الدوام لا ترتاح ليلاً ولا نهارًا . وهم في الغالب قليلو الكلام لا يغرهم المديح والافتخار وقلما يرتاحون الى المجتمعات العمومية

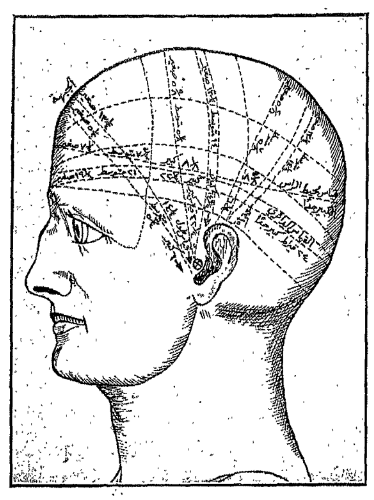
وبالاختصار اننا اذا تأملنا هيئات جماجم النـاس واقدارها بوجه عام رأينا الاختلاف واضحًا بينها . لانك قلما ترى جمجمتين تتشابهان في كل شيء . وليس اسهل من التمييز بين عظام الجمجمة ذات الاسطحة الخشنة والجدران الصلبة والجمجمة اللطيفة الملساء الناعمة قليلة النتوات والبروزات . فان الاولى جمجمة رجل والثانية جمجمة امرأة

﴿ علاقة الدماغ بظاهر الرأس ﴾ : وعندهم ان لكل قوة من قوى الدماغ تأثيرًا خاصاً على جزء او اكثر من اجزاء الوجه او على اليدين او غيرها من الاعضاء . فكلما عظمت قوى الدماغ عظم تأثيرها على الاجزاء المستولية عليها . فكلما كانت العلامات الدالة على سمو احدى تلك القوى الدماغية ظاهرة ممتازةً كلما كانت تلك القوى اعظم بالنسبة الى سواها — فبواسطة هذا العلم يتمكن الدارس بفحصه مواقع هذه القوى الفحص المدقق من معرفة نسبتها بعضها الى بعض . ولكل انسان

قوى دماغية خاصة به يعمل بموجبها اعماله اليومية في هذه الحيوة — فعلم الفرينولوجيا موضوعه درس دماغ الانسان ومعرفة درجة كل قوة من قواه العاقلة الطبيعية التي يرتأي الفرينولوجيون استقرارها في مراكز خاصة بها في الكتلة الدماغية بين تلافيفه .

وعندهم ان لكل قوة من هذه القوى مركزًا خاصًا ولكل عقدة من العقد العصبية عملاً خاصًا . وجميع هذه القوى محكمة الوضع متناسبة التركيب بأليافها وكرياتها وتصدر افعالها الخاصة بترتيب ونظام . ويعللون اعمالها باختلاف احجامها واوضاعها من القرب والبعد واشكال تركيبها فتصدر الافعال عنها فتتأثر منها عظام الجمجمة الخاضعة لناموس التغذية والنمو فيحدث عن ذلك تغيير في العظم يوافق التفاعل الذي يتم بين اجزائها وجواهرها الفردة المتوقف عليه الناموس الحيوي الطبيعي فينتج ارتفاعًا او بروزًا او انخفاضًا يظهر تحت الجس يعينون به درجات القوى العقلية . ويقولون ان مصدر هذه الافعال كتلة الدماغ والعقد العصبية المؤلف اكثرها من المادة البيضاء والمادة السنجابية . ومع كل هذه التعليلات لم تثبت اقوالهم بالبراهين العلمية الدامغة ولا نعلم كيف يثبتون ان الذاكرة في التلفيف الفلاني والتصور في العقدة الفلانية والتجارب التشريحية التي اجروها في الدماغ حتى الآن لم تثبت مدعاهم . وهب انهم عرفوا مواقع بعضها فكيف اتصلت هذه القوى المختلفة الى ظاهر العظام . فهم لا يزالون قاصرين عن ايراد البراهين المثبتة لما يزعمونه في فحص قوى الدماغ المختلفة وما يختص بالقوى العقلية . ومع ذلك فقد بنوا علمهم على الاختبار والاستقراء مع الاسناد الى تشريح المقابلة فانتشر حتى اصبح بعضهم يعتمده كل الاعتماد واخذ كثيرون منهم يلقون الخطب الرنانة على المنابر ينادون برسوخ قواعده . ولكن براهينهم لم تقنع ابناء العلم الصحيح المتضلعين في العلوم الطبية والتشريحية . ولهؤلاء اعتراضات وردود لا يسمح المقام بذكرها . واما طريقة الفرينولوجيين في استطلاع الاخلاق والقوى بقياس الرأس فهي انهم يقيسون الرؤوس والجماجم كما يأتي (انظر شكل ١١٦)

﴿ قياس الرأس ﴾ : (اولاً) يقيسون محيط الرأس بخط يبتدئ من نقطة متوسطة بين بروزي العظم الجبهي ويمتد حول العظمين الجداريين الى نقطة



(ش ١١٦ أقيسة محيط الرأس .

متوسطة على العظم المؤخري فاذا بلغ طول ذلك الخط تسعة عشر قيراطاً ونصف قيراط كان الرأس صغير الحجم واذا كان ٢١ قيراطاً فهو متوسط واذا بلغ ¼ ٢٢ كان عريضاً واذا كان ٢٤ قيراطاً فهو كبير جداً . ويقاس محيط الراس أيضاً من جانب واحد بخط يمتد من منتصف الجبهة على خط افقي مستقيم الى مؤخر الرأس فاذا بلغ طول هذا الخط على جانب واحد ¼٧ قيراط سموه صغيراً وخصوصاً اذا كان الرأس ضيقاً في الجانبين . واذا كان ¾٧ قيراط سموه متوسطاً واذا كان ⅛ ٨ قيراط فعريضاً او كبيراً واذا كان ⅜ ٨ القيراط فعريضاً او كبيراً جداً

(ثانياً) تقاس الجمجمة او الرأس من نقطة ترسم مقابل فتحة صماخ الاذن الواحدة بخط يقاطع جسر الجمجمة ماراً الى الاعلى امام اليافوخ الخلفي اي عند ملتقى العظمين الجدار بين المكونين الدرز السهمي الى الوراء قليلاً ويمتد الى نقطة امام فتحة صماخ الاذن الاخرى على الجانب المقابل . فاذا وجد القياس ½ ١٤ قيراط سموه كبيراً او ١٤ قيراطاً سموه متوسطاً او ½١٣ قيراط عدوه صغيراً وقس على ذلك سائر الخطوط والدوائر التي تراها في الشكل ١١٦

ويعتبرون القياسات المار ذكرها مهمة جداً كسائر اقيسة الرأس لانهم يحكمون

بواسطتها على القوى العقلية من حيث جودتها وعدمها . ويلاحظون دائماً عرض الجبهة وجانبي الوجه ومؤخر الرأس والفسحات بين هذه الاقسام التي يتمكنون بها من معرفة قوى الدماغ والمادة العصبية . فلو وجدنا مثلا ان قياس محيط الرأس ٢٢ ١/٢ قيراط وكان قياس الجبهة ١٣ ١/٤ قيراط او ١٣ ٣/٤ قيراط فلا يكون ذلك دليلاً على حدة العقل . اما اذا وجدنا قياس الجبهة ١٤ ١/٤ قيراط او اكثر فنستدل على قوة العقل . وهكذا اذا كان حجم الرأس اصغر من ذلك بالنسبة الى حجم الجبهة

اما الجبهة الضيقة المستطيلة فتدل على اعتدال في حدة التصور وشدة الانتباه والالهام والتودد والعشق وتمييز الالوان والتعقل والترتيب والتهذيب

والجبهة العريضة المرتفعة تدل غالبًا على الاقتدار العقلي والذكاء وسهولة اكتساب اللغات والخوض بمواضيع عالية وذكر الحوادث وحفظ الارقام والاعداد والمحال وقوة التبليغ والتعبير عن الافكار . — فاذا قست من جانب الرأس الى جانبه المقابل مارًّا على القحف فبلغ ٢٢ ١/٨ قيراط تستدل به على قوة العواطف النفسية وكثرة الحب او قلته او سرعة الميل . اما اذا وجدنا القياس من الاذن الى الاذن المقابلة يبلغ ١٣ ١/٤ او ١٣ ٣/٤ بحيث يمر على اليافوخ عند ملتقى العظم المؤخري بالجدار يين نستدل على ضعف القوى الحيوية والخلق فصاحبه قليل الصبر ضيق الاخلاق . خلافًا لمن يبلغ القياس فيه ١٤ ١/٤ او ١٥ ١/٢ قيراط فان الجهاز الهضمي فيه قوي والاخلاق رضية وهو صبور كثير التأني . فاذا كان جانب الرأس عريضًا واطيًا بحيث يبلغ معظم قياسه ٥ ٧/٨ القيراط او كان اقل من ذلك علوًّا تكون القوى الدماغية في جانب الرأس متسعة وفي قمته اقل اتساعًا وبالعكس أي اذا كان جانب الرأس ضيق المساحة عاليًا

أما اذا كان محيط الرأس اقل من ٢٢ ١/٤ قيراط وكانت سائر قياساته التي تمرّ فوق قمته اقصر مما هي فيستدل على اشتداد وحدة في الخلق . — فاذا اعتبرنا محيط الرأس ٢٢ ١/٤ قيراط قاعدةً لقياساته من الخلف البالغة من ١٣ ١/٤ قيراط الى ١٤ قيراطًا فقط وكان محيطه ٥ ١/٢ الى ٥ ٧/٨ القيراط نستدل بذلك على العظمة والاعجاب

بالذات والكبرياء . اما اذا كان القياس ١٥ قيراطًا أو أكثر وكان نصف المحيط ٦½ قيراطًا او أطول من ذلك فيستدل به على قوة الجهاز العضلي وتسلط الارادة وثباتها وذلك جميعه بالنسبة الى بقية الاعضاء الطبيعية وحيويتها . وهم يعتمدون هذه الانساب في تجاريبهم ويقتضي في كل الاحوال ملاحظتها لمعرفة قوى العقل وجواهر مواده من جهة الحدة وعدمها فلا بد من مقابلتها بالاقيسة الاخرى للحكم على القوى العاقلة في شخص دون آخر . فاذا درسنا هذه الاقيسة درسًا جيدًا استغنينا عن اجرائها فيما بعد في الفحص الجمجمي الا قليلاً فنكتفي بالنظر فنعرف قوى الدماغ بسهولة

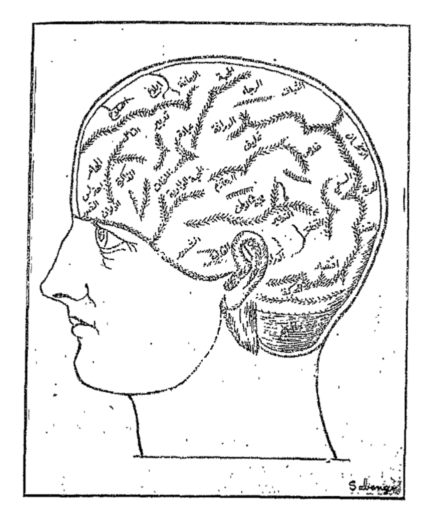
وبناءً على ما تقدم فللدماغ ثلاث خاصيات أصلية أو أمزجة كل واحدة منها ناتجة عن قوة مستقرة فيه تؤثر على الجسم . ومعظمها ناتج من الوراثة التي لها دخل عظيم في الاخلاق والخاصيات والامزجة المتقدم ذكرها فتكتسب منها عدة تنوعات وبواسطة التربية والتعليم والاكتساب تزداد قوة وترقية . وهكذا لكل قوة من قوى الدماغ علاقة أصلية طبيعية وتأثيرات خاصة لا تنفك عن توافق الجسم واعضائه المختلفة في اعمالها

(٣) ﴿ القوى العاقلة وتلافيف الدماغ ﴾ : حسبوا للدماغ الانساني اثنتي عشرة قوة رئيسية واربعة وعشرين قوة تابعة فجملة القوى ٣٦ لكل منها مركز خاص في بعض تلافيف الدماغ واليك رسم التلافيف حسب اوضاعها الطبيعية مع الاشارة الى اختصاص كل منها بقوة من القوى (انظر الشكل ١١٧)

فاذا تأملت الرسم المشار اليه اتضح لك رأي الفرينولوجيين في مراكز القوى العاقلة من الدماغ . ولكنك تراهم يخلطون القوى بالاميال او العواطف فهي عندهم بمنزلة واحدة لانها كلها من أعمال الدماغ كالاصلاح والابلاغ والامانة والمحبة والرجاء والامل والثبات ومحبة الاوطان والعبادة ونحو ذلك . ولا بد من درسها وتفهمها لتغرس في الذهن اوضاعها بعضها بالنسبة الى بعض وقد شبهوها بالخارطة الجغرافية فمن يدرسها كأنه يدرس تقويم مملكة من الممالك فهي تحتاج الى حفظ اكثر مما الى فهم . ويزعم اصحاب هذا الفن ان من يدرس خارطة الدماغ يسهل عليه معرفة

اخلاق أصدقائه ومعارفه بالنظر الى أدمغتهم . ويميزون جغرافية الدماغ عن جغرافية الارض بأن مواضع القوى الدماغية غير مستقل بعضها عن بعض استقلالاً تاماً ولكنها تشترك في كثير من اعمالها

والاستاذ سيفارتا صاحب هذا الرأي واليه ينسب هذا الرسم قد قسم مادة الدماغ



(ش١١٧) تلافيف الدماغ وقواه

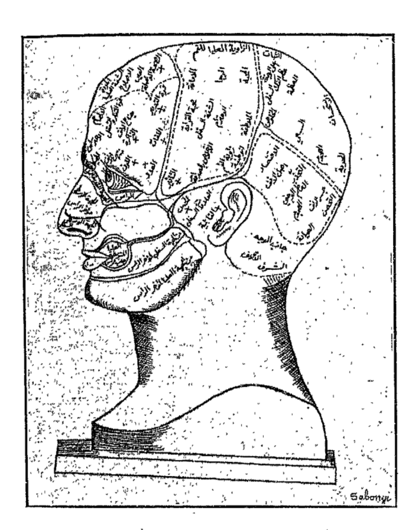
الى ثلاث مراتب وقسم القوى العاقلة الى ثلاث أخرى يحسن تتبعها ودرسها بمراجعة تفاصيل هذا الفن في كتبه مما يضيق عنه هذا المقام . لان الغرض من هذه لعجالة ذكر خلاصة أراء الفرينولوجيين وقواعد علم الفرينولوجيا . فعندهم كما تقدم ان للدماغ ٣٦ قوة لكل منها مركز في تلافيف الدماغ خاص به . ولكنك اذا تأملتها جيداً وتدبرت نسب تلك القوى بعضها ببعض رأيت بينها علائق تتقارب بنسبة تقارب مواضعها حتى قد يتألف منها مجاميع تشترك بالجوهر . فالتي في جانب الرأس مثلاً يختص اكثرها بالهيئة الاجتماعية والمعاشرة والتي في أعلى الرأس ومقدمه يجمعها التعقل والتدبير والحكمة وهي القوى العاقلة الحقيقية . واما القوى المختصة بالاميال والارادة والحركة فمقرها في قفا الرأس أو مؤخره . وترى بين التلافيف فواصل هي حدود اماكن تلك القوى وبعبارة أخرى هي الفواصل بين التلافيف ولكن بينها

اتصالات بمجار دقيقة او خيوط عصبية تنتقل بها التأثرات بين التلافيف ثم الى الاعصاب والحواس فتظهر للعالم الخارجي

فكل فكر يحدثه الدماغ يتألف من سلسلة حركات عصبية اولها حدوث الشعور بواسطة احدى الحواس الخمس التي تنشأ أعصابها في قاعدة الدماغ فيحدث الشعور بالصور الذهنية ثم ينتقل التأثير الى مقدم الدماغ في النصفين الكرويين وهناك يحدث الحكم على تلك الصورة وتصدر الارادة بشأنها فينتقل ذلك الى مراكز الحركة في اسفل المخ فتحدث الحركة . هذا هو نظام العمل الدماغي العمومي ولكن كثيرًا من أعمالنا العقلية تنتقل من مراكز الحس في قاعدة الدماغ الى أسفل المخ رأساً أي من الشعور الى الحركة بدون عرضها على القوى الحاكمة والارادة في مقدمة الدماغ فتحدث أعمالاً اضطرارية لا يستطيع الانسان كبح جماحها كالضحك والبكاء والدهشة ونحو ذلك . فقد يضحك الانسان وهو يريد ان لا يضحك ولو خضعت عضلاته المضحكة لارادته لما ضحك ولكن التأثير الذي أحدث الضحك لم يعرض على القوة الحاكمة في مقدم الدماغ بل انتقل رأساً الى مراكز الحركة فحركت العضلات المحدثة للضحك ولم يعلم العقل به الا بعد حدوثه . والسبب في ذلك الانتقال السريع رأساً أن في قاعدة الدماغ عقداً عصبية شديدة الحساسة غير خاضعة للارادة وهي كبيرة في الحيوانات وخصوصاً الاسماك وبواسطة هذه العقد تحدث الافعال السليقية في الحيوان مما لا محل لتفصيله هنا

(٤) ﴿ علاقة قوى الدماغ بعضلات الوجه ﴾ : ومن أسس علم الفرينولوجيا ما يزعمه اصحابه من علاقة القوى العاقلة بعضلات الوجه فعندهم ان لكل مجموع من مجاميع القوى علاقة خصوصية بعضلة من عضلات الوجه تتأثر لتأثرها فتنقبض العضلة او تنبسط بحسب أحوال تلك القوى من الشدة او الانفعال او نحو ذلك . وكأن تلك العضلة مرآة تنعكس عنها صور القوى فيستعينون بذلك على استطلاع أخلاق الناس وأطوارهم بقراءة تلك التغييرات التي يعبرون عنها بالملامح (انظر الشكل ١١٨)

فاذا تأملت هـذا الرسم رأيت فيه القوى العقلية والاميال على هيئة مجاميع يتصل كل مجموع منها بخط الى الجهة المرتبط هو بها من الوجه . فقد ثبت بالتجربة المتواصلة والمراقبة الدقيقة ان أسرع الانفعـالات وأكثرها وضوحاً ما يظهر منها في جـلد الجبهة لاننا كثـيراً مانقرأ عواطف أصدقائنا

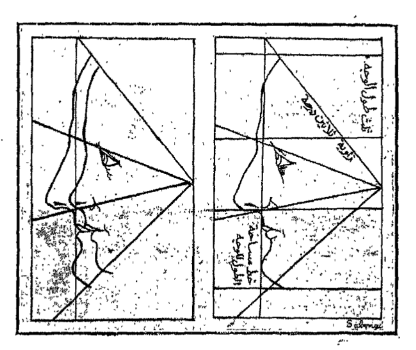


(ش ١١٨) القوى وعضلات الوجه

وتأثيراتهم الادبية كالخوف والغضب والرضا والقلق من النظر الى جباههم . ويختص أصل الانف وما يجاوره من الحاجبين والعينين بالدلالة على قوة التجريد والذاكرة وتمييز الالوان والحرص والاهتمام والتأمل والتدبير ونحوها . والاميال القلبية كالحب والرجاء والامل يظهر انعكاسها حول الشفتين . وتظهر أخلاق التمليق والتعبد تحت الشفة السفلى . أما محبة الوطن فلا تظهر في الوجه بل في فسحة توازي خطاً عموديا يبدأ وراء العين وينتهي في قمة الرأس عند اليافوخ الامامى . وأما قوة الارادة المستقرة في أعلى الدماغ ومقدمه فتظهر على الوجنة والفك السفلي وما بينهما . وتظهر قوة التدبير والحرص والمدافعة عند أصل الانف وجسره . ويستدلون على قوى الاكراه والحرية والصناعة والائتلاف في الخدين وتحت الفم

(٥) ﴿ استطلاع الاخلاق والقوى بزوايا الوجه ﴾ : المفهوم بزاوية الوجه عادةً خطان يلتقيان عند طرف الانف يمتد احدهما افقياً الى أسفل الاذن والآخر عمودياً فوق الانف فالجبهة فيتكون من التقائهما عند أسل الانف زاوية هي الزاوية الوجهية المشهورة عند علماء الانسان وبها يميزون اصناف الناس بعضهم عن بعض . والقاعدة العمومية عندهم ان انفراج هذه الزاوية يدل على ارتقاء أصحابها فهي في الزنوج حادة وفي الجنس القوقاسي منفرجة وبين ذلك مراتب (راجع زاوية الوجه صفحة ٣١)

وأما الزاوية المرادة عند الفرينولوجيين فهي غير تلك واليك بيانها : ارسم الوجه الذي تريد قياس زواياه رسماً جانبياً (بروفيل) ثم حده من قمته واسفل ذقنه بخطين افقيين واقسم الفسحة بين هذين الخطين الى ثلاثة أقسام كما ترى في الشكل (١١٩)



(ش ١١٩) زوايا الوجه (ش ١٢٠) وجه غلام دون سن الرشد

فان الوجه فيه مقسوم الى ثلاثة اثلاث بخطين عرضيين ما عدا الخطين اللذين يحدان الوجه فوق القمة وأسفل الذقن ويسمون كل قسم من هذه الاقسام ثلث طول الوجه يمرُّ أعلى الخطين المتوسطين بمقترن الحاجبين واسفلها بأسفل الانف . فاذ انقسم الوجه على هذه الصورة رسموا أربعة خطوط أُخرى تتشعع من نقطة عند مقدم الاذن يمر اعلاها بنقطة اتصال الحد العلوي للوجه بالجبهة ويمر تاليه بمقترن الحاجبين والثالث بأسفل الانف والرابع بملتقى الذقن بالحد السفلي فيتكون من ذلك ثلاث زوايا

قياس كل واحدة منها ثلاثون درجة وتسمى الاولى الزاوية الجبهية والثانية الانفية والثالثة الذقنية . ويستدلون على ارتقاء العقل بمقدار سعة تلك الزوايا في مقدم الوجه ولا تكون تلك السعة الا ببروز الوجه نحو الامام . ومن الامور الطبيعية المؤيدة لهذا الزعم عندهم ان وجه الطفل يكون منضغطاً ثم يأخذ بالبروز كلما نما . فاذا بلغ اشده تمَّ بروزه . ويتضح لك ذلك من النظر الى الشكل (١٢٠) فانه يمثل وجه انسان في طفوليته وفي بلوغه .

ويتساهلون في أحكامهم على عقول الناس باقيسة الرأس المتقدم ذكرها . فاذا قاسو رأس رجل فبلغ محيطه ١٢ قيراطاً وقاسوا زاوية وجهه فاستدلوا منها على بروزه حكموا بارتقاء قواه العاقلة وقس على ذلك



(ش١٢١) رأس بونابرت

﴿ رأس نابوليون بونابرت ﴾

تفرَّد هذا الرجل حتى اصبح مثلاً في كل شيء فهو مثال التعقل والشجاعة والسياسة والتدبير وغير ذلك من مواهب عظماء الرجال وقد اتخذوا صورة رأسه مثالاً جامعاً لتلك المواهب

فيستدلون بسعة جبهته الممتدة من فتحة الاذن الواحدة الى الفتحة الأُخرى مع عظم ارتفاعها على ما أودعه فيها الخالق من القوى العاقلة التي بلغت أرقى المراتب . ويستدلون من ملامح وجهه على درجات قواه وأمياله . فارتفاع جسر انفه وطوله

غر يبان وعظماه الوجنيان شديدا النمو يدلان على سمو قوة التسلط والتدبير . وبعد المرتفق الذقني من فتحة الاذن وطول الفك السفلي وعرضه من الجانب الواحد الى الآخر وانعطافه نحو الاسفل مع تقويسه العظيم كل ذلك ادلة كافية عندهم على ارتقاء القوى الدماغية الظاهرة في الوجه وكذلك عرض مساحة الذقن وهيئة الفم فانهما دليلان على العزم والارادة والنظام وهي الصفات التي اشتهر بها هذا الرجل العظيم . ومما يحسن التنبيه اليه ان وضوح هذه الملامح يعين على تعيين مراكز هذه الصفات في تفحص ادمغة الناس ودرس أخلاقهم

وجملة القول ان لعلم الفرينولوجيا قواعد وقوانين كتبوا فيها المطولات فليلجأ اليها من أراد التطويل . وقد قدمنا ان اصحاب هذا العلم يغالون في معجزاته حتى قد يعينون لكل قوة من القوى تلفيفاً من تلافيف الدماغ او عقدة من عقده ويسمون عمل كل منها باسمه مما لا يستطيعون اثباته بالبرهان . على اننا نسلم معهم بان المراكز العصبية تتعاظم قوتها بتعاظم حجمها وان لبعضها أجزاء خاصة من الدماغ مستقلة عن الاجزاء الاخرى بدليل استقلال بعضها بالعمل بحيث تنام الواحدة وتشتغل الاخرى كما يحصل في بعض احوال النوم . فان بعضهم ينهض من فراشه وهو نائم فيمشي ويذهب ويجيء كأنه عديم التسلط على أعماله . وبعضهم اذا سألته وهو نائم اسئلة اجابك عليها بدقة فاذا افاق لم يدر ما فعل . على انه قد يتذكر ذلك في نوم ثان ونرى ايضاً ان لكل قسم من الأعصاب عملاً من الاعمال الحيوية فبعضها يشتغل بالهضم والبعض الآخر في التنفس اوغير ذلك وتنفق في عملها قوة ومادة فتدثر دقائق الاعصاب فاذا لم تعوض بالغذاء والرقاد ادت الى الجنون

والدماغ يمثل ملكاً في بلاد يديرها كيف شاء وله سليقة تحرك الاعضاء لدفع الاذى عن الانسان وهو قائم في اعلى الجسم بعيداً عن الخطر في قلعة متينة البنيان صلبة الجدران تغشاها الاغطية والستور حولها الوزراء والاعوان من الحواس والاعضاء مما يدعو الى الاعجاب بالحكمة الفائقة التي تظهر في كل عمل من اعمال الانسان وتعليلها لا يزال مجهولا فعسى ان يكشفه لنا العلم في مستقبل الايام

فراسة المهن والصناعات

اذا صح ان الخلق الظاهر يدل على الخلق الباطن وكان بين الخلقين تناسب ثابت كما هو مقتضى علم الفراسة — وجب ان تكون ظواهر اهل المهنة الواحدة او الصناعة الواحدة متشابهة لان بواطنهم متشابهة لانشغالهم في أشغال متشابهة في مهنة واحدة. فالكتَّاب يجب ان يشبه بعضهم بعضاً بما يشتركون فيه من الظواهر الدالة على ملكة الكتابة . ومثل ذلك القواد والمكتشفون وغيرهم

ولكنك قلما ترى تلك المشابهة تامة ولا هي تحدث دائماً . والسبب في ذلك عدا ما قدمناه في باب « هل تصدق الفراسة دائماً » (صفحة ١١) ان بعض المهن تقتضي من المواهب مثل ما تقتضيه بعض المهن الاخرى وان كانت بعيدة عنها بحسب الظاهر . فالقيادة في الحرب تقتضي سعة الجبهة وعرض الرأس وتقتضيها أيضاً خدمة المصالح الدينية وهي القيادة الدينية . فلا غرو اذا تشابه خدمة الدين وقواد الحرب في ظواهر رؤوسهم

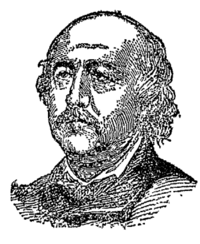
وزد على ذلك ان اختيار الناس للمصالح التي يتعاطونها قلما يقع طبقاً لما فطروا عليه . فقد يولد الغلام وفيه استعداد للرياضيات فيربيه والده تربية القسوسية او يدخله في الجندية . وقد يولد مفطوراً على تجارة فيعلمه ابوه صناعة الطب . وقد ينشأ المرء وفيه ميل الى صناعة من الصنائع ثم يرى بعين العقل ان اشتغاله بتلك الصناعة لا يكسبه كثيراً او لا يوافق حالاً من احواله فيحول ذهنه الى صناعة أُخرى ويعود نفسه عليها

فاذا كان قوي العقل قوي الارادة يفوز في اي مهنة تعاطاها وان تكن ليست هي المهنة التي خلق لاجلها . ولهذا السبب ترى بين اهل المهنة الواحدة اناساً تدل فراسة وجوههم على انهم من اهل مهنة اخرى

فكم من شبان ينشأُون وفيهم ملكة الشعر فاذا شبوا ورأوا كساد هذه الصناعة

عدلوا عنها الى ما يكتسبون به معاشهم كالتجارة او الصناعة او نحوهما . وقس على ذلك حال كثيرين من رجال الموسيقى وغيرها

وترى في الشكل (١٢٢) صورة الجنرال بطلر القائد الحربي الشهير وبازائه (ش١٢٣) رسم يوناتان ادواردس اللاهوتي الاميركاني الشهير من اهل القرن الثامن عشر والرأسان في قوة واحدة ولا نظن يوناتان لو اشتغل في الجندية الا كان من اكبر القواد وكذلك لوتيروس المصلح الشهير (ش ٧٨) وقس على ذلك كثيراً من الصنائع التي قد تشبه ظواهر اصحابها ظواهر اصحاب مهن اخرى



(ش١٢٢) يوناتان ادواردس



(ش١٢٣) الجنرال بطلر

ولكننا ذكرنا في تعليل الفراسة (صفحة ٢٥) ان الاعضاء تنمو بالعمل وتضمر بالاهمال وعللنا بذلك دلالة ظواهر الوجوه على بواطن القوى . وعلى نفس هذا المبداء يتعلل تشابه اهل المهنة الواحدة . ويظهر ذلك باجلى وضوح في اصحاب الحرف البدنية الذين يشتغلون بأيديهم او ارجلهم او صدورهم او ظهورهم . لان تلك الاعضاء تنمو فيهم على السواء فتجعل بينهم مشابهة . ولذلك فانك ترى للحدادين شكلاً خاصاً يمتازون به وشكلاً للنجارين وآخر للبنائين . وكثيراً ما يتفق لك ان ترى رجلاً فتحكم على مهنته لاول وهلة . وقس على ذلك اصحاب المهن العقلية فانهم يتشابهون في ظواهرهم تشابهاً قريباً فللاطباء ظواهر مشتركة ومثلها للقواد او الفلاسفة او القسيسين او التجار او الصيارف او المصورين او الموسيقيين او المعلمين او غيرهم

وعلى هذا المبداء جعلوا لفراسة المهن والصناعات باباً خاصاً بحثوا فيه عن الاخلاق المشتركة في اهل المهنة الواحدة من اشهر المهن وأوضحوا ذلك بمقابلة الرسوم واليك التفصيل



(ش ١٢٤ ــ ١٣٣) أشهر القواد

اسماؤهم بحسب وضعهم من فوق الى تحت ومن اليمين الى اليسار وتبعًا للارقام

(١) هنيبال القائد القرطجني — الذي اشتهر في حروبهِ ضد الرومان في القرن الثالث توفي سنة ١٨٣ قبل الميلاد

(٢) ريكاردوس قلب الاسد — ملك انكلترا وهو الذي اشتهر في الحروب الصليبية وحديثهُ مع السلطان صلاح الدين الايوبي مشهور · توفي سنة ١١٩٩

(٣) يوليوس قيصر — القائد الروماني الشهير توفي سنة ٤٤ ق م

(٤) بيزارو — فاتح بيرو ولد في اسبانيا سنة ١٤٧١ ومات في بيرو سنة ١٥٤١

(٥) كروميل — القائد الانكليزي وهو من اشهر قواد انكلترا توفي سنة ١٦٥٩

(٦) ولينتون — القائد الانكليزي قاهر نابوليون في واقعة واترلو توفي سنة ١٨٥٢

(٧) نابوليون بونابرت — هو اشهر من ان يعرف توفي سنة ١٨٢١

(٨) فيكونت تورين — المارشال الفرنساوي وهو من اشهر قوَّاد فرنسا توفي سنة ١٦٧٥

(٩) فردريك الاعظم — ملك بروسيا اشتهر بمهارتهِ في الفنون الحربية توفي سنة ١٧٨٦

(١٠) شارلس الثاني عشر — ملك اسوج اشتهر بتغلبهِ على الدنماركيين توفي سنة ١٧١٨

(١١) وينفيلد سكوت — احد اعاظم قواد اميركا توفي سنة ١٨٦١

﴿ أشهر القواد ﴾ : في الشكل ١٢٤ — ١٣٣ صور أشهر قواد العالم على اختلاف الامم قديمًا وحديثًا . واذا أمعنت النظر في وجوههم رأيتهم يتشابهون في اكثر ملامحهم والنشاط والحزم وثبات الجاش تتجلى في عيونهم وانوفهم وجباههم . فضلاً عن علامات الصحة التي لا بد منها في كل عمل كبير . ناهيك بقوة الارادة فانها بادية في احناكهم . وخلاصة ما يتشابهون فيه من دلالات القوة —

(١) سعة الرأس : من الاذن وما بعدها الى الاعلى والوراء وهي من دلالات القوة على الحرب ويشترك فيها اكثر القواد وهي تدل على الانفة والثبات والتعقل

(٢) كبر الفكين : وهو تابع لكبر قاعدة الدماغ . فكبرهما مع بروز الذقن يدلان على قوة الهيكل العظمي ونشاط الدورة الدموية وكبر المخيخ — لاحظ ذلك خصوصاً في قيصر ونابوليون وولنتون وسكوت

(٣) سعة الفم وكبره : وهما يدلان على قوة المجموع العضلي

(٤) بروز الوجنات : وهو تابع لكبر الفكين

(٥) كبر الانف : فانه بارز فيهم وهو دليل القوة والمطامع الكبيرة والهمم العالية وبروزه واضح بالاكثر في هنيبال وقيصر وكروميل وشارلس وولنتون وسكوت

(٦) العبوسة : ونريد بها انكباب مقترن الحاجبين نحو الانف وهو دليل السلطة

(٧) بروز الجبهة وارتفاعها : وهما دليل التعقل والذكاء والاقتدار على اعمال الفكرة

ولو اتيح لنا ان نصور قواد الدول الاسلامية لرأينا فيهم مثل هذه الصفات ولكنهم لم يتصوروا ولا نصبت لهم التماثيل

اما القواد المرسومون في الشكل المشار اليه فهم اشهر قواد العالم قديمًا وحديثًا فيوليوس قيصر اعظم قواد العالم القديم . وقلب الاسد ملك انكلترا وشجاعته اشهر من ان تذكر . وهنيبال اول من اجتاز جبال الالب وحارب رومية حتى كاد يودي بها . وكروميل المشهور بقوة التعقل والارادة فضلاً عن قيادة الجند . واما نابوليون فهو رجل العالم وفيه كل القوى وكذلك ولنتون الذي قهر نابوليون في واقعة ووترلو وعلو الهمة باد في وجهه وهو قريب من الشكل الروماني . وهكذا سائر القواد



(ش ١٣٦ — ١٤٣) اشهر الفلاسفة

(١) افلاطون — الفيلسوف اليوناني المشهور توفي في اثينا سنة ٣٤٨ ق م

(٢) ارسطو — مؤسس فلسفة المشاة توفي في خلكيس سنة ٣٢٢ ق م

(٣) سقراط — اعظم فلاسفة القدماء توفي سنة ٤٠٠ في اثينا مسموماً

(٤) جون لوك — احد عظماء فلاسفة الانكليز ولد سنة ١٦٣٢ وتوفي ١٧٠٤ م

(٥) فرنسيس باكون — مستشار انكلترا في عهد جيمس الاول وهو فيلسوف كبير ولد في لندن سنة ١٥٦٠ وتوفي سنة ١٦٢٦

(٦) غليليو — الفيلسوف الايطالي صاحب القول بحركة الارض ولد في بيزا سنة ١٥٦٤ وتوفي في فلورنسا سنة ١٦٤٢

(٧) ادم سميث — العمراني الانكليزي الشهير توفي في ايدنبورج سنة ١٧٩٠

(٨) اسحق نيوتن — العالم الانكليزي مكتشف الجاذبية توفي سنة ١٧٢٧

(٩) بنيامين فرنكلين — اشهر علماء الاقتصاد السياسي في اميركا ومخترع قضيب الصاعقة ولد في بوستن سنة ١٧٠٦ وتوفي سنة ١٧٩٠

﴿ الفلاسفة ﴾ : لا بد للفيلسوف من دماغ كبير الحجم دقيق البناء ولا نعرف فيلسوفاً لم يبد ذلك في رأسه . وقد يشتهر بعض الناس باقتدار عقلي في بعض فروع العلم او الصناعة . وأما الاحاطة بالمبادئ العامة وتتبع المعلولات الى عللها واستنتاج النتائج الفلسفية فانها تفتقر الى شيء غير السمع والبصر أو الحفظ والفهم . والبحث عن مصادر الامور ومصيرها لا يستطيعه غير الفلاسفة — فلا عجب اذا شبههم القدماء بالآلهة . لان ملاحظة الحوادث شيء وتدبرها شيء آخر . والكتابة والتكلم شيء وحل المعضلات الفلسفية وكشف النواميس الطبيعية شيء آخر . وهذه تحتاج الى قوى سامية لا تجدها في غير الادمغة الكبيرة

وترى في ترتيب صور الفلاسفة (شكل ١٣٤ — ١٤٢) ان ارسطو في وسطها واعلاها مع ان سقراط اقدم منه . ولكنك اذا نظرت الى ارسطو رأيت نحو ثلثي رأسه دماغاً . ويؤيد ذلك علو مداركه في امور لا يزال الناس الى اليوم يعجبون بها فقد كان دقيق الملاحظة سديد الرأي . وهو اول فيسيولوجي وصلت الينا تعاليمه الفيسيولوجية . وكان لهُ رأيٌ في فن الفراسة

وسقراط كبير الدماغ ولكنه قبيح الوجه وقد زاده قبحاً انفطاس انفه . على ان علو رأسه واستدارته وارتفاعه فوق الاذن تدل دلالة صريحة على كبر عقله . وكان صحيح المزاج قوي البنية

وأما أفلاطون فانه يختلف عن هذين لان ملامحه كانت متناسبة تكاد تكون تامة وكان صحيح الحكم دقيق النظر . وكان عقله متغلباً على عواطفه مع رفق ودعة

وغليليو من اعاظم الفلاسفة وقد اكتشف ركناً من أركان علم الهيأة . وتدل فراسته على عقل قوي معسعة وعمق . وكان انفه وذقنه بارزين وعيناه جميلتين وشفتاه ممتلئتين مما يدل على قوة الاختراع والثبات

واسحق نيوتن كان كبير الرأس والوجه مع تناسب الجبهة واشراق العينين وبروز الانف وجمال الفم وعرض الفك وكل ذلك تؤيد ما يعرف من أعماله واخلاقه

واللورد باكون دماغه كبير وانفه يكاد يكون رومانياً وكانت فيه همة الرومان



(١٤٣ ــ ١٥٢) اشهر المخترعين .

(١) غوتنبرج الالماني — مخترع الطباعة بالحروف ولد سنة ١٤٠٠ وتوفي ١٤٦٨

(٢) دافي الانكليزي — مخترع المصباح الامين ولد سنة ١٧٧٨ وتوفي سنة ١٨٢٩

(٣) روبرت فلتن ـ المهندس الاميركاني وهو اول من افلح في سلك البحار بالبخار ولد في بنسلفانيا سنة ١٧٦٥ وتوفي في نيويورك سنة ١٨١٥

(٤) جورج ستيفنسن الانكليزي ـ واضع نظام السكك الحديدية توفي سنة ١٨٤٨

(٥) ارخميدس ـ الرياضي اليوناني اشهر قدماء الرياضيين المهندسين توفي ٢١٢ ق م

(٦) صموئيل مورس ـ مخترع التلغراف الكهربائي ولد سنة ١٧٩١

(٧) داكير الفرنساوي ـ مخترع طريقة التصوير الفوتوغرافي المعروفة باسمه توفي ١٨٥١

(٨) السير اركرايت الانكليزي ـ مخترع آلة الغزل توفي سنة ١٧٩٢

(٩) جيمس وط الانكليزي — صانع الآلة البخارية توفي سنة ١٨١٩

(١٠) إلي هويتني الاميركاني ـ ولد سنة ١٧٦٥ وتوفي سنة ١٨٢٥

﴿ المخترعون ﴾ : لا تكاد تجد بين هؤلاء المخترعين رأساً ضيقاً ولا وجهاً ضيقاً ولا ملامح ضعيفة بل كلها وجوه كاملة تدل على قوة العقل والارادة . وكلهم عصاميون نهضوا من مصاف العامة الى مراتب عظماء الرجال بجدهم وسعيهم ولا يخلو انهم قرأوا الكتب واقتبسوا من الآخرين ولكنهم تجاوزوهم الى الاستنباط من عند انفسهم لان العناية خصتهم باوصاف لولاها لم يكونوا مخترعين — منها :

(١) ان رؤوسهم كبيرة منتظمة ومعدل حجم ادمغتهم اعظم من معدل ادمغة سائر الناس

(٢) ان فصي الدماغ بارزان الى الامام وفيه قوتا الاستنتاج والحكم اللازمتان للمخترع

وترى في مجموع هذه الصور صورة فلتن مخترع البواخر في الوسط والاعلى وله رأس يدل حجمه على امتلائه وكبره واتساع الجمجمة وارتفاعها . ووجه يدل على الثبات

والى يمين فلتن ستيفنسن مخترع الآلة البخارية وهو ايضاً عظيم الجمجمة عريض الحنك حتى يصير وجهه مربعاً مستطيلاً مما يدل على التعقل والثبات

وارخميدس مخترع اللولب المائي المعروف باسمه — القائل اعطوني محلاً ودارَكاً فانقل لكم الارض — تأمل ملامحه انها كبيرة واضحة . ولولا صغر الصورة لكانت اوضح

والى يسار فلتن صورة دافي الكيماوي المشهور مخترع المصباح الذي أمن به عملة المعادن من الانفجار وترى وجهه ممتلئاً . ويليه غوتنبورج مخترع طباعة الحروف . وتحت ستفنسن داكير صاحب الاختراع المعروف باسمه في الفوتوغرافيا وترى وجهه وملامحه تدلان على التأمل والتصور

وفي اسفل الشكل ووسطه صورة وط مخترع الآلة البخارية او محسنها ووجهه يكاد ينطق بما طبع عليه من التأمل والافتكار وقوة الارادة . وكانه يقول « اقدر واريد » ولا يمكن ان تدلّ هذه الصورة الاّ على دماغ قادر وارادة قوية

والى يمين ووط هويتني مخترع آلة القطن وقد كان اختراعه سبباً في ترويج الصناعة ورفاه الامم ووجهه يشبه وجه نابوليون من حيث شكله



(ش ١٥٣ ــ ١٦٢) اشهر المكتشفين

(١) اميريكوس فسبوسيوس — ومنهُ اخذت اميركا اسمها · توفي سنة ١٥١٤
(٢) خرستفوروس كولمبوس — مكتشف اميركا الشهير توفي باسبانيا سنة ١٥٠٦
(٣) سبستيان كابوت — مكتشف قارة اميركا سنة ١٤٩٧ توفي سنة ١٥٤٧
(٤) هنري هدسن — مكتشف نهر هدسن وخليج هدسن باميركا توفي سنة ١٦١٠
(٥) هرناندو دي سوتو مكتشف نهر مسيسيبي باميركا توفي سنة ١٥٤٢
(٦) جيمس كوك — اول من طاف حول العالم قتل في جزائر سندويج ١٧٧٩
(٧) جيوفاني فيراتسانو — الذي راد السواحل الشرقية لاميركا الشمالية توفي سنة ١٥٢٥
(٨) جون فريمون ــ صاحب الاستكشافات في كليفورنيا ولد سنة ١٨١٣
(٩) أليشع كان ــ وهو رحالة اميركاني اكتشف بحر القطب توفي سنة ١٨٥٧
(١٠) السيرجون فرنكلين — رحالة انكليزي نحو القطب وتوفي ١٨٤٥

﴿ المكتشفون ﴾ : في رجال الاكتشاف صفات مشتركة لا يكاد يخلو منها واحد لان مهنتهم تقتضيها . وذلك ان السعي في الاكتشاف وحب الاطلاع يقتضيان الاسفار وتحمل الاخطار في البر والبحر . ولا يستطيع ذلك الاَّ ذو الاعتقاد المتين بالخالق والاعتماد على العناية الربانية وهم اهل الرجاء والايمان والثبات . وترى هذه الصفات تتجلى في وجوه المكتشفين المرسومة صورها في هذا الشكل وخصوصاً في عيونهم فانك تراها شاخصة شخوص المستغرق كانها تنظر الى ما وراء الافق او تفكر في ما وراء المنظور . وبدون الاعتقاد في الاله غير المنظور وبسلطانه على اعمال البشر وارشادهم الى ما يريده لا يستطيع المرء ان يسلم نفسه الى رحمة الرياح والانواء والعواصف . ولا ان يخترق الصحاري او ينسلق الجبال الوعرة المحفوفة بالاخطار او يسير على الجليد في القطب الشمالي . واذا تأملت في صور هؤلاء المكتشفين رأيت (١) ان رؤوسهم تغلب فيها الاستطالة من الامام الى الخلف (٢) انها بعيدة ما بين الاذن والقمة (٣) ان قوة الادراك واضحة فيها . وترى ذلك واضحاً على الخصوص في فيسبوسيوس وكوك وكان وفريمون

ثم اذا نظرت الى كولمبوس رأيت رأسه عالياً مستطيلاً والادراك والفهم يتجليان في عينيه والثبات والانفة والاحترام وصحة الاعتقاد ظاهرة فيه . وكذلك كابوت فانه كثير الشبه بكولمبوس

اما فيسبوسيوس فان شكل وجهه يدل على قوة الحركة مع الاعتدال . وانفه الروماني يدل على علو الهمة وذقنه البارز دليل الثبات . واتساع ما بين الاذنين دليل التعقل

وترى المزاج الصفراوي غالباً على وجه فيراتسانو وقد كان اسمر البشرة اسود الشعر جعديهُ عضلي البدن قويهُ . وكان صبوراً حازماً كثير الاعتماد على نفسه

وجيمس كوك لا نحتاج في اثبات قوته الى اكثر من الاشارة الى طلعته فان في جبهته وعينيه وذقنه ما ينطق باجلى بيان عما كان فيه الانفة والوقار وحب الاطلاع

وانظر الى فرنكلين فان وجهه يدل على ما كان فيه من قوة العقل والبدن وكان كل شيء فيه عريضاً متيناً



(ش ١٦٣ ـــ ١٧١) اشهر رجال السياسة

(١) كليفتون ـــ احد مشاهير رجال السياسة في اميركا ولد سنة ١٧٦٩ وتوفي سنة ١٨٣٨

(٢) مترنيش ـــ اشهر ساسة النمسا وهو الذي ادار حركات الدول المتحدة في مقاومة نابوليون الاول · توفي سنة ١٨٥٩

(٣) تليران بريكورد الفرنساوي ـــ الملقب بامير السياسة توفي سنة ١٨٣٨

(٤) جفرسن ـــ ثالث رؤساء جمهورية الولايات المتحدة واحد كبار المؤلفين في السياسة توفي سنة ١٨٢٦

(٥) دانيال وبستر الاميركاني ـــ احد خطباء السياسة العظام توفي سنة ١٨٥٢

(٦) السير روبرت بيل ـــ احد اكابر الوزراء في انكلترا توفي سنة ١٨٥٠

(٧) دانيال اوكونل ـــ السياسي والمصلح الايرلندي المشهور توفي سنة ١٨٤٧

(٨) كونت دي كافور ـــ احد كبار ساسة سردينيا توفي سنة ١٨٦١

(٩) لورد جون رسل ـــ رئيس وزراء انكلترا وهو مشهور باصلاحات ادخلها على البرلمان الانكليزي توفي سنة ١٨٧٨

﴿ رجال السياسة ﴾ : يحتاج رجل السياسة اولاً الى دماغ كبير وبنية قوية بحيث تكون قواه العاقلة صحيحة سامية يستطيع بها الاحاطة بالمصالح العامة وتدبرها والحكم في ما يصلح لترقية شؤونها . ويجب ان يكون ذا احساس ادبي يساعده على الالتفات الى مصلحة الامة دون مصلحة نفسه . وان يكون متوازن القوى معتدل المزاج قوي الارادة لئلا ينقاد الى اهوائه او يستسلم الى عواطفه

واذا تأملت رجال السياسة (ش ١٦٣—١٧١) رأيت وجوههم وجباههم تدلُّ على عقل صحيح في بدن صحيح واكثرهم من اهل البنية القوية

كان مترنيش اعظم رجال السياسة في عصره وقد قادهم وقاد ملوكهم الى ارائه كما فعل بسمارك وزير المانيا بعده — وعهدنا به غير بعيد

وتليران كان كبير الدماغ وخصوصاً عند القاعدة مما يدل على الصبر وقوة العزيمة ولكنهُ لم يكن حذوراً داهية

وكان وبستر كبير الدماغ كبير البدن وكان مزاجه حيوياً عصبياً صفراوياً وهي ادلُّ الاخلاط على التعقل والقوة والحزم . وكان خروبي الشعر اسود العينين قوي البنية واسع الصدر فكان سامي المدارك كبير العقل . فارتقى الى منصب سياسي كبير في الولايات المتحدة . ويظهر من النظر الى وجهه انه كثير الشبه بالمستر غلادستون سياسي الانكليز . وكان خطيباً مثله ولكنه لم يكن مثله من حيث سجاياه الادبية والدينية . ولعل هذا الذي اقعده عن ان يبلغ مبلغه في اعتبار الناس

وكان جفرسن عالي الدماغ واضح ملامح الوجه قوي البنية مما يدل على الثبات والاعتداد بالنفس . وكان شعره محمراً وعيناه شهلاوين بشرته مشربة حمرة

وكان كافور من كبار الرجال في عصره وكانت قواه العاقلة من الطبقة الاولى كما يتضح ذلك من النظر الى جبهته . وكان له رأي سديد في حل المشاكل التي يعجز عنها سواه

وكان اوكونيل في ايرلاندا كما كان وبستر في اميركا . وربما زاد عليه في حبه لوطنه وشعوره مع ابناء جلدته وبروز ذقنه يؤيد ذلك



(ش ١٧٢ ــ ١٨٣) اشهر الخطباء

(١) شيشرون ــ احد رجال المشيخة الرومانية وكبير خطبائها قتل سنة ٤٣ ق م

(٢) ديموستين ــ اشهر خطباء اليونان قتل سنة ٣٢٢ قبل الميلاد

(٣) اشينس ــ هو اكبر مناظري ديموستين في السياسة توفي سنة ٣١٧ ق م

(٤) وليم بت ــ المدافع عن اميركا في برلمان انكلترا توفي ١٧٧٨

(٥) ادمون بورك ــ احد بلغاء الخطابة في انكلترا توفي ١٧٩٧

(٦) هويتفيلد ــ خطيب انكليزي توفي سنة ١٧٧٠

(٧) هنري كلي ــ احد كبار رجال السياسة في اميركا

(٨) كافانزي ــ احد خطباء ايطاليا وزعماء الثورة فيها ولد سنة ١٨٠٩

(٩) بتريك هنري ــ احد زعماء الاحزاب في تأسيس استقلال اميركا توفي سنة ١٧٩٩

(١٠) ميرابو ــ احد كبار الخطباء السياسيين في فرنسا توفي سنة ١٧٩١

(١١) وليم ويرت ــ احد رجال القضاء في اميركا توفي سنة ١٨٣٥

﴿ الخطباء ﴾ : يحتاج الخطيب الى العقل السليم والحكم الصحيح كما يحتاج اليهما كل رجل كبير . ولكنه يحتاج أيضاً الى احساس دقيق وعواطف قوية . لان الخطابة عبارة عن التأثير على عواطف الناس اكثر مما على عقولهم . فاذا لم يكن الخطيب شديد العواطف حر القول كان كلامهُ بارداً وبراهينه جافة . ولا بد له من الفصاحة والتوسع في اللغة وحدة الذهن وسرعة الخاطر وقوة التصور. فاذا كان مع ذلك متعلماً مهذباً تمت له معدات الخطابة ونبغ بين اقرانه

على ان هندي اميركا او فلاح اوستراليا قد يكون خطيباً ولو كان جاهلاً . لانه يؤثر على عواطف سامعيه بما يبديه من الانفعالات الشديدة وما يرتسم في عينيه وشفتيه من دلائل الاخلاص والغيرة كانه يتكلم من القلب الى القلب

تلك هي الخطابة الحقيقية وهذا هو سرها ولا يؤثر كلام الخطيب في سامعيه ان لم يكونوا يعتقدون فيه الاخلاص وصدق اللهجة

فلا بد للخطيب من ان يكون طيب العنصر خفيف الروح حتى يحبه الناس ويكون لكلامه وقع

اقرأ خطب الامام علي خطيب الاسلام فترى الاخلاص والحمية تتجليان بين سطورها

واذا تأملت في صور الخطباء امامك رأيت ديموستين في الوسط والاعلى وهو بالحقيقة شيخ الخطباء واستاذهم . وترى دماغه كبيراً وانفه لطيفاً وفمه مملوءًا حباً

وشيشرون كان عضلي المزاج عصبيه ودماغه كبير جداً وعيناه مملوءتان ذكاءً وحدة

وكان اشنس واسع الجبهة وهنري كلي كان عاليها وكذلك بتريك ووليم هنري ووليم ويرت

ولكن مهما اختلفت اشكال جباههم فانك ترى الذقون متشابهة فيهم جميعاً بعظمها وبروزها الى الامام والاسفل . وبروز الحنك والذقن يدل على شدة العواطف والثبات والحزم . وترى ذلك ظاهراً على الخصوص في ميرابو الخطيب الفرنساوي وبورك وهويتفيلد وغيرهم



(ش ١٨٣ ــ ١٩٣) اشهر الشعراء

(١) شكسبير ــ الشاعر الانكليزي المشهور برواياته التمثيلية توفي سنة ١٦١٦

(٢) هوميروس اليوناني ــ شيخ الشعراء واكبرهم عاش في القرن العاشر قبل الميلاد

(٣) جون ملتن الانكليزي ــ اشعر الشعراء المحدثين في المواضيع الدينية توفي ١٦٧٥

(٤) فرجيل ــ اشعر شعراء اللاتين في النظم الوصفي توفي سنة ١٩ ق م

(٥) شيلر ــ احد اعاظم شعراء الالمان في التمثيل توفي سنة ١٨٠٥

(٦) اللورد بيرون ــ احد اعاظم شعراء الانكليز في النظم التصويري توفي ١٨٢٤

(٧) اليزابيت براونن ــ شاعرة انكليزية اشتهرت برقة شعرها وقوة الوصف فيه توفيت سنة ١٨٦١

(٨) دانتي ــ اشعر شعراء الايطاليان توفي سنة ١٣٢١

(٩) ادكار بو ــ شاعر اميركاني اشتهر بوحشة تصوراته توفي سنة ١٨٤٩

(١٠) بارنس ــ من اعظم شعراء الانكليز توفي سنة ١٧٩٦

(١١) توماس مور ــ شاعر روائي انكليزي توفي سنة ١٨٥٢

﴿ الشعراء ﴾ : يغلب في الشعراء ان يكونوا عصبيي المزاج دقيقي الاحساس. ولا ينبغ الشاعر ويوفي الشاعرية حقها الاّ اذا كان مزاجه عصبياً وشعوره دقيقاً

والشعر قريحة كقريحة التصوير والموسيقى وقد ينظم غير الشاعر ولكنه يكون ناظماً لا شاعراً . ومن امثال الرومان القدماء « ان الشاعر مَن يولد شاعرًا لا من يتعلم الشعر »

ولكل شاعر قريحة في الشعر تمتاز عما للآخر وتظهر في خلال ابياته فتدل على ناظمها . فاذا قرأت بيتاً لا تعرف ناظمه يتبادر الى ذهنك انه يشبه نظم فلان او فلان . وتلك قضية لا تخفى على قراء الاشعار . فان نظم المتنبي غير نظم الفارض ونظم هذا غير نظم البهاء زهير . وقس على ذلك منظومات الافرنج وخصائصها واعتبر اثر ذلك في وجوه اصحابها

ففي شعر هوميروس حماسة وفخر ودقة في الوصف . وترى شبه ذلك في ملامح وجهه . وكان شعر فرجيل وصفياً ولم يكن عالياً كشعر هوميروس من حيث التصور. والفرق بين الشعرين كالفرق بين الرأسين

وكان شعر دانتي مرعباً يبعث الى الخوف والحنان كذلك كان وجه دانتي

وفي شعر شيلر تمثيل حياة الانسان على اختلاف ادوارها وخصوصاً من حيث الاجتماع

وشعر بيرون اكثره غزلي عشقي وتدل ملامحه على انه مستغرق في عالم الخيال

وشعر شكسبير كله تصور وعواطف وعقل . وشعر ملتن كله وصف وتقوى . وشعر بارنس اجتماعي وفيه انعطاف وهكذا شعر مور

واما بو فقد كان شعره وصفياً محضاً . وشعر برونن كله محبة وحنو وانعطاف وتصور

واذا نظرت في وجوه هؤلاء الشعراء نظر المتأمل رأيت اخلاقهم الممثلة في اشعارهم ظاهرة في وجوههم على الغالب . على انها قد تبدو في وجه الشاعر وهو حيٌّ اكثر مما في صورته على الورق . لان تلك الخصائص يغلب ان تكون في عينيه وهي مياه وانوار لا ترسم على الورق



(ش ١٩٣ ــ ١٩٩) اشهر الموسيقيين

(١) فرنسيس هيدن النمساوي — احد كبار رجال الالحان الدينية ولد في روهراو بالنمسا سنة ١٧٣٢ وتوفي بفينا سنة ١٨٠٩

(٢) لدويج بيتهوفن الالماني — المشهور باتقانه الآلات الموسيقية توفي سنة ١٨٢٧

(٣) جورج هندل الانكليزي — من اعظم رجال الموسيقى الدينية توفي سنة ١٧٥٩

(٤) موزارت — ألف الالحان وهو في الخامسة من عمره ونبغ حتى صار من اكبر اساتذة الاوبرا توفي سنة ١٧٩٢

(٥) كلوك النمساوي — من كبار مؤلفي الالحان للروايات توفي في فينا سنة ١٧٨٧

(٦) فرانس ليستز — احد اعاظم رجال البيانو وهو من هونجاريا ولد سنة ١٨١١

(٧) فيلكس مندلسون — وهو مشهور بالحان الفها بلا الفاظ . توفي في سويسرا سنة ١٨٤٧

﴿ الموسيقيون ﴾ : الموسيقي كالشاعر تقرأ اخلاقه على سحنته كما تقرأ في الحانه . فمن غلب فيه التدين كانت الحانه دينية . ومن كان من اهل الخيال تسلطت في الحانه الاوهام مع الخفة

والموسيقي ذو العواطف القوية يكثر في الحانه من انغام الحب . وقس على ذلك اختلاف الحان الموسيقيين باختلاف اخلاقهم

ويشترك الموسيقيون بصفات عمومية من جملتها كبر الاذن . والكبر دليل القوة والاذن عضو السمع . فاذا كبرت كانت اقدر على تمييز الالحان والانغام . وقد ذكرنا ذلك في باب فراسة الاذن

وفاتنا ان نذكر هناك ان اسحق ابن ابراهيم الموصلي المغني الاسلامي الشهير منظم الالحان العربية في عصر العباسيين كان كبير الاذنين . وكان اذا غضب او اعمل فكرته احمرت أذناه وكثر ولوعه بهما (راجع الاغاني ج ٥ صفحة ٥٣)

ولولا اختفاء آذان هؤلاء الموسيقيين تحت شعورهم لبانت كبيرة على الغالب

واذا نظرت الى هذه الرسوم نظرًا عاما توسمت في عيون اصحابها نظر الشاخص في شيء كانه مصغٍ الى صوت او لحن يسمعه

ولو اخذت كل صورة على حدة وتأملت في فراستها وتدبرت اخلاق صاحبها وأعماله لرأيت علاقة كبرى بين الظواهر والبواطن . ولكن الملامح التي تدل على قريحة الموسيقى او الشعر او غيرهما من الفنون الجميلة لا تظهر في التصوير كما يظهر انف القائد وجبهة الفيلسوف

ويغلب في وجوه الموسيقيين الابتسام او الاستعداد للابتسام وان لم يكن ذلك مطردًا فيهم





(ش ٢٠٠ ــ ٢١١) أشهر المصورين

(١) تيتيان — اشهر الملونين توفي في البندقية سنة ١٥٧٦

(٢) رافائيل — المصور الايطالي المعروف توفي سنة ١٥٢٠

(٣) دافنسي — مصور شهير توفي سنة ١٥١٩

(٤) نقولا بوسين — مصور فرنساوي شهير توفي سنة ١٦٦٥

(٥) روزا الايطالي — مصور تاريخي توفي في رومية سنة ١٦٧٣

(٦) فانديك — من اشهر ملوني الصور توفي في لندن سنة ١٦٤١

(٧) روبنسن الانكليزي — من اشهر مصوري الاشخاص توفي في عام ١٦٤٠

(٨) ميشال انجلو — المصور والنحات الايطالي اكبر مهندسي كنيسة مار بطرس في رومية توفي عام ١٥٦٤

(٩) رينولد الانكليزي — مصور اشخاص توفي عام ١٧٩٢

(١٠) توماس كول الانكليزي — مصور خيالي توفي عام ١٨٤٨

(١١) بنيامين وست الاميركاني — توفي عام ١٧٣٨

(١٢) ألستن — اشهر مصوري الاميركان توفي عام ١٨٤٣

﴿ المصورون ﴾ : والتصوير قريحة خاصة كالموسيقى والشعر ولكنها تحتاج الى دقة في البصر بدلاً من السمع . ويغلب في نوابغ المصورين ان يكونوا جميلي الصورة متناسبي الاعضاء معتدلي الجباه معتدلي المزاج دقيقي الشعور . وخشن الاحساس لا يقدر ان يكون مصورًا

ولا بد في هذا المقام من الاشارة الى علاقة الاذواق بالالوان ونسبة ذلك الى درجات التمدن والارتقاء . فيقال بالاجمال ان الجهال وبسطاء الناس يحبون الالوان البسيطة الباهرة . والمتعلمون المهذبون يفضلون عليها الالوان الممزوجة من لونين فأكثر على ان لا تكون باهرة زاهية

والقاعدة العامة انه كلما انحطت طبيعة الامة زادت رغبتها في الالوان الزاهية الباهرة وأحبت الاصوات القوية . وكلما ارتقت الامم مالت الى الالوان الصافية والاصوات الناعمة

ولعلماء الفراسة تفصيل في الاستدلال على اخلاق الناس من معرفة اميالهم الى الالوان لا محل له هنا

ولكننا نقول على سبيل المثال انه يغلب في محبي اللون الاحمر القرمزي ان يكونوا نيرانيي الطباع شديدي الحدة . ومحبو اللون الازرق لطاف المزاج . ومحبو اللون البنفسجي اهل خيال واوهام كالشعراء . واللون الاصفر لاهل الشعور الدقيق والاخضر لاهل السرور والسنجابي للضعفاء والودعاء

والتصوير ارقى ذوقًا من النحت وان كانا من معدن واحد ويغلب ان يكون المصور نحاتًا والنحات مصورًا . كما كان انجلو مهندس كنيسة رومية . ومن النظر الى وجهه نتوسم فيه القوة والمهارة فانه كبير الجبهة روماني الانف

ويصعب تعيين اخلاق كل من هؤلاء المصورين بالنظر لما يحول دون ذلك من اختلاطات واعتراضات ذكرنا بعضها في غير هذا المقام





(ش ٢١٢ ــ ٢٢١) اشهر اللاهوتيين

(١) ميلانكتون — كان من رفقاء لوثيروس توفي عام ١٥٦٨

(٢) سويدنبرج الانكليزي — مؤسس كنيسة اورشليم الجديدة توفي عام ١٨٧٢

(٣) ويسلي الانكليزي — لاهوتي كبير توفي عام ١٧٩١

(٤) هيوز — لاهوتي اميركاني كاثوليكي توفي عام ١٨٦٤

(٥) ستيفن تنج — لاهوتي اميركاني عظيم توفي عام ١٨٠٠

(٦) توما تشارمر — واعظ اسكوتلاندي شهير توفي عام ١٨٤٧

(٧) ادواردس — فيلسوف لاهوتي انكليزي توفي عام ١٧٥٨

(٨) وليم شنين — من اشهر الوعاظ الموحدين (اليونيتاريان) باميركا توفي عام ١٨٤٢

(٩) بيتشر — لاهوتي اميركاني توفي عام ١٨٦٣

(١٠) ريتشارد ستورس — مؤلف لاهوتي اميركاني توفي عام ١٨٢١

﴿ اللاهوتيون ﴾ : قلنا في غير هذا المكان ان فراسة اللاهوتي تقرب من فراسة القائد . لان كليهما قائدان لا يستغني احدهما عن عقل صحيح وسياسة دقيقة ومن المقرر ان رؤوس الكهنة من اكبر الرؤوس وارقاها

لان الكهانة تقتضي اعمال الفكرة واجهاد العقل في موضوع واحد . فينمو الدماغ وتظهر علامات الوقار والرزانة على الوجه لانه انما تنصرف قواه الى ذلك على ما تقتضيه وظيفته

وعليه فاللاهوتيون ورجال الدين يشتركون في علو الجبهة وعرضها ويغلب ان تكون اذقانهم ضيقة

ومن الامور المألوفة عند العامة ان القسيس او الاسقف يجب ان يكون من اهل الهيبة والوقار . والرؤوس الوقورة تكون كبيرة الجبهة واضحة الملامح . ويزيدهم التخشع وترقية العواطف الشريفة هيبة ووقاراً

والكهانة او مهنة القسوسية من المهن الصعبة التي لا يستطيعها الاَّ اصحاب العقول القوية واهل الاقدام والتدبير . ورؤوسهم تشبه رؤوس قواد الحرب الا الانوف فانها في رجال الحرب اكثر بروزاً . لانهم اعلى همة واكثر مطمعاً في امجاد العالم

اما التدبير وحسن السياسة والتنظيم فان الاسقف او البطريرك قد يحتاج اليها اكثر مما يحتاج اليها القائد الحربي . لان هذا اذا اشكل عليه امر قطعه بحد السيف . واما ذاك فلا بد له من صرف المشاكل بالحكمة وحسن السياسة . لان الكهنة رسل السلام . وهم مع ذلك يتعاطون مهنتهم بين احزاب مختلفة واراء متضادة ومرجع الخلاف اليهم





(ش ٢٢٢ — ٢٢٩) اشهر المصارعين

(١) رتشارد شو — احد كبار مصارعي الانكليز وهو مشهور عندهم
(٢) ترافيرس — مصارع زنجي اشتهر بمهارته في الملاكمة ولد في لندن سنة ١٨٣١
(٣) هينان — مصارع ايرلندي الاصل مولود في اميركا سنة ١٨٣٤
(٤) كبن — احد مصارعي انكلترا ولد سنة ١٨٣٥
(٥) سايرس — مصارع انكليزي ايضاً ولد سنة ١٨٢٦
(٦) دان كولنس — ملاكم انكليزي شهير
(٧) سوليفان — وهو مشهور باميركا ويسمونه يانكي سوليفان اشتهر بقوته . وقد مات منتحراً سنة ١٨٥٦
(٨) جيمس ماس — مصارع انكليزي مشهور بحمل الاثقال

﴿ المصارعون ﴾ : لا يستطيع القارئ ان ينظر الى صور المصارعين في الشكل (٢٢٢ — ٢٢٩) الا ويرى بينهم مشابهة كلية في ما هو من ضروريات مهنتهم . فترى كل شيء فيهم عريضاً غليظاً . فهم عراض الوجوه عراض الافواه غلاظ الاعناق عراض الصدور

والسبب في ذلك ان المصارعة رياضة بدنية تستعمل بها العضلات فتنمو وتكبر ويهمل الدماغ فيقف نموه . ولذلك فانك لا ترى بين هذه الرؤوس جبهة عالية او بارزة على الاطلاق . واذا قابلت هذه الصور بصور القواد او المصورين او الشعراء تبين لك الفرق باجلى بيان

ولا يفهم من ذلك ان الفرق بين جمجمة المصارع وجمجمة الفيلسوف انما حدث بالاستعمال والرياضة — وان كانت الرياضة في الواقع تساعد على ذلك — ولكن الفرق بين الرأسين يظهر من الطفولية

فالمولود وفي رأسه دماغ الفيلسوف لا يمكن ان يشتغل بالمصارعة . والذي يولد وطبعه ميال الى الرياضة البدنية ودماغه صغير لا يمكن ان يكون فيلسوفاً ثم يتسع ذلك الفرق بالاستعمال وتوالي الازمان

ولا تتعب نفسك في تعليم ابنك الشعر اذا لم يكن شاعراً ولا تغره على الاشتغال بالعلم اذا لم يكن تهيأ لذلك قبل ولادته . ولا شك ان هؤلاء المصارعين دخلوا المدارس كما دخلها نيوتن وسبنسر ولكنهم لم يفلحوا في دروسهم فساقتهم الطبيعة الى المهنة التي ولدوا لها . ولو كابر آباؤهم وارادوا ان يعلموهم الفلسفة أو الشعر او التصوير أو الطب لما استثمروا غير الفشل

واما بمعاطاتهم مهنة المصارعة فانهم برعوا فيها وعاشوا منها وقاموا بالعمل الذي خلقوا له او لمثله من نوعه





(ش ٢٣٠ — ٢٣٦) اشهر الجراحين

(١) وليم هارفي الانكليزي — مكتشف دورة الدم توفي سنة ١٦٥٧

(٢) كوبر — اشهر جراحي انكلترا توفي سنة ١٨٤١ (في وسط الشكل واعلاه)

(٣) البرنيتي — طبيب انكليزي هو اول من ربط الشريان السباتي والشريان الحرقفي توفي سنة ١٨٢١

(٤) هنتر — احد مشاهير علماء التشريح في انكلترا توفي سنة ١٧٩٣ (في منتصف الشكل)

(٥) جنر — الطبيب الانكليزي مكتشف لقاح الجدري توفي سنة ١٨٢٣ (في يمين الشكل واسفله)

(٦) فالنتين موت — طبيب اميركاني مشهور توفي سنة ١٨٦٥ (في منتصف الشكل واسفله)

(٧) كرنوشان — جراح اميركاني مشهور

﴿ الجراحون ﴾ : قابل صور هؤلاء الجراحين بصور القواد صفحة ١٢٦ فترى بين الفئتين مشابهة من بعض الوجوه . تراهما تتشابهان بملامح الشجاعة والعزم وثبات الجاش . لان الطبيب يحتاج الى هذه الخلال كما يحتاج اليها القائد

فالجراح لا يكون جراحاً الا اذا كان قوي الادراك والذاكرة ليستطيع الحكم في ما يعرض له من الحوادث مما لا يرى في الكتاب دليلاً عليه . ويجب ان يكون قادرًا على استعمال السلاح في العمليات الجراحية — شجاعاً لا يخاف موت العليل بين يديه ولا يكترث بصياحه او عويله وان يكون مع ذلك صحيح الجسم قوي العضل معتدل المزاج رابط الجاش لئلا يضطرب في اثناء العمليات . وان تكون فيه قوة الاختراع ليستنبط الطرق في وصف العلاج او اجراء العمليات . على ان الطب يقتضي خلالاً ومواهب يستغني عنها القائد . فالطبيب يجب ان يكون كريم الطباع دمث الاخلاق بارًّا محسناً مما لا يحتاج اليه القائد

ويجب ان يكون اديباً شريف النفس كتوماً . ولا يستطيع الطبيب معالجة المريض ما لم يكتسب ثقته ويتسلط على افكاره ويفتقر ذلك الى غير ما يفتقر اليه القائد من المواهب والاخلاق

ولا غرو فان صناعة الطب من اشرف الصناعات ولا يليق ان يتعاطاها الا اشرف الأنام مبدأ وأذكاهم عقلاً واطيبهم عنصرًا . ويحسن بالجراح مع ذلك ان يكون راسخ القدم في العلم ملماً بكل المواضيع العمومية فضلاً عن تبرزه في صناعة الطب . والقائد في غنى عن كل ذلك

وترى آثار ما تقدم ذكره من الاخلاق بادية في وجوه مشاهير الجراحين في الصفحة المقابلة . فان التعقل والرزانة والبسالة تتجلى في وجوههم كما تتجلى في وجوه قواد الحرب





(ش ٢٣٧ ـ ٢٤٩) اشهر الممثلين

(١) دفنبورت — من اشهر ممثلي القرن التاسع عشر باميركا

(٢) جون كمبل — اشتهر بتمثيل هملت توفي سنة ١٨٢٣

(٣) فورست — من اشهر ممثلي اميركا في القرن الماضي

(٤) ادموند كين — اشهر ممثلي الروايات المحزنة في لندن توفي سنة ١٨٣٣

(٥) جورج كوك — اشهر ممثلي الروايات المحزنة في القرن الثامن عشر

(٦) توما هميلين — ممثل اميركاني شهير توفي سنة ١٨٥٣

(٧) دافيد كاريك — ممثل انكليزي مشهور توفي سنة ١٧٧٩

(٨) ماكريدي — احد كبار الممثلين في لندن

(٩) بوث — اشتهر بتمثيله ريكاردوس الثالث توفي سنة ١٨٥٢

(١٠ و ١١ و ١٢ و ١٣) موات وكوشمان وسيدون وهابن مشخصات مشهورات

﴿ الممثلون ﴾ : يطلب من الممثل الماهر ان يمثل الطبيعة البشرية في كل احوالها واختلاف ظواهرها . ليس بمجرد التقليد لظواهر الحركات بل يجب عليه تمثيل الملامح والعواطف بحيث ينسى ذاتيته ويتخذ ذاتية أخرى . والممثل البارع يمثل الادوار المحزنة والادوار المفرحة ويبرع في كليهما على ان الاكثرين لا يبرعون الا في نوع واحد من انواع هذا الفن

وبين التمثيل والتصوير علاقة معنوية بحيث يستطيع البارع في أحدهما ان يبرع بالآخر

ولكن يغلب ان لا يشتغل في فن التمثيل الا اهل البطالة واكثرهم ليس فيهم المواهب اللازمة لهذا الفن حتى في اعظم عواصم اوربا

اما الذين يشتغلون فيه ممن فطروا عليه فانهم ينالون فيه شهرة عظمى وشرفاً كبيراً

وملامح الممثلين تقرب من ملامح المصورين ورجال الموسيقى لان التمثيل يعد من الفنون الجميلة . ولا يمهر فيها اصحابها الاَّ بالقريحة الخاصة والمزاولة الطويلة

وخلاصة ما يقال في فراسة المهن والصناعات ان ارباب المهنة الواحدة يغلب ان تتشابه ظواهرهم وان كان التشابه قلما يتم للاسباب التي قدمناها في صدر هذا الفصل

وقد يبرع في فن التمثيل او في غيره من الفنون الجميلة اناس لا تدلُّ ظواهرهم على انهم من اهل تلك الفنون — فهولاء لا بد من اختصاصهم باقتدار عقلي وذكاء حاد وصبر ومزاولة حتى يستطيعوا اكتساب تلك القريحة وهذا نادر . ولكنه كثيراً ما يكون سبباً في تشويش الحقائق على الباحث في علم الفراسة

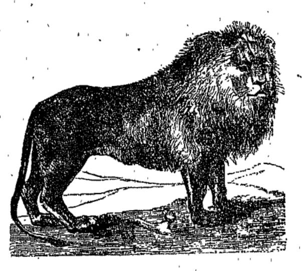
فراسة الحيوان

لعلماء الفراسة ابحاث في فراسة انواع الحيوان من قديم الزمان . وقد عاد علماء الاعصر الحديثة الى النظر في ذلك على ما يقتضيه العلم الحديث . فنظروا في مراتب الحيوان وانواعها وافرادها وبينوا اخلاقها وطباعها بالنظر الى ظواهرها مستدلين على ذلك بقواعد علم الفراسة في الانسان كما ذكرناه في مواضعه من هذا الكتاب مما يطول شرحه ولا محل له هنا

على اننا نذكر مثالاً يستدل به على ما بقي : قلنا في بعض ما تقدم عن فراسة الانسان أن عرض الجبهة دليل القوة وشدة البأس وحب القتل فاذا اعتبرنا ذلك في الحيوان رأيناه ينطبق على ما قررناه هناك كل الانطباق . لأنك ترى اكثر الحيوانات ذوات الجباه العريضة من الحيوانات المفترسة اكلة اللحوم ومن طباعها التعدي والهجوم والافتراس

وبخلاف ذلك الحيوانات ذوات الجباه الضيقة فانها ضعيفة جبانة واكثرها من اكلة النبات كالغزال والماعز والضأن وغيرها

وقد لاحظوا أيضاً ان الحيوان الواحد يتفاوت رأسه بعداً بين الاذنين بتفاوت تطبيعه وتعليمه . فالكلب البري ضيق الرأس مستطيل الفم والكلب الفوندلاندي يكاد وجهه يستدير وعيناه تشبهان عيني الانسان وقس على ذلك سائر انواع الحيوان



(ش ٢٥٠) الاسد

﴿ فراسة الحيوان عند العرب ﴾ : قلنا ان القدماء من عهد اليونان بحثوا في فراسة الحيوان ونقلها العرب عنهم وتوارثوها ودونوها في كتبهم . وقد وقفنا عليها فاقتطفنا منها ما يأتي واوضحناه بالرسوم على قدر الامكان قالوا :

{ الاسد } : رفيع الهمة حيي صبور جبار خدوع جريء غضوب بعد حلم . ملوكي النفس ذكري الفعل

{ النمر } : صلف تياه فخور كتوم لما في نفسه ذو همة وحياء حقود محب للقتل والقهر لمن عارضه مسالم لمن سالمه متأنث الافعال لا يألف ولا يؤلف

{ الفهد } : حيي غضوب صلف معجب بنفسه ألوف ذو دلال وحدة نفس يحب الرفاهية والتكرمة متكلف للشر

(ش ٢٥١) الفهد

{ الدب } : خبيث بجهل وغفلة غدور لاه يقدم متجنبا ويذل صبورا مع قوة ويعبث غضوبا

(ش ٢٥٢) الدب

{ الضبع } : قوي احمق ذليل في عقر داره شجاع في الغربة نهم بغاء منخدع تغلب عليه الغفلة

{ الذئب } : غدار غشوم لص حريص متظلم مقدام مرافق على الظلم موافق الرفيق

(ش ٢٥٣) الذئب

{ الخنزير } : دنيء النفس محام نخي حقود مقدام مع جهل ولجاجة عباث يستزري بمن يراه مقهور معه

{ القرد } : زان محتال عابث محال زكي مع خبث وجهالة

{ الكلب } : ألوف وفيّ قذر طاع شحيح لحوح حريص مهذار نهم صبور محام وضيع الهمة سيء الخلق قليل الحياء مبغض للغريب ذليل في الغربة شجاع في عقر داره مخادع عند حاجته يقظان للحمية

(ش ٢٥٤) الكلب

{ البحشور } : متولد من الضبع والذئب ويقال انه الذئب — شرير خبيث مخادع جريء دنيء النفس نفور غيور غشوم

{ الثعلب } : محتال مكار ذليل نفور مراوغ لص عياث

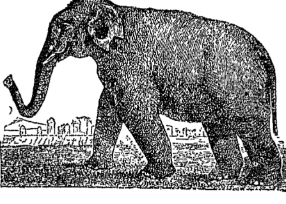
{ ابن اوى } : ويسمى الوعول وكلب البر ضعيف النفس لص خوار حزين متباك نفور دنيء النفس



(ش ٢٥٥) الهر

﴿ الهر ﴾ : وهو القط ألوف معجب بنفسه محب الرفاهية نشيط متخنث حريص مخادع مراقب يألف بالمكان ولا يألف بالانسان الا عند الحاجة

﴿ الارنب ﴾ : صلف ألوف مذكر بنفسه صبور قليل الشر قنوع



(ش ٢٥٦) الفيل

﴿ الفيل ﴾ : قوي النفس ذكر شجاع عالي الهمة وقور دعاب خبيث السريرة خائن محب الفساد

﴿ الكرك ﴾ : ويسمى كركدن زكي شديد قوي . حديد النفس مغتال لا يألف أحداً

﴿ الجاموس ﴾ : زكي غيور الوف نخي شجاع حقود جبار يكره الغريب



(ش ٢٥٧) البقر

﴿ البقر ﴾ : الوف زكي صبور غليظ الطبع حزين شبق مقدام

﴿ الجمل ﴾ : صبور جاهل الوف حقود كريم مهذار ذليل

﴿ المعز ﴾ : زكي وقح مخادع قليل الرحمة كثير العبث قائد عند نفسه مقدم



(ش ٢٥٨) الجمل

﴿ الضأن ﴾ : غافل الوف خير عديم الشر مقدام في عيشه بغيره

﴿ الفرس ﴾ : قوي مزاح ألوف صبور معجب بنفسه عابث خائن شجاع مقدام مع تخيل

﴿ البغل ﴾ : خبيث خائن قوي الوف مزاح عباث

﴿ الزراف ﴾ : لطيف النفس جاهل عبث الوف معجب بنفسه ضنين بنفسه الوف جاهل مقهور غافل شديد العداوة للاشرار

(ش ٢٥٩) الفرس


(ش ٢٦٠) الحمار


(ش ٢٦١) النعامة


(ش ٢٦٢) الضان

﴿ النعام ﴾ جهول أحمق صبور ذو همة ومرج وخفة نفس
﴿ الحمار الوحشي ﴾ : غيور حسود نفور حذور جاهل لا يأنف . محام عن أناثه (انتهى)

ولهم اقوال في فراسة الهوام والاسماك لا حاجة بنا الى ذكرها حرصاً على المكان

فراسة المقابلة

اذا عرفت اخلاق اشهر انواع الحيوان ورأيت رجلاً تقرب ملامح وجهه من ملامح وجه احدها كان ذلك الرجل يشبه ذلك الحيوان في ظواهره فيحكم علماء الفراسة بمقتضى ذلك ان اخلاقه تشبه اخلاقه . وللقدماء اقوال طويلة من هذا القبيل اكثرها لا يعتدُّ به . وقد جاراهم المحدثون في ذلك ولكن بعضهم اتخذ البحث فيه على سبيل الفكاهة والمجون

والحقيقة ان فراسة المقابلة لا تخلو من اساس علمي لا يزال ضائعاً حتى تكشفه الايام

ومن الاعتقادات الشائعة بين العامة ان المشابهة المُشار اليها انما تظهر خصوصاً في العينين وما يحيط بهما فيغطون نصف الوجه السفلي حتى تظهر العينان والجبهة ويبدو في الوجه شبه بعض الحيوانات فيقترب شكله من شكل الاسد او الدب او الثعلب او غيرها

واليك امثلة من المشابهة التي تتفق بين الانسان والحيوان ممـا لا يسع العقل معها الا التسليم بامكان المشابهة الباطنة

وقد وقفنا في بعض مطالعاتنا على مقارنة بين وجوه بعض الناس و بعض انواع الحيوان نقلناها في ما يلي على سبيل المثال وهي لا تخلو من الفائدة :

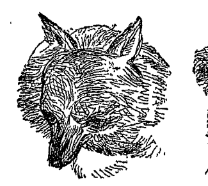
من ينظر الى الشكل (٢٦٣) ولا يرى فيه علامات الشجاعة وعلو الهمـة والانفـة ؟ وهي صفات الأسد (ش ٢٦٤) والوجهان متشابهان

(ش٢٦٣) شبه وجه الاسد

(ش٢٦٤) وجه الاسد

وانظر الى الثعلب (ش ٢٦٦) والى وجه رفيقه (ش٢٦٥) واعتبر ما بينهما من المشابهة وكيف ان المكر والدهاء والتحيل بادية في وجه ذلك الانسان وهي صفات الثعلب الخصوصية

(ش٢٦٥) شبه وجه الثعلب



(ش٢٦٦) وجه الثعلب

ومثل ذلك ما يبدو لنا من اخلاق صاحب الوجه (ش ٢٦٧) فانـ فيه دلائل الصبر والقوة وهي من طباع الدب وهو يشبهـه في ملامحـه ومجمـل هيأته (ش ٢٦٨)



(ش٢٦٧) شبه وجه الدب



(ش٢٦٨) وجه الدب

وهذا الوجه (ش ٢٦٩) لا تلتفت اليه الا و يذكرك بوجه الخنزير · وان كان بالتأمل يظهر بعيداً عنه وانما نريد المشابهة البعيدة




(ش٢٦٩) شبه وجهُ الخنزير



(ش٢٧٠) وجه الخنزير

ووجه هذا الرجل (ش ٢٧١) بعيد عن خلقة الآدميين لتدلي شفتيه وبروز انفه ولكن وجود هذه الصورة ممكن في الناس فاذا وجدت واردت تشبيهها ببعض انواع الحيوان لا ترى اقرب اليها من وجه الحمار وتتوسم فيها اخلاق ذلك الحيوان



(ش٢٧١) شبه وجه الحمار

(ش٢٧٢) وجه الحمار

واغرب من ذلك مشابهة وجه الآدميين للوز كما ترى في (ش ٢٧٣ و ش٢٧٤) وصاحب هذا الوجه تشبه اخلاقه اخلاق الوز

هذه امثلة من فراسة المقابلة مهما قيل فيها فانها لا تخلو من طلاوة وفكاهة وفائدة



(ش ٢٧٣) شبه وجه الوز



(ش٢٧٤) وجه الوز



خاتمة وملاحظات

هذه مبادئ علم الفراسة على ما بلغ اليه جهد اصحابه في ابحاثهم حتى الآن . وقد قلنا في صدر هذا الكتاب (صفحة ٣٣) اننا لا نتحمل تبعة شيء من ذلك الا ما نخصه بدليل فيسيولوجي او نبدي رأينا فيه

قلنا ذلك لاننا نرى بعض تلك الاقوال يعسر تصديقه وان كان اكثرها صحيحاً على اجماله وفي اكثر وجوهه . فالفراسة عندنا صحيحة وان كثرت شواذها . وقواعدها العامة صادقة وان اختلفت في تفاصيلها عند تطبيقها على ما نراهُ من اشكال اعضاء معارفنا وما نعلمه من اخلاقهم . لان لذلك الاختلاف اسباباً طارئة بيناها في كلامنا عن « هل الفراسة علم صحيح » و « هل تصدق الفراسة دائماً » (صفحة ١٩ —) فلتراجع هناك

واما كون الفراسة علماً صحيحاً فما لا نشكُّ فيه . من يرى وجه الامير بشيراً الشهابي (صفحة ٦٤) ولا يتوسم فيه الشجاعة وعلو الهمة والاقدام ؟ . ومن يتفرس في وجه جمال الدين الافغاني (صفحة ٥٩) ولا يرى الذكاء وحدة الذهن تتجليان فيه وقس على ذلك ما يقع عليه نظرنا من وجوه الناس على اختلاف مواهبهم وقواهم . ويغلب ان نستدل على اخلاقهم وأطوارهم من النظر الى وجوههم

ومما لا بد من الانتباه له انه لا يجوز لنا الحكم في اخلاق رجل بمجرد الاستدلال بعضو من اعضاء وجهه — فاذا رأينا انفه رومانياً لا يجوز لنا الحكم بعلو همته واقدامه الاَّ اذا لم نرَ في فراسة اعضائه الاخرى ما ينافي ذلك . واذا رأينا حنكه عريضاً قد لا يصح حكمنا بثباته ورباطة جاشه ما لم تؤيده اشكال الاعضاء الاخرى . اذ قد يكون في دلالات تلك الاعضاء ما يناقض ذلك . أما اذا تدبرنا كل الاعضاء واتخذنا معدلاً وسطاً فيندر ان يخطىء حكمنا

وقد اتينا في كلامنا عن « هل تصدق الفراسة دائماً » على الاسباب التي تدعو الى خطأ الفراسة في بعض الاحوال . ونزيد على ذلك الآن ان التربية والعقل من

اكبر تلك الاسباب . لان الانسان قد يولد وفيه ميل خلقي الى بعض الرذائل وترى ذلك الميل ظاهراً في وجهه . فاذا تربى وتثقف وكان عقله كبيراً وارادته قوية استعان بهما في التغلب على ذلك الميل وقد يتغلب عليه وتبقى دلالة تلك الرذيلة بادية في بعض ظواهره . فيؤخذ ذلك ذريعة لتكذيب علم الفراسة . وقس عليه

وفي كل حال فاننا نزف الى قراء اللغة العربية علماً جديداً على اسلوب جديد مهما قيل في شأنه لا خلاف في انه من العلوم الاخلاقية التي ترقي اذواق الناس وتنور اذهانهم وتروض عقولهم وحسبنا الله ونعم الوكيل

فهرست المواضيع

تمّ الكتاب بعون الله

مؤلفات جرجي زيدان مؤلف هذا الكتاب

« تطلب من مكتبة الهلال بمصر وهي : »

(١) ﴿ فتاة غسان ﴾ هي الحلقة الاولى من سلسلة روايات تاريخ الاسلام تشرح حال العرب في آخر جاهليتهم واول اسلامهم مع ذكر عوائدهم واخلاقهم الى فتوح الشام والعراق وهي جزآن ثمن كل جزء عشرة غروش والبوسطة غرش ونصف

(٢) ﴿ ارمانوسة المصرية ﴾ (طبعة ثانية) هي الحلقة الثانية من سلسلة روايات تاريخ الاسلام تاريخية غرامية تشرح حال مصر لما فتحها المسلمون سنة ١٨ للهجرة مع عوائد اهلها واخلاقهم وازيائهم . ثمنها عشرة غروش واجرة البوسطة غرشان

(٣) ﴿ عذراء قريش ﴾ هي الحلقة الثالثة من سلسلة روايات تاريخ الاسلام وهي تاريخية غرامية تتضمن مقتل الخليفة عثمان ووقائع الجمل وصفين والتحكيم والخوارج الى مقتل محمد بن ابي بكر . ثمنها عشرة غروش واجرة البوسطة غرشان

(٤) ﴿ ١٧ رمضان ﴾ او الحلقة الرابعة من سلسلة روايات تاريخ الاسلام وهي تاريخية غرامية تتضمن مقتل الامام علي وتفصيل امر الخوارج وخروج الخلافة الى بني امية . ثمنها عشرة غروش واجرة البوسطة ستون باره

(٥) ﴿ غادة كربلاء ﴾ تاريخية غرامية . وهي الحلقة الخامسة من الروايات التاريخية الاسلامية . تشرح حال الاسلام على عهد يزيد بن معاوية وما كان من مقتل الامام الحسين وما عقب ذلك من الحروب والفتن . ثمنها عشرة غروش واجرة البوسطة غرشان

(٦) ﴿ المملوك الشارد ﴾ (طبعة ثانية) رواية تاريخية ادبية تتضمن حوادث مصر وسوريا في اوائل القرن التاسع عشر على عهد المغفور له محمد علي باشا والامير بشير الشهابي ثمنها ثمانية غروش واجرة البوسطة غرش ونصف

(٧) ﴿ اسير المتمهدي ﴾ (طبعة ثانية) رواية تاريخية غرامية تتضمن حوادث عرابي والمهدي وحادثة سنة ١٨٦٠ في دمشق . ثمنها عشرة غروش صاغ واجرة البريد غرشان

(٨) ﴿ استبداد المماليك ﴾ (طبعة ثانية) رواية تاريخية تتضمن حوادث آخر القرن الثامن عشر ثمنها ثمانية غروش واجرة البوسطة غرش ونصف

(٩) ﴿ جهاد المحبين ﴾ رواية ادبية غرامية ثمنها ٦ غروش صاغ واجرة البوسطة غرش ونصف

(١٠) ﴿ تاريخ مصر الحديث ﴾ من الفتح الاسلامي الى هذه الايام مع ملخص تاريخها القديم وهو جزآن كبيران فيه مائة رسم واربع خارطات ثمنه اربعون غرشاً صاغاً واجرة البوسطة ٥ غروش

(١١) ﴿ تاريخ الماسونية العام ﴾ وهو تاريخ الجمعية الماسونية منذ نشأتها الى هذه الايام ثمنه عشرون غرشاً صاغاً واجرة البوسطة غرشان

(١٢) ﴿ التاريخ العام ﴾ الجزء الاول يتضمن تاريخ ممالك اسيا وافريقيا وخصوصاً مصر مزين بالرسوم ثمنه ثمانية غروش صاغ واجرة البوسطة غرش واحد

(١٣) ﴿ الفلسفة اللغوية ﴾ فيها بحث تحليلي للالفاظ العربية ثمنها عشرة غروش واجرة البوسطة غرش واحد

(١٤) ﴿ جغرافية مصر ﴾ (طبعة ثانية) تتضمن جغرافية المديريات والمحافظات وخصوصاً القاهرة ثمنها وحدها ثلاثة غروش ومع الخارطة ٥

(١٥) ﴿ ردّ رنان ﴾ ردّ على انتقاد تاريخ مصر الحديث ثمنه غرش واحد

(١٦) ﴿ ملخص تاريخ اليونان والرومان ﴾ مزين بالرسوم ثمنه ثلاثة غروش والبوسطة عشرون باره

(١٧) ﴿ تاريخ انكلترا ﴾ هو ملخص تاريخها ينتهي الى آخر الدولة اليوركية سنة ١٤٨٥ وفيه رسوم واشكال ثمنه ٤ غروش والبوسطة غرش



هي مجلة علمية تاريخية صحية لمنشئها جرجي زيدان تبحث في كل الابحاث العربية الاسلامية وتواريخ الامم الشرقية والآثار الشرقية والآداب الشرقية وفي كل ما يحدث من الاختراعات والاكتشافات في العلم والصناعة ويلحق بها فصول من الروايات التاريخية الاسلامية . بدل اشتراكها ٦٠ غرشاً في القطر المصري وعشرون فرنكاً في الخارج ومن اراد الاطلاع عليها فليطلب مثالاً منها فيرسل اليه مجاناً

مطبوعات مطبعة الهلال وتطلب من مكتبة الهلال

(١) ﴿ التقويم العام لخمسة آلاف عام للمرحوم ميشيل دبانة ﴾ يشتمل على التقاويم العربية والافرنجية والرومية والعبرانية منذ الميلاد المسيحي الى خمسة آلاف سنة . مع فهرس عام للتقاويم الاربعة وهو مطبوع باللغات الثلاث العربية والفرنساوية والانجليزية ورغبة في تسهيل نشره جعلنا ثمن النسخة من اي طبعة كانت ٢٥ غرشاً صاغاً (بدلاً من ٥٠ غرش) واجرة البريد ٤ غروش

(٢) ﴿ ايام بومباي الاخيرة لفريد عطيه ﴾ عربتها عن رواية النها الكاتب الشهير اللورد ليتن الانكليزي . وهي رواية تاريخية غرامية تمثل خسوف مدينة بمباي في اواخر القرن الاول للميلاد مع وصف اخلاق سكانها وعاداتهم واديانهم ثمنها عشرة غروش صاغ واجرة البريد غرشان

(٣) ﴿ حرب آل عثمان مع اليونان لنقولا الياس ﴾ هو رواية تمثيلية غرامية حربية تاريخية تبين وقائع الحرب الاخيرة بين الدولة العلية واليونان بقالب رواية تمثيلية تلذ للمطالع . ثمنها غرشان واجرة البوسطة ١٠ بارات

(٤) ﴿ قلادة العقيق لجيد الفراماطيق لحبيب فارس ﴾ هي اجرومية سهلة المأخذ قريبة المنال جامعة قواعد اللغة الفرنساوية بقالب عربي مع ما شذ في اللغة من كلمات وافعال يرى القارىء تصريفها وتعريبها . ثمنه ٤ غروش واجرة البريد ٣٠ بارة

(٥) ﴿ الالمام ﴾ في من بارض الحبشة من ملوك الاسلام للمقريزي ثمنه ٣ غروش صاغ واجرة البريد ١٠ بارات

(٦) ﴿ اكتفاء القنوع بما هو مطبوع لادوارد فانديك ﴾ يشتمل على اشهر التآليف العربية في المطابع الشرقية والغربية وهو عبارة عن معجم للعلوم العربية والمؤلفين والمؤلفات فلا تلتمس كتاباً او مؤلفاً او علماً في اللغة العربية الا وجدت وصفه وترجمته او تعريفه فيه . عدد صفحاته ٧٠٠ صفحة ثمنه ٥٠ غرشاً واجرة البوسطة ٥ غروش

(٧) ﴿ نزهة الالباب ﴾ في تاريخ مصر وشعراء العصر ومراسلات الاحباب تأليف محمد حسني العامري ثمنه ١٥ غرشاً واجرة البوسطة غرش ونصف

(٨) ﴿ لصوص فينيسيان جزءان تعريب ادارة الهلال ﴾ رواية تاريخية ادبية حدثت وقائعها في مدينة فينيسيا (البندقية) قبل عهد تمدنها الاخير جزءان ثمن الجزء الواحد ٥ غروش واجرة البوسطة غرش واحد ·

(٩) ﴿ استراتونكي لصموئيل بني ﴾ وهي رواية تاريخية ادبية غرامية · تشتمل على مقتل الاسكندر المكدوني وتنازع قواده وما جرى لاشخاص الرواية في اثينا واسبانيا وجزر البريطان وغيرها من البلاد مما يشوق للمطالعة · ثمنها ٥ غروش صاغ واجرة البريد غرش واحد

(١٠) ﴿ الف ليلة وليلة مزينة بالرسوم ﴾ تفردت هذه الرواية بتمثيل العصور الاسلامية الوسطى في العراق ومصر والشام وعادات أهلها على اختلاف طبقاتهم من الملوك الى الصعاليك مع بيان آدابهم في مجالسهم واحاديثهم واعراسهم ومآتمهم ومعاملاتهم التجارية والقضائية والعائلية وسائر طرق معائشهم · ظهر الجزء الاول منها وفيه ٢٢٥ صفحة و ٣٨ رسماً منقحًا من كل ما يمنع الادباء والاديبات من مطالعته وثمنه ١٠ غروش صاغ (أو فرنكان ونصف) والبريد غرش

﴿ بوليس لندن ﴾

رواية جميلة مؤثرة فيها كثير من الحوادث والغرائب التي تروق مطالعتها وتلذ قراءتها فلا يستطيع القارئ ترك الكتاب قبل الاتيان على آخره ومن لا يصدق فعليه بالامتحان والرواية تباع في مكتبة الهلال وغيرها وثمنها خمسة غروش واجرة البوسطة غرش

مكتبة الهلال

﴿ باول شارع الفجالة بمصر ﴾

(١) يباع فيها جميع انواع الكتب من علمية وادبية ومدرسية وتاريخية وروايات وغيرها ولها قائمة باسماء الكتب ترسل مجانًا لمن يطلبها

(٢) اذا رغب اصحاب المدارس او رؤساؤها عقد اتفاق مع المكتبة على تقديم الكتب والادوات لزوم التلامذة سواء كان من مصر او من الخارج فيصير الاتفاق على ذلك والمخابرة مع مدير مكتبة الهلال بمصر

حياة روبنسن كروسو ومخاطراته

تأليف

دانيال ديفو

تعريب

احمد على عباس

« خرّيج كلية إكستر الجامعة بانجلترا »

ومدرس التربية بمدرسة دار العلوم بمصر

الطبعة الأولى

يطلب من المكاتب الشهيرة بمصر ومن معربه

١٣٤٢ هـ — ١٩٢٣ م

مطبعة النهضة بشارع عبد العزيز بمصر

فهرس

كتاب حياة روبنسن كروسو ومخاطراته

تم



فهرس الصور

مقدمة المترجم

بسم الله الرحمن الرحيم

وبعد فأنى أقدم هذه القصة لجمهور القراء بعد أن قمت بترجمتها من الأنجليزية الى العربية ، لما اعتقدته من جزيل نفعها وكبير أثرها. وكان أول باعث لى على هـذا العمل الشاق رؤيتى غرام التلاميذ فى إنجلترا بها ، إذ وجدتهم يقرءونها ويلقون الأسئلة فيها على آبائهم وأمهاتهم ، ورأيت هؤلاء يجيبونهم عن كل شيء فيها ، ويتخذون ذلك ذريعة لتعليم أبنائهم وبناتهم ما يشاءون . وبذلك جعلها القوم جزءاً من تربية كل فتى وفتاة .

ولا أخفى عليك ما شعرت به عند قراءتها ، فقد أعجبت بهـا أيما إعجاب ، لأنها حكاية ممتعة تسترق الألباب لعذوبتها وغرابة موضوعها ، إذ فيهـا أخبار رُوبنسَن كروسو وما قاساه من الأهوال برا وبحرا ، وما ابتدعه من الأدوات تسهيلا لأسباب معيشته وتيسيرا لراحته. وقد امتازت هذه القصة عند الغربيين بصدقها ، وإمكانها عقلا ، وتنزيهها عن شوائب الخلاعة والسفه ، واحتوائها على حكم وآداب جمة تنفع الأصاغر ولا يستغنى عنها الأكابر . ولذلك أراها من أحسن ما يقرأ النشء ، لأنها تعودهم كثرة التفكير والبحث ، ولا تخجل فتاة ولا فتي ، لترفع معانيها ، وعلو مغزاها ، وخلوها مما ينبو عنه الطبع السليم ، والخلق الكريم

ولما نظرت إلى ما عندنا من القصص والحكايات فوجدته غير مُنَقًّى مما لا يليق بالناشئ أن يطلع عليه ، وأيقنت أن التلميذ في مدارسنا يتوق إلى هذا النوع من القراءة ولكنه لا يجد سبيلا إليه ، عقدت العزم على تعريب رحلة روبنسن كروسو ، ليطلع عليها الناشئون ، ويغترفوا من منهلها العذب

وقد كان لهذه الرحلة ذكر كبير في عالم الكشافة لأن الكشاف يهتم بمعرفة حياة روبنسن كروسو ، ليستفيد من أعماله وحيله في الحياة . وأرجو أن أكون قد قمت ببعض ما يجب عليّ نحو أبناء هذه الأمة التي هي في حاجة شديدة الى مجهود أبنائها

أما دانيال ديفو مؤلف هذه القصة فكاتب من أشهر الكتاب الأنجليز . ولد بلندن في نهاية سنة ١٦٥٩ وتوفى في ٢٦ ابريل سنة ١٧٣١م . وجل ما عرف عن دانيال ديفو يتعلق بالتأليف والأدب ، وقد اشتهر بالأمانة والصدق . وكان اتصاله بوليم الثالث وكبار الرجال من ذوى النفوذ في المملكة سببا في إذاعة صيته وبعد ذكره . وكتب في عهد هذا الاتصال كثيرا من المقالات القيمة والكتب النفيسة دافع فيها عن الملك وسياسته . ولكن لا يهمنا التوسع في هذا الشأن

وكان موت وليم الثالث كارثة عظيمة على ديفو ، لأن خصومه تألبوا عليه فذاق منهم كل شدة وألم . ولم يخلصه من تلك المظالم والآلام إلا الملكة آن بعد أن شفع له أحد الوزراء لديها ، فعاد اليه بعد ذلك سابق منزلته ، ووظف حتى آخر أيام هذه الملكة

وقد ظهر الجزء الأول من كتابه الخالد الذكر « حياة روبنسن

كروسو ومخاطراته » فى ٢٥ ابريل سنة ١٧١٩ م فأدهش العالم الأدبى ، وطبع أربع مرات فى بضعة شهور . وفى شهر أغسطس ظهر الجزء الثانى منه . وقد اتخذ ديفو من روبنسن كروسو مرشدا لكريم الأخلاق ، ومعلما للدين . وهذه القصة ـ إذا جردت عما فيها من الفلسفة الدينية والأخلاقية ـ من القصص الموضوعة التى لم تتخذ أساسا من الواقع، بل ثبتت على الخيال ؛ فتكسر السفينة ، ورؤية كروسو أثر قدم عارية على الشاطئ الرملى ، وإنقاذه جمعة ، واتخاذه تابعاً له ، وغير ذلك من الأعمال المدهشة التى قام بها روبنسن كروسو فى تلك الجزيرة النائية المقفرة ، كل هذا لم يكن أمرا واقعا ولكنه الخيال : خيال الرجل المتمدين الذى وجد نفسه وحيدا فعمل على سعادتها وهنائها

ومن هذه الناحية كانت رحلة روبنسن كروسو فريدة فى بابها لا تدانى فى الأدب الانجليزى ، فخلدت لكاتبها ذكرى لن تبيد . وقد قال النقاد «ان هذه القصة لا تخلق جدتها على مر الأيام ، كما هو حال كثير من الكتب ، بل هى باقية غير منازعة فى بقائها ومنزلتها الرفيعة من الكتب الأدبية »

وقد ترجمت هذه القصة إلى جميع اللغات الحية ، وطبعت بكل لغة مرات كثيرة ؛ منها الغالى المصور صورا جميلة ، ومنها الرخيص الذى يتيسر لعامة الشعب اقتناؤه . ولهذه القصة ذكر مشهور بين المربين على اختلاف مذاهبهم وأجناسهم . ولما أراد المربون الألمانيون أن يطبقوا نظرية ربط المواد الدراسية بعضها ببعض لم يجدوا ما يصلح لها غير هذه القصة

وإنى أرجو الله سبحانه وتعالى أن ينفع بها خالصة لوجهه الكريم .

وما توفيقى إلا بالله

احمد على عباس

حيـــــــاة

روبنسن كروسو ومخاطراته

الفصل الأول

أسرة روبنسن كروسو ومفارقته والديه

حدّث رُوبِنْسَنْ كرُوسو عن نفسه قال : لقد ولدت سنة ثنتين وثلاثين وستمائة وألف فى مدينة يُورْك . وكانت أسرتى ذات شهرة وإن لم تكن من هذه المملكة ، فقد كان والدى غريباً عن هذه الديار ، أتى اليها من « برِيمِن » تلك المدينة الألمانية الشهيرة ، واستوطن « هَلْ » في أول قدومه . وبالتجارة حصل على عقار ليس بالقليل ، وعند ذلك ترك التجارة جانباً ، وقطن بمدينة يورك التى فيها تزوج والدتي ، وقد كانت من أسرة تدعى رُوبِنْسَن ، عريقة فى المجد بين أسر تلك الولاية ، ومنها دُعيتُ روبنسن كُرُوتْزنير ، ولكن اتباعا لتحريف الكلمات فى انجلترا صرنا نسمّى بل نسمّي أنفسنا، ونكتب أسماءنا كروسو، وبذلك أُدعَى كل حين

أما أسرتى فكانت مؤلفة من أبوىّ ومن أخوين كبيرين، وقد كان أحدهما قائدا لكتيبة إنجليزية من المشاة فى فلَنْدَرْس، وكان قبل تحت إمرة القائد الشهير لُكهارْت، وقد لاقى أخى هذا حتفه فى الموقعة التى كانت مع الأسبانيين عن كثب(1) من دَنِكرْك . ولا أعلم من أمر أخى الثانى شيئا

(١) عن كثب عن قرب

أكثر مما كان يعلم أبواى من أمرى بعد ذلك

وأما أنا فكنت ثالث ولد أبوىّ ، ولم أتعلم أى صناعة تشغل وقتى ، ولذلك ملئ رأسى بأفكار متباينة ، ومعان غريبة . وقد ربانى أبى الذى كان هرما تربية منزلية جديرة بالاعتبار ، ولم ينس نصيبى من التربية المدرسية المَجّانة[1] التى كانت شائعة وقتئذ . وقد كانت غاية أبى أن أتعلم القانون ، ولكنى أبيت كل شىء إلا ركوب متن البحار . واشتد ميلى لذلك حتى حملنى على مخالفة إرادة أبى وأوامره ، ومعارضة رغبة والدتى وأصدقائى الذين طالما أدلوا إلى بحججهم ، ومتوا إلىّ بلُحمة الاتصال ، ولكن ماذا يفيد ذلك والقلب قد ملئ بحب الأسفار ، ونسى كل شىء إلا تلك الطريق التى أبرزتها لى الطبيعة ، وأظهرت محاسنها حتى أخفت كل شىء سواها

وكان والدى حازما خبيراً يرى الأمر قبل وقوعه ، وقد رأى ما دار بخَلدى[2] فأسدى الىّ نصائحه الغالية بعد أن دعانى صباح يوم إلى حجرته التى لزمها لما حل به من النِّقْرِس[3] ، فكان مما قال لى « أى بُنَىّ ، أى شىء تريد من ترك أبويك الشفيقين البرين ، ووطنك الكريم حيث تكون مصونا عزيز الجانب — ؟ إنى لا أرى لك باعثا إلا حب الأسفار لغير غرض ،

(١) المجّان — ما كان بلا بدل أو عطية الشىء بلا ثمن ، يقال أخذه وفعله مجانا وهذا الشىء لك مجان أى بلا عوض

(٢) الخلد البال والقلب والنفْس

(٣) النقرس : داء معروف يأخذ فى الرجل ويقال هو ورم يحدث فى مفاصل القدم ويكون فى ابهامها أكثر

والتَّجوال بلا مقصد ، ولو بقيت هنا ومكثت في ديارنا لعشت ثَلِج[1] الصدر بعيداً عن سحب الشقاء بجدك وعملك ، أى بنى ، لا تغتر بمن سلك طريق الأسفار ، وارتكب الأخطار ، فهم بين رجلين ، رجل ضاقت فى عينه الدنيا وأظلمت، فلم ير له بداً من التحول عن دار الذل الى دار أخرى، عله يصيب منها ما يدفع به ألم الحاجة عن نفسه، وآخر قد تاقت نفسه الى حظ أوفر ، وحال أرقى مما هو فيه فتغرب عن الأوطان فى طلب العلا، واتخذ سبيل المخاوف مسلكا ، وعاهد نفسه أن يبهر العالم بما لم يكن فى حسبانه ، فكشف غامضا ، أو أظهر مجهولا ، فشهد له الملأ بفضله ، وسعة خبرته وعلمه ، وأراك لست بأحد هذين الرجلين ، فقد أعطاك الله بسطة فى الرزق ، ولم تصل بعد إلى الدرجة الثانية. إنك فى الطبقة الوسطى فى الحياة ، ، وهى فى اعتقادى أحسن الطبقات الثلاث، لأنها بمنأى عن الشقاء والنَّصَب ، والمشاق الجسمية التى تكون عادة فى الطبقة الدنيا ، وقد حصنها الله فأبعد عنها سموم الكبر والفخار ، ومظاهر العظمة الكاذبة، والاسترسال إلى الأمانى الباطلة، والحسد الذى يأكل الحسنات كما تأكل النار الحطب . أى بنى انظر بنفسك تر فضل هذه الطبقة على غيرها ، وإن ذلك ليظهر لك جليا إذا تذكرت أن هذه الحياة هى أمنية أهل الطبقات الأخرى ، فالملوك طالما ودوا أن لو كانوا مثلنا بعيدين عن الشقاء ، والنتائج الوخيمة التى أوقعهم فيها حظهم الملكى ومنصبهم فى الهيئة الاجتماعية ، ألا تعرف قصة الرجل العاقل الذى دعا الله ربه ان يكون من أهل

---

(١) يقال ثلجت نفسى كنصر وفرح ثلوجاً وثَلَجاً اطمأنت كأثلجت وثلج كخجل أيضاً فرح وأثلجته

طبقتنا بعيدا عن الفقر والغنى فان لكل مخالب لو أنشبت برجل لأ هلكته»

ولقد شدد أبي عليّ في ذلك، وأمرني أن أشاهد أثر هذا في الناس. وإني إن فعلت كنت خليقا أن أرى الشقاء في كل بيئة ومجتمع، ولكن الوسط خير من الطرفين، فكلا طرفي قصد[1] الأمور ذميم. فأهل الدرجة الوسطى في الحياة أقل الناس تعرضا لحوادث الدهر وتقلباته، فلم تثقل أجسامهم الحوادث، ولم يطْغَوا أن رأوهم استغْنَوْا. من ينكر علينا أن متوسطي الحال هم أرخى الناس بالا، وأكثرهم اطمئنانا، وأن الفضائل إن وجدت لها رائدا فهم روادها؟ إن لنا حظا من السكون والهدوء والصحة والسرور، لا نُشارَك فيه، فهذه صفات منشؤها التوسط، وأساسها البعد عن البؤس وجمع المال. إن أمثالنا أولى المنزلة الوسطى يقطعون أعمارهم دون أن يكونوا هدفا لكوارث لا تحتمل، فنحن أبعد ولد آدم عن مثيرات اليأس والقنوط، وإن الأيام ستكفل لكل امرئ أن يرى ذلك لنفسه

وبعد هذا كله حاول أبي إقناعي برفق ولين، وتضرع اليّ ألا أتسرع في الأمر، وألاّ أتصرف فيه تصرف الحَمْقَى[2] وتقدم إليّ ألا أرمي بنفسي في أتّون[3] الشقاء والمهالك التي أنا بعيد عنها، بما أنا فيه من النعيم، لأني

---

(١) القصد: الاعتدال والتوسط بين الافراط والتفريط

(٢) جمع أحمق وهو القليل العقل وقيل الأحمق الذي يكون مقصوده صحيحا ولكن سلوكه في طريقه فاسد فلا يكون له روية صحيحة في طريق الوصول الى الغرض

(٣) الأتون كتَنُّور وقد يخفف موقد نار الحمّام وجمعه أتاتين وأُتُن

لست فى حاجة إلى السعى وراء الحصول على مايقوتنى (١) ، وإذا أردت العمل فسوف يساعدني بما لديه من الوسائل حتى أكون كأقرانى فى المنزلة وإن لم أكن سعيداً فى الحياة ميسرا ، فذلك لشقاء جَدِّى (٢) ، ولأنى ساعدت الدهر على نفسى ، بتنكُّبي (٣) ، عن الصراط السوى ، لا لذنب اقترفه هو ، لأنه منحنى وصيته التى وسمها بأنها أجدى علىّ من كبير عقلى . وقد رغبنى فى البقاء معه حتى لم يُبق مرغبا الا عاهد نفسه على القيام به. وقد وضع أمامى تلك الصورة المحزنة والحادثة المؤلمة ، حادثة أخى الأكبر ، وتوسل الىّ أن أعتبر به وأتعظ ، فالسعيد من وعظ بغيره ، والشقى من وعظ بنفسه ، وذكر كيف نهاه عن الذهاب إلى حرب البلاد المنخفضة ، ولـكنه لم يمتثل لرغباته ، وتغلبت عليه شِقْوته (٤) ، فكان من الهالكين تحت سنابك (٥) الخيل ومثار النقع . (٦) وكان أبى شديد التأثر لما جال بخاطرى ، واستولى علىّ من الشؤون الجديدة وملك لبى (٧) وجنانى بل كل حيانى ، فوعدنى الدعاء لى ، ولـكنه مع ذلك كان يقول « أن الله لا يبارك لك إذا اتبعت هذه السبيل ، وإنك ستجد متسعا من الوقت فيما بعد لتفكر فى ترك نصيحتى ، وتندم حيث لايجدى الندم ، وحين لاتجد من يساعدك على شأنك . »

---

(١) قاته يقوته قَوْتا وقياتة عاله وأعطاه القوت ورزقه (٢) الجد . ـ البخت والحظ (٣) يقال تنكب عنه عـدل وتجنبه واعتزله والأصل أن يولى الرجل منكبه نحوه فيقبل على غيره (٤) الشقاء وهو ضد السعادة (٥) سنابك جمع سُنْبُك وهو طرف الحافر (٦) الغُبار (٧) اللب والجنان : — القلب

وقد رأيته ـ وهو يحدثنى هذا الحديث الذى تبين لى صدقه كأنه كان يتنبأ به ـ يذرف الدمع مدراراً، وينم ظاهره عن حشا قد صدعته الليالى ، وكبد حرّى تذوب أسى ولوعة . وخاصة عند ذكره أخى الذى مات ميتة الأبطال فى حومة الوغى ، أو تصوره أنى قد تقطعت بى الأسباب حيث لا معين ولا مرشد . وقد هزته تلك الذكرى المؤلمة حتى لم يستطيع صبرا على هذا الحديث فكف عنه صامتا .

عند ذلك هبت فى قلبى عاطفة الحنان والشفقة ، فرثيت لبلواه ورحمت ذلك الشيخ المفؤود[1] . وأى قلب لا يحن لمنظر كهذا ؟ لذلك ثنيت عزمى ، وغيرت قصدى ، ونويت الاقامـة مدة عمرى ، مع أبى وأمى . ما أمرّ حبسَ النفس على ما تكره ، ووقفها على ما لا تريد . إنها أبت علىّ إلا أن تنفض عنها غبار ما مضى ، وتنساه أو تتناساه . وفعلا تم لها ما أرادت ، وحينئذ عولت على الفرار بعد بضعة أسابيع ، ولـكنى لم أفعل بهذه السرعة التي اعتزمتها . وفى يوم خلوت بأمى وقد وجدتهـا منشرحة الصدر ، طيبة القلب ، فعرضت عليها الأمر ، وأفهمتها أن حب الأسـفار ، ورؤية الدنيا ، قد ملكا علىّ عواطفى ، وأنى لن أفلح فى شيء آخر ما دمت نائيا عن تنفيذ ما تتوق اليه نفسى ، وأن الأجـدر بأبى أن يأذن لى ، لأنى لا محالة فاعل ما اختارت لى الأقدار . وذكرتهـا وما كانت بناسية ، أن سنى الآن قد أصبحت ثمانى عشرة سنة ، وصار من المتعذر علىّ أن أبتدئ بتعلم صنعة ، أو أكون كاتبا عند أحد الناس وأنى إذا قهرت على ذلك تركت العمل ، وهرولت إلى البحر ، لأمتطى

(١) المفؤود الذى يشكو فؤاده

متنه ، لأرى غرائب الدنيا وعجائبها . وقد توسلت إليها أن تكلم أبي في شأني ، ليأذن لي بالذهاب حيث أحب . فأذا سافرت سفرة وعدت ، ولم أحب البحر ، مكثت هنا ، ولم أغادر مسقط رأسي ، واجتهدت في تعويض ما فرطت فيه سالف أيامي

ولقد كان لكلامي هذا تأثير عظيم في والدتي ، وهزها حتى كاد يقطع منها الوتين [١] ، ودعاها إلى أن قالت لي ، اعلم يا بني أن لا فائدة من كلامي مع والدك في شأنك ، فأنه أدرى بمنفعتك ، وإن كنت تجهلها ، وإنه لمن المتعذر أن يوافقك على هذه الهواجس الشيطانية ، ويتبعك في سبيل الغي الذي تريد أن تسلكه . وإني أعجب كل العجب من جرأتك على أن تفاتح أباك مرة أخرى ، بعد ما رأيت منه في حديثه معك ، وما أظهره نحوك من الشفقة والرأفة . إذا كنت تريد أن توقع نفسك في التهلكة فافعل ما بدا لك ، ولتعلم أن موافقتنا على هذا الرأي ليست في حيز الأمكان. وإني لن أكون سببا في هلاكك ، حتى اذا وقعت في ورطة تُنحي عليّ باللائمة قائلا إن أمي قد وافقتني على السفر ، وساعدت على هلاكي ، في حين كان أبي شديد الأباء ، والأشفاق عليّ من مكروه يصيبني ،

ومع رفضها طلبتي ، وشفاعتي لديها أن ترفع الأمر لوالدي ، وتكون نصيري عنده ، قد سمعت أنها خابرته في الأمر بعد ذلك ، وأنه اهتم بما قالت ، وتنفس الصُّعَداء [٢] قائلا « قد يكون ذلك الغلام سعيداً لو بقي

---

(١) الوتين كقتيل كما ورد في اللغة عرق في القلب اذا انقطع مات صاحبه . قال ابن سيدة هو عرق لاصق بالقلب من باطنه أجمع يسقي العروق كلها الدم ويسقي اللحم وهو نهر الجسم وجمعه وُتُن وأوتنه (٢) الصعداء : تنفس طويل من هم أو تعب

هنا ، ولكن اذا تغرب عن الأوطان فسيكون أشقى الأشقياء ، وأتعس البائسين الذين سمح بهم الدهر ، وما أكثرهم حين تعدهم »

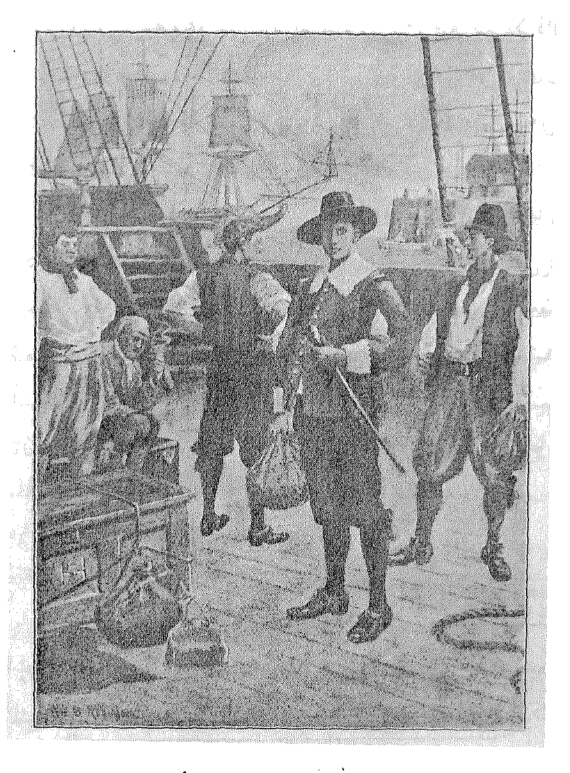
ولم أفر من وجه معارضيّ إلا بعد عام كنت فيه أصم الآذان لكل إرشاد ووعظ ، ولم أجد عندي ميلا قط لمباشرة أى عمل من الأعمال ، وكنت ألوم والديّ على معارضتهما لرغباتى . وقد ذهبت ذات يوم إلى هل ، وكنت أفعل ذلك كلما سنحت الفرص ، ولم يكن فى نيتى حينئذ أن أذهب لأى مكان آخر أو أفر من هذا السجن المظلم ، ولكنى رأيت رفيقا لى كان ذاهبا إلى لندن فى سفينة والده ، فدعانى لمرافقته ، وألح عليّ فى مصاحبته ، وأخبرنى بأن هذه السياحة لا تكلفنى شيئا ، وقص عليّ بعض القصص التى أغرتنى بموافقته ، فأجبت سؤله ، وشكرت له ملتمسه ، ولم أستشر أما ولا أبا ، ولم أفكر فى رسالة فيها أخبرهما بحالى ، بل تركتهما يعلمان ذلك من غيرى كيفما اتفق لهما ، ولم يدر بخلدى أن أسألهما الدعاء .

الفصل الثانى

أول سفر بحرى قام به روبنسن كروسو

إن القارئ ليدهش من أمرى ، لأنى أدركت أحوالى التى كنت فيها إدراكا حقا ، ولكنى لم أقدر نتائج العمل الذى رغبت فيه تقديرا صحيحا ، ولذلك تركت اليابس وركبت فيها باسم الله مجراها ومرساها . وكان ذلك فى أول سبتمبر سنة إحدى وخمسين وستمائة وألف في ساعة عصيبة كان يومها عبوسا قمطريرا [1] ، ولم تسمح المقادير بآخر ارتكب المخاطر مبكرا

(١) القمطرير من الأيام الشديد المظلم وشر قمطرير شديد



ولذلك تركت اليابس وركبت فيها باسم الله مجراها ومرساها

مثلى ، ولا دامت شقاوته أطول منى . ولم تكد السفينة تغادر الميناء حتى هبت العواصف فلعبت بالأمواج والسفينة ، ولا لعب النكباء[١] بالعود ، فارتفعت على اللجة كأنها الطود[٢] العظيم ، وانحطت حتى خيل إلى النظارة[٣] أنها ستبتلع فى ذلك الغار من المياه ، ولم أكن متعوداً ركوب البحار ، فمرض جسمى ، وذهل عقلى من هول الوهل . وعندئذ ابتدأت أشعر بأنى الولد العاق لوالديه ، وأن ما حل بى إن هو إلا عقاب لما اقترفت من الذنوب ، وترك أبوىّ الرحيمين بدون إذنهما وعلمهما . وقد تمثلت أمامى صورة أبى وهو يبكى ، وأمى وهى تتوسل إلىّ بكل عزيز لدىّ أن أطيع أمرهما ، وتسدى إلىّ النصائح ، فهالنى النوى[٤] ، وراعنى الجوى[٥] ووخزنى ضميرى الذى كان لا يزال به بقية تتأثر ، وأغلظ فى تعذيبى ، وذكرنى باحتقارى النصح ونبذى إياه ظهريا ، وفصمى عرى الواجب لربى ووالدى .

وما زال البحر يضطرب بالريح الصرصر ويشتد آذيه[٦] حتى خلت أن الدنيا آذنت بانتهاء ، ولا عجب فما أنا إلا بحار قريب العهد بالبحار ولم أر فى حياتى خضما[٧] هكذا ، وقد كنت أظن أن السفينة ستلتهم فى كل موجة ، وتغوص فى كل خفضة . وأننا سنفارق الحياة إلى عالم آخر . وقد أقسمت ببارئ النسم ألا أعود إلى البحار إذا سلمت من شر

---

(١) النكباء : ريح انحرفت عن مهاب الرياح القوّم ووقعت بين ريحين وتجمع على نُكْب ونكباوات

(٢) الجبل العظيم (٣) النظارة القوم ينظرون الى الشيء وقيل القوم الذين يقعدون فى مرتفع من الأرض ينظرون منه القتال ولا يشهدونه (٤) البُعد (٥) الحرقة وشدة الحزن (٦) الآذى : موج البحر وجمعه الاواذىّ (٧) الخضم : البحر

ما أنا فيه ، بل أذهب إلى والدىّ ، وأعتذر عما جنت يداى ، وأعاهدهما على اللبث معهما حتى يقضى الله أمراً كان مفعولا . وفى وسط هذا الخطر المحدق بى عرفت قيمة ما أسدى إلىّ من النصح ، وأن حياة الطبقة الوسطى من الناس خير من سواها ، فقد عاش أبى حياته فى راحة وطمأنينة ناعم البال ، غير معرض لخطر العواصف فى البحار ، ولا لطوارئ الحدثان «١» على اليابسة . تمثلت لى تلك الصورة فعقدت النية على أن تكون توبتى نصوحا وأوبتى حقة .

وقد استمرت عواطفى على هذا النمط ما استمرت العواصف ، وتهيج البحر ، ولكن ما انبلج صباح اليوم التالى حتى هدأت الريح ، وصار البحر أهدأ من نهر ، وابتدأت أخفف من سخطى عليه ، وبقيت طول ذلك اليوم كما كنت قبلا ، لأنى كنت لا أزال شاعرا بذلك الدُّوار الذى اعترانى حين تغير البحر . ولما هرم النهار ، وجن الليل ، تحسن الجو ، وسكنت الرياح ، وكان المساء مؤذنا بليل جميل ، وقد غربت الشمس وهى آمنة مطمئنة ، وأشرقت كذلك فى صبيحة اليوم التالى مطلة على بحر هادئ من خدرها حتى ظننت ذلك المنظر أبهج من كل ما رأت عيناى .

ونمت ليلى وأنا مغتبط بحالى ، فقد ذهب ألمى ، وصرت أهش لكل ما أرى . سبحان من بيده ملكوت السموات والأرض يصرفه كيف يشاء . عجبا للبحر يسر اليوم الناظرين والراكبين ، وكان بالأمس حربا شعواء [٢] ، وداهية دهياء [٣] ، على أبناء الغبراء [٤] . وفى هذا الوقت أتى

---

(١) حِدْثان الدهر وحَدَثانه : نوائبه (٢) يقال أشعى القوم الغارة أشعلوها أى بثوها وفرقوها فشعواء معناها متفرقة (٣) داهية دهياء مصيبة عظيمة (٤) الغبراء : الأرض

إلىّ رفيقى الذى حملنى على المجىء معه ، وأراد أن يفرج عنى كرب ما ألم بى ، حذرأن تستمر هواجسى وأصمم على هجر البحار ؛ وقال لى واضعا يده على كاهلى «كيف أنت يابُوب[١] بعد هذه الحوادث ؟ إنك بلاريب كنت متخوفا الليلة الماضية حين كانت الريح تهب ، ولكننا ملاحى السفن لا نخشى مثل هذه الريح . لأنها تكاد تكون رُخاء[٢]. فأسرعت فى جوابه أتدعو تلك الريح رخاء وقد كانت عاصفة مخيفة ؟ فرد قائلا « إنها لم تكن بعاصفة ولم تقرب قط من العواصف ؛ ونحن رجال السفن لا نعبأ بشىء مثل ذلك إذا كانت سفينتنا محكمة الصنع جيدة ، ولكنى ألتمس لك العذر فما أنت إلا بحار حديث العهد بمهنتك . دعنا من هذا ، لنأخذ بعض الشراب ، فأنه أحسن مفرج للكرب . ألا ترى حسن الجو الآن .

ولا أطيل على القارىء القصص فقد جاء الشراب ، وثملت بتعاطيه وصرت فى نشوة [٣] أنستنى كل عهد أخذته على نفسى ، فلم أفكر حينئذ فى أمر التوبة والرجوع عما أنا فيه ، وضاع كل رشد ، وذهب كل أمل فإن عودة الدّأماء [٤] إلى حاله الأولى من الهدوء والسكينة ، وذهاب العاصفة أبعدانى عن أكيد الأيمان ، وأوثق العهود التى حملنى عليها تتابع المصائب ، والآن قد هدأت نفسى ولم يبق للخوف من الماء مجال ، فلماذا لا أتمادى فى هواجسى الأولى من ركوب الأخطار ، وتحمل المشاق ؟ إنى لا أقول بأن فكرة التوبة بعدت عنى وتركتنى فى

---

(١) بوب اسم دعابة لروبنسن كروسو

(٢) الرخاء : الريح اللينة التي لا تكاد تحرك شيئا

(٣) النشوة بتثليث النون : السكرة والنّشوان السكران (٤) البحر

راحة . كلا . فقد كانت تعاودنى على كره منى ، ولكن اندماجى مع البحارة مع كثرة الطرب والشرب ، كان سببا فى تغلبى على الرجوع ، ولم تمض ستة أيام حتى انتصرت فى حومة الوغى ، كما يتأتى لمثلى أن ينتصر ، ولكن أراد الله إلا أن أكون فى شدة أخرى أدهى وأمر ، وفى حال لا يسع فيها أكثر الناس تحملا غيرَ [1] الدهر إلا أن يطلب الرحمة والخلاص منها ، ويعترف بخشونة المركَب

وفى اليوم السادس من رحلتنا هذه وصلت السفينة الى طرق «يارمُث» غير متجاوزة إياها ، لأن الرياح لم تأت بما تشتهى السفن ، ولذلك لم نسر طويلا بعد سكون العاصفة ، وقد اضطررنا هنا للانتظار ، لأن الرياح كانت لا تزال معارضة لطريقنا ، فقد كان اتجاهها الى الجنوب الغربى . وقد أقمنا ثلاثة أيام أتى فى خلالها إلى هذه الطرق سفن كثيرة من « نيوكاسل » وانتظرت حتى تسمح الأقدار فتهب رياح تجاه النهر

وبعد أن أقمنا خمسة أيام ننتظر سنوح الفرصة ، هبت رياح شديدة لم يعبأ بها الرجال ، ولم يتوقعوا أى خطر ، لأن طُرُق يارمث كانت تعتبر كميناء ، وكان أَنْجَرنا [2] محكما ، والأرض تحتنا شديدة ، واستمر البحارة فى مرح وطرب كعادتهم ، ولكن الريح اشتدت ، وزادت قوتها فى اليوم

---

(١) غِيَر الدهر : أحداثه المغيّرة

(٢) الأنجر : مِرساة السفينة وهى خشبات يفرغ بينها الرصاص المذاب فتصير كصخرة اذا رست السفينة . وفى اللسان أثقل من أنجرة بزيادة تاء التأنيث والجمع أناجر

الثامن ، فقمنا فى صباحه ، وعملنا كلنا لنجمع الصوارى[١] العليا للسفينة . ولنهيئ كل شيء فيها حتى تقدر على السير بدون أن تحول العوادى دون ذلك ، وما أتى ظهر هذا اليوم حتى ارتفع البحر ارتفاعا مخيفا، واشتد بنا الخطر حتى أمر ربان الجارية بأنزال أنجر[٢] الأمن

وفى هذا الوقت هبت العواصف من مكمنها ، وزأرت زئير الأسد في عرينها . واللبؤة هاج سا كنهـا لأشبال توقعت عليها الخطر ، حتى ظننا أن الرياح موتورة فهى تتقاضى دينهـا . وقد رأيت الجزع والهلع باديين على وجوه الملاحين أنفسهم .ولم يمنع الرّبانَ جِدُّه وسعيه في الأبقاء على السفينة من أن يقول كلما دخل أوخرج من حجرته « إلهى كن رحيما بنا . سنفقد كل شيء . سنقضى »[٣] وأشباه هذه العبارات . وفى أثناء ذلك كنت فى حجرتى مضطجعا ، ولا تسل عما حل بى حينئذ . إنه ليمكننى الآن أن أرجع إلى أفكارى الأولى من التوبة التى حصنت نفسى ضدها ، ولكن أين السلامة والأخطار محدقة ؟ كنت أظن أنى قد أمنت شر شَعُوب[٤] بعد ما حل فى المرة الأولى ، فأذا أنا بين فكيها ، تلوكنى إن أرادت فى ماضغيها . وبينا كنت فى هذا الحال فى حجرتى ، وقد أسندت رأسى إلى وسادتى ، إذ سمعت الرّبان يكلم نفسه بتلك العبارة التى ذكرت، عند ذلك لم يبق فى قوس الصبر منزع فنهضت من مكانى ، ونظرت خارجا

(١) الصوارى جمع صار وهو خشبة معترضة فى وسط السفينة أو عمود يركز قائما فى وسطها يعلق به الشراع ليسوقها (٢) أنجرا الأمن مرساة تنزل عند الخطر وهى أكبر مراسى السفينة (٣) نموت (٤) المنية

فرأيت ، ويا هول ما رأيت ، ونظرت ، وأشدّ[1] ما نظرت . رأيت الخضم متلاطم الأمواج ، وقد ارتفع في الجو كالطود العظيم ، ثم تكسرت أمواجه علينا من آن لآخر . وكلما أمكنتني النظرة ، رأيتنا على شفا جرف هار ، ورأيت السفن الأخرى التي كانت عن كثب كذلك . وقد فتق أذنيّ صراخ دوى له المكان ، وذعرت من أجله ؛ صراخ حدث على أثر غرق سفينة كانت على ميل منا . وقد رأينا سفينتين أخريين خرجتا عن الطريق ، وانقطعت أسباب مرساتيهما ، بعد أن ذهب جميع أدقالها[2] ، وهنا علمت أن السفن الخفيفة كانت أقل خطرا وعملا على ذويها ، ورأيت اثنتين منها مقبلتين نحونا ولم يبق لهما سوى شراع مربع الشكل

وعند الأصيل رجا الربانَ نائبُه والموكلُ بمراسي السفينة أن يسمح لهما بنزع الصاري الأمامي ، ولكنه لم ير لهما ذلك رأيا ، وبعد احتجاج شديد ، وتخويف بأن السفينة ستقلب رأسا على عقب إن لم تتخلص من ذلك الدقل ، رضي بذلك مكرها . ولما تم هذا بقيت السفينة تمايل ذات اليمين وذات الشمال وقد فقدت توازنها فجردوها من باقي أدقالها وصارت بلا شُرُع .

وكلٌّ يمكنه أن يعرف حالي أثناء ذلك ، وما شعرت به نحو هذه الملمات والكوارث . ولقد تضاعف اضطرابي وكثر همي حين تذكرت نكثي للعهود ونبذي للنصائح ظهريا ، وزاد ذلك ما كنت فيه ، وما توقعته من الخطر حتى إن القلم ليعجز عن وصف ما دار بخلدي ، وأحاط بي في

---

(١) أشد ما نظرت جملة بمعنى التعجب اى ما أشد ما نظرت (٢) أدقال جمع دَقَل وهو الصاري الذي سبق شرحه

ذلك الحين من القلق والحزن اللذين كادا يأتيان على الصبابة الباقية لى فى الحياة . ومن أعجب الأشياء أن المصيبة حينئذ لم تبلغ أشدها ، وقد استمرت العاصفة فى الازدياد ، وغضبت ولا غضب الفوارس بين الكماة[1] فى ساحة الوغى حتى اعترف البحارة أنفسهم بأنهم لم يروا مثلها . نعم إن سفينتنا كانت من الطراز الأول جودة وإحكاماً ، ولكنها كانت مثقلة بالأحمال ، تكاد تسترها اللجة عن الأبصار . وكان البحارة يتوقعون غرقها فى كل لحظة . وما كنت قبل اليوم أعرف معنى لغرق الجوارى . وحانت منى التفاتة فرأيت العاصفة في تزايد، ورأيت ما لم أكن متعوداً رؤيته ، رأيت الربان ورؤساء السفينة خاشعين فى صلاتهم لله ، وهم ينتظرون ذهابها الى قاع القاموس«٢» . وما انتصف الليل حتى سمعنا ضجة من أحد البحارة الذين نزلوا إلى باطن السفينة ليروا ما حل بها ، فهاله أن رأى الماء فيها قدر أربع أقدام

وعند سماع هذا النذير هرعنا كلنا لرفع الماء ، ولكن خيل لى أن قلبى قد نزع من مكانه ، فوضعت يدى لأعرف أين مكانه من أضلاعى ، وخارت قواى فلم استطع القيام ، فانثنيت على جنبى فى مكانى خشية أن أتصدع ، وذهبت إلى عالم غير هذا ، فأرجعنى إلى صوابى بعض الحاضرين إذ أخذ بيدى وأخبرنى أنى كنت عديم الجدوى فيما مضى ، ولكن يمكننى الآن أن أحرك المضخة فأرفع الماء كما يمكن أى رجل من الآخرين . فتهيأت لذلك ، وعملت بكل قواى ، بهمة لا تعرف الملل ،

---

(١) الكُماة : جمع كامٍ وهو الشجاع أو لابس السلاح سمى بذلك لانه كَمَى نفسه أى سترها بالدرع والبيضة ومثله الكمِىّ (٢) البحر وقيل أبعد موضع فيه غوراً

ولا يتسرب إليها اليأس . و بينما نحن كذلك إذ رأى الربان بعض سفن خفيفة تحمل قمحاً ، وقد عجزت عن السير فى طريقها ، فخرجت إلى عرض البحر ، وعما قريب ستقترب منا ، فأمر أن يطلق المدفع علامة الخطر ، ولأنى لم أتعود ذلك ، ولم أعرف هذا الاصطلاح الخاص بين مجُرى السفن ، طار لبى فرَقا ، وظننت أن وكرنا قد انقض عليه ريب المنون ، فأتى على بنيانه من القواعد ، وعلى من فيه أجمعين ، فوقعت على ظهرى مغشيا علىّ

ولما كان هذا الوقت وقتاً لا يفكر فيه المرء فى غير نفسه ، وقتا فيه يفر كل امرئ من أخيه ، وأمه وأبيه ، وصاحبته وبنيه ، وفصيلته التى تؤويه ومن فى الأرض جميعاً لينجو بنفسه التى هى أعز الأشياء لديه ، لم يفكر أحد فى أمرى . ولما رآنى أحد البحارة على تلك الحال أتى إلى المضخة مسرعاً فأزاحنى برجله عن مكانى ظانا أنى هلكت ، وأخذت المضخة تَصِر[1] . وقد مضى علىّ زمن طويل وأنا ملقى قبل أن أفيق من سكرتى وذهولى

ولقد استمررنا فى العمل ، ولكن الماء كان يكثر داخل السفينة ، وأصبح من المتعذر أن يسير المركب حتى يصل إلى اليابسة مع أن العواصف قد خفت وطأتها ، ولذا أمر الربان فأطلقت مدافع النجدة وطلب المساعدة حينا من الدهر حتى رأينا سفينة صغيرة عن كثب وقد أرسلت زورقا من زوارقها لمد يد المساعدة ، ولقد تكبد الزورق كثيرا من الصعوبات حتى أتى قريبا منا ، ولكن استحال علينا أن نمتطيه وعلى رجاله أن يدنوا منا دنوا كافيا . ولما استحكمت حلقات الشدة وضاقت جدّف الملاحون ، وقد وطدوا العزم

(١) صَرَّ الشىء يَصِرّ صَرّا وصريراً صوّت

على استخلاصنا من ريب المنون ، فخاطروا بحياتهم لحياتنا ؛ فنجحوا من الاقتراب منا بعد الجهد والأعياء ، فرمى رجالنا بحبل متين طويل ، وعلقوا به عوّامة ، فأمسك به بحارة النجاة ، وتعلقوا ، وساعدناهم فى العمل فوصلوا إلى مؤخر سفينتنا ملاصقين لها ، وفى أقل من لمح البصر غادرنا مكاننا واحتوانا الزورق ، ولم يفكر أحد فى أن نذهب الى السفينة الأخرى التى كانت سببا فى نجاتنا ، لأن ذلك يخرج عن طوق البشر ، وإنما اتفقنا على ترك القارب يسير حيث ترمى به المقادير بعد أن نجتهد فى إرشاده وجذبه إلى الشاطئ بقدر مايُسمح لنا بذلك ، ولقد تعهد رباننا بأن يقوم لرب الزورق بما يتلف منه إذا تكسر على الشاطئ ، وبعد تجديف طالت مدته ، انحدرت سفينتنا الى الشمال ، واتجهت تجاه شاطئ ونتَرْتُن‌ّس ولم يمض أكثر من ربع ساعة على ترك السفينة حتى غرقت . وحينئذ علمت — وما كنت أدرى من قبل — كيف تغرق السفن . وقد كان رفقائى مجدين فى عملهم كى يقربوا مركبنا من الشاطئ ، وبعد لأى [1] مارأيناه ، وأمكننا أن نميز ما عليه ، فرأينا كثيرا من القُطّان ينتظرون أوبتنا ، وقد عيل صبرهم من كثرة التطلع ، ومد الأعناق ، ومامنهم إلا مستعد لأداء ما يحتمه عليهم حب الأنسانية والرحمة والحنان . ولكن شق علينا الوصول إلى الثغر ، ولم يتأت لنا ذلك حتى مررنا بمنارة السفن التى نصبت للهداية عند « ونترتن » . وبعد إجهاد الجسم ، نزلنا على الشاطئ سالمين ، وقد أخذ منا الأعياء مأخذه ، فسرنا مشيا على الأقدام حتى وصلنا «يارمث» حيث قوبلنا بكل عطف ولين من رئيس البلد الذى أحلنا

---

(١) لأى يلأى : أبطأ واحتبس . واللأى الأبطاء والشدة أيضا

دار الراحة من فضله ، ومن التجار وغيرهم . وقد تفضلوا فأعطونا من النقدين ما يكفى لعودتنا إلى لندن أو هَل على حسب رغبتنا . ولو عدت إلى هَل امددت من السعداء، ولسر أبى من الغنيمة بعد الكد بالقفل[1] ولكن حُمّ (٢) القضاء ، ونزل القدر ، فلم أعد ، ولم يعلم أبى بنجاتى من الغرق إلا بعد حين

ولقد تجسم نحس طالعى ، وصرت أصم لكل نداءوداع ، ولم أتمكن من تذليل النفس حتى تتبع طريق الهدى . وإنى لا يسعنى أن أعبر عن القوة الدافعة لى إلى تجنب العودة، ولا أصفها إلا بأنها قوة خفية استأثرت بحلمى «٣» ، وجعلت أذنى صمّاء للوعظ والأرشاد ، ومناجاة الوجدان ، ونتائج حادثين من أكبر الوسائل المهذبة التى جرت فى حياتى . ولقد أثرت هذه الحوادث فى رفيقى الذى كان سببا فى رحلتى وتشجعى ، ولعل القارئ يتذكر أنه كان ابنا لربان السفينة ، وقد قابانى بعد أن وصلنا يارمث بثلاثة أيام حزينا كئيبا ، فسألنى عن حالى وأخبر أباه بقصتى ، وأنى أتيت إلى سفينته لأجرب الملاحة وأخبُرَها، فنظر أبوه عند ذلك إلىّ بعين ملؤها الحزن وقال لى « يابنى لعلك اتعظت بما أصابك ، وإنه لجدير بك ألا تعود إلى مثل ذلك ، فأن هذا إشارة إلى أنك لا تطيق أن تكون ملاحا ، فأجبته « ولماذا ياسيّدى ؟ هل عزمت أنت على ألا تعود إلى البحر مرة ثانية » فأسرع إلى الجواب «هذا شىء آخر . إن هذا عملى وواجبى فى

---

(١) قَفل الرجل يقفُـل ويقفِل قفولا و قَفْلا رجع أو من السفر خاصة

(٢) حُمّ القضاء قضى ونزل وقُدِّر (٣) الحِلم : — العقل والجمع أحلام وحُلوم

الحياة ، وقد خرجت معنا لتعرف حظك ، وقد عثرت عليه وعرفته ، فلا تنتظر غير هذا إذا داومت على امتطاء البحار . ولعل ما حل بنا من نكبات الدهر كان لأجلك، وما حديث ذي[1] النون عنك ببعيد. هل لك أن تخبرني عن أمرك ، وما حملك على الخروج إلى البحار؟» . فأخبرته عند ذلك بشيء من أمري ، وأوقفته على حكايتي فتنفس الصعداء ، وظهر عليه التغير وقال « ماذا صنعتُ حتى يأتي إلى سفينتي شقي كهذا . إني لا أضع قدمي معك في سفينة أخرى على أن تجعل لي ألف دينار أو يزيد » وقد حمله على حديثه هذا ما جر على نفسه من الخسارة . وقد انبرى لنصحي وألزمني الرجوع لوالدي ، وعدم معاندة المقادير التي ربما أودت بي إن استمررت في طريقي ، وأخبرني بأن ما قدر عليّ في الأمر ظاهر ولا معنى للاسترسال ثم قال « يا بني إن لم تعد حيث أتيت فستقا بل كل خيبة وتعس أنَّى ذهبت حتى تتحقق كلمات أبيك » . وعند انتهائه من حديثه افترقنا ، ولم أره بعد ، ولم أعلم من أمره شيئًا. أما أنا فذهبت إلى لندن على اليابسة وصرت هدفا لأفكار متناقضة تتعلق بالرجوع إلى والدي بعد أن اتضح لي المهْيَع[2] أو الاستمرار على ركوب الأخطار

---

(١) ذوالنون هو صاحب الحوت يونس بن متَّى عليه السلام وقد ترك قومه غضبان لما برم لطول دعوتهم وشدة شكيمتهم وتمادى اصرارهم مهاجرا عنهم قبل أن يؤمر فأصبح كمن ظن أن لن يُقدر عليه فعوقب بأن ابتلعه الحوت فنادى في الظلمات المتراكمة المتكاثفة ظلمة الليل والبحر والحوت أن لا اله الا أنت سبحانك انى كنت من الظالمين . فاستجاب الله دعاءه ونجاه من الغم بأن قذفه الحوت الى الساحل بعد أربع ساعات كان في بطنه وقيل ثلاثة أيام (٢) الطريق

لقد حال دون عودتى لوالدى حمق تغلب على عواطفى الشريفة، إذ ظهر لى أنى سأكون أضحوكة (١) يضحك منى أهل بلدى ، ويعجبون لحالى ، ويستهزئون بى ، وأحسست العار الذى يلحقنى حين أُرى بين مواطنىّ ، وتحققت حينئذ أن الأنسان عجيب فى تطوراته وأحواله ، وأنه قد يخرج عن العقل فى تصرفاته ، وخاصة الشبان ، فأنهم يرتكبون الذنوب غير مفكرين فى العار الذى يلحقهم ، ويرون من العار أن يتوبوا ويندموا . ولا يخشون عارا من نبذ الأعمال التى بها يعدون عقلاء حازمين

وقد بقيت على ذلك مدة من الدهر ، وأنا لا أدرى أى طريق أسلك، ولكن طول الوقت كان كفيلا بذهاب أثر الحادثة من متخيلتى ، فما فكرت فى الغرق ، ولا فيما انتابنى من الغير والهموم ، وتبعا لذلك امّحت فكرة الرجوع وصرت أبحث عن أسباب سفرة أخرى ، وعادت إلىّ نفس القوة التى كانت دافعة لى على مخالفة أمر والدى فى المبدأ ، واشتد وقعها حتى صرت عاجزاً عن مناوأتها ، ولهذا نزلت سفينة كانت قاصدة شواطىء إفريقية أو كما يقول البحارون « سفرة إلى غينا »

وكنت خلال هذه السفرة وما قبلها من الركاب الذين لا عمل لهم فى السفينة ، وليتنى كنت عاملا فى كلتيهما حتى أتعود صعوبة العمل، ولكنى لم أجد نفسى مضطرا إلى ذلك ، لتوافر نقودى وملابسى القشيبة (٢) ، ولذا كنت فى غنى عن القيام بعمل ما

ولقد اهتممت بأن أجد رفقاء مخاصين ، ولكن قلما يجدهم أمثالى لأن الشيطان يخدعهم وينصب لهم الحبائل مبكرا ، فلا يلبثون أن تزول

---

(١) الأُضحوكة بالضم مايضحك منه (٢) الجديدة

صلاتهم . ولـكنى أحمد الله إذ كنت موفقا فيما طلبت هذه المرة ، فعرفت رب سفينة كان قد ذهب إلى شاطئ غينا ، ونجح فى سفره إليها ، وأراد أن يرجع الكرة ثانية . وقد أظهر ارتياحا لحديثى معه . وأعجبه منه قولى إنى أريد أن أرى الدنيا . فأخبرنى بأنى إذا ذهبت هذه المرة فسأرى ما أحب ، وأصل إلى بغيتى . وتفضل بحملى بلا مقابل . وزاد على ذلك اتخاذى رفيقا له . وشجعنى على حمل بعض السلع لأتجر فيها هناك ، وقال إنى ربما نجحت فى ذلك ، وحصلت على بعض الثراء

وقد تقبلت نصيحته بقبول حسن ، واتخذنى صديقا له ، فعقدت خنصرى على محبته ، والذهاب معه فقد حلب الدهر شطريه [1] وضرب إبطيه . ورأيت فيه أمانة وإخلاصا جذبانى إليه ، وحبباه إلىّ . وقد ابتعت بعض الأشياء التى أخبرنى أنها ستلقى نفاقا (٢) فى تلك الديار ، وأنفقت على شرائها أربعين جنيها حصلت عليها من بعض أقاربى الذين كنت أراسلهم ، وأظنهم قد أخذوا هذا المبلغ من أبى أو أمى . ولم أسافر سفرة سعيدة كهذه ، لأن الربان كان من الأفراد الذين لا يجود الدهر بكثير منهم ، فقد كان أمينا صادق الوعد منجزا . وبمساعدته تاقت نفسى لتعلم بعض أعمال الملاحة ، فعرفت كيف أعين اتجاه السفينة ، وكيف أراقب الأنواء . وقصارى القول أنى علمت مالا يليق بملاح أن يجهله . وقد كان للربان ميل لأن يعلمنى ويرشدنى ، وأحسست من نفسى اشتياقا للتعلم ، وعند انتهاء هذه السفرة ، كنت ملاحا وتاجراً معا ، لأنى رجعت ومعى

---

(١) حلوه ومره خيره وشره أى أنه مجرب (٢) رواجا

خمسة أرطال، وتسع أوقيات من التبر، بعتها بثلثمائة جنيه، فظهر لي المستقبل ممتلئا بالآمال ، فملأت نفسي بها « وما أضيق العيش لولا فسحة الأمل ».
على أني لم أخل من مصائب الحدثان ، وتقلبات الزمان ، فقد ضربني الدهر ضرباته ، ومرضت مرضا مستمرا من شدة الحرارة ، وكانت تجارتنا على الشواطئ مابين خط الاستواء والخط الخامس عشر من خطوط العرض الشمالية .

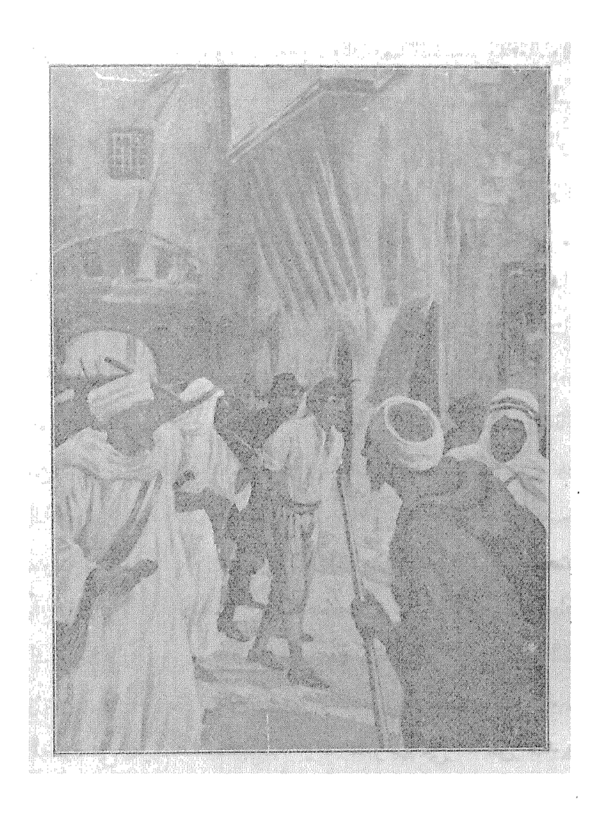
الفصل الثالث

أَسْرُ روبنسن كروسوفى سالىّ

وقد عزمت بعد هذا النجاح على الاتجار في غينا ولكن صديقي الربان فارق الفانية ، ولقي ربه بعد وصوله ، فصارت السفينة إلى نائبه ، فأخذ الرئاسة ، وألقيت إليه مقاليدها ، وعولت على الذهاب معه في سفرة أخرى ، فأسفرت هذه الرحلة عما أكنه لي القدر فكنت فيها من أشقى الأشقياء ، وكانت أتعس رحلة رحلها إنسان . ولم آخذ معي أكثر من مائة جنيه ، وتركت المائتين الأخريين ، وأقمت ما أقمت مع أرملة صديقي الهالك التي كانت من أعدل الناس ، وأحسنهم لي معاملة . وبابتداء السفر ابتدأت صروف الليالي تغير علينا . فبينا كانت سفينتنا تسير بين جزر كناري وشاطئ إفريقية ، إذا بسفينة بعض اللصوص الأتراك قد انقضت علينا في صبيحة يوم من الأيام وأرخت لشُرُعها الأعنة ، فسارت نحونا تمخر العباب ، وتشق اليم شقا ، فأسرعنا إلى شُرُعنا فنشرناها فوق الأدقال ما قدرت على حمله ، لنهرُب من اللص المهاجم ، ولكن

سرعان ما تبينا أن ذلك لا يجدى ، لأن العدو كان يجرى نحونا جريا سريعا ، ولم يكن بد من لحاقه بنا ، فحملنا نفوسنا على الصبر ، وأخذنا نعد العدة ، ونهيئ السفينة للقتال ، ونزال العدو . وكان معنا اثنا عشر مدفعاً ، وللعدو الجائر ثمانية عشر . وعند الساعة الثالثة بعد الزوال اقترب منا ، ولكن سفينته اعترضت مقدم سفينتنا قهراً ، وكان يود أن لو يأخذنا من الوراء ، فأحضرنا ثمانية من مدافعنا ، وسلطناها عليه من ذلك الجانب ففر ليغير اتجاهه . وكان رجاله أثناء ذلك يصبون علينا وابلا من طلقاتهم ، وهم لا يقلون عن مائتى رجل . وفى هـذا العراك القصير لم نفقد أحدا من رجالنا ، وكنا على أهبة تامة لملاقاته ثانية . وبعد أن استعد لمهاجمتنا مرة أخرى ، دنا منا ، وخرج ستون رجلا من سفينته إلى جاريتنا ، وبعد أن أبعدناهم عنها مرتين ، وجدناها معطلة ، وأحصينا ما فقدنا فوجدنا ثلاثة من القتلى ، وثمانية من الجرحى ، فلم نر مندوحة عن التسليم ، ووضع السلاح ؛ فأخذنا أسرى الى سالى وهو ميناء[1] المغاربة . وقد خفت سوء المعاملة ، ولكنى أحمد الله إذ لم تكن كما حسبت . وقد خصصت من دون رفقتى بأنى لم أذهب إلى القضاء لمحا كمتى ، فقد اتخذنى ربان السفينة لنفسه ، وجعلنى عبداً رقيقاً أخدمه ، لأنى كنت أصغر القوم ، وأسرعهم فى الأعمال ، وأخفهم حركة ، وأكثرهم نشاطا ، وتوسم فىّ المقدرة على القيام بأعباء خدمته . وقد استولت علىّ الأحزان عند هـذا التغير ، فمن تاجر إلى مملوك شقى . ما أقسى تقلبات الدهر ! إنه لخادع خوان . وحقا قال أبى حين تنبأ بأنى سأكون شقيا حيث لا مخلص لى ، وقد

(١) المينا والميناء مرفأ السفن وهما مذكران



فأخذنا أسرى إلى سالى"

امتدت إلىّ يد القدر ، فخسرت كل شيء ، وعز الفداء . وليت الحزن وقف بي عند هـذا ، ولـكن القارىء سيعلم عما قريب أني تحملت ما يثقل رَضْوَى «١» ، ويهم الليالى بعضه . وقد حمانى ربان سفينة اللصوص إلى منزله ، وكنت أعتقد أنه سيأخذنى عند سفره ، وركوبه البحر مرة ثانية ، فكنت أمنى نفسى بالخلاص إذا تغلب علينا أحد الأسبانيين ، أو البرتغاليين ، الذين اشتهروا بالـثَّورة والقتال ، ولـكن الله لم يشأ أن يكون ذلك ، فقد تركنى عند سفره فى منزله ، لأنظر فى أمر الحديقة ، وأرتبها فى غيبته ، وأقوم بأعمال الخدم . وعند عودته أمرنى بالمكث فى السفينة لأراقبها .

وطالما فكرت فى أمر الخلاص مما أنا فيه من الذل والهوان ، ولكن هيهات لمثلى أن ينال ذلك ، إذ لم يكن من الممكن الهرب ، لأنى لم أجد من يصحبنى إذا اجترأت وركبت البحر ، ولم أر هنـاك من كانت حاله كحالى لنتعاون على الفرار ، ولم يقع نظرى على إنجليزى ، ولا إرلندى ولا أسكتلندى ، ولا غالىّ . فكيف لى الخلاص من هذا المأزق الحرج والمركَب الخشن . وعلى ذلك بقيت سنتين وأنا أعلل النفس بالآمال ، ولـكنى لم أقدر على فعل ما رغبت ، وتاقت اليه النفس

وقد مكث سيّدى فى منزله مرة أطول من عادته ، ولم يركب البحر ، وسمعته يقول إنه لا يملك ما يكفى من النقود ليهيئ سفينته للسفر . وكان أثناء ذلك يأخذ زورق السفينة لصيد السمك . وكنت أنا وشـاب كان يدعى مَارِسْكُو نجدّف . وقد عملت بجد واهتمام في الصيد حتى كان سيدى يرسلنى مع أحد أقاربه ومارسكو لنصطاد

---

(١) جبل بالمدينة

وقد حدثت حادثة فتحت لى الطريق ، وجعلتنى أفكر كثيرا فى شأن الفرار ، وذلك أنا ذهبنا للصيد صباح يوم من الأيام ، وكان الجو هادئا ، ولكن الضباب مالبث أن ارتفع فى الأفق ، وتكاثف بعضه على بعض ، حتى عميت علينا المذاهب ، ولم نر الشاطئ مع قربنا منه . وقد جدنا فى التجديف على غير هدى كل ذلك اليوم ، وما تلا من الليل ، حتى كلت منا القوى . وعند الصباح وجدنا أنفسنا بعيدين عن الشاطئ بمسافة لاتقل عن فرسخين «١» ، وبعد جهد شديد وجوع تحكم ، وصلنا سالمين بعد أن ابتدأ الخطر ، لأن الريح هبت وآذنت باشتداد .

وقد أخذ الربان لنفسه عظة من هذا الحادث المؤلم ، فعزم على أخذ الحيطة فى المستقبل إن هو ركب البحر واعتلاه ، ووطد العزم على حمل الأبرة «٢» المغناطيسية وما يكفى من الميرة «٣» . ولما أخذ قارب السفينة الأنجليزية ، أمر نجار سفينته أن يهيئه للرحلات ، ويعده للركوب فى المستقبل . فصنع به غرفة فى الوسط ، وترك خلفها متسعا لفرد يقف فيه ليدير القارب بسُكّانه (٤) ، ويرشده بكوثله ، وفسح المجال أمامها لفرد أو اثنين ، ليراقبا الشرُع . وقد كانت تلك الغرفة تكفى لنوم الرئيس وخادمين . وكان بها خِوَان (٥) للأكل ، وخزانات صغيرة لوضع زجاجات الراح (٦) والخبز والأرز والبن . وقد تعودنا الخروج معا إلى البحر فى

---

(١) الفرسخ ثلاثة أميال (٢) المعروفة بالبوصلة (٣) الطعام (٤) سُكان السفينة كَوْثلها وهو المعروف بالدفة (٥) الخوان : مايوضع عليه الطعام ليؤكل وجمعه اخْونة وخُون (٦) الخمر

هذا القارب ، إذ كان سيّدى دائما يحتاج إلىّ لأنى برهنت على كفاءتى للصيد . وقد عزم مرة على ركوب البحر للاستراضة وصيد السمك مع ثلاثة من مشهورى أهل تلك الجهة ، ولذلك استعد لهم على قدر طاقته ، فأرسل إلى القارب ميرة كثيرة ، وأمرنى أن أحمل اليه بعض آلات القتال لأنهم عزموا على القيام ببعض الأغارات والتلصص .

وكان القارب فى الصباح التالى معدا على حسب أوامره وكل شىء كان على أهبة الاستعداد لملاقاة ضيوفه، ولكن مولاى حضر إلىّ وأخبرني بأن ضيوفه لم يحضروا ، وأنهم أجلوا خروجهم إلى البحر إلى فرصة أخرى ، لأن الأعمال والطوارئ حالت دون ذهابهم اليوم ، وقد أخبروا سيدى بأنهم سيتناولون العشاء معه الليلة ، ولذلك أمرنى أن آخذ السفينة مع الرجل والغلام كما هى عادتنا ، لنحصل على بعض السمك وأن أعود سريعا متى وجدنا مايكفى . فصدعت بالأمر ، وأخذت الأهبة للتنفيذ وحينئذ عاودتنى فكرة الخلاص والهرب ، لأنى سأجد مركبا معدا تحت إمرتى . ولما غاب عنى سيدى تهيأت لا لصيد السمك، بل لعمل سياحة طويلة ، وإن لم أعرف وقتئذ إلى أى مكان ، لأن البعد عن هذا الموضع كان جل غايتى .

وقد اجتهدت أن أحصل على مأكولات أكثر مما كان عندى فى القارب ، ولذلك قلت للرجل الذى كان يصحبنى : يلزمنا أن نأتى ببعض الخبز ، لأن سيدى لم يأمرنى بأخذ شىء مما فى القارب لنا كله ، فأجاب بالايجاب ، وذهب فأحضر سَفَطا (١) مملوءا بالخبز ، وثلاثة أوعية ، ملأى بالماء العذب .

---

(١) وعاء كالجُوالق أو كالقفة وجمعه أسفاط

وكنت أعلم مكان زجاجات الشراب فى السفينة ، فذهبت في غيبة الرجل وأحضرتها كلها . وقد أحضرت مقدارا كبيرا من الشمع إلى قاربى لأنى وجدته فى السفينة ، وكان يزيد على نصف قنطار ، وكذلك حملت جملة صالحة من الحبال والخيوط ، وفأسا ومنشارا وقدوما ، ولا مُشَاحّة (١) فى أن هذه الأشياء كلها كانت كبيرة النفع لى فى مثل هذه الأحوال .

وقد لعبت بالرجل مرة أخرى ، وانقاد لى فيها انقياد الأعمى لهاديه الطريق ، وذلك أنى قلت له « أَىْ إسماعيل . إن بندق الربان على ظهر السفينة . فهل يمكنك أن تأتى ببعض البارود والرصاص ؟ لأنا قد نقابل غنيمة فنأخذها لأنفسنا » فقال « نعم سأحضر لك ما طلبت » وقد ذهب فأحضر نحو رطل ونصف من البارود ، وستة أرطال من الرصاص . وفى هذا الوقت نفسه وجدت بعض البارود فى غرفة الربان ، فملأت منه زجاجة كبيرة بعد أن وضعت ما بقى بها من الشراب فى زجاجة أخرى . ولما تم لى ما أردت ووجدت كل ما أحتاج إليه ، خرجت فيها باسم الله مجراها ومرساها ، وغادرت الميناء طلبا للصيد . ولما كان حراس القلعة التى فى مبدأ الميناء يعرفوننا لم نجد صعوبة فى المرور عليهم . ولما صرنا على بعد ميل من الميناء تركنا السفينة للرياح تبعد بها عن هذا المكان وجلسنا للصيد . ولقد كانت الريح تهب من الشمال الشرقى فكانت عكس ما أحب ، لأنها لو هبت من الجنوب لكنت قادراً أن أصل شاطىء إسبانيا ، أو على أقل تقدير خليج كادِز (٢) ولكنى لم أعبأ باتجاه الريح لأنى كنت أريد البعد

---

(١) لا مناقشة (٢) فى شواطىء اسبانيا

عن منبع شقاوتى وبلائى ، ولم أهتم بأمر مصيرى بعد ذلك ، بل تركته للقضاء والقدر ، وركنت لما تأتى به المقادير .

وقد مضى علينا رَدَح من الزمان ، ولم نحصل على طائل ، لأنى كلما أحسست السمك يأكل الصِّنارة لم أخرجها من الماء ، لئلا يراها المغربى . ولما عيل صبرى قلت له متظاهراً بالحسرة وخيبة الآمال ، « ماهذا الحظ التعس ؟ ماهكذا يخدم سيدى . وإنا ليلزمنا أن نبتعد فى البحر حتى نجد بغيتنا . » ولما لم يظن شرا وافقنى على طلبتى ، فأطلقت للسفينة العقال ، فلعبت الريح بالشُّرُع وسارت سريعاً ، وأدرت كوثلها كما أحببت فأبعدتها نحو فرسخ من المكان الذى كنا فيه . وحينئذ أعطيت السُّكان للغلام ، ثم ذهبت نحو المغربى ، وانثنيت خلفه كأنى أبحث عن شىء فقدته ، ثم أخذته على غرَّة منه فحملته بين يدى ، ورميت به فى البحر ، ولكنه مالبث حتى ظهر على سطح الماء لأنه كان يحسن السباحة ، وسألنى مستعطفا أن آخذه ، وأحمله معى ، ووعدنى بأن يذهب فى معيتى إلى أى مكان شئت . وكان فى خلال ذلك يثهب الماء نهبا سابحا نحو السفينة ، ولو تركته لوصلها بعد زمن قصير ، لأنه جد فى العمل ، وكانت الرياح ضعيفة ، فأسرعت نحو الغرفة وأحضرت بندقة وهددته بها وأعلمته أنه إن ذهب لحاله فلن أقف فى طريقه ، وقلت له « إنك تقدر أن تصل الشاطئ والبحر الآن هادئ ، فول وجهك شطره ، وأنا أعدك بألا أضرك ولكنك إن حاولت الوصول إلى السفينة ، فسأقضى عليك ، وأفقدك حياتك ، لأنى عزمت على الفرار طلبا لحريتى . »

وما سمع كلامى حتى غير وجهته ، فذهب نحو الشاطئ ، ولست أشك أنه

وصله دون تعب ولا مشقة ، فقد كان فاقد النظير فى السباحة .

ولما صفا لى الجو من هذا الرجل نظرت إلى الغلام الذى كانوا يسمونه كسيرى وقلت له «إذا برهنت لى على أمانتك وحسن إخلاصك، فستحظى عندى بما تحب ، وإلا فأن حظك سيكون أتعس من صاحبك . ولن أثق بما تقول حتى تقسم لى برسولك . » فكان جوابه أن افتر ثغره ، وتبسم ضاحكا ، ثم تكلم كلام الساذج الغر الذى لا يقدر أن يكون ذا لونين ، وحلف أن يكون لى أمينا ، وأن يكون تحت أمرى ، ويذهب معى حيث أردت ، فلم يسعنى إلا التصديق ، وعلى هذا تم أمرنا .

وكنت غضون المدة التى رأيت فيها المغربى سابحا أتظاهر بأنى متجه نحو مهب الرياح ، حتى يظنوا أنى ذهبت بسفينتى نحو فم المضيق ، ولم يكن فى إمكان أحد أن يدور بخلده غير ذلك ، لأن الجهات الجنوبية كانت مسكونة بالقبائل المتوحشة من الزنوج ، فاذا رأونا أحاطوا بنا بزوارقهم وأهلكونا ، وإذا نزلنا إلى الشاطئ افترسنا الحيوان الضارى ، أو أكلنا المتوحشون الذين هم أقسى قلبا ولا رحمة عندهم . وما جن الظلام حتى حولت وجهى نحو الجنوب الشرقى ، وجعلت سيرى مائلا إلى الشاطئ . وكانت الريح كما أشتهى ، والبحر هادئا ، ولذلك سارت السفينة سيرا حثيثا حتى أظننى ، قطعت مائة وخمسين ميلا عند حلول الساعة الثالثة من اليوم التالى . وكنت بعيدا عن أملاك قيصر مراكش أو أى ملك آخر ، لأنى لم أر آدميا فى هذه التخوم عند ما نظرت إلى الشاطئ .

وهكذا كانت إقامتى عند المغربيين ، والجزع الذى استولى علىّ حين كنت في ديارهم . ولهذا لم آمن أن أقع فى أيديهم مرة أخرى ، فلم

أشأ الوقوف أو الاقتراب من الشاطىء ، فسرت على هـذا النمط خمسة أيام ، واستمرت الرياح تهُب نحو الجنوب ففكرت فى الأمر ، وقلت لنفسى إذا كانت السفن قد تبعتني ، فهى لا محالة قـد يئست من لحاقى ، ورجعت كما أتت ، لطول الشقّـة وسُحق الطريق . فعولت على الاقتراب من الشاطىء ، وإلقاء عصا التّسيار ، فأرسيت السفينة فى مصب نهر صغير لا أدرى أى نهر من أنهار الدنيا هو ، ولا أعلم اسم الأرض التى كان بها ، ولا خط عرضه ، ولا الشعب الذى يقطن تلك البلاد إن كانت آهلة بالسكان . ولم أر ، وما رغبت أن أرى أحـدا . وكان كل اهتمامى أن أجد ماء زلالا صالحا للشرب . ولا يفوتن القارىء أنا وصلنا إلى هذا المكان فى المساء ، وقـد عزمنا على السير مع الشاطىء حين يسترنا الليل بظلامه ، لنكشف الأرض ، ونسبرها ، ونعرف أمرها ولـكن ما حل الظلام حتى سمعنا أصواتا تصم الآذان ، وتلقى الرعب فى قلب الفارس المغوار ، أصواتا متعددة مختلفة النغمة ، جاءت من الحيوانات المتوحشة التى سكنت هـذه المحال ، ولـكنا لم نعلم نوعها ولا ماهيتها ، وقد شاهدت الهلع باديا على وجه الغلام حتى ظننته سيقضى ، وتوسل إلىّ ألا أذهب إلى الداخل ، بل أنتظر الصباح فقلت « إى وربى إن رأيك لحق يا كَسيرى[1] ولكن قد نرى فى الصباح رجالا هم شر علينا من هذه السباع الضارية » فقال ضاحكا « حينئذ نطلق عليهم نارنا فيفرون أمامنا » . فسررت لهذا الجواب ، لأنى علمت أن الجزع لم يحتكم فيه ، وأعطيته بعض الشراب ليشد أزره . وعند التفكير فى نصيحة كسيرى وجدتها جديرة بالقبول ، فتقبلتها بقبول حسن ،

---

(١) كسيرى اسم الغلام الذى كان يدعى به

ثم ألقينا مراسى السفينة ، واضطجعنا هادئين لا نبدى حَراكا [١] وبتنا ولم تغتمض أعيننا ولم يَهوَ [٢] النوم جفوننا ، فقد عدت العوادى عن الراحة ، وحال الخوف بين المرء وقلبه ، والجُنوب ومضاجعها ، فبتنا مسهدين ، ولم تمض ثلاث ساعات حتى رأينا أنواعاً كثيرة من الحيوان المفترس عظيمةَ الجسم تأتى زَرافات [٣] وَوُحدانا [٤] إلى الماء فتسير فيه لتشرب ، وتغسل جسمها للبرودة ، وكنا نجهلها جهلا تاماً ، إذ لم نر مثلها فى حياتنا ، وكانت أصواتهـا مخيفة مفزعة حتى تصورت أنا فى عالم آخر ، وأن هـذه هى الصيحة . وكاد يموت كسيرى من الخوف ، وما كنت بأحسن منه حالا . وقد زاد ما بنا من الوجد حين سمعنا صوت حيوان يشق نحونا الماء شقا . ولم نتمكن من رؤيته لتحكم الظلام ، ولكن علمنا بما أحدث من الجلبة أنه كبير الجثة مخيف . وأخبرنى كسيرى بأن الحيوان كان أسداً . والله أعلم بالحقيقة . وقد رأى الغلام أن نغادر المكان ، وماكاد يتم حديثه حتى رأيت هذا المخلوق العظيم على قدر رمح منا ، فأسرعت إلى الغرفة وأحضرت آلة من آلات دفاعنا ، وأطلقتها عليه ، فدار دورة ثم رجع من حيث أتى . وإنى ليصعب علىَّ أن أصف ما تبع ذلك من العويل والصياح ، والأصوات التى علت على الشاطئ فى داخل تلك الأرض عند سماع تلك الطلقة ، وقد دلنى هذا الهياج على أن هـذا الصوت كان أول صوت سُمع من نوعه . وقد عرفت الآن أن من المستحيل الخروج إلى الأرض ، والسير فيها ليلا كما أنى لا أعرف كيف يمكن ذلك نهاراً ،

---

(١) حركة (٢) هَوِى الشئ يهواه هوًى أحبه واشتهاه (٣) جماعات مفرده زرافة بمعنى جماعة (٤) وحدان جمع واحد

لأن الوقوع في أيدى المتوحشين كان شراً من لقاء الضَّبع . ومهما كانت المخاوف ، فقد حُمَّ علينا أن نغادر سفينتنا إلى اليابسة ، لنحصل على ماء ينساغ عذبا في اللَّها (١) ، لأن ما معنا منه قد انتهى ، ولكن أنى لنا ذلك ونحن لا نعرف مجاهل تلك الأرض ولا معالمها ، غير أن كسيرى أخبرنى بأنى إن سمحت له ، فسيذهب ويبحث عن الماء ، ويملأ لى جرة منه فقلت له « ولماذا تذهب أنت وأمكث أنا ؟ أفلا يكون العكس ؟ »

فأجاب إجابة ملأى بالحب والشفقة « إذا أتى المتوحشون فأكلونى ، نجوت أنت وذهبت آمنا على نفسك وحياتك » . فأجبته « سنذهب معا ، وإذا أتى القوم فسنقتلهم وننجو جميعا » . وقد تأهبنا للنزول بعد أن أعطيت رفيقى بعضا من الخبز والشراب ، فاقتربنا من الشاطئ وغادرنا القارب حاملين سلاحنا وجرتين لنملأهما ماء

وقد رأيت من الحكمة ألا أبعد بعيدا عن السفينة لأنى خفت أن يحضر المتوحشون بزوارقهم على النهر ، ولكن الغلام رأى مكانا منخفضا على مسافة ميل فجرى نحوه . وبعد لأى ما عاد مسرعا نحوى ، فظننت عند رؤيته أنه متبوع بجمع من آكلى لحم الإنسان أو بعض أنواع الحيوان الضارى ، فهرولت لمساعدته ، ولما صرت منه على قِيد(٢) رمح ، رأيته حاملا أرنبا أكبر مما تعودت رؤيته ، وكان قد قتله أثناء وروده الماء . وإنى سررت كثيرا بهذه المنحة ، لأن لحمها كان طيبا ، ولكن زاد فرحى عند ما علمت بأن الماء الذى وجده الغلام كان عذبا نميرا(٣) ،

(١) اللَّها جمع لَهاة وهى اللحمة المشرفة على الحلق فى أقصى سقف الفم (٢) مقداره

(٣) النمير الذى يهنأ شربه

وأنه لم ير أحدا من القوم المتوحشين . وقد علمنا فيما بعد أن الماء كان قريبا منا ، فكنا نأخذ منه حاجتنا ، وقد ملأنا أوعية الماء التي معنا ثم تأهبنا لاستئناف المسير بعد أن لم نر أحدا في هذا الجوار .

وقد علمت من السفرة الأولى لهذه الجهة أن جزر كنارى ، وجزر الرأس الأخضر ، ليست ببعيدة عن ساحل القارة ، ولكنى لم أجد معى آلات للرصد حتى أعرف خط العرض الذى كنا فيه ؛ ولم أتذكر خط عرض هذه الجزر ، فأنى لو علمته لكان من السهل الهداية إليها . وقد كان ما عولت عليه مع كل ذلك أن آتى إلى الطريق المعبدة التى تمر بها السفن التجارية الأنجليزية التى اعتادت السير فى هذه الجهة ، فأنا إن نجحنا فى ذلك أمنا ونجونا من المهالك . لأنها تمد إلينا يد المساعدة وتنقذنا من الشقاء الذى نحن فيه سابحون

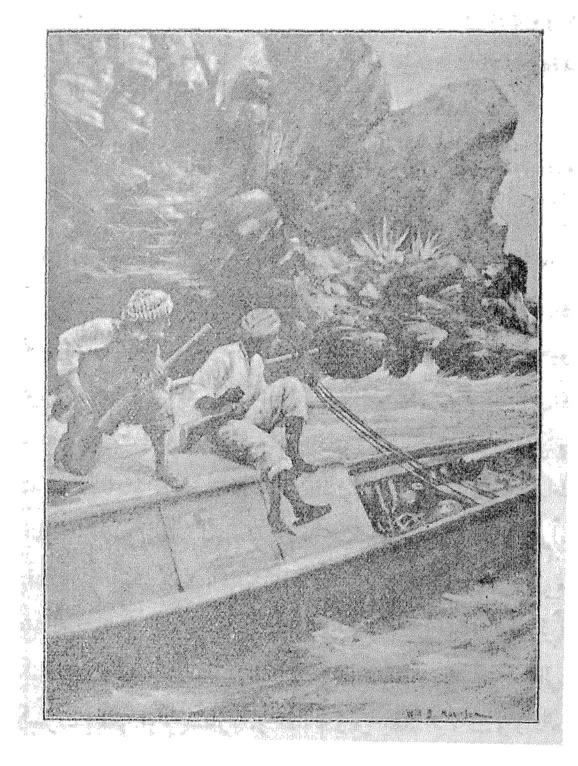
وكنت أعتقد أن هذه الأرض بين أملاك مراكش وأرض الزنوج ، وأنها خالية من السكان سوى الحيوان الأعجم المفترس ، لأن الزنوج تركوها وذهبوا إلى الجنوب خوفا من المغربيين ، ولم ير هؤلاء أنها تستحق السكن والعناية . وهناك سبب آخر أدى إلى خلوها من الساكن ، وهو امتلاؤها بكثير من أنواع الحيوان المفترس كالضبع والأسد واللبؤة التى اتخذتها مستقرا لها ، ولذلك لا يستعملها المغاربة إلا للصيد ، حيث يذهبون إليها كالجيوش التى يتكون كل منها من ثلاثة آلاف رجل أو أكثر ، ومدى تلك الأرض مائة ميل ، وقد مررت بها تجاه الشاطىء ولم أر فيها نهارا أى ساكن ، ولم أسمع ليلا غير صوت الحيوان المخيف الذى تقشعر لسماعه الأبدان .

وقد رأيت مرة أو مرتين قمة تِنَرِيف التى هى أعلى قمة فى جبال جزر كنارى ، وفكرت فى الذهاب إليها ، واجتهدت مرتين فى ذلك ، ولكن خاب مسعاى لمعارضة الريح لى ، واشتداد البحر على سفينتى ، ولذلك عقدت النية على متابعة السير فى طريقى الأصلى قريبا من الشاطىء

وقد اضطررت مراراً أن أجنح إلى الساحل ، وأقف عنده للحصول على الماء العذب . وأتذكر أنى فعلت ذلك مرة فى صباح يوم من الأيام، فأرسيت السفينة تحت طَنَف [1] من الشاطئ الجبلى، وانتظرنا علو الماء حتى تذهب إلى الداخل . وبينما نحن كذلك إذا بكسيرى قد أخذ بيدى وهمس فى أذنى قائلا « يلزمنا أن نغادر هذا المكان لأنى أرى حيوانا عظيم الجثة ، مخيف الشكل ، نائما على مقربة من البحر » فنظرت فى اتجاه إصبعه ، فرأيت أسداً ما رأت مثله عينى ، رأيته نائماً فى ظل الجبل وقد امتد جسمه امتدادا عظيما ، عند ذلك قلت للغلام « اذهب إلى الشاطىء واقتله » . فنظر إلىّ نظرة الخائف وقال «سيأكلنى قبل أن أقتله» فلم أهتم بما قال وأمرته بالسكون، ثم أخذت بندقنا وحشوتها ليكون معداً للرمى، وعند الانتهاء من العمل صوبت النار نحوه واجتهدت أن أصيبه فى الرأس ولكنه نام رافعا إحدى ساقيه فوق أنفه ، فأصابت الرصاصة يده من الركبة فكسرت عظمها فقام مضطربا ،وسمعنا له زئيرا يصم الآذان. وأراد العدو

ولكن خانته ساقه، فاضطجع ثانية ، ثم قام على ثلاثة وزأر فاغراً فاه . وقد أخذتنى الدهشة عند ما علمت أن الرصاصة لم تصب رأسه . ولذلك أخذت

(١) الطنف : ماتنأ من الجبل



فقام مضطربا ، وسمعنا له زئيرا يصم الآذان

البندقة الثانية، وصوبتها على رأسه، فأصابته وهو مُوَلٍّ، فوقع صريعا وقد خفت زئيره، ولكن لم تزل به بقية من الحياة. وعند ذلك تشجع كسيرى، وسألنى أن أسمح له بالذهاب إلى الشاطىء ففعلت، فأخذ معه بندقة وألقى بنفسه فى الماء، وسبح حتى وصل إليه، فوضع فوهة أنبوبة البندقة فى أذنه، وأطلقها فخر ميتا. وهكذا فارق هذا الوحش هذه الدار.

ولقد سرنا هذا الغَلَب، ولكن شمانى الحزن لأسرافى فى الذخيرة التى كانت معنا، فقد كان من الحزم اقتصادها لوقت آخر عصيب. ولم تكن هذه الفريسة طعاما لنا، بل كانت خالية من كل فائدة لمثلنا، ولكن كسيرى أصر على أخذ شىء منها فجاء إلىّ وسألنى أن أعطيه الفأس ليقطع رأس الأسد، ولكنه بعد مدة عجز عن قطعه، وعاد مع إحدى رجليه. وخطر ببالى أن أسلخ جلده حتى يكون لنا مفيدا، ولذلك جلست ورفيقى نعمل لهذا الغرض، وقد أثبت كسيرى بعمله أنه كفء كريم، لأنى لم أعرف كيف أقوم به. وبعد أن أجهدنا أنفسنا يوما كاملا نجحنا فى عملنا وأخذنا الأهاب [1]، فوضعناه على ظهر الحجرة فجف فى يومين، واستعملته فراشا للنوم عليه.

وبعد هذه الاستراحة واصلنا السير فى طريقنا مدة اثنى عشر يوما ونحن نأكل ما يسد حاجتنا، لأن ميرتنا قد نقصت نقصا ظاهرا، ولم نجنح إلى البر إلا عند الحاجة إلى الماء، لأن الخطة التى أردت العمل لتحقيقها كانت أن أتابع السير حتى أصل نهر غَمْبِيا أو سِنِغال، أو أقرب

---

(١) الجلد

من الرأس الأخضر لأعثر ببعض السفن الأوروبية ، وإن لم تساعدنى المقادير على ذلك فأنى لامحالة هالك بين الزنوج . إنى أعرف أن السفن الأوروبية التى تقصد شواطئ غينا أو البرازيل أو الهند الشرقية تمر بهذا الرأس أو الجزر المسماة باسمه ، وعلى هذا وضعت خطتى للنجاح ، فأما أن أجد السفن التى أنشد ، وإما أن تفيض روحنا .

وفى نهاية الاثنى عشر يوماً وجدت الأرض التى نمر عليها مسكونة ، ورأينا السكان على الشاطىء ينظرون إلينا ، وهم سود البشرة ، عُراة الأجسام لا شىء يسترهم . ولقد اعتورتنى فكرة الذهاب إلى الشاطئ لرؤيتهم ، ولكن رفيقى كان أعقل وأحزم ، فمنعنى من ذلك . وقد اقتربت بسفينتى من الشاطىء رغبة فى محادثتهم فآنست منهم ارتياحاً لذلك . وحين دققت النظر إليهم وجدتهم عزلا لا سلاح فى أيديهم ، سوى واحد قد أخذ فى يده عصا طويلة ، أخبرت بأنها مزراق ، وأنهم يجيدون رميها على الرَّمِيَّة ، فتسير مسافة غير قصيرة . فأخذت الحيطة ، وباعدت ما بينى وبينهم ، وتكلمت معهم بأشارات ظننتهم يفهمونها ، وطلبت منهم أن يمدونى بشىء للأكل ، فأشاروا إلىّ أن أقف بجاريتى حتى يحضروا لى شيئاً من اللحم ، فهدأت من السير حتى وقفت السفينة . وقد أرسلوا منهم اثنين فأسرعا إلى الداخل ، وفى أقل من نصف ساعة رجعا ومعهما قطعتان من اللحم المجفف ، وبعض الحبوب التى تنبت أرضهم . ولم نعرف أصل هذه الأشياء ، ولكن الضرورات تبيح المحظورات ، وكنت سعيدا بوجودها . وهنا نشأت صعوبة يجب تذليلها ، وهى كيف يصل إلينا ما أعدوا لنا ، لأنى كنت حذراً أن أدنو منهم ، وأخرج إليهم ، ولم يكونوا

أقل منا حذراً وخوفاً . وقد ابتدعوا طريقة فى صالح الجميع ، فوضعوا ما أحضروا على الشاطىء ، ثم ذهبوا بعيدا عنه ، فخرجنا وأخذناه ، وبعد ذلك رجعوا إلى مكانهم مرة ثانية ، فكانوا على الشاطئ قريبين منا . وقد أشرنا إليهم سمة الشكر لما أسدوا إلينا ، فقد قصرت أيدينا عن المكافأة فوجب أن يطول لساننا بالشكر . ولكن أراد الله إلا أن نقوم لهم بخدمة عظيمة قد قدروها حق قدرها لأننا رأينا في الحال خلقين عظيمين قدأطلقا انفسهما العنان ، وأقبلا من الجبل إلى البحر عدواً أحدهما مطارِد والآخر مطارَد ، ولم نعلم من أمرهما شيئاً . هل كان المذكر مطاردا الأنثى ؟ هل كانا يلعبان ؟ هل كانا فى غضب ونضال . هل كانت هذه حال الحيوان فى هذه الديار ؟ كل ذلك كان غير معروف لنا ، ولكن كان يغلب على ظنى أن هذه الحال لم تكن اعتيادية ، لأن هذه الحيوانات قلما تظهر نهارا ، ولأنى رأيت القوم وقد ألقى فى قلوبهم الرعب ، وخاصة النساء ، فولوا الأدبار ، خلا ذلك الرامح[1] ، فانه ثبت مكانه . وقد واصل الوحشان العدو غير ملتفتين إلى الزنوج ، حتى نزلا الماء وسبحا فيه يمنة ويسرة ، كأنما جاءا للهو واللعب . وبعد هنيهة رأيت أحدهما وقد أخذ طريقه نحونا ، وصار على مقربة منا ، ولكنى كنت مستعدا للطوارئ ، فأخذت فى يدى بندقة كنت قد أعددتها لمثل هذه الملمات ، وأمرت رفيقى أن يهيئ الأخريين . ولما قرب هذا الضارى منا أصبته بطلق نارى فى رأسه فاختفى فى الماء توا على أثره ، ولكنه ما لبث حتى ظهر مضطربا كأنه

(١) حامل الرمح

يصارع الموت ويدافعه ، ثم اتجه نحو الشاطىء ، وما وصله حتى فاضت روحه الخبيثة .

ولو أعطيت من البيان أعلاه ، ومن البلاغة غايتها ، ما قدرت أن أمثل للقارىء الدهشة التى استولت على النظّارة[1] عند سماع الصوت ، ورؤية الدخان ، فقد اصفرّت وجوههم ، وسقط بعضهم على الأرض من شدة الهول ، ولكنهم عادوا إلى رشدهم ، وقويت قلوبهم عندما رأوا الوحش ميتا ، وقد ظهر الدم على وجه الماء ، ورأونى أشير إليهم بالاقتراب من الشاطىء ، فقدموا للبحث والتنقيب عن الجثة ، وقد عثرت عليها فى فى النقطة التي علا الدم فيها ، فشددت وثاقها بحبل ورميت طرفه الآخر إلى الزنوج ، فأخرجوها فأذا بها نمر عظيم الجسم ، وإذا بجلده من أثمن الجلود وأغلاها قيمة . ولقد طرب القوم ورفعوا أيديهم ليعبروا عما اعتراهم من الدهشة . إذ كيف قتلته ؟ وبأى شىء كان ذلك ؟

وأما الحيوان الآخر الذى صحب هذا ، فقد ذهب سريعا إثر سماع الصوت ، ورؤية النار إلى الشاطئ ، وهرول إلى الجبال التى منها أتى ، ولم أتحقق ماهو ؟ ولقد فهمت من حال القوم أنهم يأكلون مثل هذا اللحم ، فأشرت اليهم بأن يفعلوا به ماأرادوا ، وجعلت ذلك هبة منى إليهم ، ففرحوا وأظهروا لى شكرهم لصنيعى معهم . وفى أقل من لمح البصر ابتدءوا يهيئوا الفريسة ، وكانت سكاكينهم من قطع الخشب الحادة . وقد فعلوا بها ما أرادوا بسرعة عجيبة ، وبعد أن هيئ اللحم للأكل ، أرادوا أن يعطونى بعضه فامتنعت مظهرا أنى تنازلت لهم عنه ، ولكنى طلبت الجلد فأعطوه لى دون

(١) المشاهدين

تأخر ، ثم أحضروا لى بعض مأكولاتهم فأخذتها وإن كنت لم أعرف عنها شيئا . وقد طلبت إليهم أن يملئوا جراتنا ماء ،فأخذت إحداهاوجعلت عاليها سافلها فعرفوا أنى أريد ماء . فنادوا بعض نسائهم، فجاءت امرأتان ومعها جرة كبيرة مصنوعة من الطين المحرق فوضعتاها على الشاطئ ، وأرسات كسيرى فملأ جرارنا الثلاثة . وقد كانت النساء عراة الأجسام كالرجال .

الآن وقد أخذت الماء والحبوب ، وجذور بعض النبات المغذى ، فيجب أن أحذر المكث الطويل ، والاقتراب من الشاطئ . ولذلك سرت بعيداً عنه مدة أحد عشر يوما فى آخرها رأيت الأرض قدبرزت إلى البحر مسافة كبيرة ، وكان بينى وبينها إلى الأمام مسافة خمسة فراسخ فسرت مسرعا ، ثم ابتعدت عن الشاطئ فرأيت أرضا فى الجهة الأخرى من البحر فعلمت أن هذه كانت الرأس الأخضر ، والأخرى الجزرالمسماة بهذا الاسم . ولكن بعدت بينى وبينها المسافة فلم أسكر بلذةالنجاح لأن الريح لو اشتدت فربما قضت على كل شئ قبل إدراك الغاية

وفى هذه الحال وعدم الثقة بالمستقبل ، ذهبت إلى الحجرة ، فجلست فيها ، وتركت الغلام يباشر العمل ، ولكنه مالبث حتى صاح « سيّدى سيّدى ! سفينة شراعية » لقد ظن هذا الجهول أن السفينة ربما كانت لبعض المغربيين ، وأنهم يتعقبوننا ، مع أنى أعلم أننا تركناهم وغادرنا منطقة نفوذهم . وما سمعت كلامه حتى قمت مسرعا ، فرأيت السفينة ، وعرفت أنها برتغالية ذاهبة إلى غينا للاتجار فى الرقيق ، ولكن حين تحققت جهة سيرها علمت أنها تقصد ناحية أخرى ، ولا تريد الاقتراب

من الشاطىء فخولت سيرى نحوها ، وعزمت على محادثة رجالهـا إن تأتى لى ذلك .

ولـكنى بعد قليل أيقنت أنهْ يتعذر علىّ أن أقترب منها ، وأنهـا ستذهب بعيدا عنى قبل أن أتمكن من الاشارة إليها ، وإعلامها بحالى . وبينما كنت فى يأس من أمرى ، وارتباك فى قضيتى تحققت أنهم رأونى ، وقد ساعدهم على ذلك مراقبتهم بمَرَاقبهم ،[1] فرأوا سفينتى أوروبية ، فاستنبطوا أن جاريتنا قد غرقت ، وأننا نزلنا فى زورق النجاة ، ولذلك هدءوا من سيرهم وأعطونا الفرصة للاقتراب منهم ، واللحاق بهم . وقد شجعنى مارأيت ، وأردت أن أعلمهم بأنى فى خطر ، فأطلقت بندقتى فى الهواء ، وقد علمت بعد أنهم رأوا الدخان وإن لم يسمعوا الصوت ، وعقب ذلك انتظرونى ، وما مضى ثلاث ساعات حتى كنت معهم فسألونى عن أمرى ، وما حل بى ، بالبرتغاليـة تارة وبالأسبانية أخرى . وبالفرنسية طوراً آخر ولكنى لم أفهم شيئا فجاء بحار كان معهم من الأسكتلانديين ونادانى فأجبته ، وأخبرته بأنى إنجليزى ، وقـد هربت من الرق فى سالىّ فسمحوا لى بالنزول فى سفينتهم ، وأخذوا معهم كل متاعى

وإنى لأعجز من التعبير عما خالج نفسى من السرور ، لفوزى ونجاحى فى مكان يعز الخلاص فيه ولقد قدمت كل ما أملك للربان شكرا الصنيعه ولـكنه أبى ووعد بأن يسلم إلىّ كل شىء عند الوصول إلى البرازيل ، ثم قال « إنى أنقذتك من مخالب الموت ، لا لأجر تنقده لى ، بل لأنى أحب

---

(١) المَرَاقب جمع مِرقب وهو المنظار الذى يرقب به عن بُعد « تلسكوب » أما الذى يُرى به عن قرب فهو المجهر « ميكروسكوب »

أن أسدى الجميل لمن يستحقه ، ولعلى أكون ذات يوم فى مثل موقفك هذا فأجد من يأخذ بيدى ، على أنى سأحملك إلى البرازيل بعيدا عن قومك وعشيرتك ، وإذا سلبتك مالك بقيت هناك صفر اليدين ، فتموت جوعا فكأنى أريد أن أكون كالتى نقضت غزلها من بعد قوة أنكاثا [1] فأسلبك حياة أعطيتكها . إنى سأحملك معى بلا أجر ولا مقابل ، وأرجو أن يفى مامعك بسد حاجاتك هناك ، ثم القيام بنفقاتك إلى بلدك الذى منه درجت » .
وقد صدّق فعلُه قولَه ، فأنه أخذ كل متاعى ، تحت عهدته ، وأعطانى به بيانا لم يترك فيه شيئا إلا أحصاه .

أما قاربى فقد كان جيد النوع ، وقد عرف ذلك الربان ، فعرض على شراءه منى ، وسألنى عن الثمن الذى أريده ، فأبيت تعيين شىء وفوضت إليه الأمر فى أخذه بلا ثمن ، ولكنه أبى وقال « سأعطيك ثمانين قطعة من ذوات الثمانية ، وإذا وجد فى البرازيل من يزيد عليها أعطيك ما زاد » وكذلك أعطانى ثمن الغلام كسيرى ، ولكنى امتنعت عن أخذه ، لأنى لم أحب أن أسلبه حريته ، لخدمته إياى خدمة صادقة . وأخبرت الربان بذلك فعرف حقيقة الأمر ، وأخبرنى بأنه سيعتقه بعد عشر سنين . وقد وجدت ارتياحا عند الغلام لهذا الامر ، فتركته وشأنه فذهب إلى الربان .

---

(١) الأنكاث جمع نِكْث وهو ما نقض من الأكسية والأخبية

الفصل الرابع

سفر روبنسن كروسو الثانى فى البحر وانكسار السفينة به

وقد كانت الأوبة إلى البرازيل جميلة ، ووصلنا إليها من خليج جميع القديسين . بعد اثنين وعشرين يوما . الآن تخلصت من هذه المصائب فماذا أعمل فى هذه الحياة ؟

إنى لا يمكننى أن أذكر جميع أعمال الشفقة والحنان التى قام بها الربان نحوى ، فقد سلم إلىَّ جميع متاعى ، وابتاع منه ما سمحت نفسى ببيعه حتى حصلت على مائتين وعشرين قطعة من النقود البرازيلية من ذوات الثمانية . وبعد قليل عرفت رجلا أمينا من الفلاحين الذين يزرعون القصب ، فسكنت معه وتعلمت منه زرع هذا النبات وكيفية تمهده . ولما رأيت ما فيه أرباب الحقول من الراحة وحسن المعيشة ، والحصول على الثروة فى وقت قصير عزمت أن أصير مثلهم ، ولذلك اشتريت أرضا بقدر ما سمحت لى به نقودى التى كانت معى ، والتى تركتها خلفى بلندن

وقد كان متاخمى رجلا من لشبونة ـ ولكنه من أبوين إنجليزيين ـ وكان اسمه ولز ، وكانت حاله كحالى ، فكنا نعمل ونقضى الوقت معا ، وقد عملنا سنتين لنحصل على ما يسد الرمق ، لأن الأرض كانت فى حال غير صالحة للزرع ، ولكنا فى السنة الثالثة وجدنا بصيصا من الأمل ، فقد زرعنا بعضا من التبغ وأعددنا جزءا من الأرض ليزرع قصبا فيها . وكان احتياجنا إلى المساعدة عظيما ، ولذلك أسفت جد الأسف لفراق كسيرى ، ولكن كيف آسف على هذا الخطأ ، وأنا لم أعمل عملا صالحا موفقا فى حياتى

وأيقنت ألا علاج إلا الاستمرار حتى يحكم الله . إن أمرى لعجيب جداً . قد تركت والدى ولم أصغ لنصحه ، والان أشتغل فى عمل غير الذى من أجله خرجت من بلدى ، وعدت إلى درجتى فى الحياة ، وهى الدرجة التى أرشدت إلى التمسك بأذيالها ، ولم أرتضها ، وليتنى فعلت . وقد كان فى مقدرتى أن أعمل هذا العمل فى بلدى بين أهلى ؛ وما كنت فى حاجة إلى التغرب والبعد ، لأشتغل فى أرض أجنبية بين قوم غرباء ، لارابطة تربطهم بى . ولم أجد من أحادث غير جارى إذا سمحت له الأحوال ، وأصبحت أعتمد على كدى بلا معين ولا مساعد ، وغدوت كمن رمته المقادير على شاطئ جزيرة مقطوعة عن العالم . بهذا أشبه حالى ، والله يعلم مقدار صدقى ، فأن الأيام برهنت لى أنى كنت فى غرور ، وأن حالى هذه أرق وأنعم من حال مبتور الأوصال فى جزيرة لا أنيس له بها إلا البوم والغربان .

ولقد استمر ربان السفينة التى أقلتنى ثلاثة أشهر يعد العدة للرحيل ، ويملأ سفينته من الأحمال التى يريد حملها ، وقبل سفره أخبرته بنقودى التى تركتها فى لندن فقال لى إذا أمرت من بيده هذه النقود هناك أن يرسلها إلى لشبونة للتاجر الذى أعينه ، فسأشترى لك بضاعة رابحة ، وأحضر لك ما أجنيه منها ، ولكن لا يعلم الغيب إلا الله ، وأرى من الحزم أن تأمر لى بمائة جنيه فقط وتحفظ المائة الأخرى ، فأذا ربحت من هذا المسلك أمكنك أن تعمل بما بقى مثل ما عملت بالمائة الأولى ، وإلا فاحفظ عليك مالك ، لترجع إليه عند احتياجك . » هذه كانت نصيحة هذا

الرجل الأمين ، وقد رأيتها تستحق العناية ، فكتبت له الرسائل والأوامر التي طلب مني إلى المرأة الطيبة التي كان المال مودعا عندها .

وكتبت لزوج الربان الإنجليزي بكل ما حل بي ، فأخبرتها بأني وقعت في الأسر ، وصرت لا أملك لنفسي نفعا ولا ضراً ، وأني هربت ، وكيف قابلت هذا الربان البرتغالي ، وكيف كانت معاملته لي ، وما أظهره نحوي من العطف والحنان ، ووصفت لها حالي وما أنا عليه ، وأفهمتها كيف تتصرف في مالي الذي عندها وعند وصول الربان إلى لشبونة أرسل الكتب التي كتبتها لتاجر إنجليزي بلندن ، وأخبره أن يتوجه إلى السيدة ، ويعطيها الرسائل ، ويخبرها بكل ما حصل لي وقد فعل فأعطته المرأة النقود وزادت فأرسلت إلى الربان هدية ثمينة ، مكافأة له على إحسانه إليّ

وعند تسلم النقود قام التاجر فاشترى بها سلعا إنجليزية ، وأرسلها للربان إلى اشبونة ليحضرها معه إلى البرازيل عند عودته ، وقد فعل ذلك ولم يقبل مني شيئا على عمله غير قليل من التبغ ، وقد اشترى لي عبدا بثمن الهدية التي أرسلتها له المرأة ليعمل في مزرعتي ، وقد كانت السلع من الأصناف التي يحتاج إليها القوم فبعتها بأثمان مرتفعة ، وحصلت على أربعة أمثال ثمنها ، وأصبحت غنيا ، وخاصة بعد أن اشتريت عبدا آخر غير الذي أحضره لي الربان ، واستأجرت أيضا عاملا أوروبيا ليعمل الجميع في الحقول ويتعهدوا الزرع . ولقد حسن شأني وارتفع ذكري ، ولكن كفران النعمة يسبب زوالها ، إن الأرض أنتجت إنتاجا حسنا ، وحصلت على مقدار كبير من التبغ ، وكثرت في يدي النقود فأصبحت أفكر

فى مشروعات جديدة وأعمال لا تصل إليها قدرتى ، وهذا هو السر فى إفلاس أقدر العمال

ولو أتيح لى أن أستمر فى العمل الذى أنا فيه الآن ، لوجدت متسعا من الرزق والهناءة فى العيش ، ولعرفت مقدار نصائح أبى ، وقدرت الحياة الهادئة المطمئنة قدرها ، ولكن أشياء أخرى هجمت علىّ ، وأصبحتُ العامل على شقائى . وكان المسبب لذلك رغبتى الشديدة فى الأسفار ، ومخالفتى للنهج الواضح الذى أعدتنى له الطبيعة

وقبلا خالفت والدىّ ، ونبذت رأيهما ظهريا ، فكيف أقنع الآن بهذا الأسلوب فى حياتى ؟ يلزمنى ترك ما أنا فيه ، وما كنت أنتظره من السعادة والثراء من الفلاحة إلى رغبة أصبو إليها وتتوق نفسى شغفا بها ، وعلى ذلك رميت بنفسى فى هوة سحيقة لم يقع فيها أحد سواى

وقد أقمت أربع سنين بالبرازيل ، تعلمت في غضونها لغة القوم ، واتخذت منهم أصدقاء من طبقة المزارعين والتجار الذين كانوا فى سان سالفادور التى كانت مرفأنا . وكنت خلال محادثتى معهم أقص عليهم أمر الرحلتين اللتين قمت بهما إلى شاطئ غينا ، وكيف عاملت الزنوج هناك واشتريت سلعهم بأبخس الأثمان ، وأقل الأشياء ، فكنت آخذ الذهب والحبوب وسن الفيل والعبيد بالخرز واللُّعب والسكاكين والمقصات وقطع الزجاج والفؤوس وما ماثل هذه الأشياء

وكانت هذه الأقوال تجذب قلوبهم نحوى . ويسمعونها كأن علي رؤوسهم الطير ، فقد استولت عليهم طريقة شراء العبيد الذين كانوا إذ ذاك

قليلين ، وكانت تجارتهم رابحة ، ولا يسوغ لأحد مباشرتها إلا بأذن من ملوك إسبانيا والبرتغال

وكنت ذات يوم جالساً بين نفر ممن أعرفهم ، وأنا أحدثهم حديث أسفارى السابقة ، وأقص عليهم قصصها ، فجاءنى ثلاثة منهم فى اليوم التالى ، وقالوا لقد بتنا نفكر فيما كنت تحدثنا به الليلة الماضية ، وجئناك لنعرض عليك اتفاقا سريا . وحينئذ قالوا إننا اتفقنا على الذهاب فى سفينة إلى غينا ونحن كلنا أرباب حقول مثلك ، ولا تحتاج حقولنا إلى شىء احتياجها إلى العاملين . ولما كانت تجارة العبيد لا يمكن مباشرتها ؛ فنحن نكتفى بسفرة واحدة نحضر بها عبيداً نقسمهم بيننا سراً ليعملوا فى مزارعنا . وإننا نتقدم إليك أن تكون مدبر السفينة التى تقلنا مع تحملنا نحن جميع النفقات ، ولك مثل الذى لنا فى العبيد

إن هذه الاتفاقية التى عرضت علىَّ ، كانت حسنة لا غبن فيها إذا قدمت لرجل خال من الأعمال ، ولكنها على النقيض من ذلك بالنسبة لحالى ، لأنى تقدمت في الزرع ، وانتظرت أرباحا طائلة منه ، ومثل هذه الرحلة تكون لمثلى غلطة لا تقدر نتائجها . ولكن أنىَّ لمثلى وقد خلقتُ سببا لشقائى أن ينجو من هذا الأمر بعد أن خالفت إرشاد أبى . ولا أطيل على القارئ القول فقد قبلت ما أشاروا به علىَّ ، والقلب مفعم سروراً ، بعد أن أخذت عليهم العهود والمواثيق بأن يباشروا زراعتى أثناء غيبتى ، وأن يقوموا بتنفيذ وصيتى بحسب ما أتركه من التعليمات ، إذا طوحت بى المقادير فى عالم الأبدية ، وعلى ذلك كتبت وصية بينت فيها ما يجب عمله في أرضي وزراعتى ، وجعلت ربان السفينة الذى نجانى من الموت

وارثى الوحيد ، وجعلت له أن يختص بنصف الناتج من الأرض ، أما النصف الآخر فأوجبت عليه إرساله إلى إنجلترا ، ولم أترك أمراً إلا اتخذته لأبقاء الأرض ، وحفظ الزرع . ولو أنى تفكرت فيما أنا قادم عليه ، وسبرته بمسبار الحكمة والسداد ما تركت عملا رابحا كالذى كنت فيه إلى آخر محفوف بالمخاطر والأهوال بعدما ظهر لى فى أسفارى الماضية من المصائب والهموم التى تفرق بين المرء وقلبه

إنى وافقت على هذا المشروع بسرعة عجيبة ، وأطعت بلا تفكير ما أملته علىّ عواطفى دون أن أنقده نقد الصيارف للدراهم . ولم يبق بعد ذلك إلا إعداد العدة ، وأخذ الأهبة ، وبعد قليل أعددت السفينة ، ثم شحنتها وركبتها فى ساعة عصيبة فى أول سبتمبر سنة تسع وخمسين وستمائة وألف . وقد كان هذا نفس اليوم الذى تركت فيه أبى وأمى منذ ثمانى سنين فى هل ، لأعمل لشقائى مخالفا رأيهما وأترك سعادتى وهنائى . وكانت سعة سفينتنا مائة وعشرين طنا . وكان معى ست بنادق وأربعة عشر رجلا ورب السفينة وغلامه . ولم نشحن السفينة إلى آخر ما تطيق ، بل أخذنا معنا سلعا خفيفة من الأمتعة التى ينتظر نفاقها فى تلك الجهات وخاصة المرائى الصغيرة .

لقد أبحرت السفينة إلى الشمال تجاه شاطئنا ، وكانت الخطة التى رسمناها لسيرها أن تتجه نحو شاطىء إفريقية حين تكون عند الخط العاشر أو الثانى عشر من خطوط العرض الشمالية . وكانت هذه خطة الملاحة فى تلك الأيام . وقد كان الجو حسنا إلا أنه كان حارا جدا كل الوقت الذى سرنا فيه تجاه شاطئنا . ولما وصلنا إلى ارتفاع رأس

سان أُوجَستِينُو كنا الشاطىء كما لو كنا نريد جزيرة فِرْنَنْدِ نُورُونا ، متجهين إلى الشمال الشرقى ، تاركين هذه الجزر إلى الشرق . وبعد مضى اثنى عشر يوما فى هذا الاتجاه وجدنا أنفسنا فى خط العرض الشمالى ٢٢ ٧° ، وعنده هبت علينا زوبعة مخيفة ، وعاصفة أفقدتنا رشدنا . وقد ابتدأت هذه الرياح من الجنوب الشرقى إلى الشمال الغربى ، وحينئذ عدلت نفسها إلى الشمال الشرقى ، واستمرت ترتفع وتضطرب ، والأمواج تتلاطم وتعظم ، مدة اثنى عشر يوما ، ونحن لاندرى من أمرنا شيئا ، وتركنا الرياح الهوج تحملنا ، وتقذف بنا حيث أرادت ، ونحن خلال ذلك ، ننتظر أن نُبتلع فى كل لحظة ، ولم يدر بخلدنا إنا قادرن على إنقاذ أنفسنا .

وقد كان ضِغثا[1] على إبّالة [2] موت رجلين من بحارتنا ، وغلام الرئيس ، فقد أهلكتهم موجة تخطت البحر إلى ظهر السفينة ، ولم تعد إلا بهم . وفى اليوم الثانى عشر من هذا التيه ، خفت الوطأة ، فلاحظ الرئيس أننا فى الخط الحادى عشر من خطوط العرض الشمالية ، وعند الخط الثانى والعشرين من خطوط الطول غربى رأس سان أوجستينو . وعلى ذلك كنا على شاطىء غيانا أو الجزء الشمالى من البرازيل ، بعيدا عن نهر الأمازون جهة النهر العظيم أُورِينُوقُو . وقد كان رأى الرئيس أن يذهب إلى شاطىء البرازيل ، لأن السفينة لم تعد قادرة على العمل ، ولكنى كنت على خلاف معه فى الرأى ، لأنا بعد أن نظرنا الى شاطىء

---

(١) الضِّغث قبضة حشيش مختلطة الرطب باليابس . وفى الأساس ضربه بضغث بقبضة من قضبان صغار أو حشيش بعضه فى بعض (٢) الابَالة والابَّالة الحزمة الكبيرة من الحطب . وفى المثل ضغث على ابالة أى بليّة على بلية

أمريكا ، وجدنا أن هـذا الجزء غـير صالح لنا لخلوه من السكان . ولذلك اتفقنا على الذهاب إلى جزائر باربادوس ، ورجونا أن نتمم ذلك فى خمسة عشر يوماً إذا تجنبنا تيار خليج مكسيكو . ولم يكن من الممكن الذهاب إلى إفريقية بدون إصلاح السفينة ومساعدة لنا . ولذلك غيرنا اتجاهنا ، وسرنا إلى الشمال الغربى راجين مقابلة بعض الجزر الأنجليزية لنُنْقَذ ممـا نحن فيه . وما كدنا نأخذ هـذا الاتجاه حتى أخذتنا ريح فى يوم عاصف ووقفت بنا خارج طريقنا وطريق كل إنسان يركب البحر فعلمنا أنا إن نجونا من هول الماء ، فلن ننجو من خطر المتوحشين الذين يأ كلون لحم الأ نسان.

وفى هذه الشدة كانت الريح لاتزال تحتدم ، وفي صبيحة يوم خرج أحد البحارة وصاح قائلا « الأرض » وما كدنا نسمع صيحته حتى خرجنا مسرعين ، لنرى بأنفسنا في أى جزء من الأرض نحن . وفى هذه الضجة راعنا صوت أهاج كامن أحزاننا ، وإنه لصوت السفينة وقـد مست الرمال ، فوقفت حركتها ، وأسرع اليها البحر بأمواجه يغالبها وتغالبه حتى ظننا أننا سنهلك قبل أن يرتد إلينا طرفنا . وفى وقت قصير رجعنا إلى محالنا لتمنعنا من زَبَد (١) البحر ورُغائه (٢) والماء الذى كان يهددنا بأن نكون فى جوفه مقبورين .

وليس من السهل لرجل لم يجرب هذه الحوادث ، ولم يوجد فى لجتها أن يصف مايشعر به مثل هؤلاء البحارة التعسين . إننا لم نعرف المكان الذى وصلنا اليه أجزيرة هو أم قارة ؟ أمسكون أم خلو من السكان ؟ ولما

---

(١) الزَّبد : مايعلو الماء وغيره من الرغوة (٢) الرُّغاء : الصوت

كانت الريح لا تزال شديدة ـ وإن كانت خففت من حدتها قليلا ـ كنا ننتظر تمزيق سفينتنا من وقت لآخر إلا إذا تغير اتجاهها ، وهذه معجزة لم تكن منتظرة . وعلى ذلك جلسنا مكتئبين مترقبين الموت فى كل لحظة . وكل يعد نفسه للحياة الأخرى ؛ لأن هذه الحياة أوشكت أن تنقطع بها الأسباب . وراحتنا الوحيدة فى هذه الحال كانت سلامة السفينة ؛ وإن كان ذلك خلاف ما كنا ننتظر . وقد أخبرنا الرئيس أن الريح اخذة فى الذهاب ومبتدئة شدتها أن تزول .

ومع علمنا بأن الريح خفت لم نكن نحلم بخلاص سفينتنا لأنها ساخت [١] فى الرمل لدرجة لا نتمكن معها من نجاتها . ولذلك لم يكن همنا إلا خلاصنا إذا كان ذلك فى وسع إنسان . لقد كان بسفينتنا قاربان أما أحدهما فتهشم وسقط فى البحر ، وأما الآخر فكان موجودا ، ولكن كيف يحمل إلى الماء ؟ لم يكن هناك وقت للمناظرة ، لأنا كنا ننتظر غرق السفينة فى كل لحظة وقد حضر إلينا بعض الرجال وأخبرنا بأنها ابتدأت فى التكسر . وفى هذا الوقت الممتلئ بالأكدار همّ البحارة فرموا بالقارب إلى البحر ، وبأنفسهم فيه فكنا أحد عشر رجلا بين رحمة الله ، والبحر الهائج المضطرب ، لأن الريح وإن كانت قد خفت . فالأمواج كانت تعلو الشاطئ فتخفى أثره . ولما احتوى علينا القارب أيقنا بالهلاك لأن الأمواج كانت تعبث به حتى كادت تحطمه تحطيما ، كأنها تطالب عنده ثأرا . ولم يكن معنا ما يمكننا من عمل شراع ، ولو تيسر لنا ذلك .

---

(١) ساخت القدم فى الرمل تسيخ سَيْخا وسَيَخانا بمعنى ثاخت أى خاضت وغابت فيه

لكان بلا فائدة . ولهذا عوانا على التجديف نحو الشاطئ بقلوب أثقلتها الأحزان . فكنا كمن يسعى لحتفه بظلفه ، لأن القارب عند قربه من الشاطئ سيتفكك إلى عناصره لفعل الماء فيه ضد الرمال والصخور الشاطئية ، ولكن ما الحيلة وقد ضاقت فى وجوهنا سبل النجاة ، ولم يبق إلا هذا الطريق إن صح أنه مؤد إليها . ولذلك شد الرجال من عزائمهم ، وأسرعوا بمجاذيفهم نحو الشاطئ ، ولم يدعوا قوة تقربهم من غرضهم إلا أظهروها .

ولم نعلم شيئا عن الشاطئ مع هذا النَّصَب كله . أرمليا كان أم صخريا ؟ أعميقا كان أم مرتفعا ؟ ورجاؤنا الذى لم نكن نملك غيره أن نأتى إلى خليج أو فم نهر لنأخذ قاربنا فيه ، أو نأتى إلى جانب آمن من الريح فنجد مسلكا سهلا ، ولكن لم نر شيئا من كل هذه الأمانى ، فقد ظهرت لنا الأرض بشكل أخف منه البحر المضطرب الذى نود أن نفر منه .

وبعد أن سرنا كذلك غلوة ونصفا على التقريب رأينا موجة كالجبال تقفو إثرنا ، وتخبرنا بأجلى بيان أن خذوا أهبتكم للرحيل ، وفى غضبها الذى لا يطاق لعبت بالقارب فقلبته ، وفى أقل من لمح البصر كنا فى جوف اللجة التى لم تدع لنا وقتا يكفى للاستغاثة برب العالمين ، وقد باعدت بيننا وبين القارب كما بعدت عنا سفينتنا الكبرى التى وصلنا هنا عليها .

وليس فى مقدور أى إنسان أن يصف الاضطراب العقلى الذى اعترانى حين كنت تحت الماء ، وإنى وإن كنت قادرا على السباحة ؛ فقد

عجزت عن تخليص نفسي من اللجة ، لأستنشق الهواء ، فدفعت بي الأمواج حيال الشاطئ ، فلما عادت من حيث أتت وجدتني على أرض لا ماء بها ، عايلا من الماء الذي ابتلعته قهرا . وقد تركت لي المقادير قوة جسمية وعقلية تكفي لأن أقوم وأسرع إلى الشاطئ مهرولا ، خوفا من أن تأتي لجة أخرى فتلحقني ، وتحملني عليها كما فعلت الأولى ، ولكني وجدت تجنب ذلك خارجا عن طوق الإنسان ، لأني رأيت الأمواج تتجمع مرة أخرى كأنها الجبال الشامخة ، وتسرع نحوي كأنها عدو ليس عندي ما يساعدني على الوقوف أمامه . وإن ما عقدت النية عليه الآن هو أن أحافظ على تنفسي وأطرح نفسي على الأمواج إذا قدرت ، لأسبح نحو الشاطئ بقدر ما يتيسر لي . واجتهدت أن أحافظ على الدنو منه عند انسلاخ الأمواج ، خوفا من أن تأخذني معها إذا رجعت إلى البحر .

ولما عادت الأمواج ثانية إلى مكاني ، وجدتني مغطى بها ، دفينا في جوفها ، وكنت أشعر أني محمول بسرعة عظيمة نحو الشاطئ . وقد ساعدت الماء في قذفي فسبحت بكل قواي مع عدم التنفس ، فكادت أحشائي تتقطع ، ولكني صبرت فجزيت بأن قذفتني اللجة على ظهرها ، فتشجعت وتمتعت بأمل جديد . وما كدت أشعر باللذة حتى غمرتني المياه ثانية ، وإن لم تطل مدة هذه كالأولى . وبعد لأي وجدت الماء يتراجع إلى البحر ، فطرحت نفسي نحو الشاطئ ضده . وما هي إلا لحظة حتى كان جسمي قائما على قدمي في مكان لا ماء به ، وكذلك بقيت مدة تكفي لاسترجاع قواي ، فما تم ذلك حتى هرولت نحو الشاطئ ، ولكن ما كان ذلك لينجيني من هول البحر الذي تجمع موجه مرة أخرى وأدركني . وكذلك

فعل مرتين أخريين، لأن الشاطئ كان مستويا لا ارتفاع به. ولقد كادت اللجة الأخيرة تكون القاضية عليَّ، لأنها دفعتني إلى صخور شاطئية تركتني فاقد الاحساس، عاجزاً عن مساعدة نفسي، لأن الصخور صدمتني في جنبي وصدري حتى صرت كمن لا حياة به. ولو أدركتني الأمواج على هذه الحال لدفعتني القهقرى، ولذهبت أتمابى أدراج الرياح، ولكني أفقت قبل عودة اللجة. وعقدت النية على الدفاع والمناضلة، فلما غمرتني وجدتني قابضاً على قطعة من الصخور، فلم أقدر على فك هذا الاتصال. وبعد ذلك كانت اللجج أقل قوة فلم تؤثر فيَّ كثيراً. وبعد شوط وصلت إلى الشاطئ الصخري، وجلست على الحشائش بعيداً عن الخطر

وابتدأت أفكر في شكر الله عز وجل على نجاتي من ذلك الخطر العظيم، الذي لم يكن لي أمل في النجاة منه، وإني مهما أعطيت من قوة البيان لعاجز عن تصور الحبور الذي يشعر به المرء حين خلاص حياته من خطر يعتقد أنه لا مفر من الهلاك به. ولا عجب أن يُؤتَى المجرم المحكوم عليه بالموت شنقا - وقد هيئ للموت ولفت حول عنقه آلة الأهلاك - بجراح يفصده [١]، في نفس اللحظة التي يُخْبَرُ فيها ذلك الخبر السار، وهو تأجيل ذلك الحكم. لأن الأفراح المفاجئة كالأحزان تدهش [٢] وتضر في أول أمرها

---

(١) فصد المريض شق عرقه

(٢) دَهِش يدهَش ودُهش بالبناء للمفعول: تحير وقيل ذهب عقله من ذهول أو وَلَهٍ فهو دَهِش ومدهوش. وأدهشه جعله مدهوشا

وقد وجدتنى أسير على الشاطئ رافعا يدىّ ، مفكراً فى رفقتى الذين غرقوا ولم ينج منهم أحد ، لأنى لم أرهم ولا شيئا يدل عليهم ، غير ثلاث قبعات [١] وقلنسوة [٢] وحذاءين . وإنى بعد أن هنأت نفسى على الخلاص من هـذا الموت ، وما منحته من النجاة ، ابتدأت أنظر حولى لأعرف حقيقة المكان الذى كنت به ، وما يلزمنى عمله ، فقل سرورى ، وعلمت أنى نجوت من الموت لأقع فيه ، لأن ثيابى كانت مبتلة ، وليس عندى ما أرتديه ، ولم يكن معى مأكل ولا مشرب ، ولم أر وسيلة أمامى توصلنى إلى مأربى ، فأيقنت أنى لا محالة هالك ، إن لم يكن من الجوع فمن الحيوان المفترس الذى يسكن تلك الأرض . وقد كان من المؤلم أن أكون بلا سلاح أصيد به ما أقتات ، أو أدفع به شر حيوان يريد افتراسى ، ليدفع عن نفسه غائلة الجوع ، فقد كنت خلوا من كل شئ ، غير سكين ، وقليل من التّبغ [٣] ، وبيب [٤] له ، ولذلك ظللت أجرى على الشاطئ كأن بى مسا من الجنون ، ولكننى عدت إلى رشدى ، فعلمت أن الليل سيهجم بخيله ورجله [٥] ، وأن لا بد من التفكير فى مبيته ، خوفا على حياتى من حيوان تلك الجهة الذى يختبئ نهارا ، ويظهر ليلا ، ليبحث عن فريسة له ، وكل ما وصلت إليه فى هذا الصدد هو أن أتسلق شجرة شوكية كانت قريبة منى لتقينى غائلة السباع تلك الليلة التى يجب

---

(١) برانيط (٢) ما نسميه طاقية (٣) التبغ معرب نبات يجفف ويتعاطى دخانا ومضغا وسعوطا وهو المسمى عندنا بالدخان

(٤) بيب التبغ مدخنه الذى يدخن فيه (٥) الرّجل جمع راجل وهو من ليس له ظهر يركبه

أن أفكر خلالها أى ميتة أحب أن أموت ؛ لأنى لم أر أمامى منفذا أو بريقا من الأمل يقودنى للحياة . وقد تركت الشاطئ إلى الداخل لأبحث عن ماء عذب ، وما سرت إلا قليلا حتى وجدته فاغترفت منه بيدى ، ثم وضعت فى فمى بعض التبغ ليمنع الجوع عنى ، وسرت نحو الشجرة بعد أن قطعت غصنا جعلته سلاحى ، ثم علوتها وأخذت مكانا يمنعنى من السقوط إذا نمت . وما وضعت جنبى حتى نمت نوما عميقا ، لأن التعب أضنانى ، وبعد أن أفقت فى الصباح ، وجدتنى مستريحا قد زال عنى العناء .

الفصل الخامس

انقطاع روبنسن كروسو فى جزيرة مقفرة

وكانت الشمس حينئذ قد ارتفعت ، والجو صافيا ، والريح خفت شدتها ، والبحر أقل اضطرابا . وقد دهشت حين رأيت السفينة حملت على الأمواج ليلا حتى استقرت بقرب الصخور التى تعلقت بها أثناء فرارى من اللجج ، تلك الصخور التى صدمتنى فأحدثت جراحا فى جسدى ، وهى على بعد ميل من الشاطئ . وقد وجدت عندى الرغبة فى الوصول إلى السفينة لأحصل منها على بعض مايلزمنى

ولما تركت الشجرة نظرت فإذا بالقارب الذى كنا فيه قد دفعته المياه إلى الشاطئ وكان على قيد ميلين عن يمينى ، فأسرعت نحوه ، ولكنى وجدت خليجا من الماء ، يبلغ عرضه نصف ميل ، بينى وبينه ، فتركته إلى وقت آخر ، وعدت لأصل السفينة علنى أجد ما أتبلغ به . وبعد

قليل من زوال الشمس وجدت البحر هادئا ، والأمواج خارت قواها ، وتراجعت إلى الخلف حتى كان فى قدرتى أن أكون من السفينة على بعد ربع ميل ، وحينئذ اعترانى الهم والحزن ، وندمت على تركنا السفينة ، لأنا لولا زمناها لنجونا كلنا . وما صرت وحيدا لا أنيس لى غير وحشى وقد هاجت هذه الذكرى عبراتى ، ولكن ماذا تجدى العبرات ، وقد سبق السيف العذل ؟ عرفت أن الوقت ليس فيه متسع لمثل هذا ، ولذلك شرعت فى مباشرة أعمالى ، فخلعت ثيابى ، لأن حرارة الجو كانت عظيمة ، وعقدت النية على الوصول إلى السفينة . وبينما كنت أسبح فى اللجة ، وألاطم الأمواج إذ وجدت مهمتى شاقة ، لأن السفينة كانت على اليبس ، وجوانبها مرتفعة ، وليس هناك ما يساعد على تسلقها ، ولكنى علمت أن اليأس مجلبة الردى ، فطفت حول السفينة مرتين رجاء العثور على مساعد ، وفى الثانية رأيت مرسا [1] متدليا على مقدمها ، فعجبت من عدم رؤيته أول مرة ، ثم دنوت منه وبعد جهد تعلقت به ، وتسلقت حتى وصلت مقدم الجارية ، فوجدته مائلا يكاد يغرقه الماء ، أما مؤخرها فكان عاليا ، وعلى تلك الصورة كان مرساها على الأرض ، فنجا بذلك معظم متاعنا من الهلاك ، ولم يصبه الماء بأذى . فحمدت الله ، ثم يممت حجرة الخبز ، فملأت جيوبى منه ، وطفقت آكل وأنا أجوب حجراتها باحثا منقبا ، فعثرت فى الحجرة الكبرى على بعض الشراب ، فتناولت كأسا ساعدتنى على أداء أعمالى بهمة ونشاط . وقد وجدت كل ما أحتاج إليه إلا شيئا واحدا ، وهو قارب أحمل عليه ما أنا مضطر إليه . وقد علمت أن

---

(١) حبل البكر .

الاسترسال إلى الأمانى التى لا سبيل لتحقيقها يضيع الوقت سدى، وأن الحاجة تفتق الحيلة، فعزمت على تكوين رَمَث[1] من الخُشُب التى فى السفينة، فألقيت بالقطع فى البحر مع حفظها بالأمراس، ثم تبعتها فربطتها بعضها إلى بعض من أطرافها، وشددت الوثاق[2]، ورميت عليها قطعاً أخرى طولا وعرضاً حتى أصبح الرمث قويا، وبذلك أتممت عملا ربما كان من المتعذر إتمامه فى أحوال أخرى. وأول ماقمت به بعد ذلك من الأعمال كان البحث عن صناديق البحارة التى وجدت منها ثلاثة فتحتها، وأفرغت مافيها، ثم ألقيتها على الرمث، وملأت أحدها بالميرة، فوضعت فيه خبزا، وأرزا، وجبنا، وبعض قطع من لحم المعز المقدّد الذى كنا نعيش به فى كثير من الأوقات، وشيئاً من الحبوب الأوروبية التى جىء بها للدَّيَكة التى كانت معنا ثم ذبحت. وكان بالسفينة شئ من الشعير والقمح، ولكن لنكد حظى قد عبثت بها الجرذان، وكذلك عثرت على بعض زجاجات من الشراب. وبينما أنا كذلك إذ بالماء قد علا وابتدأ تياره، ولكن كان هذه المرة هادئا. وقد نظرت إلى معطفى وقميصى، وبقية الثياب التى تركتها على الرمل، فوجدت الماء قد ذهب بها كل مذهب، فاشتد همى، لأنى لم ألبس ساعتئذ غير سروالى القصير، وجوربى الذى سبحت به. وقد حملتنى هذه الحادثة على البحث عن ملابس فوجدت منها كثيراً، ولكنى لم آخذ الآن إلا ما يكفينى، لأنى أردت أن أعمل ما هو أهم من ذلك

---

(١) خشب يضم بعضه الى بعض فى البحر ليحمل عليه (٢) الوثاق بالفتح ويكسر مايشد به من قيد ونحوه جمعه وُثُق

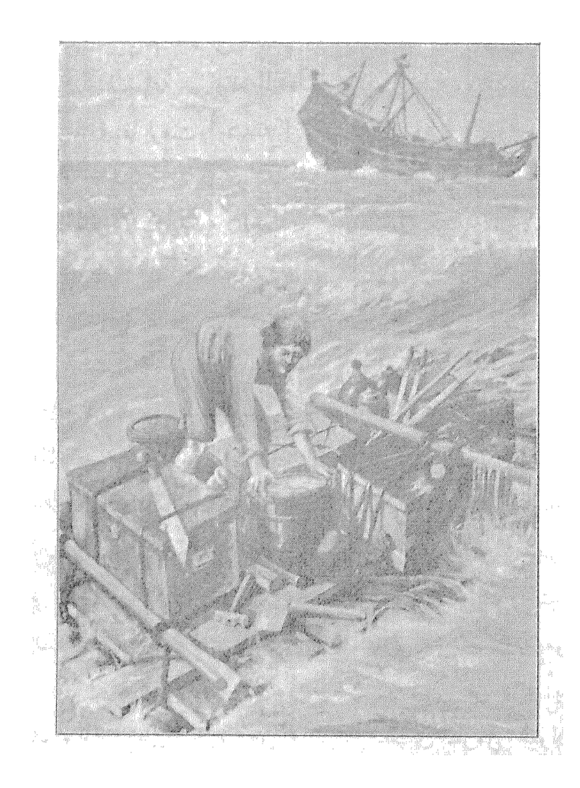
كآلات النجارة التي تنفعني ، لأعمل بهـا على الشاطئ وأهيئ لنفسي ما يلزمني . وقد كانت هذه الآلات أثمن عندي من سفينة ملأى بالذهب ، ولذلك حملت صندوقها بأكمله ، ووضعته على الرمث

وبعد هذا اهتممت بالبحث عن الأسلحة النارية وذخيرتها ، فوجدت من البندق [1] أربعا ، ومن السيوف اثنين ، وثلاثة صناديق ملأى بالذخيرة ، غير أن الماء قد أفسد أحدها ، وكان الاثنان الآخران في حال جيدة ، فأجهدت نفسي ، ووضعتها على الرمث ، وشرعت أفكر في قيادته إلى الشاطىء ، لأني تحققت أن الريح إذا هبت لا بد أن يذهب تعبي هباء منثوراً ، لخلو الرمث من الشراع والمجذاف والسكان . وقد شجعني على عملي ثلاثة عوامل ، أولها هدوء البحر ، وثانيها اتجاه التيار نحو الشاطئ ، وثالثها هبوب الرياح في ذلك الاتجاه . ومما حملته معي في الرمث بعض مجاذيف ، ومنشاران ، وفأس ، وقدوم . وبهذا الحمل ابتدأت نحو الشاطىء . وقد كان السير جميلا نحو ميل . إلا أنه انحرف عن الطريق بعد ذلك ، فكان في طريق غير التي قصدت . ولكني وجدت تيارا من الماء رجوت أن يقودني إلى فم نهر أو خليج لأجعله ميناء يرسو عليه رمثي . وقد أفلح ظني إذ رأيت فتحة في الأرض اشتد فيها تيار الماء . ولذلك هديت الرمث طريقه في وسطه بقدر ما قدرت عليه .

وبينما أنا كذلك إذ بالرمث قد اشتبك أحد طرفيه بالأرض حتى خيل لي أنه سيغرق ، وبذلك يقضي على جميع آمالي ، ففكرت في طريق

---

(١) البندق واحده بندقة وهي هنا السبطانة وتسمى أيضا الزبطانة . وهي قناة جوفاء كالقصبة يرمى بها الطير بحصاة أو غيرها توضع في جوفها



وبهذا الحمل ابتدأت نحو الشاطئ

لخلاصه ، فوضعت ظهرى ضد الصناديق التى كانت على وشك السقوط فى الماء ، ولكنى لم أقدر على تخليصه ، ولم أجرؤ على ترك مكانى ، فبقيت كذلك نصف ساعة حتى ارتفع الماء فاستوى الرمث عليه ، وبعد قليل زاد ارتفاع الماء فطفا الرمث وأرشدته إلى الطريق ، فوجدتُنى ثانية فى وسط النهر ، واتجه فكرى الآن نحو إيجاد محل صالح للرسو قريب من شاطئ البحر ، لأنى كنت أرجو أن أجد على مر الأيام سفينة تحملنى ، وبعد بحث وجدت ما كنت أنشد ، فوجهت برمثى نحوه ، ولكن جهلى بطبيعة الأرض كاد يفقدنى متاعى ، لأنها عند الشاطئ منحدرة ، فلا يمكن الرمث أن يكون فيها مستويا ، بل لابد من ارتفاع أحد طرفيه ، وانخفاض الآخر . ولذلك استعملت المجداف المنكسر كأنجر لحفظ الرمث فى مكانه حتى يرتفع الماء ، وعند ارتفاعه أخذته إلى مكان مستو ، ووضعت مجدافا فى أحد طرفيه كوتد ، وآخر فى الطرف الآخر . ولما علا الماء علوا كبيراً تركت الرمث فكان بعد قليل على الشاطئ ، وبذلك نجا من كل خطر .

ولقد اهتممت بعدُ بتعرف طبيعة الأرض التى كنت بها ، واختيار مكان صالح لإقامتى ، وحفظ ما معى من المتاع ، حتى لا يبيد بطارئ من الطوارئ . وقد قادتنى المقادير إلى مكان لا علم لى به ، فلم أكن أدرى أبه سكان أم ظلمته الطبيعة فجردته من الأنس ؟ أكنت فى خطر من الحيوان المفترس أم كنت بعيداً عن صولته ؟ أفى جزيرة كنت أم فى قارة ؟

وكنت بالقرب من تل مرتفع نحو الشمال ، فعزمت على كشفه والتصعيد فيه [1] ، لأنظر إلى ما حولى . وبعد أن تنكبت قطعة من

---

(١) يقال صعّد فى الجبل رَقِىَ

السلاح ، وتقلدت أخرى ، خرجت ميمما شطره . وبعد لأى ما علوته ، ونظرت يَمنة ويَسرة فانهلع قلبي لشدة مارأت عيناى ، فأنى وجدتنى بجزيرة محوطة بالماء من جميع جهاتها ، وليس بالقرب منها غير جزيرتين صغيرتين واقعتين نحو الغرب .

وأعدت النظر فرأيت الجزيرة عارية من أثر الصنعة ، ولا يد للإنسان بها . ودار بخلدى أن بها الضوارى وإن لم أر منها شيئا . وكان بها الدجاج بكثرة ، ولكنى لم أعرف نوعه ، وبعد ذبحه كان من المتعذر أن أعرف ما يصلح للأكل وما لا يصلح . وعند عودتى أطلقت النار على طائر كان على غصن شجرة فى حافة أجمة ، والله يعلم أن هذه الطلقة كانت أول طلقة فى هذه الجزيرة منذ أنشئت الدنيا ، وما كاد الصوت يظهر حتى ذعر الدجاج فى كل الأنحاء ، فخرج من مكمنه يعدو ويصيح ، كل بنغمه الذى تعوده ، وكان جميع ذلك مخالفا لما أعهده من صياح الدجاج . وعند فحص الطائر الذى قتلته ، وجدته بازيا وإن كان مخلبه عاديا ، وأسفت إذ كان لحمه لا يصلح لشىء .

وإنى حمدت نتيجة هذا البحث ، ورجعت من حيث أتيت ، ففوجئت بمعضلة أدهى وأمر ، فقد هجم الليل ولم أدر كيف أقضيه ، لأنى خفت إن رقدت على الأرض أن يأتى ضار فيمزق جسمى إرْباً [1] إربا ، وإن كنت علمت بعد ذلك أن هذا الخوف فى غير موطنه . وعلى ذلك اجتهدت فعملت كوخا صغيراً من الصناديق ، وقطع الخشب التى أحضرتها إلى الشاطئ وقضيت ليلى به . أما الطعام فلم أدر كيف أحصل عليه ، غير

---

(١) الأرب : العضو

أنى رأيت ثلاثة من الأرانب تجرى وسط الطيور [1] حين اضطرابها بعد أن صوبت إليها نارى .

وقد ابتدأت أفكر فى أنه يحسن بى أن أستخرج من السفينة كثيرا من الأشياء التى أراها عظيمة النفع ، وبخاصة ما فيها من الحبال والشُرُع ، وكل ما يمكن حمله إلى الشاطئ . ولذلك صحت عزيمتى على الرجوع إلى السفينة إذا أمكن ، لأنقاذ ما بها ، لأنى تحققت أن أول عاصفة تهب ستمزقها وتبدد شملها . وقبل البدء فى مباشرة ماعولت عليه استشرت نفسى ، وفكرت فى أمرى ، وبعد إعمال الفكر تبين لى تعذر أخذ الرمث فأهملته ، وذهبت إلى السفينة عند انخفاض المياه ، وسكون الأمواج ، كما فعلت أولا ، بعد أن تركت كوخى وخلعت ملابسى إلا قميصا وسروالا وخفا على قدمىّ . وبعد وصولى إلى السفينة صنعت رمثا كالأول . وقد أفادتنى تجاربى الأولى ، فلم أصنعه ثقيلا ، ولم أثقله بالأحمال ، بل ملأته بالأشياء النافعة الخفيفة ، فقد وجدت فى حجرة النجار ثلاث حقائب ملأى بالمسامير بأشكال مختلفة ، وعددا كبيرا من الفؤوس ، ومسنا لشحذ الآلات ، فجمعت ذلك كله مع ما وجدت من الأسلحة النارية ، وصندوقين من الرصاص ، وثمانى سبَطانات ، ومقدارا من البارود ، وعَيْبَة [2] ملأى بالرصاص الصغير ، ورزمة من صفائح الرصاص ، ولكن هذه الصفائح كانت ثقيلة ، فلم أقدر على تحريكها لأدنيها من جانب السفينة . وجمعت مع هذه الأشياء كل ما وجدت من

---

(١) جمع طير وهو كل ذى جناح من الحيوان

(٢) مايجعل الرجل فيه ثيابه وهو مانسميه «الشنطة»

ملابس الرجال ، وشراعا غير مستعمل ، وأرجوحة شبكية ، وبعض أغطية للجسم عند النوم . وبهـذا جميعه ملأت الرمث ، وأوصلته إلى الشاطئ وأنا مغتبط بنتيجة عملي .

وكنت خلال غيابي عن الشاطئ يعتورني الخوف على ماتركت هناك ، ولـكنني عند أوبتي إليه لم أجـد أثرا لأى طارئ ، إلا قطـة وحشيـة كانت على أحد الصناديق ، ولمـا قربت منها جرت غير بعيد ثم وقفت ساكنة غير مكترثة ، وحـدّقت إليّ النظر ، كأنها تود أن تعرفني ، فوجهت بندقي نحوها ، ولـكنها لم تعبأ بها ، ولم تفهم مرادي، ولم تتحرك لتفر مني ، فاستبدلت (١) قطعة من الخبز بالبندقة ، ثم رميتها نحوها ، فتقدمت إليها وشمتها ، ثم أكلتها ، ورنت (٢) إليّ بعينها مسرورة شاكرة تطالب المزيد ، ولـكني كنت عاجزا عن إسعافها بطلبتها ، لأن ماعندي من الخبز كان قليلا ، فتركتني وذهبت لحالها .

الآن وقد نجحت في حمل ماأحضرت إلى الشاطئ ، فأني ابتدأت في عمـل خيمة صغيرة لي من شُرُع السفينة ، وما أعددت من قوائم الخشب . وقد أخذت إليها كل ماخفت عليه الفساد من المطر أو الشمس ووضعت الصناديق الخالية حول الخيمة . لأحصنها من الهجوم الفجائي سواء أكان من البشر أم من الضواري .

وبعد أن فرغت من هـذا التشييد سددت باب الخيمة بقطع من الخشب ، وبعض مابقي من الصناديق ، وألقيت سريرا على الأرض ،

---

(١) أى أخذت القطعة بدل البندقة على حد قوله تعالى « أتستبدلون الذى هو أدنى بالذى هو خير » أى أتأخذونه بدله (٢) نظرت

ووضعت بجانبه سبطا نتين ، ثم ذهبت إليه ، وكان ذلك أول مرة ، ونمت نوما هادئا طول الليل، لأنى كنت مُتْعَبا مثقلا بالهموم، لقلة نومى الليلة الماضية ، وكثرة عملى طول النهار فى إحضار ماتحمل السفينة ، وحمله إلى حيث كنت من الجزيرة .

وقد حصلت على أكبر مستودع يمكن أىّ إنسان وحده أن يجده فى حوزته ، ولكنى وجدتنى غير قانع به ، مادامت السفينة أمامى ، وما دام فى مقدورى أن أحصل على أشياء أخرى . ولهذا جددت العزم على أن أُخرج من السفينة كل ماأمكننى حمله منها ، فذهبت إليها كل يوم عند انخفاض الماء ورجعت بما تيسر لى مما فيها ،وبخاصة الحبال بكل أنواعها والشرع التى أصبحت ممزقة قطعا قطعا

ولقد أذهب عن نفسى الحزن ، وكان تسلية عظيمة لى ، ماوجدته فى السفينة من خبز وشراب ، وسكر ودقيق نقى ، وآلات حديدية. ولا تسل عن دهشتى عند ذلك . لأنى لم أكن أنتظر شيئا من هذا كله. وقد أفرغت صندوق الدقيق فى صرات متعددة ، وحملتها إلى الشاطئ سالمة .

ولما ذهبت فى اليوم التالى إلى السفينة حدثت النفس بقطع أمراسها، فشمرت عن ساعد الجد ، وقطعتها قطعا أمكننى حملها ، ووضعها على الرمث ، وبهذا الحمل الثقيل ابتدأت أسير نحو الشاطئ ، ولكن جدّى ابتدأ يفارقنى هذه المرة ، لأننى ما كدت أقرب من الخليج الذى رسوت عليه فى المرة السابقة ، حتى تعذر على قيادة الرمث بأحكام كما فعلت أولا ، لأن حمله كان أثقل من قدرته، فانقلب بى ، وبما عليه فى الماء . أما أنا فلم

يصلني ضر، لقربي من الشاطىء . وأما المتاع فقد ضاع أكثره ولا سيما الآلات الحديدية التى لو نجحت فى توصيلها إلى الشاطىء لقدمت لى نفعا عظيما ، وصرت أراقب انخفاض المياه ، وانحسارها عما فى جوفها ، مما كنت محضرا إلى الشاطىء ، فلما انحسرت سارعت إلى إنقاذ بعض الأشياء ، فاستخلصت معظم الأمراس، وبعض الآلات الحديدية، ولكنى بذلت فى سبيل ذلك جهدا كبيرا إذ كنت أغوص فى الماء ، وبعد هذا اليوم كنت أذهب مياومة إلى السفينة ، وأحمل منها ما أستطيع حمله

وقد مضى علىّ وأنا بالجزيرة ثلاثة عشر يوما ذهبت خلالها إلى السفينة أحد عشر يوما ، وأخذت منها كل ما يمكن حمله بيدين اثنتين فى تلك المدة . ولو استمرت المياه على حالها ولم تثر ، لحملت السفينة كلها قطعة قطعة إلى الشاطىء . وبينما كنت أعد نفسى للذهاب إليها فى المرة الثانية عشرة ، إذ الريح قد ابتدأت تهب وتشتد ، ولكنى عند انخفاض الماء ذهبت إلى السفينة ، وقد كنت أظن أنى لم أترك بها شيئا ، غير أنى وجدت هذه المرة فى حجرة منها خزانة فيها أدراج ، وجدت بأحدها ثلاثة مواسٍ[1] ، ومقصا ، واثنى عشر سكينا[2] ، وشوكة ، وفى آخر عثرت على ستة وثلاثين جنيها ، وبعض قطع من العملة الأوروبية والبرازيلية ، بعضها ذهب وبعضها فضة .

ولكنى عند رؤية النقود افتر ثغرى ، وقلت بأعلى صوتى « أية فائدة لى فيك أيتها النقود ؟ إنك لا تنفعيننى بشىء فلا تستحقين رفعك من الأرض.

---

(١) مفرده موسى (٢) السكين آلة معروفة تستعمل للذبح تذكر وتؤنث والغالب عليها التذكير

إن سكيناً واحداً من هذه السكاكين أنفع لي من هذه الكومة من النقدين.[١]
ولا حاجة لي بك ، فابْقَيْ مكانك ، ولتذهبي إلى قاع القاموس ، غير مأسوف عليك ، كمخلوق ليس في حياته ونجاته فائدة . »

وقد أعدت الفكر فيما كنت فيه ، فبدالي أخذ النقود ، فجمعتها ووضعتها في صرة ، وأخذت أحدث نفسي بعمل رمث جديد . وبينا كنت في هذه الأفكار وجدت السماء قد اكفهرت ، والريح قد اشتدت ، ولم يمض ربع ساعة على ذلك حتى هبت العاصفة ، والريح الزعزع من ناحية الشاطئ ، فأدركت أن لا فائدة من عمل رمث الآن ، والريح ليست موافقة ، إذ كانت تهب من الشاطئ ، فأسرعت إلى ترك السفينة وأخذ طريق إلى الأرض الجافة ، لئلا يرتفع الماء وتعوق اللجج وصولي إليها ، فطرحت نفسي على الماء ، وسبحت فيه موليا وجهي شطر الشاطئ ، وقد أحسست تعبا في هذا اليوم ، لما كنت أحمل من الأشياء ، ولخشونة الماء واضطرابه ، لأن الريح هبت مسرعة ، وقبل أن يبلغ الماء أشده ، وترتفع اللجج ، ابتدأت العاصفة تشتد ، ولكني حمدت الله إذ وصلت ركني عند أمتعتي وثروتي سالما من كل أذى . واستمرت الرياح الهوج تعصف طول الليل بشدة عظيمة . وفي الصباح نظرت لأرى السفينة فألفيتها قد غابت عن الأبصار ، وابتلعها اليم الذي أخنى عليها ، فوقفت مكاني ، وقد عرتني الدهشة ، واستولى علي العجب ، بيد أني أسرعت بالعودة إلى نفسي ، وحمدت غب عملي ، لأني لم أدع فرصة سانحة إلا انتهزتها ، ولا

---

(١) الذهب والفضة

قوة إلا جمعتها حتى حملت من السفينة كل ماقدرت ، ولو بقيت ما كان لى فيها مطمح بعد ذلك .

وقد غرقت السفينة وحطمتها اللجج ، فمن الحزم ألا أفكر فيها ثانيـة ، ولا فيما حوت ، إلا إذا قذفت منها الأمواج إلى الشاطئ شيئا ، على أنى وجـدت بعدُ أن بقاياها التى بلغت الشاطئ كانت قليلة النفع لى

الآن حصرت أفكارى جميعها فى تحصين نفسى من المتوحشين إن ظهر لهم أثر ، ومن الضوارى إن كان بهذه الجزيرة شىء منها. وكانت لدى طرق شتى لتنفيذ هـذه الفكرة ، ولعمل مسكن أقى به نفسى ، أأحفر مغارة أو كهفا فى باطن الأرض أم أشيد خيمة على ظاهرها ؟ ولا أطيل عليك فقد عزمت على تنفيذ الفكرتين، حفر الكهف، وبناء الخباء . وربما تجد لذة فيما أحيطك به خبرا من بيان الطريقة التى اتبعتها، ووصف ما أتممت من الأعمال فى هذا السبيل .

قد تبين لى أن هذا المكان الذى يجاور البحر لا يصلح للأقامة لأن أرضه كانت سبخة[1] منخفضة. وملئت يقينا بأنها غير صحية ، وخالية من الماء العذب، فعولت على البحث عن موضع آخر تتوافر فيه شروط الصحة ، وتطيب لى الأقامة به. وقبل البدء فكرت فى أشياء لا بد منها إن أمكن وجودها، فأولا فكرت فى الصحة والمـاء العذب ، وثانيا فى مأوى من حرارة الشمس ، وثالثا فى وَزَر[2] من المخلوقات الضارة سواءاً كانت

(١) سَبِخَت الأرض سَبَخا كانت ذات سباخ أى ذات نزّ وملح
(٢) الوَزَر : الملجأ .

من البشر ، أو من العجماوات المؤذية ، ورابعا فى أن أكون قريبا من البحر ليتيسر لى رؤية مابه حتى إذا قدر لى أن أرى سفينة فيه ، أعمل جهدى للنجاة ، لأنى مازلت آمل أن يمتد بى دهرى حتى أفوز بها

وبينا أنا غارق فى البحث ، وجدت سهلا صغيرا من الأرض بجانب أكمة مرتفعة . وكانت هذه الأكمة مما يلى السهل رأسية لا انحدار فيها ، كأنها حائط مبنى ، ولذلك أمنت من هذه الجهة شرا يأتينى . وكان بهذه الأكمة العالية تجاه السهل محل بال يتراءى من بعد كأنه باب كهف ، ولكن لم يكن هناك باب أو طريق إلى داخل الأكمة .

وعلى هذا السهل أمام المكان البالى فى الصخور عزمت على إنشاء خيمتى . وقد كان هذا البسيط [1] الأخضر من الأرض ، لا يتجاوز مائة خطوة عرضا ، ومائتين طولا . وقد جعلت باب الخيمة نحوه ، وكان فى نهايته طرق غير منتظمة تقود إلى الأغوار [2] والمحانى [3] بجانب البحر وكان هذا السهل فى الشمال الغربى من التل ، ولذلك كنت فى مأمن من الحرارة كل يوم حتى تتحول الشمس نحو الغروب .

وقبل أن أقيم خيمتى رسمت نصف دائرة أمام المحل المتآكل فى الصخرة ، وجعلت نصف قطرها عشر خطوات تبتدئ من الصخرة ، وجميع قطرها عشرين خطوة من مبدئه إلى نهايته . وعلى محيط نصف هذه الدائرة أقمت خطين من الأوتاد القوية ، فدققتها فى الأرض حتى وجدتها فى نهاية الصلابة ، وكانت نهاياتها الظاهرة المدببة فوق سطح

(١) البسيط من الأرض : الواسع المستوى (٢) الأغوار جمع غَوْر وهو ما انحدر من الأرض ويقابله النجد (٣) المحانى معاطف الأودية الواحدة مَحْنِية ومَحْنُوَة ومَحْناة.

الأرض بخمس أقدام ونصف . وكان بين الوتد والذى يليه ستة قراريط ثم عملت طَنَفا «١» للأوتاد من الداخل لتعطيها قوة ومَناعة . وبذلك كانت الدائرة محصنة تحصينا شديداً يشق على الأنسان والحيوان الضارى أن يعبث به . وقد أجهدنى هذا العمل، وبخاصة قطع الأوتاد من الأشجار، ثم حملها إلى هذا المكان، ثم تشذيبها حتى تصلح لهذا الغرض، ثم دقها فى الأرض

ولم أجعل الدخول لهذا المحل الذى حصنته من باب، بل بسلم قصير من الخشب تعودت بعد الصعود عليه أن أرفعه من مكانه . وعلى ذلك كنت محصنا تحصينا يردّ عنى كل خطر . وأمكننى أن أنام ملء جفونى غضون الليل . وقد علمت فيما بعد أنه لم يكن هناك محل لكل هذا الاحتراس من العدو الذى توقعت منه الضرر

الفصل السادس

انتقال روبنسن كروسو إلى خيمته وما شعر به من الوحشة

وداخل هذا السِّياج[٢] الذى أقمته، والحصن الذى شيدته، حملت كل ما ملكت يداى من الميرة والذخيرة التى أحطتك خبرا بها فيما مضى . وقد أنشأت خيمتين إحداهما فوق الأخرى فكانت الكبيرة فى الخارج والصغيرة فى الداخل، ووضعت فوق الكبيرة الخارجية مشمعا كثيفا[٣]

(١) الطنف : افريز الحائط وما أشرف خارجا من البناء (٢) الحائط
(٣) كثُفَ الشيء غلظ

أنقذته فى جملة ما أنقذت من المتاع . وإنما اهتممت بالمحافظة على الخيمتين لأقى نفسى شر الأمطار التى كانت تسقط بغزارة فى جزء من السنة بتلك الجهة ، ولأحفظ من أمتعتى مايخشى عليه من العبث . ولم أستعمل السرير الذى أحضرته إلى الشاطئ بعد ذلك ، بل تعودت النوم فى الأرجوحة[1] الشبكية التى كانت من النوع الجيد

وبعد أن فرغت مما وصفت ، ابتدأت أعمل فى تمهيد طريق لى إلى قمة الصخور العالية . وقد أحضرت إلى السياج الذى صنعته ما أخرجته من الحجارة والثرى أثناء هذا العمل ، ورصفت فِناء منزلى به ، فارتفع عما جاوره نحو قدم ونصف ، وجوفت خلف الخيمة فى المكان المتآكل من الصخور شبه كهف كوّن حجرة صغيرة أفادتنى فائدة جُلّى . فقد جعلتها مخزنا لمنزلى . واستغرق هذا العمل عدة أيام قبل أن ينتهى كما أحب وأبغى

ومن الأشياء التى استرعت ناظرى، وشغلت خاطرى، ما سأقصه عليك. فقد حدث بعد أن انتهيت من أعمالى السابقة أن أظلم الجو واسودت السحب فجأة ، وعصفت الأمطار ، وأبرقت السماء وأرعدت . ولم أعجب من البرق نفسه عجبى من فكرة طرأت علىّ أسرع منه . وذلك أنى تذكرت البارود الذى كان عندى وحينئذ اضطرب فؤادى وجزعت، لأن عاصفة كهذه قد تقضى على البارود بانفجاره . وبذلك ينسف حصنى ، ويضيع ما أعتمد عليه فى طعامى . ولقد استولت هذه الفكرة على لبى ، وحلت عندى المحل الأول فبادرت إثر انقضاء العاصفة ،

---

(١) الأرجوحة الشبكية على شكل فراش تعلق من نهايتيها على أوتاد أو شجر. ويستعملها الاوربيون كثيرا للنوم عليها .

وقد أهملت كل أعمالى ، وتركت البناء الذى كنت أعمله ، والتحصين الذى كنت أباشره ، إلى تجهيز صرات وصناديق صغيرة ، لتفريق البارود . آملا أن يكون فى أمكنة حريزة حتى لايحترق أجمعه ، ولا يؤثر جزء يحترق فى آخر . وقد أنجزت هذا العمل فى أسبوعين ، وكان هذا البارود الذى لايزيد على مائتين وأربعين رطلا موزعا على نحو مائة صرة . أما صندوق البارود الذى كان مقفلا ، فلم أتوقع منه أقل ضرر ، ولذلك وضعته فى الحجرة الخلفية التى حفرتها ، وكنت أسميها المطبخ . وأما مابقى من البارود ، فقد حفرت له فى الصخور أمكنة وضعته فيها ، بحيث لايخشى على حفرة من الأخرى ، ثم علّمت بأحكام موضع كل حفرة كان فيها شئ منه .

وحين قيامى بتلك الأعمال ، كنت أخرج كل يوم مرة ومعى بندقى لأسر نفسى ، ولأرى إذا كان فى قدرتى أن أصيد شيئا لغذائى ، ولأعرف ماتنبت الأرض التى أنا بها . وبينا كنت متجولا فى الجزيرة أول مرة ، رأيت مَعْزًا [1] فامتلأت نفسى سرورا ، ولكنى ما كدت أسر حتى تحققت أن المعز شديدة الخوف والحذر ، سريعة العدو ، حتى كان من أصعب الأمور أن أقترب منها . بيد أنى لم أقطع الأمل من صيد ماعز [2] من ذلك القطيع . وقد بحثت عن المكان الذى تجتمع فيه ، فوجدته صغيرا ، فوضعت خطتى ، وعلمت من أمر المعز مايأتى ، وهو أنه إذا رأتنى فى

---

(١) المَعْز : خلاف الضأن من الغنم أى ذوات الشعر والأذناب القصار منها وهى اسم جنس لا واحد له من لفظه والواحدة شاة وهى مؤنثة (٢) الماعز واحد المعز للذكر والأنثى وقيل يقال للمذكر ماعز وللأنثى ماعزة

الوادى ، وكانت فوق الصخور ، فرت هاربة ، وولت خائفة . وإذا كانت ترعى فى الوادى ، وأنا فوق النّجاد ، لم ترنى . ولذلك أيقنت أن بصرها كوّن ليتجه نحو أسافل الأشياء لا أعاليها . وقد انتفعت بهذه المعرفة ، فكنت أعلو الربى أولا ، فأصيب منها مقتلا . وأول رمية أطلقتها أصابت ماعزا تُرضع جَديها [1] فأحزننى حالها كثيرا . ولما سقطت الماعز وقف جديها بجانبها ساكنا ، حتّى وصلت إليها ، وحملتها . وحينئذ تبعنى حتّى وصلت إلى حصنى ، فوضعت الأم على الأرض ، وحملت الرضيع معى داخل السياج مرجيا أن أدعه للتناسل ، ولكنه أبى أن يأكل فاضطررت لذبحه وأكله . ولقد أغنتنى الماعزة وجديها مدة طويلة ، لأنى كنت آكل غير مبذر . وعلى ذلك اقتصدت فيما ادخرت من الميرة ، وبخاصة الخبز الذى كنت شديد الحرص عليه .

ولما انتهيت من إعداد سكنى ، ابتدأت أعد مكانا لأوقد فيه النار ، ووَقودا لأحراقه . وإنى أشعر بوجوب إحاطة الناس علما بحالى وأفكارى بالنسبة للحياة ، فقد جال بخاطرى أنى لم أرم على هذه الجزيرة بهذه العاصفة الشديدة ، بعيدا عن الطريق الذى كنا نقصده بمئات من الأميال ، إلا لأن الأرادة الآلهية قد تعلقت بإيجادى بهذا المكان الموحش ، لأقضى حياتى فى شقاء وتعس . وكان الدمع يسيل مدرارا على خدّىّ حين أفكر فى شأنى ، وقد كنت أسائل النفس وأحدثها ، لماذا توجدنا العناية الربانية ، ثم تشقينا ، وتدعنا خائرى القوى لا نملك لأنفسنا نفعا ، ولا ضرا ؟ فقد كنت فى حال يصعب على العاقل أن

---

(١) الجدى من أولاد المعز وهو الذكر فى السنة الأولى والأنثى عَناق

يكون شاكرا عليها ، ولكنى ما كدت أجد عندى هذه الأفكار حتى وجدت ما ينازعها . فقد كنت فى حال يُسأل من مثلها العافية ، ولكن أين بقية رفقتى ؟ ألم نكن أحد عشر رجلا فى السفينة ؟ أين العشرة ؟ لماذا فقدوا ونجوت ؟ أى الحالين خير أن أكون هنا أو هناك ؟ وأشرت إلى البحر الذى ابتلع السفينة وركبها ما عدانى ، وحينئذ تذكرت أن كل شر يصحبه خير وكل خير له جانب من الشر ، وقد حمدت الله على ما أنا فيه ، فقد زُوّدت بما يكفينى ، ولم أدر كيف تكون حالى إذا لم أحصل على كل ذلك المتاع من السفينة ، وكنت مجردا من حاج [1] الحياة . وماذا كنت أعمل لو تركت بلا بندقة ولا ذخيرة وبدون آلات لعمل ما أضطر إلى عمله ؟ وكيف أكون بلا ملابس وفُرُش وخيمة؟ إنى بمعونة الله حصلت على مقادير كبيرة من تلك الأشياء ، ولكنى ابتدأت أفكر فى تدبير شئونى ، وكيفية عيشى إذا انتهت الذخيرة ، أو طرأ علىّ حادث من مرض ، أو فقد قوة ، فعلمت أنى يمكننى العيش ، ولو ضاعت بندقى أو فقدت ذخيرتى ، على أنى لم يخطر لى على فكر أن ذخيرتى قد تفنى بلفحة من عاصفة حين تبرق السحب .

وبعد أن أتممت ما تقدم من الأعمال ، ابتدأت حياة لا سرور فيها ، حياة هادئة لم يعشها غيرى من الناس . وقد حسبت أول نزولى إلى هذه الجزيرة الموحشة ، فوجدته يوافق الثلاثين من شهر سبتمبر ، حين تكون الشمس فى الخريف . وبالملاحظة قررت أنى فى عرض ٢٢ ٩° شمالى خط الاستواء .

---

(١) الحاج جمع حاجة بحذف التاء

الفصل السابع

ما صادفه روبنسن كروسو من الصعوبات

لعدم وجود آلات فى حوزته

وشعرت بعد عشرة أيام من وصولى إلى الجزيرة بأنى سأكون فى جهل تام بالنسبة لمعرفة الأيام وحسابها ، لاحتياجى إلى الكتب والأقلام والحبر ، وخشيت أن يستبهم علىّ الأمر ، فلا أعرف الأيام المقدسة التى يستريح الناس فيها من العمل . ولأتجنب هذا جئت بقطعة عريضة من الخشب ، وحفرت عليها بسكين هذه الكلمات « قد وصلت إلى الشاطئ هنا فى الثلاثين من شهر سبتمبر سنة تسع وخمسين وستمائة وألف » . ونصبتها بجانب الشاطئ فى المكان الذى وطئته قدماى أول وصولى إلى الجزيرة . وعلى جوانب هذا المربع من الخشب كنت أحفر كل يوم ثَلْمًا[1] وفى اليوم السابع أحفر ثلما أطول من البقية . وفى أول كل شهر كنت أحفر خطا طويلا كالخط السابع ، وبهذه الطريقة عملت لنفسى نتيجة زمنية أعرف بها أيام الأسبوع والشهر والسنة .

وعلىّ أن أحيطك خبرا بأنى أثناء رحلاتى التى قصدت السفينة فيها . لأخذ المتاع منها ، أحضرت أشياء لم أخبرك بها ، لأنها أقل أهمية من الأشياء السالفة الذكر ، وإن كانت نافعة ، وأخص بالذكر منها الأقلام والورق والحبر ، وأربع عُلب فى كل واحدة منها إبرة[2] مغناطيسية ، وبعض آلات رياضية ، وساعة[3] شمسية ، ومِرْقبا[4] ، ومجموعات من الرسوم ،

(١) حزًّا (٢) وهى التى تدعى البوصلة (٣) وهى التى تدعى مزولة وهى آلة للمنجمين يعرف بها زوال الشمس (٤) وهو الذى يدعى تِلِسْكُوب

وكتبا فنية فى الملاحة . وكذلك وجدت ثلاث نسخ من الأنجيل كنت أحضرتها معى من إنجلترا ، وبعض كتب برتغالية، وعدة كتب أخرى

ولا يفوتنى وأنا أعدد لك الأشياء التى كانت معى أن أذكر الكلب الذى كان معنا فى السفينة ، وهرتين . وسأذكر لك شيئا من تاريخها فى المكان المناسب . وقد حملت الهرتين معى. أما الكلب فأتى بنفسه فى اليم، وسبح إلى الشاطئ حتى وصل إلىّ فى اليوم التالى لوصولى إلى الجزيرة مع حملى الأول، وقد كان خادماً أمينا لى سنين عدة، وقام لى بكل ما أمكنه القيام به . ووددت لو قدر على النطق والكلام حتى يكلمنى ، ولكن ذلك لم يكن فى طوقه

وقد استفدت فائدة جلىّ من المداد الذى كان معى ، وحررت فى الطروس كل شىء أردت من تاريخ رحلتى ،ولكنى بعد أن نفدت الصحف عجزت عن متابعة الكتابة ، وتقييد ما يخطر بخلدى . وقد أعجزتنى الحيل التى احتلت بها لأيجاد مداد أستعين به . والآن علمت أنه فضلا عما عندى من الأدوات ، تعوزنى أشياء لا بد لى منها ، كصاقور[1] ومِجرفة ، لأحفر الارض ، وأنقل التراب حيث شئت ، وأبر وخيط . أما الكتان فعرفت كيف أحصل عليه بلا تعب كبير . وهذا الفقر فى الأدوات الأولية جعل أعمالى فى حاجة إلى وقت طويل ، ولا تتم إلا بجهد شديد . ولتعلم حقيقة هذه الصعوبات ، أخبرك أنى لم أنته من عمل مسكنى الذى وصفته فيما

---

(١) الصاقور : الفأس العظيمة التى لها رأس واحد دقيق تكسر به الحجارة

مضى قبل أن تمضى علىّ سنة ، فقد استغرق قطع تلك الأوتاد الثقيلة من الغابات وتشذيبها زمناً طويلا ، بَلْهَ(١) حملها إلى السهل . فقد كان الوتد يحتاج إلى يومين لقطعه ، وحمله إلى حيث أريد . وثالث لدقه فى الأرض بقطعة ثقيلة من الخشب . وقد ألفيت هذا العمل شاقا متعبا لا راحة فيه ولا سرور . ولكن ما لى وللسرور ، وقد علمت أنى لا أملك لنفسى عملا آخر أحسن منه ، وأنا فى هذه الحال التى يؤمن فيها الكافر ويرق فيها قلب الفاجر . إنه عمل أقضى فيه وقتى ولا يهمنى متى ينتهى ، فليس لى بعده من عمل إلا ارتياد الجزيرة للبحث عن الطعام . وقد كنت أتردد خلالها وأتفيأ ظلالها كل يوم

والآن ابتدأت أفكر فى أمرى ، وأكتب وصف حالى ، لا لأنى فكرت فيمن يأتى بعدى للاطلاع عليه ، ومعرفة كنهه ، ولكن لأخفف عن نفسى ما أهمها ، وأدخل عليها السرور ، وأدفع الشر بالخير ، فمثلت أمامى حالى كما يأتى :

الشر	الخير
قد طُرحت على هذه الجزيرة المنقطعة عن العالم بلا رجاء فى النجاة	ولكنى لازلت حيا أرزق ؛ ولم تطغ علىّ الأمواج ؛ فلم تبتلعنى ، كما وقع لرفقتى فى السفينة
قد قُطعت عن العالم وحيدا لأكون شقيا	ولكنى أيضا قطعت عن بحارة السفينة ونجوت من الغرق . والقوة التى نجتنى منه بأعجوبة قادرة على تخليصى من هذه الشقوة

(١) بله : اسم فعل بمعنى اترك وهذا اذا لم تنون أو تضف لما بعدها والا كانت مفعولا مطلقا

الشر	الخير
صرت وحيدا لا أنيس لى من نوعى	ولكنى لست فى قحط أعالج سكرات الموت ؛ بل فى مكان فيه مايكفى لسد الرمق
ليس معى ملابس لأستر جسمى	ولكنى فى جو حار لو حصلت فيه على ملابس لا أدرى كيف ألبسها مع اشتداد الحرارة
انى غير محصّن . وليس عندى مايقينى شر الانسان والحيوان الضارى	ولكنى وُجدت فى جزيرة لاعلامة فيها للحيوان الوحشى ، كتلك الأنواع التي رأيتها على شاطئ أفريقية . وكيف كانت حالى لو غرقت السفينة وطرحت هناك ؟
ليس معى نفس واحدة تكلمنى أو تفرج عنى همى	ولكن الله جلت قدرته أرسل السفينة حيث كانت بالقرب من الشاطئ ؛ فتمكنت من أخذ الأشياء الضرورية التي تقوم بمطالبى ؛ أو تمكننى من الحصول عليها طول حياتى .

حقا لقد كانت حالى أتعس ما خلق ، ولكن كان فيها جانب من الخير يحق لى أن أشكر لله عليه . وإنى أكثر التفصيل فى وصف معيشتى ليعلم القوم أنها أسوأ الحالات ، فيحمدوا ربهم على مارزقهم

وقد اطمأننت بعد ذلك لمعيشتى ، وابتدأت أحيا حياة طيبة بقدر ماتسمح به الحوادث . وكنت قبلا أطيل النظر إلى البحر علّنى أجد به سفينة تنقذنى ، ولكنى الآن قطعت الأمل . واليأس إحدى الراحتين.

وشرعت أعمل فى تحسين سكنى حتى أحفظه من المطر الذى كان شديداً هناك فى بعض أجزاء السنة

لقد أحضرت من السفينة ما أحضرت ، ووضعته داخل سكنى ، ولكنى لاحظت أنه كان غير منظم فى وضعه ، فشغل كل مكان داخل استحكاماتى ، حتى لم أجد مكانا يكفى لتنقلى ، فعزمت على تكبير المحل بتوسيع الكهف وهى الحجرة الخلفية ، ثم حفر الأرض لأضع فيها بعض المتاع ، فيخلو سطح المكان قليلا . وقد كانت تلك الصخور رملية فكانت لا تشق علىّ

وبعد ذلك الحفر بنيت حائطا حول ذلك السور الذى أنشأته من الأوتاد وكان سَمْكه[1] قدمين . ولما وجدتُنى آمنا من الحيوان الضارى ، لخلو الجزيرة منه ، حفرت بالصخور وراء حصنى بابا لمسكنى ، ليسهل على الولوج منه داخلا واجتيازه خارجا . وقد استفدت منه زيادة على ذلك ، اتساع المكان لأرتب متاعى فيه . وبعد فراغى من هذا العمل ، فكرت فى إعداد بعض الأشياء اللازمة التى كنت فى أمس الحاجة إليها ، كمائدة وكرسى ، لأنى وجدتنى غير متمتع بالأكل ، والجلوس ، والكتابة . وعلمت أن الإنسان بفكره يمكنه أن يصل إلى مايريد ، وإن لم تكن له سابقة خبرة به ، فأنى لم أمسك من قبل بيدى شيئا من الآلات النجارة ، ولكن الحاجة تفتق الحيلة . ولذلك عملت أشياء كثيرة على الرغم من قلة الآلات المساعدة لى . وكنت إذا احتجت إلى لوح من الخشب أذهب إلى الشجر فأقطع واحدة ، ثم أشذبها حتى تصير رفيعة بالقدر الذى أريده . حقا

---

(١) الارتفاع

كنت أخرج بهذه الطريقة لوحا واحداً من الشجرة، ولكنى لم أجد علاجا لذلك. وكنت أبذل جهداً كبيراً، وأحتاج إلى زمن طويل قبل أن أصل إلى غايتى من استخراج ألواح من الأشجار. ولكن عملى ووقتى كانا قليلى الفائدة. فصرفهما فى شئ لايمتاز عن صرفهما فى شئ آخر. وقد صنعت المائدة والكراسى من قطع الخشب التى أحضرتها معى من السفينة. وبعد انتهائى منهما دققت فى حائط الكهف أوتادا وضعت عليها ألواحا من الخشب، عرضها قدم ونصف، لتحمل بعض المتاع حتى يكون مرتبا يسهل على معرفة موضع كل شئ منه. وفى حائط آخر دققت أوتاداً، لأعلق عليها ما يمكن تعليقه من الأدوات كالسبطانات وغيرها.

وإذا أتيح لك رؤية الكهف وجدته كمخزن عام يجمع بين جوانبه حاجيات الحياة. وقد كان ترتيبه وتنسيقه يبعث فى نفسى السرور والطرب. وبخاصة جمعه لكثير من الأشياء التى كنت فى أشد الحاجة إليها.

الآن يحق لى أن أبتدئ فى عمل يوميات لأدون بها كل أمر مهم أقوم به، وإنما لم أفكر فى ذلك من قبل، لأنى كنت مضطرب الفكر منكبا على العمل لأضمن لنفسى راحتها أولا، ولأنى لو ابتدأت قبل ذلك لكان فى مذكراتى كثير من الأشياء التى لاقيمة لها. وقد لايجد فيها أحد ذلك السرور الذى ينتظره فى حال مثل تلك التى كنت فيها. وربما كانت مذكراتى لو ابتدأت قبل اليوم كما يأتى

« ٣٠ سبتمبر : بعد نجاتى من الغرق، ووصولى إلى الشاطئ نسيت أن أشكر الله على إنقاذى من التهلكة. ثم اعترانى غَثَيَان [1] شديد من

---

(١) غثت النفس غَثْيا وغثيانا خبثت واضطربت حتى تكاد تتقيأ

الماء المِلح الذى ابتلعته ، ووصل إلى إحشائى . وبعد أن نقهت منه جريت على الشاطئ كالمحموم ضاربا إحدى اليدين على الأخرى ، لاطما وجهى . صافعا رأسى ، صارخا يا للشقاء والوحدة ، باكيا من قرارة قلبى وجُلجلان فؤداى ، حتى كَلّت قواى ، وخارت مُنَّتِى «١» ، فصعقت من هول الوهل صعقة موسى يوم دك الجبل ، فرأيتنى ملقى على الأرض ، مضطرا للراحة ، ولكن كيف يهوى النوم عينىّ ، وأبيتُ رَيّان الجفون من الكرى ، وقد امتلأت خوفا من الوحوش الضارية أن تأتى فتفترسنى »

وبعد ذلك ببضعة أيام كنت ناظرا إلى البحر فرأيت من بعد شراعاً فامتلأت نفسى سرورا ، ومنيتها الخلاص مما أنا فيه ، فنظرت إليه حتى كدت لا أرى من طول النظر . واختفى من أمامى ذلك البصيص من الأمل ، فارتميت على الأرض أبكى وأنتحب ، وأندب حظى ، وأعجب لشقائى ، كطفل صغير . وبجهلى زدت أشجانى وأحزانى . وبعد لأى ما تغلبتُ على هواجسى ، واجتهدت أن أسر نفسى بأمتعتى المرتبة ، وكتابة يومياتى التى سأعطيك نموذجا منها فيما يأتى ، وأن تقدم بعضها مفرقا . ولقد واظبت على كتابتها مابقى عندى مداد ، وعند فراغه لم أتمكن من الاستمرار فيها .

---

(١) المُنة : القوة

الفصل الثامن

يوميات روبنسن كروسو

٣٠ سبتمبر سنة ١٦٥٩ : ـ بعد أن غرقت سفينتنا فى عرض البحار، وهلك كل رفقتى، نجوت وحدى نجاة أشبه الأشياء بالموت، وأُفردت فى هذه الجزيرة التى كنت أسميها جزيرة اليأس والقنوط. وكان همى بقية ذلك اليوم أن أعوّد نفسى وأوفقها لتلك البيئة التى وجدت فى حَوْمتها لأنى لم يكن فى حوزتى حينئذ طعام أقيم به صلبى، ولا سكن آوى إليه ولا ملابس أكتسى بها، ولا سلاح أدافع به عن حَوْبائى «١»، ولشدة يأسى لم أر أمامى غير موت فاغر فاه، فأما أن أمزق بأنياب الوحوش الكواسر، وإما أن ينقض علىّ آكلو لحوم الأنس من الأنس، وإما أن أموت جوعا. ولما ولّى النهار مدبرا وجن الظلام، نمت على غصون الأشجار خوفا من الحيوان نوما عميقا، وقد أمطرت السماء الليل كله.

أول أكتوبر : ـ فى الصباح رأيت عجبا. رأيت السفينة طافية على وجه الماء عند ارتفاع اللجج، والأمواجَ قريبة من الشاطئ الذى وصلت إليه أمس، فداخلنى شئ من السرور، لأنى فكرت فى الوصول إليها عند انحسار الماء عنها، لآخذ منها كل ما أحتاج إليه، ولكنى جزعت لفقد صَحْبى، لأنهم لو بقوا فى السفينة لأنقذوها أو نجا بعضهم بأنفسهم من الهلاك، وحينئذ ربما صحت عزيمتهم، فصنعوا قاربا من

---

(١) الحوباء : النفس

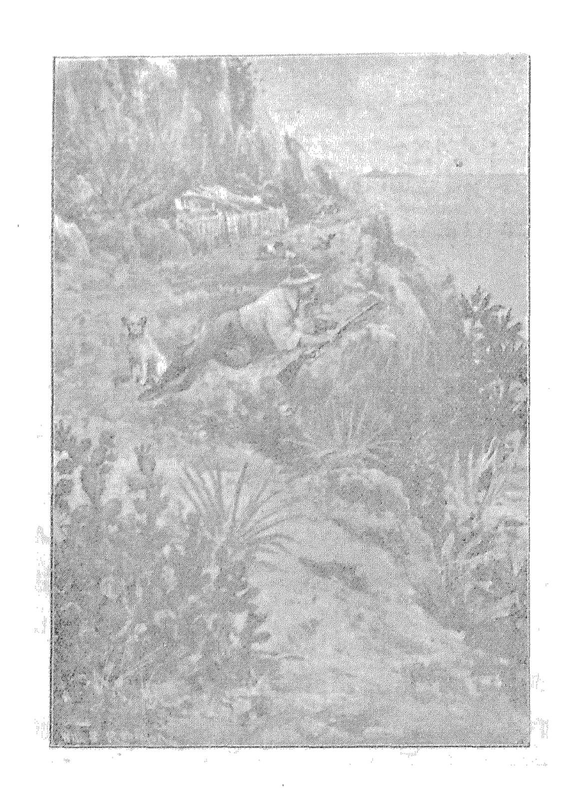
بقايا السفينة، يحملنا فى البحر إلى جهة أخرى من العالم . وقد استرسلت فى هذه الأفكار مدة طويلة حتى جنيت على نفسى باضطرابها ، ولكنى لم أر فائدة من كل ذلك . ووجدت المـاء قد انحسر عن السفينة ، فسرت إليها على الرمال ، ثم سبحت فى الماء حتى علوتها . وفى هذا اليوم أمطرت السماء النهار كله ، ولـكن الرياح لم تهب .

ومن أول أكتوبر إلى الرابع والعشرين منه كان عملى مقصورا على الذهاب إلى السفينة ، وحمل ما يمكن أخذه منهـا بالطريقة التى سبق لك وصفها . وكان المطر فى هذه المدة كثيرا تتخلله فترات يصحو فيها الجو. ويظهر لى أن هذا الجزء من السنة هو فصل الأمطار

وفى العشرين من هذا الشهر انقلب الرمث ومعه ما عليه من الأمتعة، ولـكن الماء لم يكن عميقا . وكان معظم الأمتعة ثقيلا فانتظرت انحسار الماء عنه ، وأنقذت ما أمكننى إنقاذه .

وفى الخامس والعشرين من أكتوبر أمطرت السماء ليل نهـار ، واشتدت الرياح ، فتكسرت السفينة ، ولم يبق لهـا أثر إلا بقايا تلوح للنظر عند زوال الماء عنها . وقد اجتهدت فى ذلك اليوم فى حفظ أمتعتى ، وتغطيتها من الأمطار خشية أن تتلفها

وفى السادس والعشرين من أكتوبر ارتدت شاطئ الجزيرة لأنتقى محلا أقيم به ، وأبنى فيه سكنا ، وفى الأصيل اهتديت إلى سهل تحت صخرة، فخططت عليه نصف دائرة عزمت على تشييد خيمة فيها ، وعولت على تقويتها بصفين من الأوتاد القوية يجمعها من الداخل حبال شديدة ، ويحوطها من الخارج حائط من الطين .



سكنى بجانب الصخرة

ومن السادس والعشرين إلى الثلاثين من هذا الشهر بذلت كل قوتى فى حمل أمتعى إلى منزلى الجديد ، وقد أمطرت السحب بغزارة خلال تلك المدة فى فترات متقطعة .

وفى الواحد والثلاثين من هذا الشهر خرجت مع بندقى ، لأكشف الجزيرة ، وأبحث عن شئ أطعمه ، فرميت فقتلت ماعزا ، وحملتها ، فتبعنى جديها إلى مقرى ، وكنت أود أن أبقى عليه للتناسل ، ولكنه أبى أن يأكل ، فجعلته طعاما لى .

وفى أول نوفمبر نصبت خيمتى تحت الصخور ، ونمت فيها ، وجعلتها كبيرة بقدر ما سمح لى . ودققت أوتادا داخلها لأعلق عليها الأرجوحة الشبكية التى استعملتها كسرير لى .

وفى الثانى من نوفمبر جمعت قطع الخشب التى استعملتها فى الأرماث وعملت بها سياجا للخيمة . وفى الثالث من هذا الشهر خرجت مع سبطانتى واصطدت طائرين يشبهان البط . وكان لحمهما لذيذا . وفى المساء ابتدأت عمل مائدة لى .

وفى الرابع من هذا الشهر ابتدأت أقسم أوقاتى بين العمل والنوم ، واللهو ، واللعب . ففى صباح كل يوم كنت أخرج وقت إصحاء السماء متنكبا بندقى ساعتين أو ثلاث ساعات ، ثم أعمل بجد إلى الساعة الحادية عشرة ، ثم آكل ما عندى من الطعام ، ومن الساعة الثانية عشرة إلى الثانية بعد الزوال أنام لأريح جسمى من وطأة الحرارة ، ثم أقوم للعمل ثانية ، وقد ضاع أكثر عملى فى هذا اليوم والذى بعده فى صنع المائدة .

وفى الخامس من هذا الشهر خرجت من سياجى ، وقتلت سِنَّوْرا[1] وحشيا . أما لحمه فلا خير فيه ، وأما جلده فقد كان ناعما جميلا ، فحفظته . وكانت تلك عادتى فى كل حيوان أقتله . وعند عودتى سرت بجانب البحر فرأيت كثيرا من الطيور المائية التى لم أقدر على تمييزها ، ومعرفة حقيقتها . وبينا أنا ناظر إليها دهشت وارتعدت فرائصى لرؤية ثلاثة شُرُع فى اليم ، وقبل معرفة ماهيتها ، ولّت الأدبار كأن لم تكن .

وفى السادس من هذا الشهر فرغت من المائدة صباحا . وكانت غير سالمة من العيوب ، فتعلمت بعد قليل كيف أصلحها ، لأن الوقت والحاجة كفيلان بتعليم الأنسان وإرشاده .

وفى اليوم السابع ابتدأ الجو يصفو وشرعت فى عمل كرسىّ لى فاستغرق عمله السابع والثامن ، والتاسع والعاشر ، وجزءا من الثانى عشر . أما الحادى عشر فكان الأحد . وكنت أنقطع فيه عن العمل ، لأنه يوم مقدس . ولا يفوتنى أن أخبرك أنى بعد قليل أهملت تقديس أيام الآحاد لأنى تركت وضع العلامة لها على لوح الخشب ، فلم أعرف بعد ذلك الأحد من غيره .

وفى اليوم الثالثَ عشرَ أمطرت السماء ، وقد صادف المطر هوى فى نفسى ، لأنه أزاح عنى التعب ، ولطف من حرارة الجو . ولكنه كان مصحوبا ببرق ورعد ، فأشفقت على البارود أن ينفجر فيذهب هباء . ولما أمسك المطر عن الهطل شرعت فى تفريق البارود إلى مقادير صغيرة بعيد بعضها عن بعض حتى لا يخشى فقدها .

---

(١) قِطّا

وفى الرابع عشر والخامس عشر والسادس عشر ابتدأت فى عمل صناديق صغيرة يسع الواحد منها رطلين أو ثلاثة أرطال من البارود . وبعد الفراغ منها وضعته فيها ، وحفرت لها مواضع متعددة فى الصخور . وفى خلال تلك الأيام الثلاثة اصطدت طائراً كبير الجثة يصلح لحمه للطعام ، ولكنى لم أعرف اسمه

وفى السابع عشر ابتدأت أحفر فى الصخور خلف الخيمة ، لأحصل على فراغ أستفيد منه . ولعمل هذا كنت فى أشد الحاجات إلى فأس ، ومجرفة ، وعجلة يد صغيرة . ولكن أين لى بها فى هذا الجزء المخيف الموحش من الدنيا .

وفى اليوم الثامن عشر حين كنت أفتش فى الغابة وجدت شجرة من ذلك النوع الذى يسمونه فى البرازيل الشجر الحديدى ، لقوته وشدة صلابته . واجتهدت فقطعت منها فرعا بفأسى التى كادت تتحطم من صلابة الخشب ، وأحضرته إلى كِنّى[1] بعد أن بلغ منى الجهد مبلغه ، لأنه كان ثقيلا جداً

ولما كان هذا الغصن شديد الصلابة ، وليس عندى آلات لتشكيله كما أحب ، أضعت زمنا طويلا فى عمله مجرفة . فكانت اليد مشكلة بالشكل الحقيقى ، كما هى فى إنجلترا ، ولكن لم يكن فى نهايتها حديد . ولذلك كانت حياة الجزء المستعرض من هذه المجرفة قابلة للفناء بسرعة ، ولكنى أحمد جدى فقد قامت لى هذه الآلة بما أردت منها .

---

(١) الكِنّ : وِقاء الشىء وستره والبيت وجمعه أَكِنّة وأَكْنان

وقد كنت فى أشد الاحتياج إلى قَفْعَة [١] ، وعجلة يد . أما القفعة ، فكنت عاجزاً عن عملها ، لأنى لم أعثر فى الجزيرة على ما يصلح لجدلها وتركيبها . وأما عجلة اليد فقد حرت فى أمرها ، وأيقنت أن ليس فى مقدرتى إتمامها ، وعلى هذا وجهت أفكارى إلى ناحية أخرى فعملت قصعة من الخشب لحمل التراب الذى أحفره فيها . وكان عمل القصعة أخف من عمل المجرفة ، وقداستغرق إتمامها مع الجهد الذى بذلته فى عمل عجلة اليد بلا نتيجة أربعة أيام كاملة ، إلا قليلا من الوقت الذى كنت أقضيه فى الصباح مرتاداً الجزيرة .

وفى الثالث والعشرين بدأت عملى مجدا بقدر ما سمحت لى به قوتى ووقتى ، فاستغرقت ثمانية عشر يوما فى توسيع الكهف وتكبيره ، حتى يتيسر لى وضع أمتعتى فيه بلا مشقة ، ثم استعماله كمطبخ ومطعم . وكانت إقامتى فى الخيمة إلا وقت اشتداد الأمطار . فكان من المتعذر علىّ أن أحفظ نفسى منها . ولذلك وجدت من الحزم أن أغطى الخيمة بخشب يرتكز على الصخرة ، لأضع فوقه الأعلام وورق الأشجار الكبيرة .

وفى اليوم العاشر من شهر ديسمبر حين ابتدأت أعتقد أنى انتهيت من إحكام الكهف ، سقط جزء من السقف فجأة ، فأخافنى ، لأنه لو سقط فوقى لفارقت الحياة ، ولم تكن لى مندوحة عن تطهير المحل مما سقط فيه ، وإسناد السقف حتى لا يسقط مرة أخرى .

وفى الحادى عشر من هذا الشهر ابتدأت فى تنفيذ النهج الذى وضعته ، فوضعت فى داخل الكهف أعمدة من خشب عليها ألواح عريضة موضوع

---

(١) القفعة هى ما نسميه مقطفا

بعضها فوق بعض . وبذلك أمنت أن يخر السقف من فوق .

ومن السابع عشر من هذا الشهر إلى العشرين منه عملت الرُّفوف [1]، ودققت الأوتاد ، لأعلق عليها كل ما يمكن تعليقه

وفى العشرين من هذا الشهر رتبت أمتعتى ، وأحببت أن أتم أثاث منزلى ، فأحضرت ألواحا من الخشب صنعت منها مائدة وضعت عليها طعامى ، ثم عملت أخرى لاستعمالها عند الحاجة .

٢٤ ديسمبر : ـ مطر كثير مستمر ، ولذلك لم أغادر منزلى .

٢٥ ديسمبر : ـ مطر لا ينقطع .

٢٦ ديسمبر : ـ لا مطر . وكان الجو ساراً قليل الحرارة .

وفى السابع والعشرين من هذا الشهر رميت ماعزة فقتلتها ، وأصبت أخرى فى رجلها ثم حملتها إلى السهل . وعنيت بأمر العرجاء حتى أَبَلَّت ، وعادت إليها صحتها . وإنما بذلت لها هذه العناية ، لأنى أردت أن تأنس بى ، حتى إذا نفد ما عندى من الذخيرة تناسلت وانتفعت بنتاجها .

وفى الثلاثة الأيام التالية اشتدت بى الحرارة ، وفقد النسيم ، ولم أخرج خلال تلك المدة إلا فى المساء ، لأبحث عن طعام لى . وكنت كلما مكثت فى المنزل أرتب أمتعتى وأنظمها .

وفى اليوم الأول من يناير كان الجو لا يزال حرا ، ولكنى خرجت للقَنْص [2] فى أول النهار وآخره . واسترحت فيما بين ذلك . وكنت ذات مرة سائراً فى الجزيرة مساء ، فتوغلت فى داخلها ، فوجدت أودية يكثر

---

(١) الرُّفوف : جمع رَفّ وهو ما يشبه الطاق مما يوضع عليه طرائف البيت كالرَّفْرَف

(٢) قَنص الشئ يقنصه قنْصا صاده

بهـا المعز ولـكنها كانت ترتاع (١) لنَبْأَة ، (٢) ، ويصعب الوصول إليها . ولذلك عزمت أن أحضر الـكلب ، ليصيد لى منها إن أمكن.

وفى الثانى من هـذا الشهر خرجت ومعى كلبى ، فأطلقته على المعز ، ولـكنى أخطأت فى تقديرى ، لأن المعز تجمعت وتجهّمت للـكلب ، وهجمت عليـه ، فعرف الـكلب الخطر جيدا ، ولذلك لم يجرؤ على الدنوّ منها .

وفى الثالث من هذا الشهر ابتدأت فى تحصين سكنى بعمل سياج حوله ، وإقامة حائط قوى لأنى كنت خائفا من المهاجمة ، سواءاً كانت من إنسان ، أم من حيوان . وقـد وصفت لك هـذا الحائط من قبل ، ولذلك أهملت فى مذكراتى مايتعلق بهـذا الوصف . ويكفى أن تعرف أن هـذا العمل استغرق المدة التى تبتدئ بالثالث من يناير ، وتنتهى بالرابع عشر من إبريل ، وقد اشتغلت فيها بجد فى البناء ، وإن كان الحائط لايزيد امتداده على أربع وعشرين خطوة . ولـكن المطر عاقنى عن العمل أياماً كثيرة ، ومع ذلك لم أهن ، ولم أضعف ، لأنى شعرت بأن حياتى رهن إتمام هـذا السياج . ولا يغيبن عن الذهن ما كلفنى كل عمل من تلك الأعمـال . وخاصة قطع الأعمدة من الأشجار ، وحملها إلى السهل مكان إقامتى ، ونصبها فى الأرض ، وإيغالها فيها ، ولما انتهيت من هـذا السياج ، وإقامة حائط من الطين حوله من الخارج ، ارتاحت نفسى ، وعلمت أنه لو جاء أحد عند الشاطئ ، لايمكنه أن يعرف أن هناك سكنا وكان من حسن جَدى أن فعلت ذلك كما سيتبين لك بعد من الحادث

(١) ارتاع يرتاع فزِع (٢) النبأة : الصوت الخفى

العجيب الذى وقع لى . وفى خلال هـذه المدة كنت أجول فى الجزيرة لأبحث عن طعام ، وأكشف ماخفى منهـا ، فاتفق لى أن رأيت نوعا من الحمام الوحشى الذى لم يتخذ أوكاره فى الأشجار ، بل وَكر فى الأفاحيص[١] من الأرض ، فأخذت عددا قليلا من فراخها لأربيها ، ولـكنها لمّا كَبِرت طارت بعيدا عنى ، لقلة الطعام ، إذ لم أجد ماأقدمه لها ، ولـكنى كنت أعثر على أوكارها كثيرا فى الصخور ، وآخذ الصغار منها فآكلها . وكان لحمها شهيا لذيذا .

ولا يخفى عليك أن سكنى كان فى حاجة إلى كثير من الأشياء الضرورية . واستحال علىّ الاحتيال على شىء منها ، فتركت التفكير فيها ، ولـكن الشىء الذى شغل فـكرى هو الحصول على مصباح أستضىء به فى ظلمة الليل البهيم ، إذ كانت الشمس تحجب فى الأفق ، ويظلم الجو حوالى الساعة السابعة ، فكنت مضطرا عنـدئذ للذهاب إلى فراشى . ولو كان عندى شمع لأمكننى بسهولة عمل مصباح لى ، ولـكن الجزيرة كانت خالية من النحل ، لأنى لم أر له أثرا فيها ، فكانت الطريقة الوحيدة التى خطرت على فكرى أن أتخذ من شحم الماعزة التى قتلها مع ذُبالة[٢] تصنع من نُسالة[٣] الحبال مصباحا لى ، واتخذت لذلك وعاء صنعته من

---

(١) الأفاحيص : جمع أُفحوص وهو كالمَفْحَص بجثم القطاة وهو الموضع الذى تفحص التراب عنه أى تكشفه وتنحيه لتبيض فيه

(٢) الذُّبالة : ــ الفتيلة (٣) النُّسالة مايسقط من الصوف والريش عند النَّسْل أى النّفش

الطين ، وحرقته فى الشمس ، فكنت أحصل بذلك على نور ينفعنى وإن لم يكن صافيا .

وبينما كنت أبحث وأرتب متاعى ، وجدت حقيبة تذكرت أنها كانت ملأى بالبُر الذى يُقدم للطيور ، ولـكننى عند فحصها وجدت الجرذان أكلت اللب ، وتركت القشور ، وأصبح مافيها عديم الجدوى ، فألقيت القشور والتراب منها خارج سكنى بجانب الصخور ، واستعملتها فى صرّات لوضع البارود فيها ، وقد كان إلقائى لما فى الحقيبة قبل هطل الأمطار بقليل ، ولم أعر هذا الأمر شيئا من الأهمية . ولم أتذكر بعدُ أنى ألقيت شيئا فى ذلك المحل ، وبعد مضى نحو شهر على ذلك وجدت نباتا قد ظهر هناك ، فذهبت لأعرف ماهو لعلى أجد نبتا جديدا لاعهد لى به ، فـكانت دهشتى عظيمة حين رأيته بعد ذلك ، وتحققت أنه نبات الشعير الذى ينبت فى أرضنا بأنجلترا ورأيت نحو اثنتى عشرة سُنْبُلة .

وإنى ليعجز قلمى عن وصف ما خالجنى من الدهشة لرؤية هذا النبات الذى لم يكن لى بُدّ من إنباته وتعهده . فقد كنت أعتقد أن الجو لا يصلح له ، ولذلك لم أفكر فيه قط . أما الآن وقد رأيت أمامى نبتا حسنا فعلمت أن الله أراد أن يكون طعاما لى فى هذه الجزيرة جزيرة اليأس والقنوط وتحققت قول الشاعر

والله قسّم بين الخلق رزقهم — لم يخلق الله مخلوقا يضيّعه

وكان قلبى عند ذاك متوجها إلى الله الذى خلقنى ، وحاطنى برحمته فسالت عبراتى لعلمى أن الطبيعة . تأثرت لحالى ، فرأفت بى وحنت علىّ .

وقد كان عجبى أكثر حين رأيت بعد ذلك بجانب الصخور نبتا رأيته من قبل فى إفريقية . ولما فحصته وجدته أرزا ، وكان اعتقادى حينئذ أن العناية الألهية أرسلت لى هذين النبتين لأنتفع بثمرهما، فعولت على البحث فى الجزيرة لعلى أجد شيئا منهما فى محل آخر، ولكنى بحثت فى كل مكان سرت فيه، ونظرت فى كل زاوية مررت بها، فلم أجد أثراً لتلك الحبوب فى الجزيرة . ولما اشتدت دهشتى تذكرت أنى ألقيت هنالك البقايا التى وجدتها فى الحقيبة ، وأن ذلك النبت نتيجة لبعض الحبوب التى نجت من الجرذان. ولا أخفى عليك ما خالج ضميرى حينئذ من الندم على الشكر الذى امتلأ به قلبى أولا للعناية الألهية ، إذ علمت الأسباب ومسبباتها . ولكنى جاحد نعمة ربى ، فأن شكره واجب فى السرّاء والضرّاء ، فأشكر له هذه اليد لأنه لفت نظرى حتى رأيت هذا النبات . أشكره لأنه حفظ النبات من الهلاك بالمؤثرات الجوية ، أشكره لأنه حفظه من الحشائش التى لم تطغ فتأكله ، أشكره لأنه دفعنى إلى إلقاء ما فى الحقيبة بجانب الصخور ، فكان ظلها يحمى النبات ويكلؤه

ولا يعزب عنك أنى حفظت تلك السنابل بعد أن تم نضجها وإيناعها فى آخر شهر يونيه ، حتى أزرعها مرة ثانية ، لأحصل منها على غذاء لى . وقد مضى على ذلك أربع سنين قبل أن أسمح لنفسى بقليل من هذه الحبوب ، وذلك لأن زرع السنة الأولى لم يعط شيئا يستحق الذكر ، لأنى بذرت البذور قبل فصل الجفاف ، فلم ينبت شىء كما كنت أنتظر. ولا تنس الأرز الذى جمعته من النبات ، فقد حافظت عليه محافظة شديدة للغرض نفسه ، أعنى استعماله غذاء لى

وأعود إلى مذكراتى فأقول : إنى تحملت مصاعب جمة فى تحصين سكنى . وفى الرابع عشر من إبريل سددت كل ما به من المنافذ ، فلم أترك به بابا . وكان الدخول فيه والخروج منه بسلم حتى لا يكون هناك أقل علامة على وجود سكن

وفى السادس عشر انتهيت من صنع السلم ، وصعدت عليه إلى أعلى الحائط ، ثم رفعته بعد صعودى . وعلى ذلك كان سكنى مقفلا من كل الجهات . وأمنت أى شر يصلنى من الخارج إلا إذا تسلق الحصن متسلق . وفى اليوم التالى لأتمام هـذا العمل كدت أسلم الروح لخالقها ، وكاد كل سكنى يهلك دفعة واحدة . فقد كنت خلف خيمتى عند مدخل الكهف مشتغلا بترتيب بعض الأشياء ، إذ رأيت التراب يتساقط من سقفه ، والأحجار تتكسر من الصخور . وانكسر عمودان من الأعمدة التى أقمتها فى الداخل ، فحدثت فرقعة تحركت لها الأرض تحت قدمىّ ، وطار لها لبى شَعاعا (١) ، ولم أفكر فى سبب هذه الرجة ، غير أنه خطر لى أن أعلى الكهف سقط كما حصل أولا . وخفت على نفسى ، فأسرعت نحو السلم فعلوته إلى الخارج ، لئلا ينالنى شىء من الأحجار الساقطة . ولكنى لم أكد أضع قدمى على السهل حتى تأكدت أن الأرض قد زلزلت زلزالا شديداً ، فاهتزت ثلاث مرات فى ثمانى دقائق هزات عنيفة ، تكفى لهدم أمتن بناء على سطح الأرض مهما كان قويا . ورأيت صخرة على الرَّبْوَة لا تبعد عنى بأكثر من نصف ميل قد سقطت ، فأحدثت رجة لم أسمع مثلها فى

---

(١) متفرقاً

حياتى . ونظرت إلى البحر فوجدته يرغى ويزبد ويضطرب اضطرابا خُيِّل إلىَّ أنه أشد من هياج أرض الجزيرة

وقد كانت دهشتى عظيمة، لأنى لم أر فى حياتى، ولم أسمع شيئا كهذا. فكنت كمشرف على الموت من شدة الهول . وكادت أحشائى تتمزق من قوة الألم، وشعرت بذلك الشعور الذى يشعر به ركاب البحر إذا تلاعبت الرياح بسفنهم، ولم يكونوا معودين ركوب الجوارى . وكان سقوط الصخور شديداً ، فانتبهت من سكرتى التى كنت سابحا فيها ، ولم أفكر إلا فى سكنى ، وما عساه أن يحل به إذا سقطت عليه التلال فأتلفته وكل ما به . فاشتد حزنى وهَلِعَ فؤادى

وعقب الرجة الثالثة لم يحدث شىء ، فأردت العودة إلى سكنى ، لأعرف كنه حاله ، ولكنى خفت إن ذهبت إليه أن يحل بى الدمار . فجلست على الأرض فى حال لاتسر أحداً ، وأنا لا أدرى ما الله صانع بى . ولم يخالجنى اعتقاد دينى ، ولا توجه للقوة الربانية ، غير أنى كنت أتلو « اللهم ارحمنى » وبعد انتهاء الزلزلة انقطعت عن تلاوة هذه الجملة . وأثناء جلوسى أحسست أن الجو تلبد بالسحب وثقل، كأن السماء تستعد للأمطار. وبعد هذا بقليل هبت الرياح ثم اشتدت ، وفى أقل من نصف ساعة كانت زَعْزَعًا[1] ، فملا ماء البحر الزَّبدُ والرُّغَى[2] ، وتغطى الشاطىء بقطرات الماء ، واقتلعت الأشجار من جذوعها . وقد استمرت هذه العاصفة ثلاث

---

(١) الريح الزَّعْزَع والزُّعازِع كثيرة الهبوب التى تزعزع الأشياء

(٢) الرُّغى بضم الراء وكسرها جمع رغوة مثلث الراء وهى ما يعلو الماء حين اضطرابه من زبد أبيض

ساعات فى آخرها أخذت فى الهدوء . وبعد ساعتين من سكونها كانت السماء هادئة ، ولكنها ابتدأت بمطر مدرار كأنه كان يتساقط من أفواه القرب والميازيب[١]

وكنت جالسا على الأرض أثناء هبوب الرياح وابتداء الأمطار ، وقد علمت من ذلك جميعه أن هذه العاصفة ، وذلك المطر نتيجة للزلزال، وأن الرجة نفسها قد انتهت ،فعزمت على الوصول إلى سكنى. ولما توسطته جاست تحت الخيمة ، فكان المطر يسقط فوقها، كأنه قذائف المدافع،وخفت على الخيمة أن تخر تحته اشدته ، فاضطررت إلى الالتجاء إلى الكهف ، وإن كانت مفاصلى ترتعد فرقا من سقوطه على أم رأسى . واضطرتنى شدة المطر وكثرته للتفكير فى أمرى ، فعزمت على حفر بالوعة[٢] لتصريف المياه لئلا تتجمع وتغرق الكهف وتفسد كل شيء . وبعدمكثى فى الكهف مدة لم تحصل أثناءها رجات أيقنت أن الزلزال انتهى ، فهدأ روعى[٣] قليلا ، واجتهدت فى أن أبعد عنى فكرة الخطر وأشجع نفسى ، فشربت قليلا من الشراب فساعدنى على ما أردت

وقد استمر المطر الليل كله ومعظم النهار ، ولذلك لم أخرج من مكمنى ، ولكنى ابتدأت أفكر فى أمرى ، فوجدت أن الجزيرة مهددة بالزلازل ، وأن عيشى تحت الصخرة قد يقضى علىّ يوماما ،وأن أحسن طريقة لى هى أن أبنى لنفسى كوخا فى وسط سهل بعيد عن الصخور ، ثم أحصنه بمثل ما حصنت سكنى الأول . ولذلك عزمت على نقل خيمتى

---

(١) الميزاب : القناة يجرى فيها الماء (٢) البالوعة والبلاّعة والبلوّعة ثقب تصرف فيه المياه (٣) الرَّوع بالفتح الفزع وبالضم القلب أو موضع المخافة منه

من مكانها الذى كان ينذر بالمخاوف ، وبحثت فى اليومين التاليين ـ التاسع عشر والعشرين من شهر إبريل ـ عن محل يصلح لهذا الغرض ، ولكن خوفى من الموت ـ لو نقلت الخيمة إلى المكان الجديد، ونمت فيها قبل إتمام السياج حولها ـ جعلنى أفضل المكث فيها حيث كانت. وكنت كلما نظرت إلى ترتيب المتاع وإلى متانة التحصين أتردد فى التحول من مكانى

وفى الوقت نفسه تبين لى أن إتمام تلك الأعمال الجديدة ، يستلزم وقتا طويلا ، ففضلت البقاء حيث كنت حتى أفرغ من بناء الكوخ، وإعداد ما يتطلبه ، ثم أنتقل إليه . وبهذا العزم هدّأت من اضطرابى ، وبدأت العمل بكل ما أوتيت من قوة وإسراع . وكانت خطتى فى رسم سكنى الجديد ، وبنائه ، وتحصينه ، كتلك التى اتبعتها فى سابقه . وكان هذا فى الحادى والعشرين من هذا الشهر

وفى الثانى والعشرين منه ابتدأت أفكر كيف أنفذ ما وطدت العزم عليه مع قلة الآلات التى كانت عندى، لأن الفؤوس والقُدُم[١] التى كانت فى حوزتى أصبحت واهية القوى ، لكثرة استعمالها فى قطع الأشجار ، وإعدادها لأغراض شتى . ولم أقدر على استعمال المِسَنّ ، لأنى لم أتمكن من إدارته ، فأجهدت فكرى لأستخلص لى سبيلا أسلكه ، وبذلت كل عناية فى تقدير الأشياء ، وترجيح بعضها على بعض ، كما يفعل السياسى الخطير حين اشتغاله فى حل معضلة ، أو القاضى حين يسعى لاستخلاص الحقيقة من الوقائع المشوهة ، تلك الحقيقة التى عليها يتوقف الموت أو الحياة لفرد من الآدميين . وقصارى القول أنى اهتديت إلى إنشاء

---

(١) القدُم جمع قدوم آلة للنجر والنحت مؤنثة وتجمع أيضاً على قدائم

عجلة يتصل بها حبل ، وقد ساعدتني على إدارة المشحذ . ولا أخفى عليك أنى لم أر فى حياتى من قبلُ تلك الآلة فى إنجلترا ، ولم أعرف كيف تُكَوّن ذلك التكوين . وقد استغرق إتمامها وإتقانها أسبوعا كاملا

وفى اليومين الثامن والعشرين والتاسع والعشرين من هذا الشهر كنت أشحذ الآلات التى اشتدت حاجتى إليها

وفى الثلاثين من هذا الشهر لاحظت أن ما عندى من الخبز قد نقص نقصا مشاهداً فأنقصت ما آكله كل يوم إلى أقل مقدار يمكن تعاطيه

الفصل التاسع

تابع يوميّات روبنسن كروسو

وفى اليوم الأول من شهر مايو قمت فى الصباح ونظرت إلى الشاطئ فوجدت الماء منحسرا عنه ، وألفيت فِنْطاسا [1] وبعض قطع من بقايا السفينة ، كان الأعصار [2] الأخير قذف بها إلى تلك الجهة ، ثم ألقيت نظرة على مُنكَسَر السفينة ، فوجدته أكثر ارتفاعا مما كان . وبحثت عن الفنطاس الذى قذفت به المياه إلى الشاطئ ، فوجدته ممتلئا بارودا ، ولكنه كان قد تهشم فى نقطة منه ، فدخله الماء الذى جمّد ما به حتى صار كالجامود ، فدحرجته على الشاطئ بعيدا عن مكانه ، وسرت نحو السفينة

---

(١) الفِنْطاس : سقاية للسفينة من الألواح يحمل فيها الماء العذب للشرب وقَدَح يقسم به الماء العذب فيها (٢) الأعصار : ريح ترتفع بين السماء والأرض وتستدير كأنها عمود . وفى المثل « ان كنت ريحا فقد لاقيت اعصارا » وهو يضرب للمُدِلّ بنفسه اذا صلى بنار من هو أدهى منه وأشد وجمعه أعاصر وأعاصير

المهشمة لأرى مابها . ولما وصلت إليها وجدتها قد تحركت من مكانها تحركا غريبا فقد كان عهدى بحيزومها [١] دفينا فى الرمال ، ولكنى أراه الآن قد ارتفع فوقها ست أقدام . وشاهدت مؤخرها محطما منفصلا بقوة الماء . وكانت الرمال مرتفعة بجانبها ، فكنت عند الجزر وانخفاض المياه أتمكن من السير على قدمىّ حتى أصل إليها ، وقبلا كنت أسبح لبلوغها مسافة لا تقل عن ربع ميل . وزالت دهشتى من هذا التغير لما علمت أنه ناتج من فعل الزلازل ، ولما تحطمت السفينة وظهر مافى داخلها كانت المياه والرياح تقذف بها نحو الشاطئ كل يوم .

وكانت هذه الحالة سببا فى انقطاعى عن تنفيذ فكرتى الحديثة بشأن سكنى الجديد . واشتغلت فى هذا اليوم بما وهبنى الله من قوة للوصول إلى السفينة ، ولكنى وجدت جوفها محشوا بالرمال فلم أتمكّن من اختيار شئ فيها . ولما كنت قد تعودت ألا أيئس من شئ مهما كان أمره عزمت أن أفك السفينة قطعة قطعة ، رجاء أن أنتفع يوما ما بما أملك منها :

وفى الثالث من شهر مايو ابتدأت العمل ، فقطعت بمنشارى سقيفة من سقائف [٢] السفينة فى جزء معين ، ثم شرعت فى إخلائه من الرمل ولكن المياه أخذت فى العلو فاضطررت أن أعود كما أتيت .

وفى الرابع من هذا الشهر ذهبت لصيد السمك ، فلم أوفق لصيد شئ أطمئن إلى أكله ، فهممت بالعودة ، بيد أنى ما لبثت أن اصطدت

---

(١) حيزوم السفينة مقدمها

(٢) السقائف : ألواح السفينة مفرده سقيفة

درفينا . وكنت أحصل على السمك كثيراً ، وإن لم يكن عندى صِنَار لصيده ، وكنت أجففه فى الشمس وآكله جافا .

وفى الخامس من هذا الشهر رجعت إلى السفينة ، وقطعت ثلاثة ألواح كبيرة منها ، وربطتها معا وانتظرت ارتفاع الماء فدفعها إلى الشاطئ ،

وفى السادس من هذا الشهر عدت إلى السفينة ، وأحضرت كثيراً من المزالج[١] الحديدية ، وقطعا من الحديد . وقد أجهدت نفسى هذا اليوم ففكرت فى عدم العودة .

وفى السابع رجعت ، ولكن لا لأعمل ، بل لأرى ، فرأيت ماكان قبلُ من السفينة متجمعا قد تحطم وتفرق شَذَرَ[٢] مَذَرَ

وفى اليوم الثامن رجعت إلى بقايا السفينة ، وحملت معى إليها من الأدوات مايساعدنى على تفكيك عراها ، وفصم اتحاد أجزائها . وبذلك حصلت على لوحين من الخشب حملتهما إلى الشاطىء .

وفى اليوم التاسع عدت كعادتى فوجدت بعد البحث فى وسط تلك الكومة بعض صناديق لم أتمكن من كسرها ، وعثرت يدى على لفائف من الرصاص الأنجليزى كان يصعب علىّ تحريكها .

وفى الأيام الآتية العاشر والحادى عشر والثانى عشر والرابع عشر ذهبت وأخذت كثيرا من الخشب والالواح ولفائف الحديد .

---

(١) المِزلاج كالزِّلاج وهو المِغلاق الا أنه يفتح باليد والمغلاق لا يفتح الا بالمفتاح (٢) تفرقوا شذر مذر أى ذهبوا فى كل وجه وتبددوا وهما اسمان جعلا اسما واحداً وبنيا على الفتح كخمسة عشر ومحلها نصب على الحال

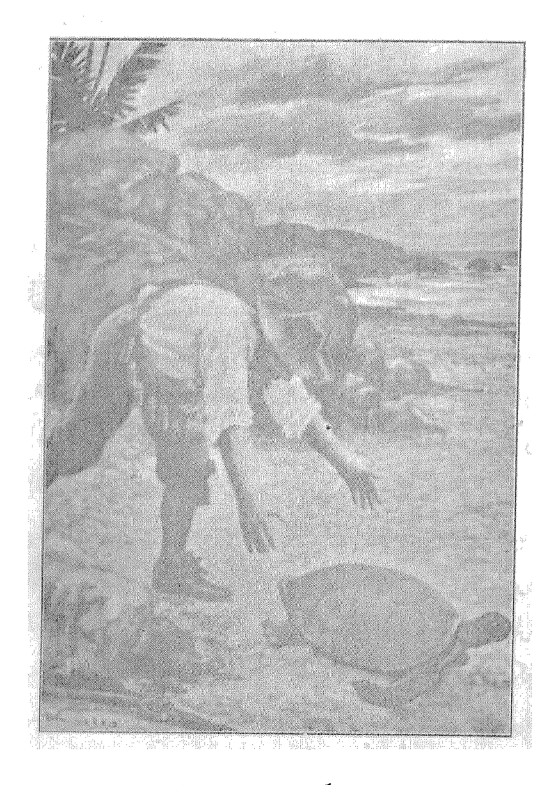
وفى الخامس عشر حملت قدومين لأجتهد فى قطع لوح من ذلك الحديد، فلم أنجح فى هذا المسعى، لأن الماء كان يعلوه قدما ونصف قدم. ولذلك لم يكن العمل ميسوراً .

وفى السادس عشر هبت الرياح بشدة آناء الليل، وظهرت بقايا السفينة أكثر تحطيما بفعل المياه، وقضيت وقتا طويلا فى الغابة باحثا عن حمام لطعامى حتى منعنى المد من العودة إلى مقر السفينة .

وفى السابع عشر من هذا الشهر رأيت قطعا من السفينة ملقاة على الشاطىء على بعد ميلين من مكانى، فذهبت لأتحقق أمرها ، فرأيتها قطعة من صدر السفينة ، ولثقلها لم أقدر على أخذها ،

ومن اليوم المتقدم إلى الرابع والعشرين كنت متفرغا للعمل فيما بقى من السفينة ، ففككت كثيراً من أجزائها ، ولما هبت الرياح حركت الصناديق من مكمنها ، وقذفت بها إلى الماء ، ولكن التيار لم يكن متجها نحو الشاطىء ، فلم يصل إليه فى هذا اليوم غير قليل من قطع الخُشُب . ولم أنقطع عن الذهاب إلى السفينة حتى الخامس عشر من شهر يونيه ، ولم أعمل شيئاً آخر فى خلال تلك المدة غير البحث عن طعام لى ، فكنت أنتظر الوقت الذى تعوقنى فيه المياه عن العمل فيها ، فأبحث عن غذائى . وبعد مضى تلك المدة كنت قد أحضرت إلى الشاطىء خشبا وألواحا وحديداً يكفى لعمل زورق ، لو كنت أعرف كيف أصنعه . وكان فيما حصلت عليه كثير من لفائف الرصاص .

وبينما كنت ذاهبا إلى البحر فى السادس عشر من هذا الشهر، وجدت سلحفاة عظيمة. وكانت هذه أول مرة رأيت فيها السلاحف بهذه الجزيرة.



وبينما كنت ذاهباً إلى البحر

وجدت سلحفاة عظيمة

ولا يظنن أحد أن الجزيرة كانت خلوا من السلاحف، أو كان عددها قليلا، فقد علمت بعدُ أنى لو ذهبت إلى الجانب الآخر من الجزيرة، لوجدت مئات منها كل يوم، ولكنى أحمد ربى على أن لم تسقنى قدماى لذلك، كما سيتضح لك مما تراه مفصلا بعد.

وفى السابع عشر من هذا الشهر طهيت السلحفاة، ووجدت فيها كثيرا من البيض الذى بلغ عدده نحو ستين بيضة. وكان لحمها ألذ شىء ذقته فى حياتى، وربما كان سبب ذلك أنى منذ وصلت إلى هذه الجزيرة لم آكل غير لحم المعز والطيور.

وفى الثامن عشر من هذا الشهر أمطرت السماء اليوم كله، فقبعت فى عقر دارى، ولكنى شعرت أن الجو كان باردا، فاقشعر جسمى وارتعد مع أنى أعلم أن تلك البرودة لم تكن من خصائص هذا الجزء من الأرض

١٩ يونيه: — اشتد المرض وأصابتنى رعدة كأن الجو بارد

٢٠ « : — لم أسترح طول الليل. اشتد ألم رأسى. أصبت بالحمى

٢١ « : — كنت مريضا جدا. حل بى الخوف المزعج، لمرضى فى هذه الحال بلا عون لى على الشدائد. صليت لربى، وكانت هذه أول صلاة بعد عاصفة «هل». ولكنى لم أدر ماذا قلت فيها؟ ولماذا كانت أفكارى مضطربة؟

٢٢ « : — تحسنت قليلا، ولكنى متأثر تأثرا شديدا بالمرض

٢٣ « : — ساءت صحتى مرة ثانية. برد جسمى وارتعد، وانتابتنى نوبة الصداع

٢٤ « : — تحسنت كثيرا

٢٥ « : — حُمّى شديدة دامت نوبتها سبع ساعات ، وكانت
مصحوبة ببرودة وحرارة وإغماء، وتصببت عرقا بعدها.
٢٦ يونيه : — تحسنت ولكنى لم أجد ما آكله فأخذت بندقى
وخرجت شاعرا بضعف شديد ، لأبحث عن طعام،
فرميت ماعزا حملتها بعد جهد إلى مسكنى ، وشويت
بعض لحمها ، وتغذيت منه ، ووددت لو طبختها واتخذت
من مرقها حَساء [1] ولكن لاقدرة لى على ذلك .

وفى اليوم السابع والعشرين من شهر يونيه رجعت الحمى بشدة ، فلازمت فراشى كل اليوم ، ولم أذق طعاما ولا شرابا . ولقد اشتد ظمئى حتى كدت أهلك، ولكن ضعفى حال دون قيامى ، وحصولى على الماء ، فدعوت ربى ثانية ، ولكن لجهلى لم أدر ماذا أقول ؟ غير أنى أتذكر أنى كنت مضطجعا فى فراشى أذكر الله بقولى « رحمة بى يارحيم، وأشفق علىّ ، وارأف بضعفى » . ولم يكن لى عمل غير هذا ثلاث ساعات ، حتى خفت النوبة ، فهجم على الكرى ، ولم أستيقظ حتى مضى من الليل أكثره . ولما أفقت وجدتنى مستريحا ، ولكن الضعف والعطش كانا قد نالا منى منالا صعبا . وكان منزلى خاليا من الماء فاضطررت للبقاء فيه حتى الصباح . وأخذ الكرى بمعاقد أجفانى ثانية ، فرأيت فى منامى هذه الرؤيا المزعجة : —

رأيت كأنى جالس خارج سياجى فى المكان الذى كنت به وقت حدوث الزلزلة ، فأبصرت رجلا قد خرج من سحابة عظيمة سوداء ،

---

(١) الحساء : مانسميه شُربة

تكتنفه أشعة نارية ، ووقف على الأرض وكان يلمع لمعانا شديدا لم أستطع معه أن أطيل النظر إليه ، فقد كانت سَحنة[1] وجهه مخيفة لا يمكن وصف تأثيرها . ولما وقف على الأرض خيل إلىّ أنها ارتجت مثل تلك الرجة التى تسببت عن الزلزال ، وكادت تميد من تحتى ، وامتلأ الجو بشرار من نار . ولم يكد يضع قدميه على الأرض حتى أقبل نحوى برمح فى يده ليقتلنى به ، ولكنه قبل الشروع فى القتل ، وقف على نجوة من الأرض تبعد عنى قليلا ، وكلمنى كلاما لا أجد فى قدرتى وصف تأثيره السيئ فى نفسى . وكل مافهمته من ذلك الصوت الفظيع قوله « لم تكف كل هذه العظات لتوبتك ، فيجب أن تموت » وتخيلت أنه رفع رمحه ليطعننى به .

وليس فى قدرة أى قارئ هذا الوصف أن يقدّر الهلع الذى انتابنى وقاق نفسى لهذه الرؤيا . فلقد كنت أحلم بهذا المنظر المؤلم ، فلا أذوق للراحة طعما . ولا يمكن تصوير حالى حين صحوت من النوم ، وعلمت أن ذلك حلم حالم

ابتدأت أقدر معلوماتى الدينية ، وأزن شعورى نحو الله ، فعلمت أنى غر جاهل ، لا أعرف من الدين غير بقايا قليلة ضئيلة من إرشاد والدى . فقد أضعت ما تعلمته فى هذه الثمانى السنين التى لم أخالط فيها أحدا غير البحارة الذين كانوا شريرين غير مهتمين بدين ، فنهلت من منهلهم ، واقتفيت إثرهم .

ولا أعرف أنى فى خلال تلك المدة ذكرت الله سبحانه وتعالى بصدق ، أو عنيت بنفسى وما كنت عليه ، فقد كنت أحمق طائشا لا رغبة

---

(١) السَّحْنة : الهيئة واللون

لى فى الخير ، ولا شعور لى بالشر ، جاحداً شريرا ، لا أميل للتفكير ، ولا للخوف من الله وقت الخطر ، ولا لشكره عند النجاة . ولتفهم هذا سأقص عليك شيئا من تاريخ حياتى الماضية ، فقد كنت فى كل داهية حلت بى، وكارثة انتابتنى ،أرى أن يد الله هى المسببة لذلك : وكان ماحل بى جزاء وفاقا لذنوبى ، وعقوق والدى ، وجحودى العظيم ، الذى كنت فريسة له ، وللآثام التى اقترفت منها فى جميع أطوارى ، فأنى أتذكر أنى لما كنت على الشواطىء المهجورة فى إفريقية ، لم أفكر إلا فيما سيحل بى ، وكنت أرجو الله أن يهدينى الصراط المستقيم ويحفظنى من شر الأنس والوحوش ، ولكنى ما كنت أذكر الله ولا العناية الربانية . وكانت تصرفاتى تصرفات مخلوق يتبع نواميس الطبيعة وينقاد لأحساسه وشعوره .

ولما نجوت وأخذنى رئيس البحارة البرتغالى ، وعاملنى معاملة حسنة، لم أفكر فى الشكر والثناء. ولما غرقت سفينتنا وأحدق بى الهلاك من كل صوب ، لم أندم على مافعلت ، وقلت لنفسى إن هذا بلاء قد اكتنفنى ، واعتقدت أنى خلقت مهينا حقيرا ، لأكون حياتى شقيا

وحين نجوت من الهلاك ، ووصلت إلى الشاطئ ، ورأيت رفقى قد بادوا ، عجبت ، وتملكنى طيش السرور ، وكان ينبغى أن أشكر الله وأشعر بوجوب الاعتراف له بما يستحقه ، ولكن هذه العواطف لم تجد إلى قلبى سبيلا ، بل ذهبت أدراج الرياح ، وتغلب عليها ما كنت فيه من الطرب والحبور ، لنجاتى من شر تلك المخاوف . وكنت كسائر رجال البحر ينسون كل شئ حين وصولهم بر الأمان ، كأن لم يحصل

لهم ماتشيب من هوله النواصى . ولما استقربى النوى بتلك الجزيرة ووجدت لنفسى قوتا يقينى من الهلاك ، وعلمت أنى بعيد من كل أمل فى النجاة ، فريد لاأنيس لى ، سُرِّىَ عنى ما كنت أجد من ميولى الاجتماعية ، وكنت غير مهتم بمعاندة المقادير لى ، وجرى الأمور على مالا أهوى ، وقلما فكرت في هذه الأمور أو خطرت لى على لب .

وكان نمو الحبوب كما أشرت إليه من قبل سببا فى تأثرى ، إذ كان يجول بنفسى أن ذلك لنفعى ، ولكن لم تلبث هذه الهواجس أن انتهت ، إذ ظهر لى السبب ، وقد كان فى الزلازل التى حصلت مايكفى لتوجه النفس إلى خالقها ، ولكنها ما كادت تنقضى حتى عادت النفس سيرتها الأولى ، كأن لم يكن شئ يذكر .

وقد اعتاد الناس أن يتوجهوا بقلوبهم إلى بارئهم حين ينكبون ، ويتوسلوا إليه سبحانه أن ينقذهم حين يرزءون ، ولكنى لم أعر ذلك اهتماما كأن حالى أحسن الأحوال . ولما اعترانى المرض واشتد وقعه ، ووهنت قواى ، وتمثل أمامى شبح الموت ، استيقظ وجدانى من نومه العميق ، وأخذ ضميرى يخزنِى على ماأسلفت فى الأيام الخالية ، وما قدمت يداى من الشرور والآثام ، حتى حلت بى النقم ، وانتابتنى الشدائد والغير . وقد عذبتنى هذه الأفكار تعذيبا أليما ، حتى وجدتنى أنطق بكلمات دعاء لله العلى القدير ، أن يفرج عنى هذا الكرب والبلاء . وكنت فى حال اضطراب عام ، لاعترافى بأجرامى ، وخوفى من الموت فى تلك الحالة المؤلمة ، فكنت أشقى الناس وأتعسهم ، وكلما فكرت فى مرضى وموتى وحيدا بلا مساعدة ، بعيدا عن الناس ، انخلع قلبى لمصيرى . وحينئذ

تذكرت نصيحة والدى وتنبؤه بمستقبلى ، تلك النصيحة التى ذكرتها فى أول الكتاب ، وهى قوله « إن الله لا يبارك لك إذا اتبعت هذه السبيل. وإنك ستجد متسعا من الوقت فيما بعد ، لتفكر فى ترك نصيحتى ، وتندم حين لا يجدى الندم، وحيث لا تجد من يساعدك على شأنك » . وفى هذه اللحظة وجدتنى صارخا « لقد تحققت كلمات أبى، وأدركنى القضاء حيث لا مساعد ولا معين . وقد أهملت حياة طبقتى الوسطى التى وضعتنى المقادير فيها . وربما كنت سعيدا موفقا لو بقيت بعيدا عن هذه المهالك، ولكنى لم أدرك هذه الحقائق بنفسى، ولا اتبعت مشورة والدىّ. ولقد تركتهما يندبان شقائى وأنا الآن أندب نتيجة أعمالى الخبيثة . إنى رفضت مساعدتهما لى فى هذه الحياة، وأوجدت نفسى فى هذا الضيق الذى يشق على الطبيعة نفسها أن تساعدنى على الخلاص منه ، ولا مرشد ولا هادى» فبكيت بكاء الثَّكْلَى ، وناديت الله أن ينقذنى من شر هذا البلاء .

الفصل العاشر

تابع يوميات روبنسن كروسو

وفى اليوم الثامن والعشرين من شهر يونيه ، شعرت بتجدد قوتى لطول نومى ، وكانت نوبة المرض قد انتهت ، ومع تأثير الرؤيا السيئ فى نفسى قمت لأبحث عن طعام ، لأنى خفت أن تعود لى النوبة فى اليوم التالى . وأول شئ عملته أن ملأت علبة بالماء ، ووضعت فيها بعض الشراب ليذهب مابه من برودة ، ثم أخذت قطعة من لحم الضأن

وشويتها ، ولـكنى لم آكل منها إلا قليلا . وكنت شـديد الخوف من عودة الحمى ثانية ، وفى الليل أكلت ثلاث بيضات من بيض السلحفاة بعد أن شويتها فى النار . وكان أكلها هنيئا . وبعد أن تناولت عشائى اجتهدت أن أسير ، ولـكن لضعفى لم أتمكن من الذهاب بعيدا ، فجلست على الأرض بجوار البحر الذى كان أمامى هادئا ساكنا . وأثناء جلوسى اعتورتنى الأفـكار الآتية . ماهذه الأرض ؟ وما هذا البحر ؟ ومتى كان خلقهما ؟ وكيف كان ذلك ؟ وكيف وجد الأنس وأوجد الحيوان الوحشى والمستأنس ؟ لاشك أن موجد تلك الأشياء قوة خفية خلقت السموات والأرض ، والهواء والماء . وما هى تلك القوة ؟ لاريب أنها الله . إذن لابد أن يكون الله سبحانه هو الذى يحكم ويدبر تلك الأشياء ، لأن من يقدر على تكوينها وإبداعها على هـذا المثال ، لابد أن يكون قادرا على تدبير شئونها وإحكام أمورها . وينتج من ذلك كله أن كل ما يقع فى ملـكه الذى أنشأه لايكون بغير علمه وإرادته . وإذا كان علمه محيطا بكل شئ فهو لاشك عالم بوجودى فى هذا الضيق . وإذا كان يريد كل شئ من خير وشر ، فهو لاشك قد أراد لى كل ما أنا فيه من بلاء ونصَب . ولايخامرنى أقل ريب فى كل هذه النتائج . فالله عالم بالـكبيرة والصغيرة ، مريد كل مايقع فى ملـكه . إذا كان هـذا هو الواقع فلماذا أراد لى الله ذلك ؟ وأى ذنب اقترفت حتى أعامل هـذه المعاملة ؟ ولـكن وجدانى زجرنى عن هـذا السؤال ، وأحسست كأن هاتفا يقول « أيها الشقى أتسأل عما فعلت ، وما جنت يداك ؟ ارجع البصر كرتين إلى ماضيك المظلم ، وسل نفسك أى شئ تركت من المساوى غير مقترف . سل نفسك لماذا لم تهلك من قبل ؟

ولماذا لم تغرق فى طرق « يارمث » ؟ ولماذا لم تقتل فى الحرب لما أخذت السفينة إلى سالى ؟ ولماذا لم يفترسك الحيوان الضارى على شواطئ إفريقية ؟ ولماذا لم تغرق هذه المرة حين هلك كل رفقتك ؟ أتسأل ماذا فعلت ؟ »

وهكذا انتهت تلك الأقوال ، وسكن الهاتف ، فلم أحر جوابا ، فوقفت غارقا فى أفكارى ، مذهولا حائرا حزينا ، ورجعت إلى سكنى لأنام ، ولكن النوم لم يهوِ أجفاني فجلست فى مقعدى ، وأشعلت مصباحى ، لأن الظلام قد نشر أجنحته فى الكون . وفي هذا الوقت اشتد خوفى من عودة الحمى ، فتذكرت أن سكان البرازيل لا يستعملون الأدوية ، وأنهم يأخذون التبغ لمعظم الأمراض . وقد كان عندى فى أحد الصناديق بعض لفائف التبغ التى لم تستعمل ، فذهبت لأبحث عنها فوجدتها ، وعثرت معها على تلك الكتب التى أنقذتها ، فتناولت التبغ والإنجيل ووضعتهما أمامى على المائدة ، ونظرت إليهما كشفاء لجسمى وروحى . ولا شك أن الله سبحانه هو الذى ذكرنى بفكرة التبغ لأجد الكتاب المقدس

وابتدأت أفكر فى كيفية التداوى بالتبغ ، فأخذت أولا قطعة من ورقه ومضغتها ، فكان تأثيرها شديداً كاد يخدر أعصابى ، لأن الورقة كانت خضراء شديدة ، ولم أكن معودا ذلك من قبل ، ثم أخذت جزءا منه ووضعته فى قليل من الشراب الذى كان عندى ، وتركته نحو ساعتين ، راجيا أن أشرب بعضه عند النوم . وحينئذ أخذت قطعة أخرى من

التبغ ، ووضعتها فوق جذوة نار، وملت عليها برأسى وجسمى، لأستنشق دخانها حتى كدت أختنق من تأثيرها

وبعد هذا أخذت كتاب الله لأقرأ به ، ولكن رأسى كان يغلى كالمرجل من اضطرابه ، فلم أقدر على القراءة ،غير أنى لما فتحت دَفَّتَيه [1]، وقع نظرى على هذه العبارة « ادعنى يوم شقائك، أخلصك من عنائك، وتسبّح بحمدى » . فوجدتها مناسبة لموقفى ، وأثرت فى أفكارى حين قرأتها ، وزاد أثرها بعد ذلك . فالهول كان بالغا أشده وكنت بعيداً عن خلق الله حتى استحالت النجاة فى اعتقادى ، وأصبحت أقول ،اقال بنو إسرائيل حين وُعدوا باللحوم ليأكلوها «هل يستطيع ربك أن ينزل علينا مائدة من السماء ؟ » هل فى قدرة الله أن ينقذنى من هذه الوحشة المخيفة ؟ وكان الليل قد مضى منه الكثير ، والتبغ أثقل رأسى ، فملت إلى النوم ، فذهبت إلى مخدعى لأستريح ، وتركت السراج مضيئا فى الكهف، خشية أن أحتاج إلى شىء أثناء الليل . وقبل اضطجاعى فى فراشى فعلت شيئاً لم أفعله طول حياتى. فقد سجدت بجانب مهادى ،وصليت لربى ، وضرعت إليه أن يشملنى بعنايته ، فيخلصنى مما أنا فيه . وبعد أداء الصلاة شربت نقيع التبغ الذى وصفته فيما مضى ، فكان شديدا وقعه على رأسى ، فنمت سريعا ، ولم أستيقظ إلا فى اليوم التالى ، فى الساعة الثالثة مساء . على أنى لهذه الساعة أعتقد أنى نمت ذلك اليوم التالى كله ، والليلة التى أعقبته ، ولم أفق إلا بعد يوم وليلة ، وبعض يوم آخر . وإلا فكيف سقط يوم

(١) الدفة بالفتح الجنب من كل شىء أو صفحته ومنه دفتا الكتاب أى ضُمامتاه من جانبيه

من هذا الأسبوع من يومياتي ، كما ثبت لي فيما بعد . وعند قيامي من هـذا النوم وجدتني نشيطا قويا ، وشعرت بالجوع فعلمت أن المعدة في حاجة إلى طعام . ولم تصبني نوبة في اليوم التالي الذي كان التاسع والعشرين. وفي الثلاثين من هذا الشهر لم أشعر بمرض فخرجت ومعي بندقتي ، ولكني لم أذهب بعيدا ، واصطدت طائرين من طيور البحر يشبهان الأوز (١)، ولـكني لم أجد عندي ميلا لأكلهما ، فأكلت من بيض السلحفاة الذي كان يلذ لي ، وفي المساء أعدت أخذ الدواء ، وأعني به نقيع التبغ ، ولـكني لم أكثر منه كما فعلت في المرة الأولى ، واقتصرت اليوم على ذلك ؛ فلم أمضغ ، ولم أشم من دخانه .

وفي اليوم التالي وهو الأول من شهر يوليه لم تكن صحتي كما كنت أحب ، فقد عاودتني رعدة خفيفة . وفي اليوم الثاني من هذا الشهر أعدت تناول الدواء بطرقه الثلاثة المتقدمة ، شرب ، ومضغ ، واستنشاق ، وشربت منه مِثْلَ المرة الأولى . ولقد برأت من المرض برءا تاماً ، ولـكن قوتي الأولى لم تعد إليّ ثانية إلا بعد أسابيع عدة . وفي دور النقاهة فكرت في العبارة المقدسة الآتية ـ : (سأخلصك)، فعادت إلي وساوسي الأولى ، واشتد يأسي من الخلاص . ومن أعجب ما رأيت أني لم أُعر ما نالني من العناية الألهية اهتماما ، كأني لم أنقذ من المرض والموت مرات كثيرة . فقلت لنفسي . لقد كثرت لدى النعم ، ولم أفكر في الاعتراف لله بهـا ، فلم أحمده ، ولم أسبحه . فـكيف أنتظر النجاة الـكبرى من هول هذا الموقف؟ فـكانت هذه التخيلات شديدة التأثير في قلبي ، تخفق لها خفقانا كثيرا ،

(١) الأوزّ بكسر الهمزة البط والواحدة اوزّة

فسجدت ، وصليت لله صلاة شكر على ما أولانيه من الشفاء من دائي الذي آلمني وأوجعني .

وفي صباح اليوم الرابع من شهر يوليه تناولت الكتاب المقدس ، وابتدأت أقرؤه بجد ، وقررت تلاوة ماتيسر منه كل صباح ومساء. ولم يمض على بعد هذا الترتيب طويل وقت حتى شعرت بوخز أليم في فؤادي على الشرور والآثام التي ارتكبتها فيما مضى . وتخيلت الكلمات التي سمعتها في رؤياي فشجعتني على المضي في هـذا السبيل ، سبيل التوجه إلى بارئ النسم . وبينما كنت أقرأ ، رأيت آيتين كالآيتين. « إن الله يغفر الذنوب جميعا » « ومن تاب وأصلح فأن الله يتوب عليه » فوضعت الكتاب من يدي ، وتوجهت إلى السماء بقلبي ويدي ، ودعوت الله أن يتوب عليّ ، ويغفر لي ماتقدم من ذنوبي. وكانت هذه أول مرة دعوت فيها الله بصدق واهتمام بعد شعور عميق ، وتقدير للحوادث ، وتأثر بكلمات الله التي تلوتها ، وأحسست أن الله سيستجيب دعائي . وبعد هذا الانقلاب في أفكاري وشعوري ، ابتدأت أرى ماضي المظلم ، وتجسمت أمامي ذنوبي فكانت تشغل قلبي ، وتكدر هنائي ، فدعوت ربي أن يعفو عني ، وأصبحت قانعا بالرضا من النجاة من هذه الجزيرة . فأن الأنسان حين يرى الأشياء على حقيقتها يهمه الخلاص من الشرور والآثام أكثر من الخلاص من مصائب الحدثان .وقد ابتدأت أشعر براحة في نفسي ، واطمئنان لاعلم لي بحقيقته ، وإن كانت حياتي كما هي لم يتناولها أي تغيير ، إلا أن اطراد قراءتي للكتاب ، وصلاتي لله رب العالمين ، جعلني في مأمن من الاضطراب .

ولما عادت إلى صحتي ، عولت على إتمام كل شيء أحتاج إليه حتى تكون

معيشتي هنيئة غير ناقصة. ومن اليوم الرابع إلى الرابع عشر من هذا الشهر ابتدأت أجوب مسافات قليلة حتى تعود إلى قوتي، لأن الحمى أضعفت جسمي، وأضنتني، فقد كان العلاج الذي اتبعته جديدا. ربما لم يشف هذا المرض من قبلي قط. ولا أنصح لأحد باستعماله، لأنه وإن كان قد أذهب عني المرض، فقد أحدث لي ضعفا شديدا، صرت بعده عرضة للانفعالات العصبية مدة من الزمن. وقد علمت بالتجربة أن خروجي من سكني أثناء فصل الأمطار يضر بصحتي ضررا بليغا. وخاصة تلك الأمطار المصحوبة بالزوابع والرياح.

وقد مضى على الآن في هذه الجزيرة عشرة شهور، ولم يكن لي أمل في النجاة، لأني لم أر أثرا لأي إنسان في هذا الجزء من الأرض. ولما اطمأن قلبي لتحصين سكني اتجهت نفسي إلى وجوب كشف باقي الجزيرة التي كنت بها، لأرى حاصلاتها، وأقف على دخيل أمرها وقد ابتدأت في الخامس عشر من شهر يوليه في كشف الجزيرة، ومعرفة حالها، فذهبت في بحثي مبتدئا من الخليج الذي وصلت إليه مع أول رمث أعددته. وبعد سير نحو ميلين وجدت تيار الماء قد انقطع، وأصبح النهر كقناة صغيرة يجري فيها قليل من الماء العذب. ولما كان الوقت فصل جفاف كنت أرى هذا المجرى خاليا من الماء في بعض نقطه. وعلى شاطئ هذا المجرى وجدت كثيرا من الأودية والبطاح المستوية التي كانت مغطاة بالحشائش. وفي نهاية تلك البطاح على المرتفعات وجدت مقدارا كبيرا من التبغ الأخضر الذي نما نموا عظيما. وعثرت على أنواع أخرى كثيرة من النبات لم أميزها، ولم أعرف لها قيمة، وقد عنيت بالبحث

عن نبات يصنع الهنود خبزهم منه يسمى كَسافا (١) ، ولـكنى رجعت بخُفَّىْ حُنَين (٢) . وقد رأيت نباتا يدعى الصَّبِرَ يصنع الهنود منه حبالهم ، ومنسوجاتهم الخشنة ، ولـكنى حين عثورى عليه لم أكن ملما بخواصه. وكان فيما وجـدت من أنواع النبات بعض عيدان من قصب السكر ، ولـكن لحاجته إلى العناية كان قليل النفع .

وقد كنت مرتاحا لنتيجة بحثى . ورجعت مفكرا كيف أصل إلى معرفة خواص تلك النباتات التى وجدتها . وهل تفيدنى ثمار أعثر عليها ، وليس لى علم بحقيقتها ؟ إن معرفتى بالنبات لاتؤهلنى لاستنباط شئ من ذلك . وحين كنت فى البرازيل كنت قليل الملاحظة لأنواع النبات المختلفة ولو عنيت بها من قبل ، لنفعتنى فى هذا البلاء الذى اكتنفنى .

وفى اليوم التالى ـ السادس عشر ـ رجعت للسير فى نفس الطريق الذى سلـكته من قبل ، وما سرت إلا قليلا بعد المسافة التى قطعتها فى اليوم الأول حتى وجدت البطاح قد انتهت ، وابتدأت الأرض تتغطى بالأشجار

---

(١) ويسمى أيضا عرق الشريس (٢) حُنين اسكاف بالحيرة . ورجع بخفى حنين مثل يضرب عند اليأس من الحاجة والرجوع بالخيبة . وأصل المثل أن أعرابيا ساوم حنينا الاسكاف بخفين حتى أغضبه فلما ارتحل الاعرابى أخذ حنين أحد خفيه فطرحه فى الطريق ثم ألقى الآخر فى موضع آخر فلما مر الأعرابى بأحدهما قال ما أشبه هذا بخف حنين ولو كان معه الآخر لأخذته ثم مضى فلما انتهى الى الآخر ندم على تركه الأول وقد كمن له حنين فلما مضى الأعرابى فى طلب الأول عمد حنين الى راحلته وما عليها فذهب بهـا وأقبل الاعرابى وليس معه الا خفان فقيل ماذا جئت به من سفرك فقال جئتكم بخفى حنين فذهب مثلا . ويقال فيه غير ذلك

وتتوارى عن الأعين بما ظهر فوقها . وفى هـذا الجزء رأيت كثيرا من أنواع الثمار والفواكه ، إذ وجدت البطيخ كثيرا فوق الأرض ، والعنب على الأشجار ناضجا شهيا . ولقد سرنى العثور على هذه الفواكه سرورا لايحد ، ولـكنى عولت على تناول العنب بحـذر، لأنى أعلم بالتجربة أن الأكثار منه قد قضى على كثير من الأنجليز فى أمثال تلك الجزيرة، وسبب لهم إصابات شديدة بالحمى . وبعد قليل من التفكير عزمت على تجفيف العنب فى الشمس ، ثم حفظه مجففا للانتفاع به عند الحاجة إليه .

ولم أعد لبيتى فى تلك الليلة ، وهى المرة الأولى التى غبت فيها عنه . ونمت فوق شجرة بعد إعداد العدة لذلك . وفى الصباح استأنفت السير فقطعت أربعة أميال متجها نحو الشمال ، وعند نهاية سيرى وجدت الطريق قد فتح أمامى غربا ، وشاهدت نهرا صغيرا فيه ماء عذب يتجه نحو الشرق . وكانت الأرض مكسوة بالعشب الناضر ، وكل شئ قـد حلى بالخضرة الرائعة حتى خيل إلى أنها حـديقة مفروشة قد تعهدتها يد الأنسان ، وأغدقت عليها الطبيعة بما فيها من جمال .

انحدرت بجانب هذا الوادى الجميل قليلا ، ونظرت إليه نظرة طرب وسرور ـ وإن كانت تلك النظرات مشوبة بشئ من الأسى والحزن ـ لشعورى بأن تلك الأراضى الشاسعة ملك لى دون شريك ولا مزاحم . فأنا ملك تلك الناحية وسيدها ، ولو أمكننى أن أظفر بمثلها فى بلادى لـكنت كأى نبيل من النبلاء الذين نراهم فى إنجلترا سادة عظماء . وهنا

وجدت كثيرا من أشجار الكاكاو ، والنارَجيل[١] ، والبرتقال، والليمون والأُتْرُجّ[٢] ، ولكنها كانت فى حالة غير مرضية، وندر ماحمل منها شيئا من الثمار ، ولكن الليمون الحامض الذى جمعته كان مفيدا صحيا ، وكنت أمزج عصارته بالماء ، وأحصل منهما على شراب ماطف للحرارة ، منعش للقوى . الآن وقد عثرت على هذه الفواكه فقد أصبح من المحتم على أن أجد فى جمع ماصلح منها ، كالليمون والعنب ، لأدخره لوقت حاجتى فى فصل الأمطار . ولتنفيذ هذه الخطة جمعت صُبرتين[٣] ، إحداهما من العنب ، والأخرى من الليمون الحامض والحلو ، ثم أخذت معى قليلا من الصنفين ورجعت إلى بيتى بعد أن غبت عنه ثلاثة أيام، لأحضر حقيبة لحمل ماجمعت فى هذا اليوم ، ولكنى لم أكد أصل إليه حتى وجدت العنب قد عطب ، وأصبح لا يصلح لشىء . أما الليمون فكان على حاله ، غير أنى لم أقدر أن أحمل معى إلا عددا قليلا منه .

وفى اليوم التالى الذى كان التاسع عشر ، رجعت بعد أن تجهزت بحقيبتين صغيرتين لحمل ماقطفت فيهما ، ولكن أخذ منى العجب مأخذه حين رأيت بعد وصولى أن العنب الذى جمعته كان مبعثرا ، مقذوفا به هنا وهنالك ، ومأكولا بعضه . فاستنبطت من كل ذلك أن بالمكان بعض مخلوقات وحشية قد قامت بهذا العمل ، ولكنى لم أعرف كنهها .

---

(١) النارَجيل : ـ الجوز الهندى وهو شجر كالنخل الا أن وجه الجريدة فيه الى أسفل واذا قطع لم يمت . والواحدة نارجيلة ومنه النارجيلة (المسماة بالشيشة) لأنها قد تتخذ منه (٢) شجر بستانى من جنس الليمون ناعم الورق والحطب
(٣) الصُبرة بالضم ماجمع من الطعام بلا كيل ولا وزن

ولما وجدتنى لا أقدر على حمل العنب إلى بيتى فى الحقيبة ، لأن ثقله كان شديدا يكفى لعطبه ، وأن جمعه ، ووضعه بعضه على بعض كان يؤدى إلى النتيجة التى رأيتها اليوم ، قطفت كثيرا من عروش العنب ، ووضعتها فوق أغصان الأشجار ، لتنضج وتجف ، وحملت معى إلى بيتى ماقدرت على حمله . وعند عودتى من هذه السياحة فكرت فى ثمار هذا الوادى وأشجاره ، وحسن موقعه . وأمنه من العواصف ، وقرنته بالسهل حيث أنشأت سكنى ، فوجدتنى اخترت أردأ مكان فى الجزيرة جملته مقراً لى . وابتدأت أفكر فى نقل سكنى ، واختيار محل له يكون آمنا فى تلك البقعة المثمرة . وقد اعتورتنى هذه الفكرة كثيرا ، وتسلطت على لبى لأن جمال الوادى استهوانى حتى ملك علىّ جميع مشاعرى ، ولكنى كنت كلما أمعنت فى التفكير أحجم عن التنفيذ ، لأنى الآن بجانب البحر يمكننى أن أنتفع بما عساه أن يحدث فيه من وجود إنسان ، لأن نحس الطالع الذى دفع بى إلى هذا المكان قد يجر إليه أشقياء آخرين من أبناء آدم . ومع اقتناعى بأن هذا ليس بميسور ، قد كانت فكرة وجودى فى وسط الجزيرة محبوسا بين التلال والأشجار ، تقرر مصيرى إلى النهاية . ولذلك رأيت أن أمتنع عن التحول إلى الداخل ، وأقمت حيث كنت . ولكن غرامى بتلك الرياض النضيرة جعلنى أقيم هناك إلى آخر يوليو . ومع أنى قررت المكث بجوار البحر ، قد أنشأت لى كوخا ، وحصنته بسياج متين رفعته فوق ما تصل إليه يد الأنسان . وهناك كنت آمنا أقضى اليومين والثلاثة . وكان السلم سبيل الولوج والخروج من هذا الكوخ ، كما وصفت فيما مضى . وانتهى العمل من ذلك فى أول أغسطس .

ولكني لم أكد أجني ثمرات كدي حتى ابتدأ هطل الأمطار، فاضطررت أن ألزم سكني الأول، لأن سكني الجديد ـ وإن كان محكم الصنع ـ فهو خال من التلال التي تقيه شر العواصف، ومن الكهف الذي يمكن الالتجاء إليه عند اشتداد وطأة الأمطار.

وفي اليوم الثالث من شهر أغسطس ألفيت العنب الذي علقته على غصون الأشجار قد جف وغدا زبيبا من أحلى الأنواع وأطيبها. ولذلك جمعته خوفا من تلفه إذا تساقطت الأمطار، وقد كان هذا العنب المجفف أحسن غذاء لي مدة الشتاء، وكان ما جمعته منه يزيد على مائتي عنقود من العناقيد الكبيرة. وما كدت أجمع هذه العناقيد، وأحملها إلى سكني حتى اغبر الجو، واكفهرت السماء، وتساقطت السحب أمطاراً كثيرة في المدة المحصورة بين الرابع عشر من شهر أغسطس ومنتصف اكتوبر، فلم أتمكن خلالها من الخروج. ولقد دهشت لأمر سأقص عليك نبأه: ذلك أني بعد وصولي إلى هذه الجزيرة فقدت هرة كانت معي، فظننت أنها هربت، أو عدا عليها عاد فقتلها، فلم أقف لها على أثر. وبينا أنا جالس ذات يوم إذ رأيتها مقبلة مع هُرَيْرات لها صغيرة. فأنَّى لها بها؟ مع أن الهرتين اللتين أنقذتهما معي كانتا من الأناث، ولم أعثر في الجزيرة على مثل هذا النوع. حقا إن هذا لعجيب. وقد كثر بعد ذلك نسلهن، فاضطررت لقتلهن. وقد كان المطر مستمراً من ١٤ أغسطس إلى ٢٦ منه، ولذلك لم أتمكن من الخروج، لأني كنت أحذر المطر خشية المرض. وابتدأت أشعر بضيق في العيش، فخرجت من كني مرتين اصطدت في الأولى عنزا وفي الثانية سلحفاة.

واليك نظامى فى ترتيب طعامى

الفَطور [١] : عنقود من العنب المجفف (الزبيب)

الكَرْزَمَة : [٢] قطعة من شِواء [٣] المعز أو السلاحف

العَشاء [٤] : بيضتان أو ثلاث من بيض السلاحف

وفى أثناء اعتكافى فى الكهف خشية المطر ، اشتغلت كل يوم نحو ثلاث ساعات فى توسيعه ، واتجهت فى الحفر جهة واحدة حتى وصلت إلى نهاية التل . وعلى ذلك حصلت على باب أو طريق لسكنى اتخذته ممرا لى عند الدخول إليه والخروج منه . ولكنى بعد أن كنت فى حرز حريز قبل هذا الممر ، أصبحت معرضا لأى طارئ من هذه الثغرة التى ثغرتها ، وإن كنت لم أر فى الجزيرة أى حيوان يخاف ، لأن أكبر مخلوق عثرت عليه بها كان عنزا . وكان الثلاثون من شهر سبتمبر نهاية السنة من ابتداء وصولى إلى الجزيرة ، لأنى عددت العلامات التى حفرتها كل يوم فوجدتها خمسا وستين وثلثمائة . فأحدث لى هذا اليوم ذكرى مؤلمة ، ونبهنى إلى الشقاء الذى سبحت فيه طول إقامتى وحيدا فى هذا الجزء الموحش . وصمت هذا اليوم كله ، وأقررت فيه بذنوبى ، ورضيت بما قسم لى من قضاء وقدر ، وصليت فيه لله تعالى وتضرعت إليه أن يرحمنى : ولما غابت الشمس تاقت نفسى إلى تعاطى شىء من الطعام ، فأكلت قليلا منه بعد

(١) الفَطور : مايفطر به وهو يناسب الغَداء أى طعام الغداة (أول النهار)

(٢) الكرزمة طعام وسط النهار (٣) الشِّواء : ماشُوِى من اللحم وغيره أى ما عرِّض لحرارة النار فنضج وصلح للأكل والواحدة منه شواءة

(٤) العشاء : طعام العشى أى آخر النهار

إمساكي عنه اثنتي عشرة ساعة ، ثم ذهبت إلى فراشي . وهكذا انتهى اليوم كما ابتدأ .

وإني لم أميز الأيام بعضها عن بعض ، فلم أعرف الآحاد من غيرها ، لأن العقيدة الدينية كانت لا تأثير لها في . ولما حسبت الأيام التي مكثتها هناك ، ووجدتها سنة كاملة ، قسمتها إلى أسابيع . وكنت أعد اليوم السابع منها يوما مقدسا ، على أني بعد عملية التقسيم وجدتني غلطت في يومين . وبعد قليل ابتدأ ما عندي من الحبر في النقصان ، فاضطررت إلى إهمال كثير من التفصيلات ، واقتصرت على تدوين عظائم الحوادث . وبعد أن قضيت تلك المدة في الجزيرة عرفت فصلي الجفاف والأمطار جيدا ، وابتدأت أعد لكل العدة ، وأحسب لكل حسابه ، وأزود نفسي بما يقتضيه كل منهما ، ولكني لم أحصل على هذه التجارب إلا بثمن غال . ولعلك تذكر أني حافظت على سنابل الشعير والأرز التي ظننتها نبتت هناك وحدها ، وكانت نحو ثلاثين من الأرز وعشرين من الشعير ، وقد فكرت في زرعها بعد انتهاء فصل الأمطار . ولتنفيذ هذه الفكرة أخذت قطعة من الأرض للزرع ، وهيأتها ، ثم قسمتها قسمين ، وزرعت كل صنف في مكان خاص به . وبينما كنت مشتغلا بالزرع ، فكرت أن أستبقي بعض الحبوب ، خشية أن أكون أخطأت الوقت الصالح لبذر البذور ، فاستبقيت الثلث من كل صنف . وإني أحمد الله على توفيقي لهذه الفكرة ، لأن الحبوب بعد بذرها لم تنبت . وعلمت بعد سبب ذلك ، وهو أن فصل الجفاف كان خلوا من الأمطار ، فكانت الأرض جافة يابسة ، ولم تجد الحبوب رطوبة تكفي لإنباتها ، فبقيت في الأرض كما وضعتها ، فلما جاء

المطر ظهر النبات. ولما شاهدت البذور الأولى لم تنبت لجفاف الأرض، وإقفارها، بحثت عن مكان رطب لأجرب مرة أخرى، فعثرت على بقعة طيبة قريبة من الكوخ الذى أنشأته أخيراً داخل الجزيرة، وأعددتها للزرع، وبذرت فيها البذور فى شهر فبراير، قبل الاعتدال الربيعى بقليل، فاستقبلت الأرض فصل الأمطار، التى تتساقط فى شهرى مارس وإبريل فرويت، وأنبتت نباتا حسنا يسر الناظرين. ولما كنت احتفظت بشىء من الحبوب، ولم أبذرها جميعها. كانت غلة أرضى قليلة من كلا النوعين، وكانت هذه التجارب خير أستاذ لى، فقد علمت منها الأوقات الصالحة للزرع، وأن فى الامكان أن أزرع وأحصد مرتين كل سنة

وبينما كان الزرع ينمو قمت بقليل من التجوال فى الجزيرة، لأكشف منها شيئا. ولكنى، لم أجن من ذلك ثمرة ما، وقد ذهبت إلى الكوخ الداخلى بعد انتهاء الأمطار فى شهر نوفمبر، فوجدت كل شىء كما تركته. وقد لفت نظرى سياج كوخى، فقد كنت أقمته من أوتاد قطعتها من بعض الأشجار المجاورة. ولما عدت رأيتها قد نمت نموا عظيما فشذبتها، واجتهدت فى أن تتناسب فى النمو بعضها مع بعض، فكونت بعد ثلاث سنين شكلا بديعا من الأشجار المنسقة، التى تستلفت النظر بحسن ترتيبها. وقد تلاقت أطرافها فظللت الكوخ، وجعلته بمأمن من حرارة الشمس فى فصل الجفاف

وكان نجاحى فى هذه الأشجار سببا فى قطع بعض الأغصان، وحملها إلى منزلى الأول، فغرست حوله صنفين منها فى شكل نصف دائرة، بينها وبين السياج الأول ثمانى خطوات. وقد نمت نموا كبيرا حتى

غطت سكنى ، ثم آل أمرها إلى أن أصبحت مفيدة للدفاع كما سأقصه عليك فى حينه .

الفصل الحادى عشر

(طواف روبنسن كروسو فى الجزيرة وعمله السلات)

بعد هذا كله أمكننى أن أعرف فصول السنة وأقسامها ، ولكنى لم أقسمها كما يقسم الأوروبيون سنتهم إلى صيف وشتاء ، بل إلى الأقسام التالية .

نصف فبراير
مارس } فصل أمطار ، لأن الشمس فيه تكون فى الاعتدال أو قريبة منه
« إبريل

نصف إبريل
مايو
يونيه } فصل جفاف ، لأن الشمس تكون حينئذ شمالى خط الاستواء
يوليه
« أغسطس

« أغسطس
سبتمبر } فصل أمطار ، لأن الشمس تكون قد رجعت
« أكتوبر

نصف أكتوبر		
نوفمبر		
ديسمبر		فصل جفاف، لأن الشمس تكون حينئذ جنوبى الخط
يناير		
« فبراير		

وكانت فصول الأمطار تزداد مدتها وتنقص ، تبعا لهبوب الرياح ولكن التقسيم السابق بنى على ملاحظات عامة لجميع الأوقات ، وقد علمت بالتجربة أن خروجى من كنى أثناء فصل الأمطار ضار بصحتى، فاجتهدت أن أجمع ما أحتاج إليه أثناء الجفاف ، ثم أقبع فى كسر [1] بيتى مدة المطر ، لأحفظ جسمى من التلف بالحوادث والعلل

وفى مدة الاعتكاف داخل المنزل اهتديت إلى عمل مفيد ، فقد كنت دائما فى احتياج شديد لأشياء كثيرة ، ولكن فقدان الوسائل كان يقعدنى عن مباشرة عملها . وقد اجتهدت كثيرا فى صنع سلة ، ولكن الأغصان التى كنت أجمعها كانت غير صالحة لهذه الغاية لصلابتها . وقد تعلمت صنع السلات من دكان فى المدينة التى كان أبى يسكنها، فأنى اعتدت أن أذهب إليه ، لأرى العمال وهم دائبون فى العمل . فكنت ألاحظهم بعناية ، وأرمقهم بكل انتباه ، وطورا كنت أساعدهم إذا دعيت لبذل

---

(١) الكسر بفتح الكاف وكسرها جانب البيت ، والشقة السفلى من الخباء ، والناحية .

المساعدة . فتعلمت تلك الصنعة ، وأصبحت الآن قادرا على الاستفادة منها إذا تهيأت لى الأسباب. ولقد خطر ببالى أن أجرب تكوين سلة من أغصان الأشجار التى غرستها حول منزلى ، فأنها ربما أفادت كأغصان الصفصاف التى تستخدم فى بلادنا لهذا الغرض عينه .

ولتنفيذ هذا الخاطر ذهبت إلى منزلى الثانى ، وقطعت غصونا لينة وجدتها تصلح لهذا الأمر. ولما عدت ثانية إليها أحضرت معى قدوما قطعت بها كثيرا من الغصون ، ووضعتها داخل سياجى لتجف . ولما أصبحت معدة للاستعمال حملتها إلى الكهف، واشتغلت فيها طول فصل الأمطار ، فصنعت منها كثيرا من السلّات التى أفادتنى فى حمل الأتربة وغيرها، وصيانة الأشياء فيها. وكنت دائما أحرص أن أكون مزودا ولو بواحدة منها، وقد صنعت سلات كبيرة لأحفظ فيها الحبوب بدل الحقائب . ولما انتهيت من التغلب على هذه الصعوبة ابتدأت أحتال لأمرين كنت فى أشد الحاجة إليهما، أولهما الأوانى التى يمكن استعمالها لأغراض الطبخ، والثانى البِيب الذى لم أهتد إلى طريقة صنعه ، ولكنى فى النهاية وجدت سبيلا لذلك أيضا .

وربما تتذكر أنى أشرت من قبل إلى امتلاء نفسى بفكرة كشف ما بقى من الجزيرة ، واستجلاء ما غمض منها ، وإنى لتنفيذ ذلك أخذت العدة لمباشرة العمل ، فحملت معى بندقة وقدوما ، واستصحبت كلبى ، وأكثرت من البارود ، والقذائف النارية ، وحملت بعضا من العنب ، وابتدأت سياحتى . ولما وصلت إلى كوخى الداخلى تابعت السير فرأيت البحر نحو الغرب . ولما كان النهار صافى الأديم أبصرت أرضا لم أدر أقارة هى أم جزيرة ؟ وقد كانت غاية فى الارتفاع والعلو ، ممتدة نحو الغرب

المائل إلى الجنوب الغربى . وكانت منى على مسافة عظيمة لا تقل فى حدسى عن خمسة عشر أو عشرين فرسخا .

وكنت عاجزا عن معرفة حقيقة تلك الأرض ، بيد أنه دار بخلدى أنها قد تكون أمريكا . وبعد شدة الملاحظة والبحث ، حكمت بأنها قريبة من الأملاك الأسبانية ، وقد تكون ملأى بالمتوحشين الذين لو نزلت بينهم لكانت حالى أسوأ مما أنا فيه . ولهذا رضيت بما قسم لى ، واعتقدت أن الله دبر الأمور بلطفه .

وبعد قليل من التأمل استنبطت أن هذه الأرض إن كانت إسبانية لا بد أن أرى يوما ما سفينة تمر في هذه الأرجاء . وإن لم تكن إسبانية فهى لا بد أرض المتوحشين التى بين أملاك الأسبانيين والبرازيل ، وهى أبغض أرض تحوى ذلك العنصر الذى يأكل لحم أخيه . فهم يقتلون ويأكلون كل إنسان تصل أيديهم إليه .

وبهذه الأفكار سرت متباطئا إلى الأمام ، فوجدت هذه الجهة من الجزيرة أجمل من تلك التى أقطن فيها ، إذ كانت المروج الخضراء قد أغدقت عليها الطبيعة من جمالها وحسنها ، ما جعلها قرة للعين ، وبهجة للنفوس ، فكانت أزهارها رائعة وكلؤها أخضر غضا تتلاعب به الرياح ، وأجماتها سارة بديعة . وقد شاهدت كثيرا من الببغاوات ، وملت لاقتناص أحدها إذا أمكن ، لأروضه حتى يصير أليفا ، وأعلمه الحديث ليكلمنى .

وبعد عناء أمسكت بواحد صغير بعد أن وكزته بعصا ، وأحضرته إلى منزلى ، وقد مرت سنون قبل أن أجعله يؤنسنى بكلامه ، ولكنى فى النهاية علمته فكان ينادينى باسمى .



وبعد عناء أمسكت بواحد صغير بعد أن وكزته بعصا

وقد وجدت أثناء هذه السياحة فى الوهاد والأودية أرانب وثعالب، ولكنها كانت تخالف كل المخالفة جميع الأصناف التى أعرفها . ولذلك لم أقدم على أكلها مع قتلى لكثير منها ، لأنى لم أكن فى احتياج لها حتى أخاطر بنفسى ، فقد كان طعامى كثيرا شهيا ، وخاصة هذه الثلاثة الضأن والحمام والسلاحف ، مضافا إليها ما كان معى من العنب .

ولم أقطع فى هذه السياحة أكثر من ميلين فى كل مرحلة خلال أى يوم من الأيام ، لأنى كنت أدخل إلى الطرق المتشعبة ، وأبحث فيها على أصل إلى شئ جديد يكون ذا بال ، وكنت عند تقاص النهار ، وهجوم الليل إذ يجن الظلام ، أختار لى مكانا يصلح لقضاء الليل فيه ، فكنت طورا أنام على شجرة ، وطورا أنام فى الوادى بعد أن أهيئ لى مضجعا أحوطه بأوتاد لآمن من شر العوادى . وأستيقظ من نومى إذا حاول وحش اجتياز مرقدى .

ولما بلغت الشاطئ دهشت لاختيارى لأقامتى أسوأ جانب فى الجزيرة ، فقد وجدت هذا الشاطئ ملآن بالسلاحف ، على حين أنى لم أجد فى ناحيتى خلال سنة ونصف غير ثلاث . وكذلك وجدت أنواعا شتى من الطيور ، عرفت اسم بعضها ، أما البعض الآخر فكنت به غير خبير

وقد كان فى قدرتى أن أصيد منها بقدر ما أريد ، ولكنى آثرت أن أبقى على البارود والقذائف التى كانت معى ، وحولت نظرى إلى اقتناص ماعز من المعز التى كانت كثيرة هنا ، بيد أنى وجدت صعوبة كبيرة فى اقترابى منها ، لأنها كانت نافرة . وكانت سهولة الأرض تمكنها من رؤيتى قبل أن أستعد لمفاجأتها . ولا أخفى عليك أن الجزيرة فى هذه الجهة

كانت أجمل ، ولـكنى لم أفكر قط فى التحول إليها ، وترك منزلى ، لأنى اعتدت السكنى به ، وأحسست ميلا كان يجذبنى إليه عند غيابى عنه فى أى رحلة من الرحلات التى قمت بها . وقد أوغلت فى هذه السياحة على شاطىء البحر حتى قطعت اثنى عشر ميلا وأنا مُوَلّ وجهى شطر الشرق ، ثم نصبت عمودا على الشاطىء ، ليكون علامة لى أهتدى بها ، وعولت على أن تكون رحلتى التالية فى الجانب الآخر من الجزيرة ، شرقى المنزل الذى كنت أسكنه ، وأستمر فيها حتى أعود إلى تلك العلامة التى أشرت إليها . ولما هممت بالعودة عزمت أن أعود من طريق أخرى ، موقنا أنى لن أضل السبيل ، لأن الجزيرة كما ظننت كانت سهلة الرؤية ، فأهتدى بلا كبير عناء ، ولـكنى كنت واهما فى ذلك الزعم ، لأنى بعد مسير نحو ثلاثة أميال ، وجـدت نفسى فى واد متسع تكتنفه التلال المغطاة بالأشجار ، فـكنت غير قادر على رؤية طريق لى . ولم أكن لأهتدى بشىء قط غير الشمس ، على أنى كنت فى أشد احتياج لمعرفة اتجاهها ، وموقعها بالنسبة للوقت الذى كنت فيه من اليوم . وبغير ذلك لم يكن من المستطاع الاهتداء فى تلك المجاهل المضلّة ، على أن سوء جدى لم يشأ مفارقتى حتى فى مثل هذه الأحوال ، فقد كان الجو ملبدا بالسحب ، ثقيلا تحملُه ، فتوارت الشمس بالحجاب ، وأصبحت عاجزا عن رؤيتها ، والانتفاع بها ، فهمت على وجهى ، حائدا عن قصدى أربعة أيام ، اضطررت فى نهايتها إلى تلمس الطريق فى جانب البحر ، والبحث عن العلامة التى نصبتها لهدايتى ، ثم رجعت إلى منزلى فى نفس الطريق التى سلكتها أولا . وكانت أوبتى هذه

فى جو اشتد هجيره [١] ، وعلت حَمَارَّة [٢] قيظه [٣] ، وكانت أحمالى ضغثا على إبّالة

الفصل الثانى عشر

رجوع روبنسن كروسو إلى منزله

ونجاحه فى أمر الزراعة

وبينما كنت سائرا فى هذه السياحة ، انقض كلبى على جدى ، وأمسك به ، فأسرعت إليه ، وأنقذته قبل أن يصرعه . وكنت كثيرا أفكر فى أن أروض بعض المعز حتى يصبح أنيسا يتناسل عندى ، ويكون نتاجه تحت أمرتى ، أنتفع به دون بذل ذخيرة من البارود الذى كنت أخشى عليه من النفاد ، ولذلك صنعت له طوقا ألبسته عنقه ثم قدته بمقود [٤] كان معى إلى كوخى الداخلى ، وتركته داخل السياج ، وذهبت إلى مسكنى الأول ، لأنى كنت شغفا برؤيتى إياه بعد غيبتى عنه أكثر من شهر . وإن فرحى بعودتى إليه لا يحيط به وصف ، فأن نومى فى سريرى فى ذلك المكان الذى أعددته بجدى وكدى ، واطمئنانى إليه ، وراحتى فيه ، لا تقدر بوصف ،

---

(١) الهجير كأمير نصف النهار فى القيظ خاصة عند زوال الشمس مع الظهر أو من زوالها الى العصر . وسمى بذلك لأن الناس يسكنون فى بيوتهم كأنهم قد تهاجروا

(٢) بتشديد الراء شدة الحر وجمعه حمارّ

(٣) يطلق على شدة الحر وعلى صميم الصيف

(٤) المقود مايقاد به من حبل ونحوه وجمعه مقاود

ولا تبين بتصوير ، لأن هـذه السياحة التى كنت فيها مجردا من وسائل الراحة ، قد حببت إلىّ حالى ، وعزتنى عن كثير مما كنت أشكو منه ، وحقا يقال بضدها تتميز الأشياء . فلا الصحيح يعرف للصحة قيمة إلا بعد المرض ، ولا الغنى يقدر غناه حق قدره إلا بعد الفقر . ولهذا قررت ألا أترك منزلى وأذهب بعيـداً ماقدر لى البقاء بهذه الجزيرة ، لأن كل شىء كان فيه مرتبا غاية فى النظام ، وحسن العناية . وكنت أشعر فيه براحة تدخل على قلبى الحزين المضطرب شيئا من الهدوء والسكون . وقد مكثت أسبوعا لا أغادر سكنى هذا طالبا للراحة بعد طول العناء . واشتغلت فيه بعمل قفص للببغاء الذى ابتدأ يستأنس ، ويعرفنى . وفى نهاية هـذه المدة فكرت فى الجدى الذى تركته وحيداً ، فعولت على الذهاب إليه ، وإحضاره ، وإمداده بالعلف . وقد وجدته مكانه يكاد يموت جوعا ، فجمعت له بعض الأغصان ، ووضعتها أمامه فأكل حتى امتلأ ، ثم قدته بعد ذلك معى ، ولـكنه لم يكن فى حاجة إلى القيادة ، لأن جوعه هذب من جماحه حتى كاد يتبعنى كظلى بلا عناء . ولما كنت أكثر من إعطائه الطعام ، والتقرب منه ، صار هذا المخلوق العجيب يأنس بى ويحبنى حبا جما ، حتى لم يعد يختلجنى أقل خوف من هربه ،

الآن حل الخريف ، وجاء المطر ، وقد كان هذا اليوم آخر يوم من شهر سبتمبر ، وهو يوم وصولى إلى الجزيرة ، فجعلته عيـداً سنويا لى ، واحتفلت به كما فعلت أولا ، لأنى لبثت هناك عامين لم أكن فى نهايتهما أكثر أملا فى النجاة منى يوم وصولى . وكنت طول اليوم أعبد الله ، وأشكره على ما أنعم علىّ به من النعم التى لولاها لـكنت أشقى مما أنا فيه وأتعس .

ولقد أحسست الثقة بالله والتوكل عليه، لأنه تعالى أمدنى بروح من عنده لتحمل صروف الدهر وغيره . وقد تغيرت الحال ، وصرت أحس الآن شيئا من السعادة والهناء ، وإن كنت لا أغبط على عيش يكتنفه الشقاء من كل فج . وأسفت جد الأسف على سالف أيامى التى عشتها من قبل ، حين كنت شقيا لعينا، مطرودا من رحمة الله ومن نعمة الإيمان .

وقد تغير الآن حالى ، فلقد كنت أسير أولا للقنص ، أو كشف الجزيرة ، فتعتورنى نوب شديدة من الأسى والألم ، فأفكر فيما أنا مكتنف به من الجبال والغابات والصحراوات ، وأنى منقطع القرين ، محبوس بين هاتيك السجون فى أرض الوحشة ، ولا أمل فى النجاة ، فيفاجئنى الهلع والجزع ، بعد الهدوء والسكينة ، وتعصف بى الهواجس ، فأقرع سن الندم ، ثم أخر مغشيا علىّ ، وأنا أبكى بكاء دونه بكاء الخنساء[1] وأنتحب انتحابا دونه انتحاب يعقوب إذ استسلم للبكاء . وأحيانا تستولى على قلبى الأحزان ، فأكف عن العمل ، وأتنفس الصعداء ، وأطيل إلى الثرى نظراتى ساعة أو ساعتين ، دون أن أبدى حراكا . وهذا كان أشق على من البكاء ، لأن بكائى ينفس عنى بعض ما أجد ثم ينتهى أمره . أما هذا فكان يطول زمنه ، ويصعب وقعه ، وتتألم أعصابى لشدته . ثم أصبحت وقد ابتدأت أعتنق مذهبا جديدا ، وأرى رأيا كنت عنه فى ضلال مبين ، فقد كنت أقرأ كل يوم آيات الله وأتلوها ، فيطمئن قلبى ، ويثلج[2] صدرى

(١) شاعرة من أشهر شواعر العرب وقد أكثرت من المراثى والبكاء لكثرة من فقدت (٢) بفتح اللام وضمها يشفى ويسر

وقمت غداة يوم إلى كتاب الله ، ففتحت ، ما بين دفتيه ، فوجدت معنى هـذه الكلمات « وهو معكم أينما كنتم » فألقى فى رُوعى[1] أنى المعنيّ بها ، وأنها إياى تقصد ، وإلا فلماذا وجدت هنا ؟ وهل يمكن أن يخاطب بها من هو فى حال أسوأ من حالى ، بعيدا عن الأنس ، مطرودا من رحمة الله ؟ إذن لا خوف عليّ فالعواقب مأمونة ، إذا لم يتركنى الله ، وإن تركنى الناس

وإذا العناية لاحظتك عيونها نم فالمخاوف كلهن أمان
واصطد بها العنقاء[2] فهى حبائل[3] واقتد بها الجوزاء[4] فهى عِنان[5]

ومن هذا ابتدأت أشعر بأنى فى سعادة قد أفقدها فى مكان آخر ، فازددت لله شكرا على توفيقه لى ، ووصولى إلى هـذه الدار ، ولكنى عند تمحيصى الأشياء ، والتعمق فى البحث عنها ، كنت أجفل من موقفى وأتهم نفسى بالمراءاة والنفاق ، ولكنى لا أجرؤ فى الوقت نفسه على التلفظ بالكلمات الآتية « كيف تكون من النفاق بالمنزلة التى أرى ، إذ أجدك تشكر الله على حال ، وأنت تضرع إليه بكل جوارحك أن ينقذك منها »

تلك كانت حقيقتى ، ولكنى إن لم أكن حمدت الله على وجودى هنا ، فقد شكرت له على أن هدانى للأيمان ، فأصبحت مهديا بعد الضلالة مُنْعَمًا على بعد الغواية ، نادما على ذنوبى آثامى التى أسلفت فى غابر

---

(١) روعى أى قلبى (٢) العنقاء طائر معروف الاسم مجهول الجسم (٣) الحبائل جمع حِبالة ــ وهى المصيدة (٤) برج فى السماء (٥) العِنان سير اللجام الذى تمسك به الدابة

الحقب . ولم أر كتاب الله المقدس ، إلا شكرت لصديقى الذى خلفته بأنجلترا ، لأنه وضعه مع أمتعتى بدون أمر منى ، وحمدت الله إذ وفقنى لأنقاذه من السفينة حين غرقها .

وعلى هذه الحال ابتدأت سنتى الثالثة . وليعلم القارئ أنى لم أعطه كل التفصيلات لأعمالى التى قمت بها خلال هذه السنة الماضية ، لأن بعضها لاتلذ له قراءته ، وليتأكد أنى لم أكن كسلا ، أو مقصرا فى شئ من نهجى الذى رسمته لنفسى لأتبعه كل يوم ، فقد كان وقتى مرتبا ترتيبا دقيقا بحسب ما يأتى .

« أولا » — أقوم للخالق بما يجب من الصلاة ، ثم أقرأ جزءا من كتابه المقدس ، وكان ذلك ثلاث مرات كل يوم

« ثانيا » — أخرج إلى القنص فى الصباح متأبطا سبطانتى ، وكان ذلك يستغرق ثلاث ساعات

« ثالثا » — أرتب المسكن ، وأنظم أثاثه وأطهى الطعام الذى حصلت عليه

ذلك النهج كان قانونا عندى واجب التنفيذ . ولا يغيبن عن ذهنك أن وقت الهجير كان شديدا ، وحمارّة القيظ تذيب دماغ الضب ، فكان الخروج من سكنى أثناء ذلك غير مرغوب فيه . ولذلك كانت ساعات العمل فى المساء لاتتجاوز أربعا . وكنت أحيانا أنسئ القنص إلى المساء ، وأقوم صباحا بشئون المنزل وتدبيره . وإنى أدع صعوبة العمل وبطأه إلى تقدير القارئ فان احتياجى إلى الآلات والمساعدة ، كان يستنفد منى وقتا طويلا . ولتتبين هذه الحقيقة أضرب لك مثلا ، لوح الخشب الذى

صنعته رَفْرَفا أضع عليه طرائفي ، فقد مكثت اثنين وأربعين يوما في تهيئته . على أن رجلين بأدواتهما يقدران على إعداد ستة ألواح في نصف يوم من الشجرة نفسها ، فقد كنت أقطع الشجرة العظيمة ، ثم أشذبها ، وأبتدئ في جانب منها فأعده ، ثم أعود إلى الجانب المقابل فأعمل به مثل ما عملت بالأول ، حتى تصبح كثافته (١) موافقة ، ثم أبتدئ في جعل ذلك اللوح الخشن الملمس ناعما . وتلك أعمال لا يمكن التغلب عليها إلا بالكد والصبر وطول الزمن . وبتمسكي بتلك الخلال قدرت على صنع أشياء كثيرة كنت أراها لازمة . وإني الآن في وقت انتظار ما تنتج الأرض ، مما غرسته يداي من الشعير والأرز ، إذ كنت في شهر نوفبر . ولعل القارىء يذكر أن الأرض التي زرعتها لم تكن كبيرة ، لأني كنت حذراً أن يذهب تعبي سدى إذا أنكرت الأرض البذور . ولم أكد أسر بحسن النبات حتى رأيت خطراً يتهددني في زرعي ، وذلك أن المعز والأرانب وجدت مرعى خصيبا لأن سُوق (٢) النبات كانت حلوة المذاق فراقها طعمها . وحينئذ وقعت في حيرة من أمري ، لأني إن تركتها ذهب كل أملي في حاصلات أرضي . فابتدأت أبتكر لي حيلة أبعد بها تلك الحيوانات ، فلم أجد غير ما سأقصه عليك . وذلك أن أعمل سياجا حول النبات من أوتاد ترد عاديات الشر عنه . وقد فعلت ذلك في وقت لا يقل عن ثلاثة أسابيع . وكنت ليلا آتي بكلبي ، وأربطه بجانب الباب ، فكان ينبح طول الليل ، فتنفر الحيوانات . واصطدت قليلا منها ببندقي فهابت التردد ، وبذلك أمنت شرها ، ونما الزرع نموا حسنا ، ولكني ما فرغت من شيء إلا وقعت فيما هو شر منه ، فلم آمن شر

---

(١) كثف كثافة غلظ (٢) السُّوق جمع ساق وهي جذع النبات

تلك الوحوش التي هددتني بالقضاء على رزقي ، حين كان النبات خَضِرا لم ينضج ، حتى وجدت الطيور ستأ كله حين تم نضجه ، وتكاملت سنابله ، فقد ذهبت يوما لأرى ماهنالك ، فوجدت حقلي محوطا بأنواع شتى من طيور لا علم لي بحقيقتها ، وكانت تنظر إليّ ، وترقبني حتى أعود كما أتيت ، فتنقض على الثمار فتهلكها . فألقيت بنفسي على الأرض واستويت فوقها ، وأخذت بندقي بيدي ، فما كدت أطلقها حتى تغطى الجو بسحابة كثيفة من الطيور التي كانت في ثنايا النبات ، ثم ولت هاربة لا تلوى على شيء حين سماعها صوت القذيفة . وقد كان حزني على ذلك عظيما ، لأني تثبت أن الحال إن دامت على ذلك قليلا فسأفقد كل أمل لي ، وسأموت جوعا حيث لا أقدر على الأنبات ثانية . وكنت في حيرة من أمري ، ولم أدر ماذا أصنع ، غير أني عولت على الدفاع عن حقي بقدر طاقتي ، ولو اقتضى الأمر سهري بجانبه ليلا ، وقيامي عليه نهارا . وقد ترددت خلاله ، لأرى ما حل به ، فوجدت الضرر عظيما ، ولكن إذا أمكن حفظ الباقي فسأحصل منه على مقدار غير قليل . ولما ابتدأت في الخروج من الحقل ، نظرت فوجدت عيون الطير تحدق إلي ، كأنها تريد أن أغادر المكان ، حتى ترى رأيها في حاصلاتي . يالله من هذه اللصوص التي تريد أن تسلبني حياتي ، ولا طاقة لي بعقابها ، حتى تكف الأذى عني . وما كدت أغادر المكان ، وأغيب عن نظرها حتى حلقت في الجو ، وانقضت على الحقل الواحدة تلو الأخرى ، حتى كدت أطيش من شدة الهول ، ولم تتحمل نفسي رؤية ذلك فسددت نحوها بندقي ، فطارت تلك اللصوص جزعة جادة في طيرها ، ولكني جدّلت منها ثلاثا هوت على الأرض ، فحمدت غِبّ رأيي ، وعاملتها

كما يعامل المجرمون الآثمون ، فعلقتها فى حبال لأخيف بها الأخرى ، فتوجل فلا تعود . وقد أتى عملى بالثمرة المرجوّة إذ لم تعد تلك الطيور ثانية ، وغادرت ذلك الجزء من الجزيرة ولم أرها مادام هذا النُّطَار [1]. وقد امتلأ قلبى سرورا لذلك . وعند نهاية ديسمبر الذى كان وقت الحصاد الثانى من السنة ، حصدت غلتى ، وكنت فى حاجة الى مِنْجَل أحصد به . وقد فكرت فى صنعه من سيف أو سكين مما أنقذته من السفينة ، ولكن غلتى هذه المرة كانت قليلة فلم أكن شديد الحاجة إلى المناجل . ولذلك قطفت السنابل بيدى ، وتركت السيقان فى الأرض ، وحملت السنابل فى سلة كبيرة ، ثم فصلت منها الحبوب بيدى ، فوجدت الأرز والشعير نحو ستة وثلاثين قدحا . ولم يكن عندى مكيال أكيل به ، بل كان هذا التقدير مبنيا على الحدس والتخمين . ولكنى على قلة ماحصلت عليه ، حمدت الله الذى وهب لى من الوسائل ماسأحصل منه على عيشى .

الآن وقد جمعت الحبوب فأنى لا أدرى كيف أنظفها وأطحنها حتى تصير دقيقا ؟ وكيف أعجنها وأخبزها حتى تكون خبزا ؟ وجدت صعوبة فى كل ذلك ، فصحت عزيمتى على عدم التفريط فى الحبوب هذه المرة حتى أزرعها وأحصل منها على مقدار أوفى . وحينئذ يحق لى أن آكل بعضها ، وأحفظ جزءا للزرعة الآتية . وإنى الآن يمكننى أن أعتبر نفسى ممن يعملون بنظام ، وينتظرون عاقبة عملهم للتمتع بثمراته الطيبة

حقا قمت بتلك الأعمال التى رأيتها موصلة إلى غاية تفيدنى ، وتحفظ علىّ حياتى . وإن كانت شديدة الوقع فى نفسى ، سيئة التأثير فى

(١) النُّطَار والناطور والناطر الخيال المنصوب بين الزرع

جسمى . نعم علمت أنها شاقة ، ولكن أنّى لى بغيرها ؟ فقد كنت بلا محراث أَفْلَحُ (١) به الأرض ، وبلا فأس لأحفر بها وأعزق (٢) ، ولكن بحيلتى استبدلت بالفأس معولا من الخشب ، وإن كان يقتضى قوة أعظم . ولما زرعت الحبوب لم أجد مِسحاة (٣) أسوى بها الأرض ، فاضطررت أن أستعيض بها قطعة ثقيلة من الخشب ، كنت أدحرجها على سطح الأرض حتى تجعل عاليها سافلها .

وقبل أن يبلغ النبات أشده ، فكرت فى أشياء كثيرة لأحفظه بها من التلف ، وأحصده بها حين يأتى زمن الحصاد ، ثم أعزل منه الحبوب وأحملها إلى مخزنها ، ثم فكرت أيضا فى طاحونة لطحنه ، وغرابيل ومناخل لنخله ، ثم فى الخميرة والملح لعجنه ، وتحويله إلى خبز صالح للتغذية ، ثم أتون لخبزه . وسترى بعد أنى استغنيت عن ذلك كله ، وأجهدت نفسى خلال الستة الشهور التالية فى تدبير الأدوات الضرورية التى كانت لازمة لتمتعى بالحبوب بعد حصولى عليها

الفصل الثالث عشر

صنع روبنسن كروسو الخزف

واختراعه آلات لعمل الخبز

وقد رأيت قبل ذلك أن أهيء أرضا جديدة للزراعة ، لأن الحبوب التى عندى كانت تكفى لزرع أكثر من فدان من الأرض . ولأقوم بهذا

---

(١) فلح الأرض شقها (٢) عزق الأرض يعزقها شقها

(٣) المسحاة ما يسحى (يجرف) به كالمجرفة الا أنها من حديد

الواجب ابتدأت بعمل فأس من الخشب، استغرق صنعها أسبوعا كاملا، وكانت بعد الانتهاء منها ثقيلة تتطلب منى مجهودا مضاعفا. ولا أطيل عليك القول فقد زرعت قطعتين كبيرتين من الأرض المستوية وحطتهما بسياجين من الأوتاد التى قطعتها من تلك الأشجار التى صنعت منها حياطى [1] السابقة. وانتظرت أن يكون بعد عام واحد حول القطعتين سور متين لايحتاج من آن لآخر إلا إلى إصلاح غير ذى بال. وقد استغرق هذا العمل نحو ثلاثة أشهر، لأن الأمطار أدركتنى، فكانت تلزمنى البيت فى كثير من الأوقات.

وكلما اضطررت للمكث فى منزلى كنت أقوم ببعض الأعمال، وأسر نفسى أثناء ذلك بتعليم الببغاء اسمه وهو « بول » حتى أتقنه، فكان ينطقه نطقا محكما. وكان اسم الببغاء أول كلمة سمعتها منذ وصولى هذه الجزيرة التى ليست مأهولة بأحد. وكنت فى خلوتى هذه فى أشد الحاجة لعمل بعض القصاع، ولكنى لم أدر كيف أصنعها؟ وبعد إعمال الفكر وطول التروى، وجدت من المتيسر تتميم ذلك بحرارة الشمس، والحصول على أوعية لحفظ الأشياء فيها. ولما كنت مضطرا لبعضها ليملأ بالحبوب والدقيق، اجتهدت فى أن يكون بعض ما أعمل كبيرا، بحيث يصلح لهذه الغاية. وقد تأخذ القارىء الشفقة علىّ، أو يضحك منى، إذا أخبرته عن الطرق التى اتبعتها، وعن الأشكال القبيحة المنظر التى أحدثتها، وعن العدد الذى ماتكامل حتى انهار، لعدم تحمل الأوعية ثقل المادة التى صنعت

---

(١) حياط جمع حائط

منها و كيف تشقق البعض لشدة الحرارة، ولو صنعه فيها قبل أن يجف نوعاما، ثم كيف تكسرت عند تحريكها من مكانها، ولا أطيل عليك فقد تعبت في البحث عن التربة المناسبة لهذا النوع من العمل، وبعد ذلك حفرتها، وحملت منها إلى المنزل ما أردت، ثم أعددتها. وبعد كل هذا العناء لم أحصل في شهرين إلا على جرتين كبيرتين. وعند جفافهما جفافا تاما، وضعتهما في سلتين كبيرتين، صنعتهما لهذا الغرض، خشية أن تكونا معرضتين للكسر. وملأت الفراغ الذي وجد بين السلتين والجرتين بتبن الشعير والأرز، وأقمت الجرتين معا في مكان حريز حتى لا يتسرب إليهما البلل وليحفظا الحبوب والدقيق.

وإني وإن أخفقت في صنع الجرار الكبيرة، فقد نجحت نجاحا عظيما في عمل الأواني الصغيرة، لأني أتممت كثيرا منها بسهولة، وكانت الشمس تجعلها غاية في الصلابة والمتانة، ولكني كنت في أقسى الحاجات إلى أوان تتحمل النار لأضع فيها السوائل، لأن كل هذه التي صنعتها لم تكن تقوم بهذا الغرض. وفي يوم من الأيام أوريت نارا عظيمة، وأشعلتها لأشوي لحما كان عندي. ولما فرغت منها ذهبت لأطفئها، فوجدت فيها قطعة خزفية من الأواني التي صنعتها، وكانت احترقت حتى أصبحت كالجلمود صلابة وقوة. وكانت حمراء كالآجر. فدهشت لذلك، واستنبطت طريقة أصل بها إلى غرضي، للحصول على جرار صالحة، لكل أنواع الاستعمال. فابتدأت أفكر كيف أوقد ناري، لأحراق بعض الأواني، لأني لا أعرف الأفران التي يستعملها أرباب المصانع الخزفية، ولا الطريقة

التى يسلكونها لذلك ، ولكنى جمعت ثلاث قدور ، ومثل هذا العدد من الأباريق، ثم وضعتها فى شكل كومة بعضها على بعض ، وحطتها بالنار من جميع جهاتها . وكان تحتها جمرات شديدة الاتقاد . وأمددت النار بوقود جديد حول الأوانى الفخارية وفوقها ، حتى رأيتها تحترق احتراقا جعل كل ذرة منها محمرة. ولم أشاهد فيها صدعا من الحرارة، فتركتها على هذه الحال نحو خمس ساعات حتى أخذت إحداها تذوب وإن لم تتشقق ،وذلك أن ما كان قد اختلط بالطين من الرمل قد صهر من شدة الحرارة . وربما تحول إلى زجاج لو استمرت النار على هذه الشدة . ولهذا أضعفت قوة النار تدريجا حتى اضمحل اللون الأحمر . وبت طول الليل بجانبها حتى لا تخمد النار إلا تدريجا،فوجدت القدور فى الصباح كما كنت أبغى من الصلابة، وإبريقين فى حالة مرضية جدا ، وقد تحول أحدهما إلى مادة زجاجية بما ذاب من الرمل . وبعد هذه التجربة لم أفتقر إلى أوان للاستعمال ، وإن لم يكن شكل ما صنعت منها حسنا . وربما لا يمكن الإنسان أن يتصور رجلا قد سر سرورا عظيما بالحصول على شىء حقير سرورى بوجود هذه الأوانى التى تتحمل النار والماء . ولم أطق صبرا حتى تبرد تلك الأوعية ، فقد وضعت فى قدر قليلا من الماء ، ووضعتها على النار وفيها قطعة من اللحم فتم طهيها.وكانت طعاما راقى مذاقه، وبقطعة أخرى من لحم جدى صنعت حساء ، فكانت كما أحببت ، وإن نقصت كثيرا من المواد التى توضع فى الحساء عادة .

وبعد تذليل الصعوبة السابقة ، ابتدأت أفكر فى الحصول على

هاون [1] من الحجر ، لأدق فيه الحبوب ، لأن الحصول على طاحونة كان من الأشياء التى لم أتعب نفسى كثيرا فى التفكير فيها . وكيف أذلل هذه العقبة عقبة الهاوُن ولم أتعود قطع الأحجار من الجبال، وليس عندى من الآلات مايشجعنى على قطعها . ولذلك أمضيت أياما عدة فى البحث عن حجر كبير صلب ، لأحفره من الوسط ، وأتخذه لسحق الحبوب فيه ، ولكنى لم أوفق إلى ذلك ، فقد كانت حجارة التلال المجاورة رملية لاتتحمل الدق ، ولاتفى بغرضى ، لأن أجزاءها تتفكك بسرعة فيختلط مايتناثر منها من الرمل بالدقيق فيفسده ، ويصبح غير صالح للاستعمال ، وبعد جهد تحول فكرى عن الحجارة إلى الخشب فقطعت شجرة ضخمة ، استخلصت منها قطعة مناسبة شذبتها من الخارج ، وحفرتها من الداخل بالنار ، حتى أصبحت تفى بما أردت منها . وكذلك يفعل أهل البرازيل فى صنع زوارقهم ، وبعد الفراغ من الهاون صنعت لى مِدقا من الشجر الذى يدعى « بالحديدى » ، وحفظت الهاون ويده حتى يأتى وقتهما ، وهو وقت الحصاد الآتى ، فقد عولت على صنع خبز من غلة الأرض التى قاسيت فى زرعها الأهوال .

وكانت أعقد العقد بعد ذلك الحصول على مُنخُل ، لأنقى الدقيق مما به من المواد التى لاتصلح للتغذية ، والتى إذا استمرت مع الدقيق يصبح غير نافع لى . ولم يكن فى حوزتى شىء من المنسوجات الدقيقة التى يمكن

---

(١) الهاون بفتح الواو وضمها والهاوون الذى يدق فيه الدواء وغيره . قيل هو عربى وقيل هو معرب

استخدامها فى هذا الغرض . ولا أنكر أنى أجد أوبار المعز، ولكنى لا علم لى بغزلها ، ولا بنسجها ، وإن علمت ذلك فأنّى لى بالآلات التى لا بد منها فى تنفيذ ما أردت . وقد عجزت عن تذليل هذه العقبة الكؤود [١] بضعة شهور ، حتى اهتديت آخر الأمر إلى تذكر قطعة من المنسوجات التى أنقذتها من السفينة، كانت توافق هذا الغرض، فصنعت منها ثلاثة مناخل صغيرة ، قامت لى خير قيام بما أردت منها عدة سنين ، وسأقص عليك بعد ما فعلت حين بليت .

ولما انتقلت إلى التفكير فى الخبز ، وجدت الحصول على الخميرة غير متيسر ، فعولت على مباشرة العمل بدونها ، وحينئذ ابتدأت أفكر فى تَنُّور [٢] لأخبز فيه رغفانى ، فهدانى الفكر إلى الطريقة الآتية : وهى أنى صنعت بضعة أوعية خزفية ، جعلت قطرها ذراعا ، وارتفاعها تسعة قراريط ، وأحرقتها بالنار كما فعلت قبلا وحفظتها . وكلما أردت الخبز أوقدت نارا فى الموقد الذى رصفت أرضه بآجر من صنعى ، وانتظرت حتى تنتهى قطع الخشب من الأحراق ، وتتحول إلى جمر متقد، فأغطى به الموقد كله، وأتركه حتى يصير ساخنا جدا ، ثم أنظف الموقد ، وأجمع الجمر بعيدا عنه ، وأضع أرغفتى فيه ، ثم أغطيها بتلك الأوعية التى سبق وصفها، وأحوطها بالجمر المتقد، وأزيد عليه لتحفظ الحرارة داخل القدور . وبهذه الطريقة كنت أحصل على خبز كأحسن ما يكون فى أى تنور ، وكنت أصنع لى كعكا من دقيق الأرز، وكان فى إمكانى أن أخبز وأطهى أشياء كثيرة لو تهيأت لى الوسائل الأولى لها .

---

(١) الصعبة الشاقة المصعد (٢) فرن

ولست فى حاجة إلى إخبار القارئ بأن هـذه الأشياء استغرقت الجزء الأكبر من السنة الثالثة من مدة إقامتى فى هـذه الجزيرة ، لأنى عدا هذه الأعمال كنت أقوم بأعمالى الأخرى المنزلية . وقـد حصدت الزرع فى وقت حصاده ، وحملت الثمر إلى سكنى ، ووضعته فى سلات فى الهواء ، منتظرا وقت تخليصه من سنابله بيدى ، لأنى لم أجد أرضا تصلح لدقه عليها ، ولا آلة لدرسه بها . ولما حصلت على مقدار كبير من الحبوب أصبحت فى حاجة إلى إيجاد مخزن متسع ليقيها . فقد خزنت نحو أربعين كيلة من الشعير ، ومثلها من الأرز وصممت على الأكل منها بلا تقتير ، كما عولت على تقدير ما يكفينى كل سنة ، لأقتصر على زرعة واحدة كل عام . فوجدت أن أزرع بقدر مازرعت هـذه المرة لأن غلة الأرض كانت كافية لى .

الفصل الرابع عشر

استعداد روبنسن كروسو لمفارقة الجزيرة

كان قلبى كل هذه المدة يميل من آن لآخر إلى معرفة تلك الأرض الأخرى التى رأيتها، وأنا فى سياحتى، وكنت أعلل النفس بوصولى إليها . فقد تكون قارة مأهولة يمكن الإنسان أن ينتقل فيها من مكان إلى آخر. وقد يهجرها فى النهاية ، وينجو من البلاء . ولكنى لم أحسب حساب الخطر الذى قد يتهددنى هناك إذا سقطت بين أيدى المتوحشين الذين هم شر من ليوث إفريقية وضباعها . وأنى إذا حملنى الجد العاثر إليهم فسأقتل ، لأنى أعلم أن سكان « كاربين » ممن يأكلون الآدميين .

وتأكدت بخطوط العرض أنى لست بعيدا عن ديارهم ، وسأكون عاجزا عن الدفاع عن نفسي، فقد سمعت أن كثيرا من الأوروبيين الذين وصلوا هناك ماتوا شر ميتة ، وقد كانوا جماعات . كل تلك الأفكار سنحت لخاطرى . وكنت جديرا بتقديرها حق قدرها ، ولكنى لأمر ما لم أعرها اهتماما، وتعلق قلبى تعلقا شديدا بالوصول إلى ذلك الشاطئ . ولقد تمنيت أن يكون معى غلامى كسيرى ، وذلك الزورق الكبير الذى ركبته نحو ألف ميل بجانب شواطئ إفريقية ، ولكن ما كل ما يتمنى المرء يدركه . وذهبت لأرى الزورق الذى كان فى السفينة ، وقد طرحته المياه بعيدا على الشاطئ ، فوجدته يكاد يكون فى مكانه ، غير أنه تغير وضعه فصار أسفله عاليه ، وقد اكتنفته الرمال من كل صوب ، ولكن الماء كان بعيدا عنه . ولو قدرت على تحريك الزورق من مكانه ، لأمكننى أن أذهب به إلى البرازيل ، ولكن ذلك كان عسيرا جدا ، كما لو أردت تحريك الجزيرة من مكانها . بيد أنى أردت أن أجرب لأرى . فذهبت إلى الغابة وقطعت بعض فروع من الشجر، لأرفع بها الزورق. وقد بقيت فى هذا العمل أربعة أسابيع بدون جدوى ، ولكنى لم أشأ الاعتراف بالعجز ، فابتدأت أحفر الرمل الذى يحوطه . فسقط فى المكان الذى حفرته ، ولم أقدر على إخراجه ، فتركته يائسا منه ، ولكنى مع ذلك ازددت حبا فى الوصول إلى تلك الأرض ، وإن استحال إنقاذ ذلك الزورق .

ابتدأت أفكر فى عمل زورق من جذع شجرة ضخمة ، كما يفعل سكان تلك الأقطار ، فوجدت العمل ممكنا . وسهلته الأدوات التى كانت

عندى ، ولـكنى لم أفـكر فى الصعوبة التى لا يمكنني التغلب عليها . وهى إنزال الزورق إلى المـاء بعد الفراغ من صنعه . ماذا تكون العاقبة حين أقطع الشجرة ، وأزيل عنها الأغصان ، ثم أجهد نفسى فتصبح زورقا ؟ أأتركه هناك لقلة الأيدى المساعدة ، وقد تعبت فيه كل ذلك التعب ! إن العاقل ليدهش لقلة تفكيرى فى نتيجة عملى ، فقد كان من السهل عندى أن أقود هذا الزورق فى البحار مسافات بعيدة ، مع عجزى عن إيصاله إلى الماء . وجره بضع أقدام . ابتدأت العمل بقوة ونشاط . وكنت كلما اعتورتنى فكرة نقله أبعدتها ، وأجبت هواجسى بهذا الجواب « علىّ أن أصنعه أولا ، وحينئذ لا أعدم وسيلة للوصول إلى غرضى » . ولم يكن هذا المشروع صائبا ، ولكن ميلى إليه شجعنى على إتمامه بشوق عظيم . فقطعت شجرة ضخمة كان قطرها مما يلى الارض يزيد على خمس أقـدام ، ومن نهايتها الأخرى يزيد على أربع ، وكانت المسافة بين النهايتين اثنتين وعشرين قدما . وقد مكثت عشرين يوما لقطعها ، وأربعين لأقطع عنها غصونها وفروعها ، وشهرا لأصيرها على شكل السفن ، وثلاثة أشهر أخرى لحفرها من الداخل حتى تـكون زورقا متقنا . وقد كان عنـد انتهائه زورقا جميلا متينا ، يسع أكثر من عشرين رجلا ، ويحمل حمولة كبيرة . وكان سرورى عظيما لقدرتى على إنشائه ، وإخراجه على تلك الصورة البديعة التى صورته بها . وكان شغلى الشاغل بعد ذلك أن أحمله إلى الماء .

وقد ذهبت كل أعمالى التى تحملتها لأيصاله إلى الماء أدراج الرياح . وكان بعده عن الماء لا يزيد على مائة وخمس وثلاثين ذراعا . ومما جعل العمل شاقا وقوعه على التل ، ففكرت فى عمل منحدر من الأرض ، لأزلق

الزورق عليه. وأنفقت فيه ساعات شاقة، ولكنى بعد الفراغ وجدتنى عاجزا عن تحريكه.

رجعت لنفسى فقدرت المسافة بين الزورق والماء، وعزمت على حفر قناة تغمرها المياه حتى تصل إلى الزورق، ولكنى ما ابتدأت العمل حتى فكرت فيما أنا قادم عليه، فأن القناة يجب أن تكون عميقة متسعة، والمواد المحفورة لا بد من إبعادها. فاستنبطت من ذلك أن العمل لا يتم إلا بعد اثنى عشرة سنة، لأن نهاية الشاطئ كانت مرتفعة، بحيث لا يقل ارتفاعها عن عشرين قدما. وبعد لأى ماعدلت عن هذا المشروع بعدأن استولى على الجزع، وابتدأت أرى حمقى فى عمل شىء لا أعرف له نهاية، وفى وسط هذا العمل انتهت السنة الرابعة من إقامتى فى هذه الجزيرة، فاحتفلت بانتهائها هادئ البال مطمئنا، لأن دوام قراءتى الكتاب المقدس أثار فى نفسى أفكارا تضاد تلك التى ملأت قلبى، واستولت على عواطفى من قبل، فقد أصبحت أنظر إلى الدنيا كأنها شىء لا تربطنى به أية رابطة، ولا أنتظر منه أى نفع. فقد عشت فيها، ولكنى كنت خارجا عنها. وبعدت عن شرورها وآثامها، وحرمت لذة الحياة، ولكنى كنت سيد نفسى، ومالك تلك الأرض الشاسعة الأطراف، الممتدة الجوانب. كنت ملكا، وإن شئت فقل قيصرا، لا يبارينى مبار، ولا يزاحمنى مزاحم: كنت أستطيع أن أملأ سفنا بالحنطة لتصديرها إلى الخارج، ولكنى لم أكن فى حاجة إلى ذلك، فاقتصرت على زراعة مايكفينى. وكان عندى كثير من السلاحف، ولكن واحدة منها كانت تكفينى طويلا. وتحت يدى من الخشب مايكفى

لبناء أسطول من السفن. وعندى من العنب مايكفى لعمل الراح ، وإن جفف يكفى لملء سفن عدة . وكان عندى مايكفى لأكلى وكل حاجى الأخرى . فلماذا أهتم بغير ذلك ؟ إذا قتلت حيوانا وزاد لحمه عن حاجتى تركته للكلب أو للدود ينهشه، وإذا زرعت حبوبا أكثر من طعامى لابد أن تترك حتى يعيث فيها السوس فسادا، وإذا قطعت شجرة تركتها تعطب لأنى لا آخذ منها إلا مايدفئنى أو ينضج طعامى . ولا أسهب فى القول فقد أملت علىّ تجاربى ، ومعرفتى بطبيعة الأشياء وحقيقتها ، أن الشىء النافع لا يكون نافعا إلا بقدر احتياجنا إليه ، واستعمالنا له . ومهما جمعنا وبالغنا فى الادخار لنترك لغيرنا لا نتمتع إلا بما نستعمل . ولو وجد أبخل الناس وأجشعهم، وأحرصهم على الجمع والحفظ فى مكانى لشفى مما به . فقد كنت لا أرغب فى شىء مما يرغب فيه الناس عادة، إلا أشياء قليلة كانت لو حصلت عليها عظيمة النفع لى، وإن كانت حقيرة فى نفسها . وقد كان عندى كيس فيه نقود تقدر بستة وثلاثين جنيها من الذهب والفضة ، ولكن ماذا أصنع بها ؟ لقد تركتها تصدأ لعدم فائدتها لى. وكثيرا كنت أفكر فى أنى أكون سعيدا لو حصلت على بيب للتدخين ، أو رحى لسحق الحبوب ، أو قليل من بذور الخُضَر ، كاللوبيا والسَّلجَم [1] والفول والجزر ، أو زجاجة من الحبر نظير ملء اليد ذهبا . ولو ملئت خزانتى بالماس لم أكن لا أهتم به لأنه عديم النفع لى . ولقد تمكنت من تهدئة نفسى وإرضائها بعيشى . وكثيرا جلست إلى المائدة . وأنا مرتاح النفس، منشرح

---

(١) السلجم : نبت يعرف باللفت

الصدر، شاكر ربى على أن هيأ لى مثل هذا الطعام فى هذا التيه الذى يضل فيه العقل. وكنت أميَلَ إلى تعداد نعم الله على منى إلى التفكير فيما حرمنى إياه، كما كنت فى هذا السكون أعجب ممن لا ينظرون إلى ما أسبغ الله عليهم من نعم، ويطلبون ما عند غيرهم مما حرمهم إياه، وربما كان سبب ذلك هو عدم شكر الله على ما أعطانا. وقد ملأت فكرة أخرى فؤادى، وانتفعت بها. وهى بلا ريب تساعد من هم فى حال كحالى، وتلك هى موازنة ما أنا فيه بما ظننت أنى سأكابده حين وصولى إلى الجزيرة، بل بما كنت متثبتاً منه. وما ظنك بى لو غرقت السفينة بعيداً عن الشاطئ، فلم أتمكن من الذهاب إليها، وإنقاذ كثير مما لا غنى لى عنه، كالآلات التى ساعدتنى على تفريج الضيق الذى سدَّ علىّ مذاهبى حتى عميت علىّ طريقى. والأسلحة التى أحصن بها نفسى، وأصيد بها لغذائى. إنى صورت لنفسى حالى بدون ما أنقذت من السفينة، فوجدت الصورة التى مثلتها لها صورة مظلمة تقشعر منها الأبدان، وتولى هرباً من هولها الشجعان. فربما هلكت قبل أن أجد سمكاً أو سلاحف لطعامى، لأن ذلك هو الغذاء الوحيد لو لم أجد سلاحاً. ولو ساعدنى الحظ فاقتنصت ماعزاً أو طائراً لم أجد سلاحاً أبقره به، فكنت أمزقه بأنيابى ومخالبى، كما تفعل الوحوش. وكانت هذه التخيلات برداً وسلاماً على نفسى، فحمدت الله على ما أنا فيه على الرغم من كل ضيق وشدة. وإنى أنصح كل زارٍ[1] على القدر، ومن يستعظم مصائبه، أن ينظر إلى أرزاء غيره، أو شدته التى

---

(١) زار : عائب

قد تكون شرا مما هو فيه . وقد وجدت مهدئا آخر لشجونى وأحزانى .
وهو ما أستحقه من العقاب على الحياة الأولى التى كانت ملأى بالشر ، ولم تخطر على بالى فيها عبادة الله ، أو التفكير فى شأنه عز وجل . حقا كان لى أبوان رحيمان ، قد غرسا فى نفسى حب الله والخوف منه ، ولكن شغفى بالملاحة والملاحين فى أيامى الأولى ، قد أفسد على كل شىء ، واجتث مافى نفسى من نزعة إلى الدين ، لأن الملاحة ومعاشرة أهلها فى السفن شر على المرء من كل ما جنت يداه . فالملاحون قوم لا يعرفون الله ولا يذكرونه ، وإن كانت حياتهم تفيض بالأخطار والمهالك . وقد كنت بعيدا من كل خير ، فلم أفكر قط أن أقوم لله بشكره على ما أولانى .
فقد فررت من سالى ، وأخذنى رب السفينة البرتغالى ، وحسنت حالى فى البرازيل ، ووصلنى من إنجلترا كل ما أرسلت فى طلبه ، ولم تحدثنى نفسى أن أشكر الله ، بل كنت لا أذكر لفظ الجلالة إلا لليمين الفاجرة ، والقسم الحانث الآثم . ولقد جزعت وفاضت عينى من الدمع حزنا على حالى التى كنت فيها ، عاقا لوالدى ، جاحدا نعمة الله عندى . وكنت كلما فكرت فى ذلك ، وفيما كنت أستحقه من العقاب الأليم ، وأرى ما أنا فيه ، وما أغدق الله علىّ من الأيادى ، أشعر بأنه سبحانه قد قبل توبتى ، وأنه يغفر الذنوب جميعا ، ويعفو عن كثير . وبعد أن استعرضت لنفسى كل هذه العواطف ، وعلمت ما أنا راتع فيه من النعيم ، وما أنا مستحقه من العقاب على ما أسلفت ، امتلأ قلبى إيمانا وخشوعا ، وطفقت أعبد الله على آلائه التى لا تحصى .
فقد حصلت على الحبوب التى أغذى نفسى بها بطريق لا يخطر لأحد على خاطر ، ووُجدت فى جزيرة لا ظل للوحش فيها ، وقد كانت لحوم طيورها

غير ضارة . وقصارى القول أنى لم أجد أى جزء من العالم المهجور خيرا من هذا الجزء الذى أعيش فيه . وإذا نظرت إلى حياتى فوجدت جانبا منها ممتلئا بالأحزان ، فأن الآخر كان عامرا بالرحمة والشفقة ، وكان جل ما أصبو إليه أن أقوم لله بفرائضه ، شكرا على ماأولانيه فى هذا التيه المقطوع عن العالم :

وكان مكثى فى الجزيرة قد طال، فابتدأت أشعر بنفاد ماعندى من ميرة ، إذ كان بعض ما أحضرت من السفينة لمساعدتى قد فنى ، وبعضه الآخر قد أوشك أن يفنى. فقد نفد المداد الذى كنت أنتفع به ، وكنت أمزجه بالماء مرة بعد أخرى حتى بات لا يصلح للاستعمال ، ولا يترك أقل أثر من السواد على الورق . وكنت أيام وجود الحبر أكتب أيام الشهر وأثبت فى كل منها مايحدث لى من الطورئ . وقد حلت بى حوادث لو كنت من ذوى الوساوس أو ممن تجد الخرافات إلى قلوبهم طريقا ، لألفيت فيها كثيرا من العبر ، ولقادتنى إلى التبصر وحب البحث والتدبر. لأنى لاحظت أن اليوم الذى غادرت فيه أبى وأصدقائى ، وهربت إلى « هَل » لأكون بحارا ، كان بعد ذلك نفس اليوم الذى أسرتنى فيه بارجة سالى ، فأصبحت عبدا رقيقا . وفى اليوم نفسه نجوت من الغرق فى طرق « يارمث » ثم عدت فنجوت فيه بعد سنة من سالى فى الزورق. وفى اليوم عينه من السنة ـ وأعنى به ٣٠ سبتمبر ـ ولدت ، وفيه نجوت بأعجوبة بعد ست وعشرين سنة حين رمتنى المقادير على هذه الجزيرة . وعلى هذا تكون حياتى الآثمة ، وتلك التى عشتها طريدا وحيدا قد ابتدأتا فى يوم واحد . وبعد نفاد المداد نفد الخبز الذى كنت أنقذته من

السفينة ، مع حسن تدبيرى ، وجميل اقتصادى ، إذ كنت آكل منه القليل . وبقيت سنة وأنا بلا زاد حتى وفقت للعثور على الحبوب . وقد نفعنى الزبيب الذى كنت أتغذى به .

أما ملابسى فقد ابتدأ بها البلى حتى أتى عليها ، فأصبحت قليلة التماسك ، شديدة التقاطع والتنافر . وقد أنقذت فيما حملت من السفينة بعض قمصان كانت كبيرة النفع لى ، لأنى لم ألبس غيرها فى أكثر أيامى لحرارة الجو ، وكان عددها يبلغ الستة والثلاثين . وكان عندى معاطف ثقيلة أهملتها لثقلها ، فما كنت أطيق لبسها . وإنى لم أرد أن أكون عارى الجسم ، وإن كنت وحيدا فى جو شديد الحرارة ، فكنت أعارض النزوع إلى ذلك بإرادة قوية .

ومن الأسباب التى منعتنى من خلع الثياب ، والسير بدونها ، شدة الحرارة ، فقد كانت تحرق جسمى إذا سرت بلا ساتر له . وكنت أجد القميص إذا لبسته يلطف من حرارة الجو ، إذا عبثت به الريح فحركته . وكنت لا أجرؤ على السير فى الشمس بلا قلنسوة أغطى بها رأسى ، لأن عظم الحرارة كان يسبب لى صداعا أعيا عن تحمله .

ابتدأت أجمع ماعندى من الخرق الباقية ، وفكرت فى جمعها بعضها مع بعض ، وعمل ثوب منها ، فهدانى البحث ، وقادتنى الحيل لخياطتها ، فحصلت على ما كنت أبغى ، وإن لم يرق جمال الثوب فى نظرى . وقد كنت أحافظ على جلود الحيوانات التى ضحّيت بها ، فكنت أعلقها على عصىّ معرضة لحرارة الشمس ، فجف بعضها وأصبح لا يصلح لشىء ، فى حين كان بعضها الآخر طيبا يمكن الانتفاع به ، فعملت قلنسوة

جعلتها جُنَّة [١] لرأسى من ضربات الشمس ، ثم ثنيت بأعداد بِذْلَة [٢] لى من تلك الجلود ، فخطت سروالا ومعطفا . ولست فى حاجة لأخبارك بأنها ملابس ضرورة ، ولولا الحاجة ماالبستها ، ولكنها أفادتنى ، وأى فائدة كهذه ، فقد وقيت بها جسمى ، وردت عنى المطر وضرره ، حين كانت تأخذنى السماء .

وبعد ذلك أضعت كثيرا من وقتى لأصنع مِظلّة [٣] ، فقد كنت شديد الحاجة إليها،وكان عزمى موجها للنجاح فيها . إنى رأيت المظلات تصنع فى البرازيل حيث الحرارة عظيمة ، وليست هنا بأقل منها هناك ، بل هى أعظم ، لقرب الجزيرة من خط الاستواء : وكانت من الضروريات عندى ، لأدفع بها الشمس، وأتقى بها المطر : لأنى كنت مضطر اللتغيب عن سكنى ، وارتياد الأمكنة . وقد تعبت وأضنانى الجهد حتى نجحت فى عمل واحدة . وكانت الصعوبة الجُلَّى فى إقفالها بعد صنعها . وحين وفقت لتذليل هذه العقبة كسوتها بجلد جعلت شعره إلى الخارج ، فكان يرد المطر عنى ، ويحمينى منه ، ويقينى شر الهاجرة ، فكنت أسير مهما كان الجو حارا . وعند الاستغناء عنها أقفلها وأضعها تحت إبطى. وهكذا عشت مرتاح الخاطر ، مطمئن الفؤاد متكلا على بارئ النسم ، فكانت حياتى أسعد من حياة الجماعات ، لأنى كلما شعرت بحاجة إلى المحادثة أسأل نفسى قائلا « أليس حديثى مع نفسى، ومناجاتى لله سبحانه، أبقى لى وأمتع من أتم سرور لأى جماعة من الجماعات » وأعللها بالقول المأثور « إذا لم يكن ماتريد فأرد ما يكون » .

---

(١) الجُنّة الوقاية (٢) البذلة من الثياب بالكسر مايستعمل كل يوم (٣) شمسية

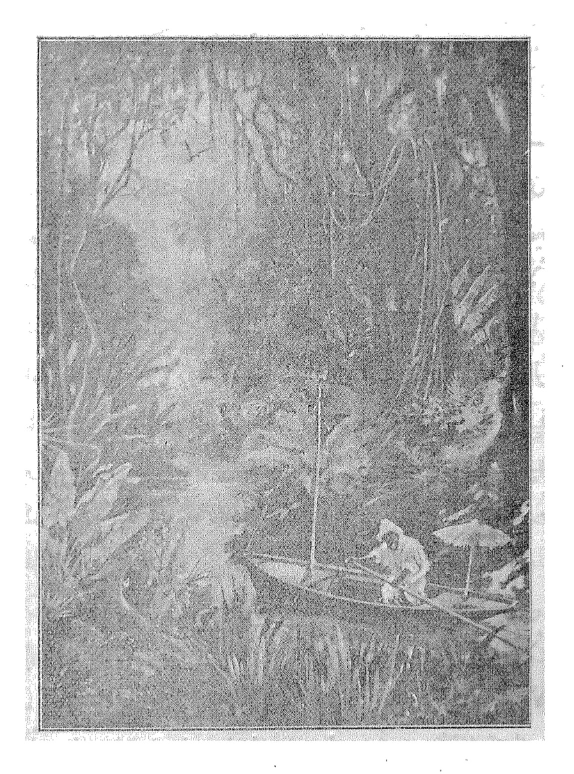
الفصل الخامس عشر

صنع روبنسن كروسو رِكْوَة وما قاساه من الأخطار في البحر

لا يمكنني أن أحدثك بعجيب حدث لي بعد ذلك مدة خمس سنين، فقد عشت كما وصفت قبلا في المكان نفسه، وبالطريقة عينها. وكان وقتي مقسما بين أعمالي التي كنت أباشرها كل يوم، من الخروج والقنص وغيرهما، وأعمالي السنوية من زراعة وحصد وسواهما. وبجانب تلك الأعمال كنت أبني لي رِكْوَة [١] فأتممتها، وحفرت لها قناة يبلغ اتساعها ست أقدام، وعمقها أربعا. وقد غمرتها المياه فتمكنت بذلك من إيصال الركوة إلى النهير الذي كان على بعد نصف ميل منها. أما الزورق الأول فكان كبير الحجم، ولذلك أعجزني عن توصيله إلى الماء، فقد صنعته قبل أن أفكر وأتدبر عاقبة أمره، ولكنه كان تذكارا يذكرني أن أكون حكيما في المستقبل.

ولما فرغت من صنع الركوة وجدت حجمها صغيرا لا يقوى على مساعدتي، لتنفيذ خطتي التي كانت عندي حين صنعت الزورق الأول، تلك الخطة التي كانت الوصول إلى الأرض التي تراءت لي على بعد لا يقل عن أربعين ميلا. فعولت على تغيير خطتي، وأردت الآن القيام بعمل جديد، ألا وهو الطواف حول هذه الجزيرة، لأن السياحة التي قمت بها في الداخل حببت إليّ كشف شواطئها بحرا. ولهذا ابتدأت أعد ركوتي،

(١) الركْوَة الزورق الصغير



فتمكنت بذلك من إيصال الركوة إلى النهير

فصنعت لهـا دَقلا ، ووضعت عليه شراعا أعددته من شُرُع السفينة التى أنقذتها .

ولما جربت الركوة فوجدتها تصلح لهذا الغرض ، وتطفو على وجه الماء سائرة سيرا حسنا ، صنعت بعض صناديق لأضع فيها ما أحمل من المتاع لأحفظه من المـاء والمطر . وقد نصبت مظلتى فى مؤخر الركوة لأستظل بظلها من حرارة الشمس . وعلى هـذا كنت أقوم بسياحات صغيرة فى البحر ، ولـكنى لم أذهب بعيدا عن النهير الذى سبق ذكره . ولما امتلأت نفسى بحب كشف الجزيرة ، ومعرفة حالها ، شرعت فى إعداد معدات السياحة ، فأخـذت نحو أربعة وعشرين رغيفا ، وجرة ملأى بالأرز المجفف الذى كنت آكل منه كثيرا ، وزجاجة صغيرة ملأى بالشراب ، ونصف ماعز وبارودا ، وقذائف لأصيد عند الحاجة ، وممطفين كبيرين من المعاطف التى أنقـذتها من أمتعة البحارة ، فكنت أفترش واحدا وأتدثر[1] بالآخر

وكان خروجى لهذه السياحة فى السادس من شهر نوفمبر ، فى السنة السادسة من أسرى بهذه الجزيرة . وقد طالت سياحتى عما كنت مقدرا لها ، لأن الجزيرة وإن لم تكن كبيرة فقد وجدت عقبات فى طريقى ، إذ وجدت حين اتجهت مشرقا ، صخورا عظيمة ممتدة فى البحر نحو غلوتين ، وكان بعضها ظاهرا فوق الماء ، وبعضها تغمره اللجج . وكانت هنالك مسافة

(١) تدثر بالثوب اشتمل به داخلا فيه ، والدِّثار الثوب الذى يلبس فوق الشعار ، وما يتغطى به النائم

رماية تقدر بنصف ميل ، فكنت مضطرا أن أذهب فى البحر مسافات بعيدة لأبعد عن هذه العوائق . وقد خطرلى أن أترك هـذا المشروع خشية أن أُخفق (١) فيه ، وأضطر للسير فى البحر مسافات بعيدة ربما أكون عاجزا بعدها عن العودة ، فرسوت بركوتى ، وألقيت بأنجر كنت أعددته من خطاف أنقذته من السفينة لضبطها . ولما أمنت على الركوة أخـذت سبطانتى ، وتسلقت تلا هناك يشرف على تلك الجهة ، فرأيت امتداد الصخور وعولت على تنفيذ ما بدأته . ولما كنت متجها نحو البحر رأيت تيارا شديدا قاصفا يجرى شرقا ، ويكاد يصل إلى هـذه النقطة . وأمعنت فى تعرفه لأصل إلى حقيقته ، لأنى تخوفت أن يحملنى إذا وصلت إليه بعيدا عن طريقى ، فلا أقدر على الرجوع ثانية إلى الجزيرة. وقـد كان حقا ماظننت فأنى لو لم أقف هنا عاليا مختبرا التيار لوقعت فى هذا المحظور ، فقد كان التيار فى الجانب الآخر من الجزيرة كما هو فى هذه الجهة وإن امتد أكثر من هـذا ، فلم أجد لى بدا من الخروج من هـذا التيار . وكان المـاء بجانب الشاطىء يتشكل بشكل دوائر شديدة الدوران ، فاضطررت للبقاء يومين حيث كنت لأن الريح هبت شرقية جنوبية بانحراف كثير إلى الشرق ، مخالفة اتجاه التيار المتقدم الذكر ، فأحدثت هوة عظيمة ، وتكسرا فى المياه ، فلم تكن الطريق آمنة لأن جانب الشاطىء مخيف لتكسر المـاء فيه ، والذهاب بعيدا عنه أخوف لوجود التيار . وفى صباح اليوم الثالث ألفيت البحر هادئا ، لأن الريح سكنت ليلا ، فابتدأت سياحتى ، فلم أكد أشرع فيها وأترك الشاطىء بضع

(١) أخفق الرجل طلب حاجة فلم يظفر بها

خطوات قليلة حتى وجدتنى فى مياه عظيمة العمق ، وأبصرت التيار قاصفا كأنه فتحة خزان عظيم يغمرها الماء ، فحملتنى المياه وبعدت بى فلم أقدر على إرشاد الزورق أو ضبطه . وكل ماقدرت عليه من التجديف لم يثمر شيئا . فأسلمت نفسى للخطر ، لأنى علمت أن بالجانب الآخر من الجزيرة تيارا ، وأنهما سيتصلان بعد بضعة أميال ، وحينئذ لا أمل فى النجاة . ولم يكن البحر وحده منبع الخطر ، بل كان فقدان الطعام أخوف منه عندى ، فقد كان مامعى من الغذاء لا يفى بحاجتى طويلا ، لأنه لم يكن من المحتمل أن أقابل الشواطئ قبل قطع آلاف الأميال التى يستغرق قطعها أياما وليالى عدة .

كانت حالى على ماترى بين السماء والماء ، ولا أمل لى فى النجاة . فهل يخلق الله مخلوقا أتعس منى حظا ؟ لم أكن قادرا على تصور حال أشق مما ابتليت بها . فابتدأت الآن أنظر إلى الجزيرة الموحشة بعين ملؤها الأسى ، وقلت لنفسى لو تمكنت من العودة إليها لقنعت بها ، وامتلأ قلبى سرورا ، وأفعم حبورا . وقد مددت يدى إليها ، ونار الشوق تضطرم فى فؤادى ؛ وناديت بأعلى صوتى « أيتها المهجورة السعيدة . قد فقدتك إلى الأبد . ويأيها المخلوق الشقى إلى أين أنت ذاهب ؟ » ابتدأ ضميرى يوسعنى لوما على جحدى للنعمة ، وكفرى بالآلاء ، فقد كرهت مقامى بالجزيرة . والآن لا أجد لى مقاما خيرا منه لو أتيح لى أن أصل إليه . وهكذا لا يعرف المرء قدر الأشياء حتى يرى أضدادها ، ولا مقدار مايتمتع به حتى يحتاج إليه . ولا إخالك تقدر ما كنت فيه من القلق لطردى من جزيرتى المحبوبة — لأنها كانت عندى فى تلك المنزلة العظيمة بعد أن فقدتها — إلى المحيط ، وتوغلى فيه ، وليس أمامى طريق لعودتى إليها مرة ثانية . ولكنى كعادتى

اشتغلت بجد لا يتسرب إليه الوهن حتى خارت قواى ، فقدت الركوة إلى الشمال. وبعد الزوال أحسست نسيما يمر على وجهى منبعثا من الجنوب الشرقى، فانتعش فؤادى لذلك. وبعد نصف ساعة هب نسيم رقيق أقوى من سابقه، وكنت حينئذ على بعد شاسع من الجزيرة . ولو عرضت سحابة فى الجو ، لحالت بينى وبين رؤيتها ، لتضاعف همى ، واشتدت غِيَرُ الدهر وصروفه على، لأنى أصبح غير قادر على توجيه ركوتى إلى الجهة التى أحبها حين تساعدنى الأنواء ، إذ لم أحمل معى إبرة مغناطيسية لأعرف بها الجهات. ولا أطيل على القارئ القول فقد أقمت الدقل ونشرت عليه الشراع، واتجهت شمالا لأغادر التيار وأنجو منه. وما كدت أبدأ فى السير حتى علمت من صفاء الماء أن تغيرا فى التيار أصبح قريبا ، لأن التيار يشتد حين تتغير المياه ، ولكنى وجدت الماء صافيا فانتظرت أن تقل قوة التيار . وبعد قليل رأيت شرقا انكسارا للماء على بعض الصخور، ووجدت هذه الصخور سببت انفصال التيار ثانية ، فاتجهت قوته العظيمة نحو الجنوب تاركة الصخور إلى الشمال الشرقى. وأحدث ما بقى منه برد فعل الصخور انكسارا ، ودورانا عظيما فى الماء ، جعله يعود ثانيـة إلى الشمال الغربى بتيار حاد . ولا يعرف مقدار فرحى وسرورى إلا أولئك الذين أمهلوا وهم فى فكى الموت بين النطع [(١)] والسيف، أو أولئك الذين أنقذوا من اللصوص وهم يعدون أيديهم لاغتيالهم، أو أولئك الذين حكم عليهم فقاسوا مثل ما أقاسى . سرت بركوتى فساعدتنى الريح ، ولما وصلت قرب الجزيرة وجدتنى نحو شاطئها الشمالى مقابل الجهة

---

(١) النِّطْع والنَّطْع والنَّطَع والنِّطَع وأفصحها الأخير بساط من الأديم. وجمعه أنطاع ونطوع

التى خرجت منها . وفى هـذه النقطة وجدت الماء ساكنا فعولت على التجديف نحو الشاطئ ، فلم أترك وقتا يضيع بلا ثمرة ، فأعملت كل قوتى حتى عدت بركوتى إلى الجزيرة .

وما كدت أضع قدمى فوق ثراها حتى سجدت لله شكرا على ما أولانيه من الخلاص والأمان . ثم طردت من نفسى كل فكرة ترمى لنجاتى بهذه الركوة . ولما تناولت بعض الطعام والمنعشات، أخذت ركوتى إلى فُرْضة[1] بالشاطىء ، فأرسيتها بها ، ثم اضطجعت لأنام بعد ذلك التعب المضنى .

أصبحت وأنا فى حيرة من أمرى ، ولم أدر ماذا أصنع لأرجع إلى سكنى بركوتى ، فقد تحملت كثيرا من الصعوبات ، وخاطرت بحياتى ، فلم أرد العودة من نفس الطريق الذى خبرت ما به من المتاعب والآلام . أما الطريق المقابل لذلك ـ وهو الجانب الغربى ـ فلم أدر طبيعته ، بَيْدَ أنى لم أجـدنى ميالا للمخاطرة مرة أخرى ، فعولت على العودة إلى الجنوب من طريق الشاطىء الغربى ، فسرت مرتادا على أجد محلا أمينا أدع فيه ركوتى حتى أحتاج إليها . ولم يضع تعبى هباء منثورا لأنى وجدت بعـد قليل خليجا يصلح للغاية التى كنت أنشدها . ولما اقتدت ركوتى إليه ، ألفيتـه يضيق كلما أوغل فى الجزيرة إلى أن انتهى إلى جـدول صغير ، وجدت به ميناء موافقا ، فأدخلت الركوة إليـه ، فكانت بعيدة من كل خطر ، كأنها فى مرفأ أعدلها . ولما اطمأن قلبى تركتها حيث قيـدتها ، وذهبت إلى الشاطىء ، لأرى أين كنت ، فوجـدتنى لم أتجاوز المكان

---

(١) الفُرضة من البحر محط السفن، ومن النهر ثلمة ينحدر منها الماء وتُصعَدُ منها السفن ويستقى منها

الذى وصلت إليه عن طريق البر ، حيث قمت بكشف ذلك الشاطىء إلا قليلا ، فأخذت سبطانتى من الركوة ، ومظلتى ، لأن الجو كان حارا ، وابتدأت سيرى الذى كان سارا بعد تلك الصعوبات والأهوال التى قاسيتها. وفى المساء وصلت إلى بيتى الثانى الذى أقمته داخل الجزيرة ، فتسلقت سوره ، واضطجعت فى الظل لأستريح من هذا الأعياء ، ولم أستيقظ إلا على صوت ينادى « روبن . روبن . روبنسن كروسو . مسكين روبنسن كروسو . أين أنت روبنسن كروسو ؟ أين أنت ؟ أين كنت روبن ؟ » وسأدع قارىء هذه السطور يقدر دهشتى عند سماع هذا الصوت . وقد كنت مستغرقا فى النوم ، لأن التعب لم يترك لى قوة ، فقد جدفت كثيرا وسرت على قدمى حتى خارت منى القوى ، فلم أفق كل الافاقة حين سماعى الصوت ، بل كنت بين نائم ويقظان ، فظننت أنى أحلم بسماع صوت ينادينى ، ولكن الصوت استمر يكرر « روبن كروسو . روبن كروسو » حتى اضطررت أن أقوم من نومى ، وقد كنت وجلا مذعورا من تلك الحال . ولم أكد أفتح عينى حتى رأيت الببغاء على السور ، فعلمت أنه هو الذى كان يدعونى لأنى علمته الكلام فكان كثيرا يقف على إصبعى ، ويقارب منقاره من فىّ ، ثم يصيح « مسكين روبنسن كروسو أين أنت ؟ وأين كنت ؟ وكيف جئت هنا » وغير هذا مما علمته .

ولا يغيبن عنك أنه مع معرفتى أن مصدر الصوت هو الببغاء وليس شيئا آخر ، قد احتجت إلى مدة طويلة لتهدئة روعى ، وامتلاك قواى . وقد دهشت من هذا المخلوق العجيب الذى اهتدى إلى هذا المكان . وكان من عادته أن يجول فى المواضع التى أسير فيها ، ولا يغادرها إلى

غيرها . ولما تأكدت أن منبع الصوت هو الببغاء ، سرت نحوه وأشرت إليه بيدى ، وناديته باسمه ، أيها الببغاء الأمين ، فأتى مسرعا ملبيا ، ووقف على إبهامى ، ثم ابتدأ يعيد ما انتهى منه من الكلام ، كأنه سر لرؤيتى ، فحملته معى ثانية إلى منزلى الأول بجانب البحر .

وكنت أود أن أحضر الركوة حيث أنا مقيم ، ولكنى كنت غير قادر على ذلك ، لأن الجانب الشرقى الذى طفت حوله كان مخيفا ، فلم أفكر فيه ، بل كنت إذا تذكرت الأهوال التى انتابتنى هناك تصيبنى رعدة مخيفة . وأما الجانب الآخر من الجزيرة فلم يكن لى علم بماهيته ، غير أنى بعد إعمال الفكرة استنبطت أنه غير موافق كالجانب الشرقى ، فقنعت أن أعيش بدون الركوة ، وإن كانت نتيجة شهور عدة صرفت فى صنعها وإيصالها إلى البحر ، وعلى هذا عدت إلى حياتى الأولى هادئا مطمئنا لا أحتاج لشئ غير المعاشرة والمحادثة .

وفى خلال سنة من عودتى إلى مقرى حسنت كل الأعمال التى اضطررت إلى مباشرتها ، حتى أصبحت أعتقد أنى نجار متقن ، وخاصة إذا تصورت قلة الأدوات النجارية فى يدى . كذلك أجدت صنع الأوعية الفخارية ، فأصبحت نظيفة حسنة الشكل ، وقد كانت قبلا لا تسر الناظرين .

ولم أفرح لشىء فرحى عندما اهتديت لصنع بيب أدخن فيه ، وقد كان ذلك البيب على الرغم من خشونته ، وقبح هيئته ، نافعا لى ، لأنى اعتدت التدخين ، وكنت طول أيامى أحن إليه حنينا زائدا . وقد كان بالسفينة كثير من تلك المداخن التبغية ، ولكنى أهملتها ، لعلمى

أن الجزيرة لاتنبت التبغ ، ولما وجدته بها عدت للبحث عنها ، فلم أقف لها على أثر ،

وكذلك أجدت صنع الأسفاط والسلات ، وصنعت منها كثيرا لحاجى أحفظ فيه أمتعتى . وأحمل به ما أحب حمله إلى منزلى ، فكنت إذا اصطدت جديا أوماعزا أعلقه على شجرة، وبعد سلخه أفجر[1] بطنه،ثم أنظفه ، وأضعه فى السلة ، ومثل هذا كنت أصنع بالسلاحف ، فأقدها وآخذ بيضها ، وقطعة أو أكثر من لحمها ، ثم أضع ذلك فى السلة ، وأترك مالاحاجة لى إليه . وكنت أحفظ الشعير والأرز فى سلات عميقة ، إذ كنت بعد الحصد أخرج الحبوب من سنابلها ، ثم أعدها لتوضع فى السلات لوقت الحاجة إليها

وقد لاحظت أن البارود قد نقص نقصا يحس ، وهذا صنف من الأصناف التى يستحيل أن أحصل عليها ، وأنا بهذه الجزيرة . فابتدأت أفكر فيما يجب عمله إزاء ذلك ، وكيف يمكننى اصطياد المعز بدونه إذا خلت يدى منه . ولعلك تتذكر أنى فى السنة الثالثة من وصولى إلى هذه الجزيرة، كنت حصلت على عَناق[2] من المعز ، وتعهدتها حتى نمت نموا حسنا ، وأصبحت ماعزة معدة للانتاج ، وكنت أتحين الفرص لأشفعها بجدى ، ولكنى أخفقت فى هذه السبيل ، ولم أرد قتل الماعزة ، بل تركتها ترعى وحدها حتى ماتت حتف أنفها.

---

(١) فَجَرَ الشىء فجرا من باب قتل شقه وفجر بطن الشاة بقره

(٢) العناق — الأنثى من أولاد المعز ، وقيد ذلك بعضهم بكونه فى السنة الأولى، والذكر جدى

الفصل السادس عشر

تربية روبنسن كروسو قطيعا من المعز

وكيف عاش واطرد نجاحه

كنت في هذا الوقت في سنتي الحادية عشرة من إقامتي بهذه الجزيرة، ولما كان نقص البارود مخيفا لي ابتدأت أحتال للمعز، وأقيم لها المصايد والأشراك لاصطيادها . وقد كانت تلك الحِبالات تقبض عليها ،وتمسك بها، ولكن قوتها لم تكن كافية، فكانت المعز تأكل الطُّعم [١] ثم تفر منها . ولكنى غيرت طريقة التحايل والخديعة ، وعولت على طريقة أنجع ، فحفرت حفرا كثيرة في الأمكنة التي تكثر فيها ، وغطيت كل حفرة بغطاء من أغصان الأشجار. وفي كثير من الأوقات كنت أضع سنابل الشعير والأرز الجاف بدون نصب المصايد ، فكانت المعز تأتى فتأكل الحبوب ، ثم تخرج من حيث أتت، وكانت آثارها تنم عليها . وقد وضعت مرة ثلاث مصايد في ليلة واحدة ، وفي الصباح رأيتها كما نصبتها ، ولكن بعد أن أكل مافيها من الطعام . فاضطررت لأحداث تغيير في المصيدة ، فنجحت فيما أردت ، إذ ذهبت صباح يوم ، فوجدت في واحدة منها تَيْسا [٢] كبيرا وفي واحدة أخرى جديا وعناقين. أما التيس فلم أعرف كيف أقوده إلى حيث أحب ،

---

(١) الطُّعم بالضم الطعام ، وهو مايوضع عادة للتغرير بالحيوان

(٢) التيس الذكر من الظباء والوعول والمعز، والجدى الذكر من أولاد المعز في السنة الأولى ؛ والأنثى عناق

لأنه كان قويا وحشيا. وقد كان فى مقدرتى أن أقتله ، ولكن ذلك لم يكن تدبيرى . ولما لم أجد لى حيلة فيه أطلقت سراحه ، ولم أدر أن الجوع يهذب شرة الليوث الضوارى ، ويكسر من حدتها ، وأنى لو تركته فى حفرته ثلاثة أيام أو أربعة، وقدمت إليه فى نهايتها الماء ليشرب، والحب ليأكل، لأنس بى ، وأمن لجانبى ، وانقاد إلى انقياد الصغار التى أخذتها ، ولكن جهلى بهذه الحقيقة إذ ذاك ، جعلنى أفسح له فى الطريق ، ففر من حفرته وانطلق يعدو عدو من يرى الخطر محدقا به . وأما الثلاثة الصغيرة التى كانت فى الحفرة الأخرى، فقد ربطتها بحبل، وقدتها إلى منزلى بعد يسير من التعب . وقد مضت عليها مدة طويلة قبل أن تأكل شيئا، ولكنى قدمت إليها قليلا من الحبوب فتناولتها ، ثم شجعتها على الأكل من وقت لآخر فأكلت . وقد كان جل اهتمامى ، وما وجهت إليه عنايتى ، أن أربيها لتنتج، ويكثر نتاجها ، لأجده طعاما شهيا حاضرا حين ينتهى منى البارود ، كما أنى أصبحت مقتنعا بأنى لا أستفيد من تربيتها إلا إذا حفظتها من الاختلاط بما توحش من أبناء نوعها ، ولهذا فكرت فى اختيار مكان أحوطه بسور قوى لحفظها فيه ، حتى لا يصل إليها من الخارج ما يفر بها ، أو ترى هى غيرها فيغريها على الفرار .

وقد علمت أن العمل شاق متعب ليدين اثنتين. ولكن كان حتما على تنفيذه . فكان أول ماقمت به أن اصطفيت مكانا يوافق هذه الغاية ، يكون فيه مايكفى من العشب لأكلها ، ومن الماء لشربها ، ومن الظل لتستظل به .

وقد وفقت لمكان جامع لكل هذه المزايا بدون كبير عناء ، فقد

اخترت سهلا مغطى بالعشب ، فيه ثلاثة أخاديد [١] ملأى بالماء، وكانت إحـدى نهاياته مغطاة بالأشجار . وإن أولئك الذين يفهمون جيدا إقامة مثل تلك الأسوار سيعجبون إذا علموا أن سور هذه القطعة سيكون نحو ميلين . ولم يكن العجب من كبر المحيط ، لأن وقتى كان يسمح بعمل مثله ولو امتد إلى عشرة أميال ، إنما العجب كل العجب أنى لم أفكر أن المعز ستكون طليقة وحشية فى مثل هذا المكان ، كما لو كانت حرة تجرى فى كل الجزيرة ، وأنى سأجهد نفسى للقبض عليها بلا طائل ، لأن اتساع المكان أمامها سيمكنها من الفرار منى.

وبعد أن ابتدأت العمل ، وسورت نحو خمسين خطوة أوقفته ، وعولت على أن يكون المكان المسور لايزيد طوله على مائة وخمسين خطوة ، وعرضه على مائة . وإن زاد قطيع المعز فيما بعد على هذا المكان ففى المقدرة أن أضيف إليه أمكنة أخرى . وقد استغرق هذا السور ثلاثة أشهر كنت فى أثنائها رابطا ماعندى من المعز فى أحسن بقعة من هذا السهل نباتا، واجتهدت أن تكون بجوارى حتى لاتنفر منى عند رؤيتى : وكنت كثيرا أقدم إليها الأكل بيدى ، أو أحمل إليها بعض سنابل من الشعير،أو حبوب الأرز . فلما أتممت السور وفككت عقالها كانت تأنس بى . وتسرع إلى إذا رأتنى وتثغو [٢] ، كأنها تطلب منى الطعام الذى اعتدت تقديمه إليها .وقد نجحت بهذه الطريقة نجاحا تاما ، فقد أصبح عندى من

---

(١) الأخدود حفرة فى الأرض ، ويسمى الجدول أخدودا

(٢) ثغت الشاة تثغو صاحت وصوتت . والثغاء صوت الشاة والمعز . والثاغية الشاة.. وأثغى شاته حملها على الثغاء

المعز بعد سنة ونصف قطيع لا يقل عن اثنتي عشرة عنزة، وبعد سنتين أخريين كان عندي ثلاث وأربعون، غير ما ذبحت لطعامي. وبعد ذلك سورت خمس قطع أخرى، وأنشأت في كل منها حظائر صغيرة لأسوقها إليها إذا أردت إمساكها، وأوصلت هذه القطع بعضها ببعض بأبواب بها ينتقل القطيع من واحدة إلى أخرى

وقد عادت تربية المعز علي بالخير العميم، فأنه فضلا عن توفير اللحوم عندي، قد حصلت علي لبن منها. وكنت قبلا غير قادر على التمتع بالدَّر [١]

وقد كان المقدار الذي أحصل عليه في كل يوم وفيرا إذ كان لا يقل عن غالونين [٢]. ولذا وجدتني مضطرا لعمل أستعين به على الانتفاع بخيرات هذا اللبن الكثير ومستخرجاته، من جُبْن وزُبْد، وقشْدَه. ومع أني لم أحاب في حياتي بقرة ولا عنزة، ولم أرَ أحدا يصنع أمامي جبنا أو زبدا أو قشدة، قد وصلت إلى نتائج باهرة، وإن كانت بعد تعب وتجارب كثيرة، وأصبحت لا أحتاج إلى الزبد والجبن لأنهما وَفرا عندي. ولقد حمدت الله سبحانه إذ وفقني لفائدتي، وأسبغ علي نعمه في هذا التيه الممل، والمكان السحيق. ولا عجب فهو الذي يحمد على كل حال، وهو القادر أن يجعل السجين والمغلول في غياهب الجب، وظلمات السجن، يشكرانه على ما هما عليه من ضيق المكان، وحرج القيود. نعم إني أحمد الله على تلك الحال، وما هي إلا حال طيبة لم تكن في الحسبان، إذا قرنت بتلك التي كنت أتوقعها عند هبوطي إلى هذه الجزيرة، فأن مائدتي تهيأ، ويوضع عليها من ألوان

---

(١) الدَّر اللبن

(٢) الغالون مقياس انجليزي للسوائل سعته ٢٧٧ قيراطا مكعبا أو نحو عشر ليبرات

الطعام ما يعجب له الرائى ، فى مكان ظننت قبل وصولى إليه أنى سأقضى [١] فيه جوعا . ولو تيسر لعابد زاهد ينفض يده من زخارف الدنيا ، وينأى بنفسه عن غرورها وزينتها ، أن يرانى وأسرتى عند المائدة ، ومن حولى حاشيتى وأتباعى ، لأغرق فى الضحك ولغبطنا على ما نحن فيه من بُلَهْنِية [٢] ورخاء . هنالك يرانى أمير الجزيرة ، صاحب الجلالة فيها ، وبيدى الأمر والنهى ، وإلى تنتهى مقاليد أمورها ، وتصريف أحكامها ، كما أهوى وأختار . كذلك كانت حياة رعيتى فى قبضة يدى ، أديرها كيف أشاء وأتصرف فيها كما أريد ، أعطيها وأمنعها ، وأحييها وأميتها ، وأحررها وأستعبدها ، وفقا لرغبتى ، حيث لاشىء إلا الطاعة والخضوع ، فلا مقاومة ولا عصيان ، ولا نبذ للأوامر ، ولا مخالفة للقوانين تنتظر من مثل تلك الرعية الصالحة . وكما يأكل الملوك المسلطون منفردين على موائدهم ،

كذلك كنت آكل وحدى ، لا يرانى غير خدمى ، وببغائى المخلص الذى امتاز عن غيره من حاشيتى بمنادمتى ، والتحدث معى من حين إلى حين . وكان كلبى الذى أسن يُقعى [٣] عن يمينى . وكان بين حاشيتى هرتان ، تقوم إحداهما عن يمين المائدة ، والأخرى عن يسارها . تنتظر ان كسرة من يدى ، علامة الرضا والقبول . ولم تكن هاتان الهرتان هما نفس الهرتين اللتين أحضرتهما معى ، لأنهما هلكتا بعد أن كثر نسلها الذى حفظت منه اثنتين . وأما الباقيات ففرت إلى الأحراج [٤] ، وأصبحت مصدر شقاء

(١) سأموت (٢) بلهنية العيش رخاؤه وسعته
(٣) أقعى الكلب جلس على مؤخر ذيله ورفع فخذيه
(٤) جمع حرج وهو المكان الضيق الكثير الشجر

لى .وذلك لأنها طالما انتهزت الفرص المناسبة للأغارة على مخازنى ، فتهجم عليها ، ثم تفر بما تقدر على سلبه ، وكثيرا مافعلت ذلك ، فاضطررت إلى قتلها وإبادة كثير منها . وقد قمت بذلك فذعر الباقى ، ولم يجرؤ على الرجوع مرة ثانية . وكنت كثير التفكير فى الركوة والانتفاع بها ، وتدبير الحيل لأحضارها ، ولكنى كنت أجفُل[1] من الخطر ، فأقنع بالعيش بدونها ، غير أن أفكارى عاودتنى ، وتغلبت على ، وعزمت على العودة إلى الشاطئ حيث علوت الصخور ، لأرى حال البحر وما به من التيار والهدوء . وأردت أن يكون رجوعى برا محاذيا للساحل .

ولو رآنى أحد الأنجليز على هيئتى هذه لذعر ذعرا شديدا ، أو لاستلقى على ظهره ضحكا ، فقد كنت حين أنظر إلى نفسى لا أملك التبسم والضحك منها . ولو تيسر لى أن أجوب « يوركشير[2] » بهذه الملابس لأحدثت ضجة فيها ، وأثرت عجبا يملأ كل من رآنى ، ولعل القارئ يحب أن أرسم له صورتى بوصفى :

كنت أغطى الرأس بقبعة من جلد المعز من صنع يدى ، ينسدل منها من الخلف عَذَبَة[3] عريضة تغطى مؤخر الرأس مع الرقبة ، فتحفظ ذلك الجزء من الحرارة ، وتصد عنه عادية الأجواء المختلفة ، من مطر وغيره . وما أضر المطر بالجسم إذا توسطت قطراته بينه وبين الملابس فى جو كالذى

(١) جفل القوم يجفُلون جفْلا أسرعوا الهرب

(٢) قطيعة « مقاطعة » بأنجلترا

(٣) العذبة ما سدل بين الكتفين من العمامة جمعه عذَب

أنافيه ، كما كنت ألبس معطفا[١] قصيرا من جلود المعز ، يصل إلى منتصف الفخذ ، وسروالا[٢] قصيرا من الجلد ينتهي بنصف الساق . أما الجوارب[٣] والأحذية فلم يكن لى شيء منها ، غير أنى صنعت لنفسى شيئا يشبه الخف من جلد المعز ، وأطلته ليغطى ما ظهر من الساقين ، وربطته بِنِسْع[٤] لففته حوله ، وكثيرا كنت أتنطق[٥] بمنطقة عريضة أشدها على وسطى وأصل طرفيها ، وأعلق بها فأسا ومنشارا صغيرين بدل السيف والخنجر . وكان عندى حزام آخر وضعته فوق كتفى الأيمن ، وعقدت طرفيه تحت ذراعى الأيسر ، وعند العقدة علقت كيسين من الجلد ، جعلت فى أحدهما بارودا ، وفى الآخر قطعا صغيرة من الرصاص . وحملت على ظهرى سلتى ، وعلى كتفى علقت سبطانتى ، كما رفعت فوق رأسى مظلتى التى وإن كانت قبيحة الشكل فإنها أنفع شيء عندى بعد السبطانة . أما وجهى فلم يكن كما يظن القارىء مغبرا أشعث أسود ، لقربى من خط الاستواء ، بل كان على العكس من ذلك . وقد تركت لحيتى تنمو حتى بلغت ثلث ذراع ، ولتوافر المقصات والمواسى عندى قصرتها ، وتركت شاربى ينمو ويكبر ، حتى صار كتلك الشوارب التى نرى الأتراك يطيلونها . ولأنى كنت وحيدا لا أجد من يرانى لم أهتم بأمر بِزّتى ، ولم أعن بها كثيرا ،

---

(١) جاكت

(٢) بنطلون

(٣) جمع جَوْرَب وهو لفافة الرِّجل التى نسميها الآن بالشراب . وهو فارسى معرب

(٤) النسع سير من جلد

(٥) تنطق الرجل شد وسطه بمنطقة

واستوى لدى حسنها وقبحها . وعلى ذلك ابتدأت سياحتى الجديدة التى استغرقت منى نحو ستة أيام تتبعت فيها الشاطىء حتى وصلت إلى النقطة التى وصلت إليها فى رحلتى الأولى.

ولما لم تكن الركوة معى ذهبت توا إلى تلك الصخور فعلوتها ، ثم نظرت إلى البحر فوجدته هادئا ساكنا فدهشت لهذه الملاحظة ، وعولت على المكث لأدقق النظر علنى أصل إلى سر هذا الأمر ، ولأرى ألَلْموجة المدية والجزرية دخل فى ذلك الاضطراب المائى الذى شاهدته أولا ؟ وسرعان ما اهتديت إلى معرفة السبب ، وهو أن حركة الجزر التى ابتدأت من الغرب ، واتصلت بتيار مائى ناشئ من نهر عظيم على الشاطىء ، كانت باعثة لحركة التيار المائية التى رأيتها . وتبعا لهبوب الرياح الشديدة من الغرب أو الشمال ، يكون التيار قريبا أو بعيدا عن الشاطئ . وقد انتظرت حتى المساء ، فصعدت إلى الصخور ، ونظرت فوجدت حركة الجزر ابتدأت كما كانت قبلا ، غير أنها كانت بعيدة عن الشاطئ بنصف فرسخ . أما فى حالتى الأولى فقد غمرته ، وحملت ركوتى معها ، ولو صادفت وقتا آخر لكان حظى غير ما كان . وكانت هذه الملاحظة مقنعة لى بأن إحضار الركوة أصبح أمرا سهلا ، وما علىّ غير ملاحظة حركة المد والجزر. ولكن لما فكرت فى التنفيذ اضطرب ابى ، وذهب شعاعا ، لتذكرى الأخطار والأهوال التى حاقت بى من كل فج ، فلم أستطع تنفيذ هذه الخطة ، وفكرت فى أخرى لا خطر فيها ، ولكنها شاقة ، وكانت هذه الخطة أن أعمل لى ركوة غير الأولى ، فيكون لكل شاطىء من الجزيرة واحدة .

وقد كان عندى بالجزيرة مزرعتان ، أما الأولى منهما فكانت تحتوى على الحصن ، وفيه الخيمة يكتنفها الحائط بجانب الصخرة ، وخلفها الكهف الذى وسعته إلى محال كثيرة متداخل بعضها فى بعض . وقد كان أكبرها مخزنا لأوعيتى الفخارية ، وللسلات المحتوية على الحبوب ، فقد وضعت فيها خمس عشرة سلة تسع كل منها نحو «أردب» من القمح ، كما وضعت فيها غاتى الأخرى التى لاتزال فى سنا بلها . وكان السور الذى أقمته حول هذا السكن من غصون الأشجار قد نما وتحول إلى أشجار ضخمة حجبت خلفها مقامى عن كل عين ، وكان بالقرب منه ذانك الحقلان اللذان كنت أزرعهما حبوبا تكفينى سنة كاملة

وأما المزرعة الثانية فكانت داخل الجزيرة عند سكنى الذى أقمته هناك وحطته بسور كالأول ، أشجاره عظيمة الطول والحجم ، وظلها ممتد إلى مسافات كبيرة . ومن داخل هذا السور خيمة . اتخذتها من شراع ، وفى داخل الخيمة أريكة[١] منجدة بجلود الحيوانات التى قتلتها ، وحشوتها ببعض المواد التى تجعلها وثيرة[٢] لينة ، وغطيتها بريطة[٣] ، وكنت أتدثر عليها بعباءة طويلة . وبالقرب من هذا المكان كانت البقعة التى سورتها لقطيع المعز ، وطالما هجس فى نفسى أنها ستفر منها ، فلم يهدأ لى بال حتى أمنت شر فرارها بتقوية السور ، وحصنته بإقامة صف من الأوتاد خلفه بعضها بجانب بعض . فما جاء الشتاء وهطلت

---

(١) الأريكة سرير منجد مزين فى قبة أو بيت والجمع أرائك

(٢) الوثير اللين (٣) الرَّيْطة . الملاءة

الأمطار ، فأصابت الأوتاد ، ووصلت إلى جذورها ، حتى أصبحت بعد قليل زمن شجيرات قوية ، قامت حاجزا حصينا فى وجه المعز ، وجعلت من المستحيل عليها أن تقتحمه ، فقد كانت أمتن من حائط

تلك الأعمال الجليلة التى قمت بها تبرهن لك بوضوح وجلاء أنى لم أكن كسلا ، ولم أضع وقتى سدى ، فقد عملت كل ما وجدته ضروريا لى ولحياتى الحاضرة التى وجدتها رهنا بما أقوم به من الأعمال ، فربيت المعز ليكون عندى من اللحوم ما يكفى ، وحصلت منها فوق ذلك على اللبن والجبن والزبد والقشده ، وأصبحت آمنا على قوتى ، ولو امتد بى زمنى إلى أربعين عاما . وقد وجدت تلك الأوتاد عند نموها متلاصقة ، فاضطررت إلى نزع بعضها كى يجد الباقى مجالا للنمو وزيادة الحجم ، وفعلا كان ذلك فقد نمت نمو احسنا ، وزادت زيادة محسوسة . وفى هذه الجهة كانت الكروم التى أستغلها وأحصل منها على أحسن طعام لى فى الشتاء ، فقد كنت آكل منها فى أوانها ما أشاء ، وأجفف الباقى وأحفظه زبيبا أجده طعاما شهيا مفيدا فى باقى أيام السنة

وقد كان سكنى فى منتصف الطريق للمرفأ الذى حبست فيه ركوتى ، فكنت فى طريقى إلى المرفأ أستريح فيه . ومع حبى لتعهد الركوة ، والميل الشديد إلى المحافظة على أمتعتها ، قد كنت قليل الركوب فيها ، والاستراضة بها ، وإذا ركبتها فما كنت أتجاوز الشاطئ قيد رمح ، خشية أن يحملنى التيار أو تقذف بى الريح ، أو أى حادث فجائى إلى حيث لا أبغى ولا أحب . وصرت الآن إلى حياة جديدة

الفصل السابع عشر

خوف روبنسن كروسو من أثر قدم رآه على الرمل بغتة وتحصينه قلعته

وبينما أنا فى طريقى إلى ركوبى فى بعض الأيام عند الزوال ، إذ وجدت أثر قدم عارية لأنسان على الساحل ، وقد كان ذلك الأثر واضحا على الرمل لايحتمل شكا ولا ريبا ، فوقفت مذعورا مسلوب الفؤاد لشدة ما استولى على ، فنظرت حولى ، لأرى شيئا أو أسمع صوتا ، ولكنى لم أوفق لشئ قط ، فعلوت نجوة من الأرض لأبعد النظر ، ورحت على الشاطئ جيئة وذهابا فلم أر شيئا . ولما لم أهتد إلى كشف الأمر رجعت إلى الأثر ثانية لأفتش عنه ، خشية أن يكون الوهم قد أوجد أمامى ماليس بموجود ، فوجدته ظاهرا للعيان بأصابعه وعقبه ، وكل جزء فيه . ولما لم أعرف كيف وجد ذلك الأثر فى مكانه ، وعجزت عن فهمه ومعرفة أصله ، وكثرت عندى الأفكار المضطربة ، والتخيلات المتنوعة ، عدت وأنا مضطرب الأعضاء غير ثابت الأعصاب إلى حصنى خائفا أترقب ، فأنظر خلفى عقب كل خطوة ، وأتلفت يمنة ويسرة ، وأحسب كل جذع من جذوع الأشجار رجلا متربصا ، وكل شىء أمامى يستعد للوثوب علىّ . ولما وصلت إلى حصنى هرولت إليه كمن يفر من مطاردة ، ولا أدرى كيف كان دخولى إليه أبالسلم الذى كنت أعددته أم بالممر الذى حفرته فى الصخور بعد ذلك ؟ فقد كنت أخوف من أرنب رأت



فوقفت مذعورا مسلوب الفؤاد

مكروها ففرت لتختفى أو ثعلب أحس بخطر فعدا لينجو منه ، ولم تكتحل عيناى بالكرى تلك الليلة ، لما انتابنى من الهواجس والمخاوف التى انهالت على من كل حدب حتى صرت

كريشة فى مهب الريح طائرة   لا تستقر على حال من القلق

فقد كان ذلك الأثر الذى كشفته يخيفنى، وإن بعدت الشقة بينى وبينه. وكنت أعلل النفس بأن هذا الأثر قد يكون من عمل الشيطان . وقد وجدت من نفسى ارتياحا لهذا الخاطر ، لأنه كيف يمكن مخلوقا فى زى إنسان أن يكون هنا فى هذه الجزيرة ؟ وإلا فأين السفينة التى أوصلته ؟ وأين آثاره الأخرى على الشاطىء ؟ ولكن ما الذى يدعو الشيطان أن يتشكل بزى إنسان ليترك أثرا له بتلك الجزيرة ، حيث لا إنسان بها ، وليس يعلم أنى سأراه ؟ هذا مجلبة العجب . ولقد كنت أقول فى نفسى : إن الشيطان يمكنه أن يخيفنى بطرق لا نهاية لها ، أما هذا الأثر الوحيد فإنه قليل الجدوى فى الإخافة ، لأنى أعيش على الشاطىء الآخر من الجزيرة ، ولا يبلغ ضعف الرأى ، وقلة الحيل والدهاء بالشيطان أن يترك أثرا لا يخطر ببالى أن أراه ، فوق رمال معرضة لتأثير المياه . وأقل حركة للرياح تهيج اللجج فتطمس معالم تلك القدم . كل هذه أشياء لا تتفق عادة مع ما نعتقد من دهاء الشيطان ومكره وكانت تلك الأفكار وما شابهها مقنعة لى بأن الشيطان لا دخل له فيما رأيت . واهتديت بعد دقة البحث والنظر إلى أن محدث ذلك الأثر لا بد أن يكون مخلوقا أشد شرا من الشيطان ، ذلك المخلوق هو أحد المتوحشين الذين يقطنون بتلك الأرض التى كنت أود

الذهاب إليها ، وأنه اضطر بتيار أو ريح مضادة للرسوّ على هذه الجزيرة ، ثم لم يلبث أن عاد أدراجه كارها أن يقيم وحيداً بأرض لا أنيس بها ولا خليل .

وبينما أنا غارق فى تأملاتى هذه إذ أفقت حامدا الله لأنى كنت بعيداً عن الشاطىء وقت مجيئهم ، فلم يرونى أنا ولا ركوتى ، لأنهم لو شاهدوها لعلموا أن أناسا يقطنون بهذه الجزيرة ، وقد يبحثون عنهم حتى يصلوا إلى فيأ كلونى ، لأنهم من آكلى لحوم البشر ، وإن لم يجدونى فسيعثرون بمسكنى فيدمرونه ، ويعيثون بمخازنى وحبوبى فسادا ، ثم يحملون قطيع المعز ، فأعرض بعدئذ للهلاك جوعا . وهكذا توافدت على الوساوس ، واعترتنى رعدة شديدة من هول الموقف ، وأذهب عنى الخوف كل رجاء لى واعتقاد دينى ، وكلّ ماقويت من آراء دينية بتجاربى العدة قد ذهب ، كأن الله الذى أسبغ على نعمه فى هذا التيه غير قادر على المحافظة عليها .

وقد أصبحت قلقا ، واعترفت بخطئى فى زراعة الحبوب ، فقد قصرت زراعتى على ما يكفينى منها حتى ظهور الحصاد التالى ، فلم أحسب حسابا للآفات والطوارىء ، ولذلك غيرت نهجى ، وعولت على أن أزرع ما يكفينى ثلاث سنين ، حتى إذا خاب جَدِّى فى الزراعة لسبب ما ، وجدت عندى ما أقيم به صلبى وأدرأ به غائلة الموت جوعا عنى .

ما أغرب حياة الأنسان . إنك إن فكرت فيها وجدتها ينبوعا لعجائب كثيرة ، ومظاهر متناقضة ، لتناقض أسبابها وعللها . فقد تعشق اليوم ماتبغض غدا ، وتهجر الآن ما كنت تبحث عنه قبلا ، وترغب الساعة فيما تخافه فى المستقبل ، بل ماتضطرب منه عند خطوره بخاطرك .

ولقد كانت حالى مثالا لهذه المتناقضات ، فقد كنت أعدنى شقيا لبعدى عن الأنسان ، وعيشى فريدا يكتنفنى البحر الذى لا ساحل له من كل جانب ، وكنت أرى أن السعادة فى رؤية فرد من بنى الأنسان ، وأعدها سعادة لا تفوقها إلا سعادة الخلاص من هذا التيه المنعزل عن العالم ، وكأن الله رآنى غير أهل للاختلاط ببنى نوعى أو غير مدنى بطبعى ، فقضى علىّ بالعزلة وحرمنى الائتناس بهم ، فأصبحت أرتعد فرقا حين أفكر فى رؤية رجل ، وصرت كأنى سيقضى على لرؤية أثر قدمه الصامت على رمال الشاطئ . وهكذا تكون حال الأنسان المتقلبة لا تستقر على لون واحد

ولما أفقت من سكرة الخوف وحدته ، وأمعنت فيما أنا فيه ، وجدتنى مستحقا لكل المكاره عقابا على ما فرطت فى جنب الله ، فقد أوجدنى من العدم بمحض إرادته ، وأنعم على بما لا أقدر على حصره ، حتى أصبحت عبد آلائه ، فلما قويت واستحصدت مِرتى ، عصيته وأنكرت يده عندى ، فاستحققت عذابه ونقمته . ومن قدر أن يعذبنى هذا العذاب فهو قادر أن يخلصنى منه . ولهذا توجهت إليه وتضرعت بكل الوسائل ليرشدنى إلى طريق الأمن والنجاة .

وكنت أقضى الساعات تفكيرا وتدبيرا ، لأن خوفى من المتوحشين ملأنى ذعرا وهلعا ، وأذكر أنى كنت مضطجعا فى سريرى غداة يوم ، فذكرت مما أحفظ من الكتب المقدسة « ادعنى فى يوم تعبك أخلصك فتحمدنى » فقمت قرير العين . مرتاح الفؤاد ، وسجدت ضارعا لربى أن ينقذنى من هذا الضيق ، ولما فرغت تناولت الكتاب المقدس ، وقلبت

صفحاته ، فكان أول ما رأيت « اعبد الله ، وأبعد عنك الحزن ، وانتظر منه ثباتا فى الجَنان » فارتاحت نفسى وسكن مابى من الألم .

وبينما كنت أفكر يوما خطر لى أن كل تلك الضجة ربما كانت من عمل مخيلتى ، وأن ذلك الأثر ربما كان لقدمى حين رجعت من مرفأ زكوتى ، فداخلنى شىء من السرور والراحة ، إذ أى مانع يمنع صدق هذا الحَدْس[1] وأنا لا أعرف كل مكان سرت فيه فأجزم بكذب هذا الخاطر . ولو صدق حدسى ، وكان الأمر كما ظننت ، لكنت من أولئك الحمقى الذين يضعون قصصا مخيفة ، ثم يصبحون وهم أول من تضطرب أعصابهم لها . ثم ابتدأت أجرؤ بعد ذلك على الخروج من مكمنى بعد أن مكثت ثلاثة أيام لا أقدر فيها على الظهور ، ولا أستطيع مغادرة حصنى ، حتى نفد غذائى ، وأصبحت المعز فى حاجة شديدة إلى حلب لبنها الذى آلمها تركه فى ضُروعها[2] وصرت أخشى أن يجف . وبتلك الفكرة وذاك الظن تشجعت على الخروج ، وذهبت لأحلب القطيع . ولتعرف مقدار خوفى ، وكيف كنت وجلا ، أحدثك بأنى لم أزل كيوم رأيت الأثر أول مرة ، أنظر خلفى كلما خطوت خطوة ، وألتفت من عن يمينى تارة وشمالى أثناء مسيرى . وكثيرا حدثتنى النفس بإلقاء ساقى والفرار طلبا لنجاتى . ولو رآنى إنسان على تلك الحال لظن بى مساً من الجن

وقد درجت على ذلك ثلاثة أيام لم أر فيها أثرا لأحد ، فهدأ روعى

---

(١) الحدس الظن والتخمين

(٢) جمع ضَرْع وهو مَدَرّ اللبن

وسكن جأشى ، ولكنى لم أقتنع بأن ذلك الأثر من صنع قدمى، فعولت على الذهاب إلى الشاطئ لأراه وأقيسه ، عله يكون مشابها لقدمى .
ولما وصلت وجدت موضع الأثر بعيدا عن كل مكان مررت به ، وعند تقديره بقدمى وجدته أكبر منها كثيرا ، فعادت لى الهواجس واضطربت اضطراب المحموم ، وأيقنت أن القدم لأحد المتوحشين لامحالة ، وأنهم قد أتوا إلى هنا ، أو أن الجزيرة مسكونة ، ولا بد أن أفاجأ بهم . ولم أدر ما حيلتى لمثل تلك الصدمة الهائلة إن حلت .

حقا إن الخوف يجتث من الرجال عقلهم وتدبيرهم ، ويحملهم على أن يسلكوا طرقا غير مأمونة السلوك ، فقد كان أول ما عزمت عليه أن أهدم ما شيدت بيدى من مساكن وأسوار ، وأطلق المعز تسرح حيث تشاء ، وأخفى كل أثر لحقول الشعير والأرز ، لئلا يهتدى بها أحد إلىّ . أما طعامى فسأتركه للفرص ، وأحصل عليه من الجزيرة كيفما اتفق ، وكان من بين تدبيرى أن أطوف بالجزيرة باحثا عن ساكنيها . وهذه كانت خطتى تلك الليلة بعد عودتى إلى مقرى ، وامتلاء نفسى بالهلع ، فأن الخوف المتوقع أشد تأثيرا ، وأقوى عملا من الخوف نفسه إذا كان واقعا .

وفى وسط تلك المخاوف والشكوك لم أتذكر أن ألجأ إلى الرحمن الرحيم ، ليصرف عنى شر ما جنته يداى ، ولم أتوجه إليه ليرفع عنى عبئا لاقبل لى بحمله . وقد مضى الليل وأنا سابح فى بحار فكرى ، وما وضح النهار حتى احتكم فىّ الكرى ، فنمت نوما عميقا . ولما أفقت وجدتنى مستريحا ، فاتزن فكرى ، ونضج رأيى ، واعتدلت حجتى ، وعرفت أن

هـذا المكان خير من غيره ، لوفير خيراته ، وقربه من ممر الجوارى . ولا بد يوما أن تمر بي سفينة ، إن قصدا وإن عرضا

ولم أكن أتوجس خيفة إلا من وصول زوارق المتوحشين إلى الجزيرة . وقد كانوا يصلون إليها أحيانا ، ولـكنهم يرحلون عنها بسرعة ، وقلما يقضون بهـا الليل ، بل يسرعون بالعودة إلى أرضهم يوم مجيئهم ، لينتفعوا بتيار الماء وضوء النهار . فلم يكن يلزمنى حينئذ إلا البحث عن وَزَر [1] ألجأ إليه إذا اشتد الخطر ، ووصل أحد المتوحشين إلى مكانى

وقد أيقنت الآن بخطئ فى تكبير الـكهف ، وتوصيله إلى الخارج بالباب الذى حفرته ، فعولت على إقامة تحصين ثان على شـكل نصف دائرة ، كما عملت فى الأول . فاخترت المكان الذى غرست حوله خطين من الأشجار منذ اثنتى عشرة سنة ، وقـد كانت تلك الأشجار متقاربة بعضها من بعض حتى أنها لم تحتج إلا إلى قليل من الأوتاد تغرس بينها ، فتصبح حائطا قويا لا يمكن اجتيازه . وبعد الانتهاء من سد الثُّغَر [2] وإحكام العمل ، تركت سبعة ثقوب صغيرة تسمح لليد فقط بالخروج منها . وفى داخل هذا الحائط بنيت حائطا من الطين الذى حملته من الـكهف يبلغ ارتفاعه سبع أقدام . وكنت أضع الطين تحت قدمىّ وأطؤه بهما حتى يقوى ؛ وفى تلك الثقوب عزمت على أن أضع بنادق السبع التى كانت فى جملة ما أنقذت من السفينة . وقد وضعتها بهيئة تمكننى أن أطلقها فى مدة لا تتجاوز

(١) ملجأ (٢) جمع ثغرة وهى الثُّلمة فى الحائط يخاف هجوم السارق منها

دقيقتين . واستغرق هذا الحائط شهورا عدة ، كنت أعتقد أثناءها أنى غير آمن حتى يتم هذا العمل .

ولما انتهيت منه زرعت الأرض التى حول الحائط بنوع من الشجر ينمو سريعا ، فوضعت فى الأرض نحو عشرين ألفا من الأغصان التى نمت فكونت شبه غابة متلاصقة الأشجار ، لا تسمح بمرور شىء بينها ، وتركت بين تلك الغابة وحائطى مسافة لأتمكن من رؤية من يكون هناك حتى لا يختبئ فى الأشجار . وقد أصبحت هذه الأشجار منيعة بعد مضى خمس سنين . فلا يتيسر اجتيازها ، ولا يمكن مخلوقا أن يدرك أن وراءها أى شىء ، بَلْهَ [1] سكن لإنسان حى . وقد صنعت سلمين لأتمكن بهما من الدخول والخروج ، فكنت أضعهما على جانب التل القليل الارتفاع . وبعد إنزالهما لا يمكن أحدا أن يصل إلى إلا إذا أضر بنفسه .

وهكذا قمت بكل ما يمكن الإنسان أن يفكر فى اتخاذه . وسيرى القارئ أنى لم أكن مخطئا فى اتخاذ الحيطة لنفسى ، وإن لم أر حتى الآن شيئا يبرر كل ذلك الحذر

ولم أكن خلال قيامى بهذا العمل مهملا شئونى الأخرى ، فقد وجهت شيئا من عنايتى وتفكيرى إلى قطيع المعز الذى أصبح ثروتى ، وأغنانى عن الجرى وراء جدى أو معزى شاردة ، ووفر لى البارود .

وقد كنت أخشى عاديات الدهر على هذا القطيع المجتمع ، ففكرت فى طريقة لوقايته ، فلم أجد غير اثنتين ، الأولى أن أبحث عن مكان

---

(١) بَلْهَ سكن أى ترك سكن

موافق أحفر فيه كهفا تحت الأرض، وأسوقه إليه ليلا ، والثانيـة أن أجد مكانا بعيدا مستورا عن الأعين ، وأسور فيه قطعتين أو ثلاثا بعيدا بعضها عن بعض ، وأضع فى كل منهما قليلا من المعز حتى إذا حل بقطيعى ما أخاف عليه منه. وجدت عندى خلفا له . ولم أجد أنجح من هذه الخطة

وبهذا العزم ذهبت فى الجزيرة لأبحث عن أحسن الأمكنة . وبعد لأى ماعثرت على بقعة صالحة لا أرغب فى أحسن منها ، فقد وجـدت مكانا يبلغ اتساعه نحو ثلاثة أفدنة محوطا بغابة كثيفة ، ولم يكن من السهل الاهتداء فيه .

ولم أحتج لعمل كثير فى جعل الغابة حول تلك البقعة متلاصـقة متماسكة كحائط متين . وبعد الفراغ من هذا التحصين الذى لم يطل وقته سقت إليه عشرا من الأعنز واثنين من ذكورها .

الفصل الثامن عشر

تدابير روبنسن كروسو

واطلاعه على أن المتوحشين كانوا يترددون الى الجزيرة

تجشمت كل الأعمال من جراء رؤية قدم على رمال الشاطئ، لأنى لم أر هنالك حتى الآن آدميا واحدا. وقد عشت ثمة سنتين تحت تأثير الخوف ، فساء عيشى . ولا يعرف كنه حالى إلا أولئك الذين يعيشون متأثرين بالرهبة من سطوة الرجال . ولقد كان خوفى وشكوكى الـكثيرة سببا فى إهمال واجباتى الدينية ، لأنى قلما كنت أجدنى فى حال يسمح لى بأداء تلك الفرائض ، وأنا ثبت الجنان ، مرتاح النفس ، بل كنت إذا قمت

بشيء من ذلك أؤديه وقلبي مفعم بكل أنواع المخوفات . ولا تكون العبادة إلا عند هدوء النفس وسكونها .

ولا أطيل عليك فقد فرغت من هذه البقعة ، وذهبت لأبحث عن أخرى علني أصيب بغيتي ، فأوغلت في الجزيرة حتى وصلت إلى شاطئها الغربي . وعند ذلك علوت ربوة من الأرض ، ونظرت إلى البحر ، فرأيت عن بعد شيئا ظننته زورقا ، ولكني لم أتمكن من تمييزه لبعد الشقة بيني وبينه . وقد أسفت لترك المرقب[1] في الكهف : ولو علمت بما سيكون ، وأني سأرى هذا الشبح لأحضرته معي . وقد حدّقت[2] إليه ، وأطلت تحديقي حتى مللت ، وأصبحت عيناي لا تريان شيئا من طول إحداقهما وإجهادهما في النظر ، فتركت المنظر ، ونويت أن أحمل معي المرقب بعد الآن ، فربما احتجت إليه .

ولما تركت التل وذهبت قريبا من الشاطيء ، وجدت أن ذلك الأثر الذي رأيته وحرت في تعبيره[3] ومعرفة كنهه[4] لم يكن عجيبا وجوده كما ظننت ، فحمدت الله على أني لم أسكن هذه الجزيرة من الجهة التي أخافها ، بل أقمت في مكان لا يصل إليه المتوحشون ، وقد كانوا يأتون إلى هذا الشاطيء بزوارقهم من عرض البحر للاحتماء به إن خافوا العواصف . وقد يتقابلون في زوارقهم ، ومن حقت عليه كلمة الهزيمة وقع أسيرا في

---

(١) تلسكوب
(٢) حدّق اليه : شدد النظر اليه وأدار الحدقة
(٣) تفسيره (٤) حقيقته

قبضة المنتصرين ، وأتوا به إلى هـذا الشاطىء ليأكلوه كما جرت بذلك عاداتهم المرذولة .

لقد رأيت الشاطىء (الجنوبي الغربي) ، وياهول مارأيت ، رأيته وقد امتلأ بعظام إنسانية من جماجم وأيد وأقدام وغيرها . وقد وجدت مكان النار واضحا ، كما وجدت أثر جلوس المتوحشين حولها ظاهرا على الأرض ، فقد كانوا يجلسون بشكل دائرة حول النار ، ليأكلوا لحم أخيهم الانسان ، وقد امتلئوا غبطة وسرورا .

وقفت مفكرا في هذه الوحشية القاسية التي لارحمة فيها ولا شفقة ، وقلبي يكاد يتميز من الغيظ . وقد سمعت من قبل أن هناك طوائف تأكل لحم الآدمي ، ولكني لم أر منظرا مفزعا كهذا . وقد أسرعت في ترك المكان ، لأن معدتي قد اضطربت وآلمتني ، وكدت أخر مغشيا علي ، ولكن غثيان نفسي انتهى بقيء شديد أراحني ، فهرولت بعده لأفر من هذا المنظر المفزع الذي تقشعر منه جلود الذين يخشون ربهم ، وأعود إلى مقري . وبعد أن سرت قليلا وقفت مفكرا في كل مارأيت ، فامتلأ قلبي شكرا لله على أن كانت إقامتي في جزء من الجزيرة آمن شرّ أولئك الوحوش . وأصبحت أرى أني وإن كنت في شقاء ، فأني أمنت شر كثير من الأشياء ، وأني مدين بالشكر في هذه الحال التي لا تدعو إلى كثير من التبرم أو الشكوى . وهكذا رجعت إلى قلعتي وأصبحت مستريحا آمنا ، لأني علمت بعد البحث والتفكير أن أولئك القوم الضالين لا يذهبون إلى الجزيرة للبحث عن شيء هناك ، وإني لا أشك أنهم جاسوا خلالها من قبل ، ولكن لرجوعهم في كل مرة بخفي حنين أصبحوا لا يهتمون بداخل الجزيرة ، وقصروا وجودهم على ذلك الشاطىء الذي

مر وصفه . وقد مضى على وأنا بهذه الجزيرة ثمانى عشرة سنة لم أر فيها أثرا لآدمى . ولو بقيت فيها مثل تلك المدة لكنت آمنا مادمت مختبئا فى أحراجها وأجمها . ولم يخطر ببالى أن أظهر إلا إذا وجدت أفرادا متمدينين من نوعى . ومع ذلك كرهت أولئك الشياطين كرها لا يحد ، وأبغضت عاداتهم حتى أصبحت غارقا فى بحار التأملات والحزن ، ولم أخرج من منازلى سنتين متتاليتين ، لأن بغضى لتلك الطائفة الجهنمية لم يجعل عندى فرقا بين رؤيتهم ورؤية الشياطين أنفسهم . ولم أفكر أثناء تلك المدة فى الخروج لرؤية ركوتى ، لأنى خفت إن ذهبت إليها وأحضرتها أن أقع فى أيديهم ، فيكون مصيرى إلى النار التى يوقدونها ، فعولت على صنع ركوة أخرى . وقد كان طول الزمن كفيلا برد الوساوس عنى ، فشعرت براحة وطمأنينة كما كنت قبل أن أكشف أثر المتوحشين . غير أنى أصبحت حذرا ، وامتنعت عن إطلاق سبطانتي لئلا يسمع صوتها أحدهم إذا كان بالجزيرة ، وأحمد ربى إذ كنت فى غنى عن استعمالها بتربية ذلك القطيع الذى أغنانى عن السعى وراء رزقى ، فلم أطلق طلقا واحدا مدة سنتين ، وإن كنت دائما أسير ومعى سلاحى

فقد كنت أحمل مع سبطانتى غدّارتين ، وسكينا أعلقه فى حزامى ، وسيفا عريضا بلا غمد . وعدت الآن إلى حياتى الأولى ، ومما زادنى راحة ودعة أنى وازنت بين حالى وماعساه أن يكون لو شاءت المقادير فأوقعتنى فى شر أعمالى . ولو أن الناس جميعا ينظرون إلى من هم أقل منهم ثروة وجاها لسعدوا ، لأن الرجل يشقى نفسه بتطلعه إلى منزلة يتوق إليها ولا يستطيع بلوغها . وقد أضعف الخوف منى قوة الاختراع ،

فأصبحت لا أهتم بما كنت أنوى الحصول عليه ، فقد فكرت فى استخراج الجعة [١] من الشعير ، ولكنى أهملت ذلك ، وكنت أظنه سهل التدبير غافلا عما يحتاج إليه من الأدوات والمواد التى يتعذر على الحصول عليها ، كنواجيد [٢] لحفظها ، وخميرة لمزجها ، ووعاء لأغلائها فيه ، ولكنى لو لم أهدد بذلك الخوف لاجتهدت فى إنفاذ مشروعى ، لأنى قليلا ما أدع شيئا بعد أن أفكر فيه .

ولكن قوة الاختراع عندى تحولت إلى طريق آخر ، وهو طريق القصاص من أولئك الظالمين الذين يأكلون لحم أخيهم الأنسان ، فقد ابتدأت أدبر الأمر لقتلهم وإنقاذ تلك الفريسة التى يأتون لأكلها . وقد وضعت كثيرا من الخطط والتدابير لذلك ، ولكنى خشيت تنفيذها ، لأن فردا واحدا يصعب عليه أن يقاتل ثلاثين رجلا برماحهم وسهامهم التى يقذفون بها من قِسِيِّهم وأوتارهم ، كأمهر رام مُدرَّب على الرماية .

وأردت مرة أن أحفر مطمورة [٣] تحت موقدهم ، وأضع فيها بارودا فإذا أوروا نارا التهب البارود فأصابهم ، ولكننى أحجمت عن تنفيذ هذه الخطة ، لأنها ستفقدنى كثيرا من ذخيرتى التى قلت قلة محسوسة ، ولأن نتيجتها غير محققة ، إذ كل ما كنت أنتظره منها أن تنفجر الحفرة فتطير منها أجزاء تخيفهم ، ولا تودى بحياتهم . عدلت عن ذلك وابتدأت

---

(١) نبيذ الشعير وهى المسماة البيرة (٢) مفرده ناجود وهو وعاء الخمر ؛ وكل اناء يجعل فيه الشراب

(٣) الحفيرة تحت الأرض يوسع أسفلها تخبأ فيها الحبوب عادة

أفكر فى حيلة أخرى لهلاكهم ، وهى أن أختبئ فى مكان يشرف عليهم بحيث أراهم ولا يروننى ، وآخذ معى بنادق الثلاث المزدوجة بعد أن أملأها جيدا ، فاذا ابتدءوا لهوهم ولعبهم حول فريستهم أطلق عليهم تلك البنادق . وكنت واثقا أنى أقتل بعضهم وأجرح بعضا بكل طلق نارى ، فاذا انتهيت من تلك العملية أهجم عليهم بخناجرى وسيفى فأقضى على من به منهم بقية من الحياة . وقد امتلأت نفسى بهذه الفكرة حتى كنت أحلم بها فى منامى ، وأرانى فى الحلم منقضا عليهم فاتكا بهم . وقد ذهبت مرات عدة لأبحث عن مكان يمكننى الاختفاء فيه ، وإنفاذ مشروعى منه ، ولكنى لما ترددت على المحل ، ورأيت أثر وحشيتهم . وهمجيتهم وأكل بعضهم بعضا ، سكن بعض ما كنت أجد من الحقد والضغينة . وبعد لأى وجدت مكانا يناسب غرضى إذ يمكننى من رؤيتهم جميعا،وهم عند فريستهم . وفى هذا المكان عزمت على تنفيذ خطتى ، فملأت بنادق بارودا ورصاصا ، وأخذت معى ذخيرة تكفى لملئها مرتين أو أكثر إذا احتجت لذلك . وقد ذهبت كثيرا إلى المكان الذى اخترته ، على أرى أحدا فلم أوفق لشىء مما كنت أبغى . وقد كان ذلك الشاطئ يبعد عن سكنى بنحو ثلاثة أميال . فابتدأت بعد ثلاثة أشهر أشعر بالتعب من كثرة الذهاب والأياب ، إذ كنت أنظر بعينى المجردة ومرقبى ، فما كنت أرى شيئا قط من آثارهم . وكنت فى جميع تلك المدة التى ذهبت فيها إلى الرُّبى المشرفة على ذلك الشاطئ مصراً على تنفيذ نيتى ، ومستعدا لقتل عشرين أو ثلاثين من أولئك الزنوج الوحشيين العراة لذنب لم أفكر

فيه حق التفكير ، بل امتلأ رأسى ضدهم عند مارأيت أثر وحشيتهم التى تخالف الطبيعة . وقد أراد الله بحكمة تدبيره تركهم بلا مرشد ولا هاد ، إلا شهواتهم الدنيئة التى أغرقوا فيها وأهملوا . واستمروا على تلك الحال يأتون أعمالا قبيحة ، ويتمسكون بعادات شيطانية تأصلت فى نفوسهم وألفتها طبائعهم الخبيثة . ولما مللت الذهاب والعودة بلا ثمرة ترجى ، ابتدأت فى تغيير خطتى ، والتفكير فيما كنت قادما عليه ، وأى حق لى فى تنفيذ ما عزمت عليه من قتلهم وتشتيتهم ؟ هل أنا قاض حق أحد فى ذلك ؟ لقد اقتضت إرادة الله أن يكونوا كذلك منفذين قضاءه فيهم . فهل أصابنى منهم ضرر حتى أدرأ عن نفسى شرهم ؟ وما هو حكم الله فى ذلك ؟ إنهم لم يأتوا هذا العمل ، وهم يعتقدون أنه جريمة تخالفها ضمائرهم ، ويعذبهم عليها وجدانهم . إنهم لايعتبرون أعمالهم جرائم تخالف شريعة الله ، كما نقترف جل ذنوبنا ، ونحن موقنون بذلك . إنهم لاينظرون إلى قتل أحدهم إلا كما ننظر إلى ذبح ثور ، ولا يرون أكلهم لحمه إلا كما نرى أكل اللحوم التى أحل لنا أكلها .

ولما أمعنت فى مثل تلك الأسئلة بحثا ظهر لى أنى كنت مخطئا ، وأن أولئك الزنوج ليسوا قتلة بالمعنى الذى فهمته أولا ، أكثر مما أرى باقى الشعوب الذين يقتلون أسراهم ، أو يعملون السيف فى جماهير من الناس ، وإن ألقوا سلاحهم وسلموا . وقد ظهر لى أنهم وإن أجرم بعضهم مع بعض لم يصلنى أذاهم . ولهذا لم يكن من العدل فى شئ أن أضرهم ، بل يجب أن أدعهم حتى يبدءوا ، فان فعلوا علمت كيف أدافع عن نفسى وأوقع بهم شر وقيعة . ولو جاز لى قتلهم بلا داع لما ليمَ أهل إسبانيا

على أعمالهم الوحشية فى أمريكا حيث أهلكوا ملايين عدة من أولئك القوم الذين نراهم أبرياء إذا قرنوا بهم ، وإن كانوا وثنيين متوحشين ، وكانت لهم عادات وطقوس دينية وحشية ، كتضحية الناس لأصنامهم. وإن تلك الأعمال الجائرة التى ارتكبها الأسبانيون لاتزال تذكر بين الأوربيين والأسبانيين أنفسهم فى هذه الأيام ببغض وكراهية ، ويعتبرونها أعمالا وحشية دموية ، وقساوة بشرية لاتبررها الشرائع ، وأصبح اسم الأسبانيين بسببها مخيفا كريها عند كل من به ذرة من الشفقة فى العالم . وكأن الله قد اختص إسبانيا بقوم قد عريت نفوسهم من مكارم الأخلاق ، ومبادئ الرأفة والحنان نحو الفقراء والمساكين .

وكانت هذه الأفكار سببا فى توقفى عن المضى فى تنفيذ خطتى ، والابتعاد عن طريقها ، والاعتراف بأنى أخطأت التقدير ، إذ عزمت على مهاجمة أولئك المتوحشين ، ولم يكن لى حق فى أن أتدخل[1] فى شئونهم إلا إذا ابتدءونى بشرهم . وحينئذ أعرف كيف أرد كيدهم فى نحورهم.

ومن جهة أخرى علمت أن خير سبيل لى هو أن أبتعد عنهم ، وأتوارى عن عيونهم ، ولا أنفذ ماعزمت عليه إلا إذا قدرت على إهلاك كل من يأتى إلى هذه الجزيرة فى كل مرة ، إذ لو فر أحدهم راجعا إلى قومه لأخبرهم بما حل بصحبه ، فيأتون ألوفا عدة للأخذ بثأرهم . وحينئذ أكون قد سعيت إلى حتفى بظلفى. فلم يكن من حسن السياسة والتدبير ولا من مكارم الأخلاق أن أعارضهم فى أمورهم التى لاتعنينى ، فعولت

---

(١) أتدخل مثل أدخل

علي أن أختبئ عن أنظارهم ، ولا أترك أثرا يدل على أن بالمكان مخلوقا إنسانيا . وقد ساعدنى الدين فى خطتى الجديدة ، وأصبحت مقتنعا بخطئى حين كنت أضع الخطط والتدابير لأهلاك أولئك الرهط الذين لم يأثموا ولم يجرموا بالتعدى علي . أما جرائمهم التى يرتكبونها بينهم فلا دخل لى فيها ، والله يتولى عقابهم عليها كما تولى خلقهم وتوزيعهم فى الأرض

وقد وضح لى الآن أنى تجنبت أمرا لو أتيته لكنت كمن ارتكب القتل عمدا وعد قاتلا آثما .

فسجدت شكرا لله على ماوفقنى إليه من اتباع طريق الحق ، وعصمنى من الزلل وضرعت إليه أن يقينى شر الوقوع فى أيدى المتوحشين ، وألا يسول لى الشيطان الايقاع بهم ، إلا إذا وجد المبرر لذلك .

الفصل التاسع عشر

وجود روبنسن كروسو مغارة يستتر فيها من المتوحشين

وقد مكثت سنة كاملة لاأذهب إلى مكانهم من الجزيرة لأراهم أو أرى أثرهم ، خشية أن تسول لى النفس — والنفس أمارة بالسوء — أن أغتنم الفرصة فى غفلتهم ، فأمزقهم شر ممزق . وذهبت إلى ركوتى وقدتها إلى الطرف الشرقى من الجزيرة ، حيث أدخلتها مغارة تشرف عليها الصخور . وقد علمت أن من كنت أخشاهم لايمكن أن يكونوا هناك لأن التيار لايساعدهم . ونقلت معها كل ماتركته هناك من أدواتها ،

وهى الصارى والشراع ، وأنجرها الذى اتخذته لهـا ، لأخفى كل أثر حتى لا يتجه فكر أحـد إلى أن بالجزيرة إنسانا يسكنهـا ، وقبعت فى مُعْتكَفى متواريا عن كل عين ، ولم أغادره إلا لحلب المعز وتعهد القطيع الذى أبعدته فى الجزيرة بين الأدغال [1] والأجم . وكان بعيدا عن كل خطر لأن القوم بعد أن جاسوا خلالها ولم يجدوا بهـا شيئا ، اطمأنوا إليهـا ، وقصروا وجودهم على شاطئها . ولم يختلجنى أقل شك فى أنهم أتوا إلى الشاطئ كثيرا ، بعد أن حذرتهم ، كما كانوا يفعلون قبلا . وكنت أضطرب حين أنظر إلى الحالة التى كانت لامحالة تنتظرنى لو صادفونى عند جولانى فى الجزيرة، عاريا غير مسلح إلا بسبطانة واحدة مملوءة فى الغالب بقطع رصاصية صغيرة . وماذا كنت أعمل لو كنت عند عثورى على أثر تلك القدم قد صادفت خمسة عشر رجلا أو عشرين منهم، ورأيتهم يجدون ركضا فى أثرى طالبين قتلى، وليس لى إلى الخلاص سبيل ، لأنهم يَعْدُون كالريح طائرة . وكان مجرد التفكير فى تلك الحالة يزعجنى إزعاجا لا يدرك غوره . وكان من الصعب أن أتخلص من وساوسه ، إذ بربك ماذا كنت أعمل لو أخذت على غرة ولم يترك لى وقت كاف للتفكير؟ بل ماذا أصنع لو دهمنى خطرهم بعد طول الأناة والبحث ؟ إن الأمر شاق والموقف حرج ، غير أنى حولت كل ذلك لشكر العناية الألهية ، لأنها حاطتنى من شرور كثيرة غير منظورة ، وأنقذتنى من مهالك هائلة لم تكن لى قدرة على الخلاص منها . فذكرنى موقفى هذا بشعور كنت أجده

---

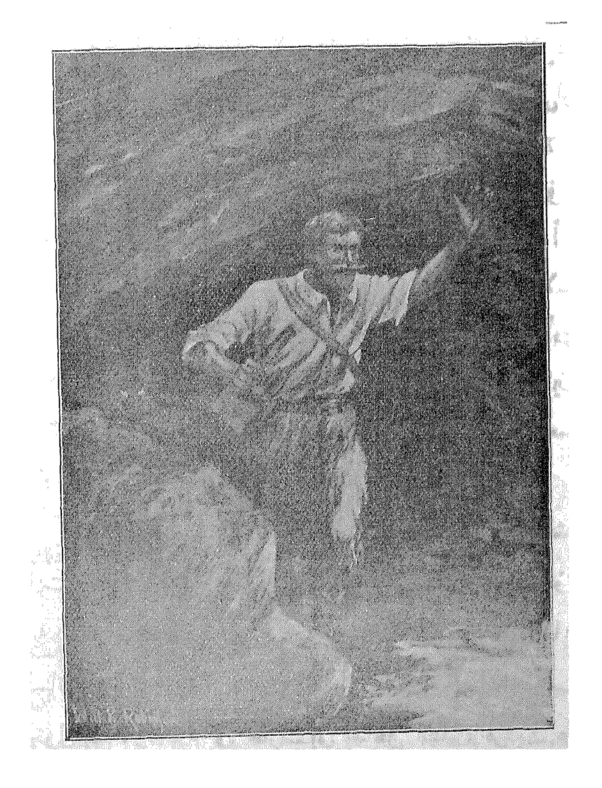
(١) الأدغال جمع مفرده دَغَل وهو الشجر الكثير الملتف

فى الماضى، عند ما فكرت فى آلاء الله ورحمته التى وسعت كل شىء ، وعنايته التى أنقذتنا من الوقوع فى مخاطر هذه الحياة ، حيث لا علم لنا بشىء منها. وذلك الشعور هو كيف نسلك طريق النجاة فى حال الشك والتردد ؟ إننا فى ذلك الوقت ، حين لا ندرى أى طريق نسلك ، نشعر بإيعاز باطنى ينبعث من نفوسنا فيرشدنا إلى سلوك هذه الطريق فى حين كنا نميل إلى سلوك طريق أخرى ، فأن عواطفنا وميولنا وطورا أشغالنا تدعونا إلى طريق معين ، ثم يعن لنا بدافع باطنى لا ندرى كنه حاله ، ولا من أين يصدر ، أن نعدل إلى طريق آخر ، فيُحدث ذلك الباعث فى عقولنا تأثيرا عجيبا . ويظهر لنا فى النهاية أننا لو خالفنا ذلك الباعث الخفى إلى ميلنا الأول لهلكنا. وقد اتبعت فى أعمالى قاعدة لم أحد عنها قيد أنملة ، وهى أنى إذا عزمت على مباشرة أمر أو تركه ، ووجدت ذلك السر الخفى يوجهنى ناحية معلومة ، أسير خلفه ، ولو لم أعرف السبب . وقد نجحت بهذه الخطة ، وخاصة أثناء إقامتى الأخيرة بهذه الجزيرة . وسيتضح لك ذلك من سياق قصتى .

وإن القارىء ليعرف أن المخاوف المتواصلة ، والهموم التى تراكمت على ، حالت دون كل اختراع وتدبير لراحتى ، لأنى اهتممت بالدفاع عن حياتى، والمحافظة عليها ، أكثر من توفير قوتى ، فلم أجرؤ على دق مسمار، أو قطع عصا من الأشجار ، أو إطلاق رصاصة لئلا يسمع الصوت، فأدل على نفسى، وأنا أحرص ما أكون على إخفائها . ومن أجل هذا كنت أنجز أعمالى التى تحتاج إلى نار ، كحرق القدور ، ومداخن التبغ فى منزلى الجديد وسط الأحراج والأدغال ، حيث وجدت بعد أن أقمت مدة مغارة

طبيعية فى الأرض ممتدة إلى مسافات طويلة . فأذا وصل إليها أحد الزنوج لايجرؤ على ولوجها ، ولا يود أى إنسان آخر ذلك ، إلا إذا كان مثلى حريصا على طلب ملجأ أمين . ومهما أطنبت فى وصف فرحى لوجود هذا المكان فلن أفى بما أريد . وكان فم المغارة مستورا تحت صخرة كبيرة ، وقد رأيته مصادفة وأنا أقطع حطبا لأصنع فحما . وقبل أن أستمر فى قصتى ينبغى أن أخبرك بما حمانى على اتخاذ الفحم وقودا . إنى خفت أن أحدث دخانا لئلا ينم عن وجودى ، كما حدثتك بذلك ، ولكنى لا يمكننى الاستغناء عن الخبز والطبخ ، فأعملت فكرى للتخلص من هذه الشدة ، فأدى بى الفكر الثاقب إلى اتخاذ فحم من الخشب ، أحرقه وهو مغطى بالطين ، ثم أطفئه بعد أن أتحقق أنه تحول إلى فحم ، وأحمله إلى سكنى ، فأستعمله فى شئونى المنزلية ، وأنا آمن من كل خطر .

والآن أعود لما كنت فيه . فبينما كنت مشتغلا بقطع الخشب ، رأيت وراء تلك الأشجار الظليلة مكانا مجوفا ، فرغبت أن أعرفه ، فولجت بابه بصعوبة ، فرأيته كبيرا يكفى أن أقف فيه منتصبا ، وربما وسع إنسانا آخر معى ، ولكنى عجلت بخروجى منه أكثر مما أسرعت فى دخولى إليه ، وذلك لأنى نظرت إلى الداخل المظلم ، فرأيت عينين كبيرتين تبرقان . وكنت فى حيرة من أمرهما ، إذ لم أدر أعينى إنسان كانتا أم عينى شيطان ؟ وكانتا تلمعان كأنهما نجمان ، لأن النور الضئيل المنبعث من فم المغارة كان يمتد إلى الداخل مستقيما ثم ينعكس راجعا إلى الخارج ، وبعد توقف قليل رجعت لنفسى فاتهمتها بالجنون ، وقام بنفسى أن من



ولكنى عجلت بخروجى منه أكثر مما أسرعت فى دخولى إليه

يخاف من الشيطان لا يستطيع أن يعيش عشرين عاما فى هـذه الجزيرة الوحيدة منفرداً . وكيف أخاف وليس فى الجزيرة من يُخاف منه غيرى ، فتشجعت وأخذت مَشْعَلاً [1] ، وانطلقت داخل المغارة ، والمشعل يلتهب فى يدى ، ولم أخط خطوات ثلاثة حتى اكتنفنى رعب شديد ، إذ سمعت أنينا قويا كأن إنسانا به ألم شديد. وكان يتبع الأنينَ صوت متقطع كأنه كلمات يُنطَق بنصفها ، ثم يعود ذلك الصوت أنينا عميقا ، فأجفلت راجعا إلى الوراء . وقد انتابتنى رعدة شـديدة حتى تبالل جسمى بعرق بارد ، ولو كان على رأسى قبعة لسقطت لأن شعرى قـد تصلب من الخوف ، ولـكنى عدت إلى النفس فقومت اعوجاجها . وسكنت اضطرابهـا ، وحملتها على التجلد والأناة . وبذلك عدت إلى المغارة وبيدى مشعلى، فرأيت أمامى تَيْسا مخيفا عظيم الجثة ، يعالج سكرات الموت ، ينازع الموت والموت ينازعه ، بعـد أن أسن وعمّر طويلا . وقد رفعته قليـلا لأرى إذا كان فى مقدرتى إخراجه من المغارة ، ولـكنه كان غير قادر على القيام ، فتركته مكانه ، وقلت لنفسى إنه أخافنى ذلك الخوف الشـديد ، فسوف يخيف غيرى ممن يدفعهم طالعهم إلى ذلك الوكر الوعر. ولما سكن ما كنت أجد من الدهشة ، نظرت فوجدت المغارة صغيرة لا تتجاوز اثنتى عشرة قدما ، وكانت غير منتظمة الشكل، فلا هى بالمربعة ولا بالمستديرة، ولم تنظمها غير أيدى الطبيعة. ولما أحكمت النظر وجدت فى نهاية المغارة مكانا موصلا إلى جهة أخرى لا علم لى بها ، غير أنه كان قليل الارتفاع ، بحيث لا يمكن اجتيازه

---

(١) المشعل ـ القنديل

إلا حبواً على الأيدى والركب. ولما كنت غير مزود بشيء من الشمع تركت كشفه إلى الغد، لأرجع ومعى ما يلزم لذلك. وفى الغد عدت ومعى ست شمعات كبيرة من صنع يدى، لأنى كنت أتخذ الشمع من شحم المعز، واتجهت نحو المغارة وزحفت على الأيدى والأرجل نحو عشر خطوات. وكان هذا العمل مملوءاً بالمخاطر لأنى لم أعرف مقدار امتداد ذلك السرب، ولا النهاية التى يؤدى إليها. ولما قطعت المدخل الضيق ارتفع السقف نحو عشرين قدما. ولم أر فى الجزيرة كلها مثل منظر هذه المغارة الجميلة، فقد رأيت بنور الشمعتين المتقدتين فى يدى مئات الألوف من الأشعة المنعكسة من الجوانب والسقف. ولم أدر مم تركبت الصخور؟ أمِنَ الماس والأحجار الكريمة، أم من الذهب؟ وقد ترجح لدى أنها صخور ذهبية. وكان هذا المكان أبهج مغارة رأيتها، وإن كانت مظلمة. وكانت أرضها جافة مطمئنة، مغطاة بحصى ومَرْو [1]، فلم يكن بها هوام ضارة، ولا رطوبة فى صخورها، ولم يكن فيها صعوبة غير ضيق مدخلها. ولكنى أردت أن أتخذها مهربا لى، ففرحت برؤيتها فرحا لا يوصف، وعزمت على أن أحضر إليها من متاعى ما كنت أشد خوفا عليه من غيره كبارودى، وما استغنيت عنه من الأسلحة.

وبينما كنت مشتغلا بنقل ذخيرتى فتحت صندوق البارود المبالل، ولكنى وجدت الماء لم يصل فيه إلى أكثر من ثلاثة قراريط، فجمد

---

(١) الحجارة البيض الرقاق التى تقدح منها النار أو حجارة صلبة يتخذ منها ما يشبه السكاكين وهى تعرف بالصوان

البارود فى شبه دائرة حفظت ما بداخلها من البلل ، كما يحفظ النوى فى غلافه . وبذلك حصلت علي نحو ٦٠ رطلا من البارود الجيد ، فكان سرورى به عظيما جداً . نقلت جميع ذلك إلى مغارتى ، ولم أبق فى قلعتى من البارود أكثر من أقة ، خشية أن يدهمنى خطب فيودي به . وكذلك نقلت صفائح الرصاص لعمل كرات صغيرة منه لبنادق . وأصبحت أرى نفسى كأحد الجبابرة البائدين الذين كانوا ينحتون من الجبال بيوتا آمنين فكانوا يسكنون الكهوف فى الصخور حيث لا قدرة لأحد على الوصول إليهم ، لأنى أيقنت أنه لو اتفق وبحث عنى خمسمائة رجل من المتوحشين فان يمكنهم العثور على ، وإن فعلوا فسيجبنون عن الهجوم علىّ فى ذلك المكان . وفى اليوم التالى لكشف المغارة وجدت التيس ميتا ، ففضلت حفر لحد له في مكانه على أن أجره إلى الخارج . وبعد تهيئة ذلك الأخدود دفنته فيه ، ثم هلت عليه التراب حتى أريح نفسى من رائحته الكريهة . وكنت حينئذ فى السنة الثالثة والعشرين من إقامتى بهذه الجزيرة . وقد تعودت المعيشة فيها، وأصبح الجو ملائما بعد تلك المدة الطويلة. ولو أمنت شر المخاوف والمتوحشين اقتنعت بحياتى ، وارتضيت أن أصرف ما بقى لى من الأيام هنا، حتى ألفظ النفس الأخير بتلك المغارة ، كذلك الوعل[1] المسنّ

وابتدأت ألهو ببعض أشياء لأتسلى بها ، فكنت أقضى الوقت فى سرور ولذة لم أشعر بهما من قبل ، لأنى علمت ببغائى « بول » التكلم ، فأجاده حتى بات يتكلم بوضوح تام ، ويجيد إخراج الألفاظ ، فكنت

---

(١) الوعل — التيس الجبلى

أعجب من قدرته، وأسلى النفس بسماعه، وأظنه أول طائر أوضح المخارج وجوّد النطق . وقد عاش معى ستا وعشرين سنة ، والله أعلم كم سنة عاش بعدها ، لأنى سمعت أهل البرازيل يقولون إن الببغاء يعمر مائة عام، وربما لايزال «بول» حيا يرزق إلى هذه الساعة ينادى «روبن كروسو». وأرجو ألا يحمل نكد الطالع أحدا من الناس على سماع صوته . وكان كلبى رفيقا لى فى الغربة ، أنيسا فى الوحدة ، صديقا صادق الود مخلصا لى نحو ست عشرة سنة ، حتى أضنته الشيخوخة فمات من الكِبَر. أما قطّاتى [1] فقد تكاثرت جدا حتى اضطررت أن أقتل منها عددا كبيرا ، وأطرد بعضها لئلا تأكل ماعندى ، فولّت هاربة إلى الأدغال والأحراج ، إلا اثنتين أو ثلاثا كانت عزيزة لدى فأبقيتها بجوارى، وأغرقت ماولدته فى كل بطن. وكذلك أبقيت معى جديين أو ثلاثة كنت أطعمها بيدى، وببغاوين آخرين يحسنان التكلم ، ويصيحان منادين «روبن كروسو» . ولم يكونا عندى فى المنزلة كببغائى الأول «بول» ولم أعتن بتعليمهما وتدليلهما ، كما فعلت به . وكذلك كان فى حوزتى من طيور البحر عدد كبير لم أعرف أسماءها. وقد كنت أمسكت بها عند الشاطئ وقصصت أجنحتها ، فكانت تسكن فى الغابة التى غرستها بيدى ، وتبيض وتفرخ هناك، فكنت أسر كثيرا لذلك .

وهكذا ابتدأت أعيش قنعا راضيا مسرورا لولا ما كان يعترينى من خوف المتوحشين ، كما أخبرتك من قبل ، ولكن

---

(١) القطّات جمع مفرده قطّة وهى الهرة

لاراد لقضاء الله ولا معقب لحكمه . وقد يفيد الذين يقرءون قصتي أن يعتبروا بهذه النتيجة ، وهي أنه قد يحدث كثيرا أن يكون الشيء الذي نبذل قصارى جهدنا في تجنبه والتوقي منه ، والذي إذا وقعنا فيه نجده مخيفا مفزعا ، الوسيلة لنجاتنا ونهوضنا من الكارثة التي نخشاها ، ويسهل علىّ إيراد الأمثلة لذلك من هذه القصة المدهشة ، وخاصة المدة الأخيرة من إقامتي في تلك الجزيرة .

الفصل العشرون

مجيء المتوحشين ثانية إلى الجزيرة ، ورقصهم هناك
وانكسار سفينة بالقرب من شاطئها

وكنت في شهر ديسمبر من سنتي الثالثة والعشرين ، وكانت هذه أيام الحصاد ، فكنت مضطرا لتمضية كثير من وقتي خارجا أعمل في حقلي . وبينما كنت ذات يوم منطلقا إليه مبكرا عند طلوع الفجر ، وابتداء تبين الخيط الأبيض من الخيط الأسود ، إذ رأيت بغتة ضوء نار تَوَقَّدُ (١) نحو الشاطئ ، على بعد ميلين مني في تلك الجهة التي لاحظت فيها قوما من المتوحشين ، ولكنهم لم يكونوا في هذه المرة في المكان الذي رأيتهم فيه أولا ، بل كانوا على الجانب الذي كنت مقيما فيه . فدهشت من هول الموقف ، ووقفت في غابتي لا أجرؤ على الخروج لئلا أُرى فأدهم . وظللت هناك غير مطمئن ، خوفا من أولئك القتلة ، لأنهم إذا طافوا بالجزيرة

(١) أصله تتوقد حذفت احدى التاءين تخفيفا

ووجدوا زرعى قائما أو حصيدا [1]، أو شيئا آخر من أعمال الأصلاح التى باشرتها، فسيستدلون منها على وجود سكان بالمكان ، فلا يستريحون حتى يجدونى . فهرولت قافلا وقلبى يكاد ينفطر خشية . فدخلت قلعتى ، وأنزلت سلمى ، وجعلت منظر ما كان خارجا موحشا طبعيا، كأن لم تصل إليه يد الأنسان

وابتدأت أرتب حصنى لأكون فى موقف المستعد للدفاع عن ذماره [2] ، فملأت بنادق التى أقمتها على أسوار تلك القلعة كأنها مدافع حصون ، عازما على المقاومة إلى آخر رمق فى الحياة . وقد سلمت نفسى لخالق ، وارتميت فى أحضان عنايته ، ودعوته بأيمان صادق أن ينقذنى من أيدى أولئك القوم الظالمين . بقيت على تلك الحال ساعتين كنت أرغب فيهما أن أقف على أخبارهم ، ولكن لم تكن عندى عيون لتأتينى بها .

وبعد أن أقمت زمنا أفكر فيما ينبغى عمله فقد تجلدى، ولم أطق صبرا على الجهل بأمورهم ، فنصبت سلمى إلى جانب التل ، وعلوته صاعداً حتى وصلت إلى مكان مستو هناك ، ثم رفعته ووضعته على ذلك المكان ، وصعدت طالعا على رأس ذلك التل ، ثم أخذت مرقبى ، واضطجعت على بطنى ، وابتدأت أفتش عن موضعهم ، فلم يطل بحثى إذ رأيت مالا يقل عن تسعة من أولئك الزنوج العراة ، وهم جلوس حول نار صغيرة موقدة لا ليصطلوا بها — لأن الجو كان حاراً جداً — بل ليشووا عليها طعامهم من لحم الضحايا الذين أتوا بهم . ولم أدر أأحياء كانوا أم أمواتا ؟

---

(١) محصودا (٢) الذمار كل ما يلزمك حفظه وحياطته وحمايته والدفع عنه

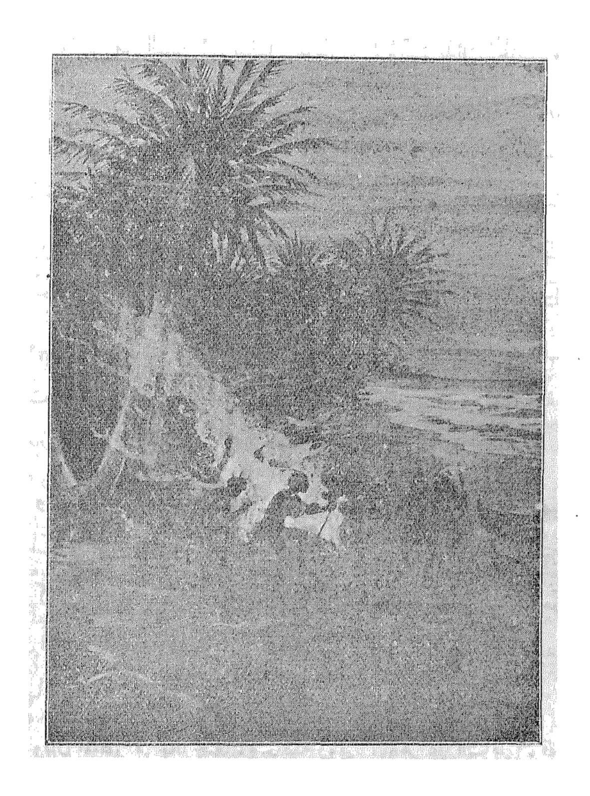
وكان معهم زورقان قد جروهما إلى الشاطىء ، إذ كان الماء منحسراً عنه بسبب الجزر . وقد لاح لى أنهم ينتظرون عودة المـاء ليرجعوا إلى ديارهم . وليس من السهل أن تتخيل اضطرابى لرؤيتهم بذلك الجانب من الجزيرة قريبين منى ، ولـكنى حين لاحظت أنهم لا يأتون إلا مع حركة الجزر ، ابتدأت أملك قوّتى ، وأريح عقلى من ذلك العناء ، فقد اقتنعت بأن لا خطر علىّ من الخروج ، مادام تيار الماء مرتفعا، إن لم يكونوا هناك من قبل. وعلى ذلك خرجت لحصادى ، وأنا ساكن البال مطمئن الخاطر. ولقد تحقق ظنى لأنهم ماراأوا الماء يعلو متجها غربا حتى رأيتهم قد اعتلوا زوارقهم ، وجدوا فى التجديف . وقد لبثوا ساعة يرقصون قبل انصرافهم، ورأيت بمرقبى حركاتهم وإشاراتهم فى الرقص . وقد كانوا عراة كما خلقوا ولم أميز أرجالا كانوا أم نساء ؟

ولما رأيتهم ولوا الأدبار أخذت معى مايكفى من الأسلحة ،واتجهت نحو المـكان الذى رأيت منه أثرهم فى أول الأمر ، فوصلته بعد ساعتين لأنى كنت مثقلا بالأسلحة فلم أسرع السير . وما كدت أطؤه حتى رأيت أثر ثلاثة زوارق أخرى كانت هناك، فوجهت وجهى شطر المحيط، فرأيتها متجمعة تجد كلها نحو القارة .(١)

وكان المنظر مزعجا مخيفا ، وخاصة رؤيتى آثارهم على الشاطىء، فقد تركوا مايدل على وحشيتهم وغلاظة أكبادهم من عظام مُهَشَّمة ، وجماجم

---

(١) لأنه كان أحيانا يسمى الأرض التى يراها قارة



وقد لبثوا ساعة يرقصون قبل انصرافهم

مغلقة وأَشْلاء [1] مبعثرة، ودماء تجرى ، وبقية لحم مما تركوا بعد أ كلهم فى طرب وانشراح .

فامتلأت غيظا وحنقا، وابتدأت أفكر بجد فى إهلاك من يأتى منهم ثانية غير آل جهدا فى ذلك مهما كان عددهم . وقد لاح لى أن ترددهم على هـذا المكان لم يكن كثيرا . لأنه قد مضى نحو خمسة عشر شهرا لم أر لهم أثرا فى الجزيرة أثناءها ، لأنهم فى الفصول الممطرة لا يودون الوصول إليها . وقد كنت فى تلك المدة مضطربا خائفا من شرهم ، متوقعا أخذى على غِرّة منى ، فأيقنت أن توقع البلاء شر من الوقوع فيه ، وخاصة إذا لم يكن هناك أمل للتخلص من ذلك الانتظار وتلك المخاوف .

وكنت فى تلك الفترة على استعداد لأن أرتكب القتل ، صارفا أكثر ساعاتى فى تدبير الحيل للايقاع بهم متى وجدتهم . وحبذا حسن طالعى إذا رأيتهم منقسمين قسمين كما كانوا أولا . ولا أدرى لِمَ لم أعتبر نفسى سفاكا أكثر منهم، لأنى إن قتلت اليوم منهم عشرة رجال فسأقتل غدا أو بعد غد منهم مثل ذلك العدد ، كلما أتى إلى الجزيرة منهم آت

وقد أنفقت ساعاتى والقلق مستحوذ علىّ ، إذ علمت أنى لا بد واقع فى أيدى أولئك المردة القساة، فحذرت شرهم ، وخفت كيدهم . وتبين لى حينئذ سعادة جدى بذلك القطيع من المعز ، إذ أصبحت غير قادر على إطلاق سبطانتى . وخاصة عند ذلك الجزء الذى اعتادوا النزول فيه لأنهم

---

(١) أشلاء جمع مفرده شِلْو وهو العضو من أعضاء اللحم

إذا سمعوا صوتها فسيذهبون موالين هاربين ، ولكنهم لا بد أن يعودوا ثانية بعد أمد قليل ومعهم مائة قارب أو ثلثمائة . وعامت مآل أمرى إن فعلوا ذلك . بيد أني بقيت خمسة عشر شهرا لا أرى لهم أثرا فى الجزيرة ، وإثرها صادفتهم كما سيأتى بيانه بعد قليل . وليس من المتعذر أن يكونوا قد ترددوا إليها على غير علم منى . غير أنى فى شهر مايو من سنتى الرابعة والعشرين بالجزيرة صادفتهم مصادفة مدهشة سأقص عليك نبأها بعد حين .

وكنت غارقا أثناء تلك الفترة في بحر من الشك والارتباك ، غير مرتاح فى نوم أو يقظة ، فكنت أرى ليلا أحلاما مزعجة مروّعة تُقِض (١) مضجعى ، وأرانى آخذا فى قتلهم ، مفكرا فى الدواعى التى تبيح لى ذلك . وفى اليقظة تغشانى الأفكار المتعبة . ولكن لندع ذلك الآن جانبا لأخبرك أنى فى اليوم السادس عشر من شهر مايو ، كما تبين لى ذلك من النظر فى عمود الحساب الخشبي الذى كنت إلى ذلك الوقت أستخدمه لهذه الغاية ، وأعتمد عليه فى ميقاتى ، أحسست ريحا زعزعا ثائرة ذلك النهار كله ، مصحوبة ببروق ورعود شديدة ، ثم أعقب ذلك ليلة حالكة الجلباب غُدافيّة الأهاب ، (٢) ولم أدر سببا لذلك كله . وبينما كنت أقرأ فى كتابى المقدس إذ سمعت صوتا ظننته طلق مدفع أطلق بحرا ، فامتلأت دهشة تختلف فى حقيقتها عما اعترانى قبلا ، فبادرت بإقامة سلمى على التل ، وبعد الصعود رفعته ووضعته مكانى ، ثم صعدت فيه ثانية . وماصرت

(١) أقضّ الله مضجع فلان جعله خشنا متترّبا

(٢) ليلة حالكة الجلباب غدافية الاهاب أى شديدة الظلام

فوق القمة حتى رأيت وميض نار مدفع ينبهنى أن أصغى إلى صوت طلق آخر . ولم يمض أكثر من نصف دقيقة حتى سمعت الصوت المنتظر ، وتبين لى منه أنه من مدفع بحرى تجاه المكان الذى أرفأت[1] زكوتى به ، وأنه فى سفينة قد اكتنفتها الأهوال من كل جانب ، فهى تطلق مدافعها طلبا للنجدة من سفينة أخرى ربما كانت قريبة العهد برؤيتها فى تلك الأصقاع[2] . وكنت أرجو أن أساعد ركبها ، أو يساعدونى على هذا الضيق ، فاحتطبت[3] حطبا كثيرا جمعته فى مكان واحد ، وأشعلت به النار ، فاتقد اتقادا شديدا لجفافه . وكانت الريح تهب قوية فزادت النار اشتعالا ، ولم أشك فى رؤية القوم لها ، لأنها ما ابتدأت تعلو حتى سمعت صوت مدفع تبعته طلقات عدة . وهكذا بقيت الليل كله أحتطب وأضع ما أجمع على النار حتى وضح الصباح ، وفرت فلول الظلام . فلما أشرقت الشمس بنورها ، وصفا الجو ، رأيت عن بعد شبحا قاصيا فى البحر ، شرقى الجزيرة ، لم أميزه بعرقبى ، لبعد الشقة بينى وبينه ، ولتلبد الجو بشىء من السحب . وخاصة مايلى الماء منه ، فلم أتمكن من تمييز الشبح أمركب هو أم قلع ؟ ولما بقيت أنظر إليه مرات كثيرة تبينته لا يتحرك ، فعلمت أنه مركب قد ألقى مراسيه . ولما كنت راغبا أن أتحقق ذلك أخذت سبطانتى ، وركضت إلى الجنوب من الجزيرة ، حيث تلك الصخور التى حملنى التيار

---

(١) أرفأ السفينة قربها من الشط

(٢) جمع صُقع وهو الناحية

(٣) احتطب الرجل جمع الحطب

إليها ذاهبا إلى البحر . فلما وصلت إليها كان الجو قد ازداد صفاء فرأيت أثر سفينة قد قذفت ليلا على تلك الصخور التى كشفتها عند ما سافرت بركوتى ، وكانت سببا لنجاتى من أعظم خطر انتابنى فى حياتى . وكذلك تختلف الحظوظ، فقد يكون الشئ مهلكا لفرد ونجاة لآخر، لأن أولئك القوم كانوا يجهلون المكان ، وتلك الصخور المغطاة بالماء ، فدفعوا إليها ليلا لهبوب الريح وكانت صَبَابِيّة [1] . ولو رأوا الجزيرة لاجتهدوا فى الوصول إليها فى قواربهم . وكان إطلاقهم المدافع طلبا للنجدة ، ورؤيتهم لهيب النار التى أوقدتها ، سببا لكثرة أفكارى. فتارة كنت أرى أنهم لما رأوا لهيب نارى ركبوا زورقهم ليصلوا إليها ، ولكن التيار دفعهم بشدة فلم يقدروا على الوصول إلى الشاطئ. وطورا أرى أنهم أضاعوا قاربهم بهجوم الأمواج على السفينة واكتساحها له ، أو بألقائه إلى البحر بأيديهم . ومرة أرى أن مركبا كان يرافقهم فأنجدهم وانصرف بهم متوغلا فى المحيط ، وليس ببعيد أن يكونوا قد نزلوا إلى قاربهم فحملهم التيار على رغم أنفهم إلى لجج الأقيانوس العظيم ، حيث الشقاء والهلاك الذى لا مرد له . وقد يكونون الآن فى خطر عظيم قد أشرفوا معه على الموت جوعا ، وصاروا يفكرون فى أن يأكل بعضهم بعضا .

---

(١) الصبابية نكباء الصَّبا والشمال وهى الشرقية الشمالية

(ا) النكباء ريح تهب بين ريحين كالتى تهب بين الشمال والشرق

(ب) الشَّمال ريح تهب من الشَّمال

(ﺟ) الصبا ريح تهب من الشرق

وكانت كل تلك الأفكار والفروض مبنية على الظن والحدس ، فوقفت مفكراً فى شقاوة جد أولئك القوم البائسين ، وأرثى لهم . وقد أفادتنى الحادثة عبرة وعظة ، فحمدت الله أن نجانى من الشر ، وأنقذنى من الموت الذى وقع فيه بحارة سفينتين فى تلك الجهة . وإن الله سبحانه قد أوجب علينا الشكر فى السراء والضراء ، لأن نوائبنا مهما جلت هينة إذا قرنت بغيرها مما هو أسوأ منها .

وقد قضى ركب السفينة نحبه ، ولم يعد ثَمّ مجال للتفكير فى نجاتهم ، إلا إذا كان معهم مركب آخر حملهم بعد أن حلت بهم تلك الكارثة . ولكنى لا أرى أثراً لسفن أخرى . وكان احتمال ذلك ضئيلا عندى

وإنى لعاجز عن التعبير عما اعترانى فى تلك اللحظة من الرغبة فى عشرة الأنسان ، وكنت أرانى صائحا من وقت لآخر « ليت اثنين أو واحداً من رجال تلك السفينة قد نجا ، وأتى إلىّ ليكون رفيق ومؤنسى، يكلمنى وأكلمه » ولم أشعر منذ انفرادى بهذه الجزيرة برغبة صادقة وميل شديد لمعاشرة الناس ، أو أسف لفقدها كما شعرت هذه المرة .

الفصل الحادى والعشرون

إخراج روبنسن كروسو أشياء كثيرة من السفينة المهشمة واهتمامه بمفارقة الجزيرة ، وحُلْمه

قد تُحرك عواطف الأنسان ببعض دوافع باطنية ، من شأنها إذا تحركت لطلب مقصد يطمع فيه ، أن تدفع قوة النفس بعزم قوى نحو تلك الغاية ، فيكون الأخفاق أمراً صعبا لا يطاق له احتمال . وهكذا

كانت رغبتى القوية فى نجاة فرد واحد . وأظننى كررت ألف مرة هذه العبارة « ياليت واحداً سلم لى » وكانت رغبتى تشتد فى ذلك حتى إذا ما تلفظت بتلك الكلمات كانت كفاى تنقبضان ، وقد تقلصتا معاً، وأصابعى تتشنج ضاغطة راحتىّ ، حتى لو كان بهما شئ سهل الكسر لسحق على رغم إرادتى، وكانت أسنانى تصطك صارّة [1] وتتقبض [2] بقوة شديدة وتستمر على ذلك وقتا لا أستطيع أن أفرق بينهما .

دع الطبيعيين يشرحون هذه الظواهر، ويعللون أسبابها ويبينون طرقها. وكل ما يمكننى أن أقوله عن هذه الحالة التى أدهشتنى أنها كانت نتيجة لازمة لرغباتى الشديدة ، وأفكارى القوية التى تحكمت فى عقلى ، لأنى توقعت الراحة والطمانينة ، إذا قدرت لى محادثة إنسان متمدين أيا كان بلده . ولكن شيئا من ذلك لم يكن ، لأن حظنا السيئ حال دون ذلك إذ لم أقف لركاب تلك السفينة على أثر حتى أيامى الأخيرة بتلك الجزيرة ، غير أن آلامى تضاعفت لرؤيتى جثة غلام ميت طافية على الماء قرب الشاطئ . ولم يكن عليه ثياب غير صدرة [3] وسروال قصير ، وقميص أزرق ، فلم أجد ما يرشدنى إلى جنسه . وكانت جيوبه خالية إلا من قطعتين من النقود ، وبيب للتبغ كان أعظم فائدة لى من الدراهم .

وفى هذا الوقت هدأ الجو واطمأنت الريح فأحسست ميلا شديدا

---

(١) صَرّ يَصِرُّ صَرًّا وصريرا صوت فهو صارّ وهى صارّة

(٢) تقبض الشئ انزوى وتجمع

(٣) ثوب يلبس فيغطى الصدر وهو ما نسميه « بالصديرى »

للوصول إلى السفينة المهشمة لعلى أجد بها شيئًا يفيدنى، ولكن أفكارى لم تكن متجهة إلى الأمتعة اتجاهها إلى لقاء أحد الركاب، رجاء تخليصه من شدته، ليكون عونا لى على الحياة، ومفرجا لهمومى وأحزانى. وقد تملكتنى هذه الفكرة ليل نهار حتى سدت علىّ مسالكى، فلم أر بدا من ركوب ركوتى إلى مكان الحادثة. وتحت تلك المؤثرات أسرعت إلى قلعتى، وجهزت كل شىء لرحلتى فأخذت مقدارا وفيرا من الخبز، وجرة عظيمة من الماء العذب، وإبرة الملاح لأسترشد بها، وزجاجة من الشراب، وسلة ملأى بالزبيب. وحملت جميع تلك الأصناف إلى ركوتى التى أفرغتها من الماء، وأعددتها للسفر، وعدت إلى سكنى لأحمل ما أنا فى حاجة إليه فأحضرت هذه المرة حقيبة ممتلئة أرزا، ومظلة لأستظل بها، وجرة أخرى من الماء الفرات [1] وأربعة وعشرين رغيفا، ولبنا، وجبنا. وبعد أن دعوت الله أن يرشدنى فى رحلتى. ويكون عونى على عملى، ابتدأت السير مجدفا حذاء الشاطىء حتى كدت أصل نهاية الجزيرة من هذا الجانب أعنى الشمال الشرقى. وهنا يجب أن أَفْصل فى الأمر، فأما المخاطرة والذهاب إلى المحيط لبغيتى، وإما الخور والرجوع من حيث أتيت. فنظرت من بعد إلى التيارات السريعة التى تجرى بلا انقطاع على جانبى الجزيرة، فتذكرت هول الموقف الذى وقفته من قبل، فابتدأ قلبى يخوننى، لأنى رأيت أن المقادير إن دفعتنى إلى أحد هذين التيارين فسأذهب بعيدا عن الشاطىء، وأوغل فى المحيط بعدا عن الجزيرة حيث تتقطع بى الأسباب

---

(١) الماء الفرات العذب جدا؛ ويقال للمفرد والجمع فيقال ماء فرات ومياه فرات

فلا أقدر على العودة ثانية ، وإذا هبت الريح شديدة فستذهب ركوتى ضحيتها لصغرها ، وأفقد حياتى ، وكانت هذه الأفكار شديدة الوقع فى نفسى حتى ابتدأت أفكر فى ترك ماعزمت عليه ، فنزلت من ركوتى ، وبعد أن أمنت عليها جلست على مرتفع من الأرض مفكرا حائرا فى أمرى ، وبينما أنا كذلك رأيت حركة الماء قد تغيرت ، وأن المد ابتدأ فعلمت أن ابتداء الرحلة متعذرساعات عدة، فخطرلى أن أتسلق المرتفعات حتى أصل إلى أعلى قممها ، لأرى التيارات المائية واتجاهها ؛ وهل من الممكن إذا توغلت فى البحر مع أحد التيارات أن أعود ثانية مع تيار آخر بالسرعة نفسها ؟ وما طرأت هذه الفكرة علىّ حتى وجدت تلا عاليا فصعدته ، فتمكنت من مشاهدة حركة المد والجزر والتيارات المائية . شاهدت أنه إذا ابتدأ تيار الجزر عند النقطة الجنوبية من الجزيرة ، ابتدأ تيار المد بجانب الشاطىء الشمالى منها ، فاستنبطت من ذلك أنه يسهل على العودة ثانية إلى الجزيرة إذا توجهت نحو الشمال ، وهذا سهل التنفيذ ، وشجعتنى هذه الملاحظة ، فنويت بدء الرحلة فى الصباح مع ابتداء التيار ،وقد تم ما أردت فابتدأت اليوم ذاهبا إلى الشمال حتى وجدت الركوة فى وسط التيار الذى حملنى إلى الشرق. وقد كان هذا التيار سريعا،ولكنه لم يُخلّ بقيادتى للركوة، كما فعل معى التيار الجنوبى من قبل. وقد ساعدت التيار بالتجذيف ، فوصلت بعد ساعتين إلى السفينة المغروقة . فوجدت منظرا تهلع له القلوب ، وتجزع من هوله النفوس ، وجدت السفينة ، فعرفت من تركيبها وشكلها أنها إسبانية ، ورأيتها محصورة بين الصخور وقد تهشم مؤخرها ، وجزء آخر منها ، وذهبت أدقالها ، ولكن مقدمها كان

سليما ، فلما قربت منها ظهر عليها كلب نبح بشدة حين رآنى ، فناديته فألقى بنفسه فى البحر ليصل إلى ركوتى ، فوجدته يكاد يهلك جوعا وعطشا فألقمته رغيفا من رغفانى فالتهمه كذئب مضى عليه أسبوعان فى أرض ثلجية بلا طعام ، ثم ناولته ماء عذبا فشرب منه حتى كادت أحشاؤه تتقطع .
ثم دخلت السفينة فوجدت رجلين ميتين فى حجرة من حجرها ، وقد تعانقا بأذرعهما تعانقا شديداً ، فعلمت أن البحر طغا على السفينة وملأها بالماء . ولم أر بها علامة تدل على الحياة . وكان كل ما بها من الأمتعة قد فسد بالماء ، فلم يكن لى فيها مغنم . حقا رأيت بها بعض نواجيد[1] ممتلئة شرابا ، ولكنها كانت أكبر مما يمكننى حمله ، ورأيت صناديق عدة ، مما يملك البحارة ، فحملت اثنين إلى ركوتى بدون أن أعالج فتحهما أو أختبر ما فيهما .

ولو انعكس الأمر فنجا مؤخر السفينة ، وغرق مقدمها ، لأمكننى أن أحمل معى أشياء ثمينة ، لأنى إذا قست الأشياء بنظائرها ، وجاز لى أن أستنبط مما رأيت فى الصندوقين ، حكمت حكما لا مجال للطعن فيه ، أن السفينة كانت محملة بأثمن الأشياء وأعزها . ومن الطريق التى كانت تأخذه فى سيرها يمكننى الحكم بأنها ابتدأت رحلتها من بُيُنْس أَيْرِس ، أو مما يقرب منها فى جنوب أمريكا ، قاصدة هفانا فى خليج مكسيكو . وربما كانت متجهة إلى إسبانيا . ولم أعرف إذ ذاك ما حل بركبها . ووجدت ناجودا صغيراً من الشراب حملته إلى ركوتى بعد عناء شديد . وكذلك عثرت

---

(١) نواجيد جمع ناجود وقد مر شرحه والمراد بها هنا براميل .

على بعض البنادق والبارود ، ولكنى كنت فى غنى عن الأولى ، فتركتها وأخذت البارود الذى كان نحو أربعة أرطال . وأخذت من السفينة مِسْحاة [١] للنار، ومِلقطا ، لأنى كنت فى أشد الحاجة إليهما . وحملت معى قدرين [٢] صغيرتين من النحاس الأصفر ، وإبريقا نحاسيا لعمل القهوة ، ومشواة للحم . وأخذت الكلب معى ، وابتدأت قافلا إلى الجزيرة ، لأن التيار اتجه نحوها . وبعد ساعة من غروب الشمس وصلتها وأنا مضنى من التعب والاجهاد ، فارتحت ذلك الليل فى الركوة . وفى الصباح صحت عزيمتى على نقل أمتعتى الجديدة إلى المغارة ، لا إلى القلعة ، فقمت مبكراً فأفطرت ، ثم نقلت مافى الركوة إلى الشاطئ ، وابتدأت أختبره لأعرف محتوياته ، فلما فتحت ناجود الشراب وجدت نوعه أقل مما تعودنا شربه فى البرازيل ، ثم فتحت الصناديق فوجدت أشياء كثيرة مفيدة لى ، لأنى وجدت فى صندوق منها عُلبة كبيرة ملأى بزجاجات الشراب النقى الذى يعز وجوده . وقد ختمت كل زجاجة منها بغطائها ، فلم يصل إليها الماء ، ووجدت وعاءين قد ملئا بالدِّبْس [٣] وأحكم عليهما الغطاء ، فلم يتسرب إليهما الماء ، أما باقى الأوعية فقد فسد مافيها . ووجدت بعض قمصان جيدة ، فسررت من عثورى عليها ، ووجدت نحو ثمانية عشر منديلا [٤] كانت نافعة لى لتجفيف العرق فى الأيام التى اشتد حرها

---

(١) يقال سحا الطين والجمر يسحوه ويسحيه ويسحاه جرفه بالمسحاة وهى المجرفة
(٢) القِدر أناء يطبخ فيه وهو مؤنث وقيل يذكر ويؤنث
(٣) الدِّبس عسل الفواكه وهو المربى
(٤) المِنديل والمَنديل بالكسر والفتح نسيج يتمسح به من العرق ونحوه

ولما وصلت إلى قرارة الصندوق ألفيت به نحو ثلاث صرر ، فيها قطع نقدية من ذوات الثمانى ، بلغ مجموعها مائة وألف قطعة . وفي إحدى هذه الصرر وجدت عملة ذهبية ، ضروبة تبلغ قيمتها أربعة وعشرين جنيها ، وبعض أشياء من الذهب المصنوع يبلغ وزنها نحو رطل . ووجدت فى الصندوق الآخر قليلا من الملابس ، ولكنها كانت قليلة الفائدة لى ، ولم أكتسب فى هذه الرحلة كثيراً ، لأن النقود التى عثرت عليها لم يكن فيها غناء لى ، إذ ماذا أصنع بها ، وقد أفردت هذا الأفراد المروع ؟ وكنت دائما أفضل عليها بعض أحذية وجوارب ، لأنى حرمتها سنين عدة . وقد ساعدتنى المقادير فوجدت نعالين فى بعض حجر السفينة ، كما وجدت على أقدام الرجلين الميتين نعالا أخذتها معى ، ولكنها كانت من النوع الذى يدعى خفا . ووجدت فى هذا الصندوق أيضاً بعض قطع فضية تبلغ الثمانين عداً . وقد حملت هذه الدراهم والدنانير إلى المغارة ، كما فعلت بتلك التى أنقذتها من سفينتنا . ولو أسعدنى الحظ فنجالى الجزء الآخر من السفينة ، لوجدت فيه كثيراً من النقدين ، ولأوقرت [1] ركوتى بهما مرات عدة ، حتى إذا أمكنتنى النجاة إلى انجلترا ، قدرت على إخفاء تلك الثروة بالجزيرة ، فآمن عليها حتى أعود ثانية لآخذها .

ولما انتهيت من تفريغ الركوة ، وحمل ما كان فيها إلى الشاطئ ، أخذتها إلى مخبئها القديم ، ثم أخذت طريقى إلى مسكنى ، فوجدت كل شئ كما تركته . فاسترحت من نصبى ، وعشت كما كنت أفعل قبلا .

---

(١) حمّلت

ومكثت على ذلك مدة بدون أن يتغير شئ ، غير أنى كنت أكثر تيقظا لما حولى ، ولم أغادر دائرتى التى حددتها لنفسى إلا قليلا ، ولم أتجول فى أى مكان من الجزيرة بشئ من الراحة والطمأنينة ، إلا فى وجهتها الشرقية ، حيث كنت أذهب غير موقر بالأسلحة والبارود ، كما كنت أذهب إلى الجانب الآخر ، لأن عينى لم تر للمتوحشين أثرا فى الشرق . وقد حييت سنتين وأنا على تلك الحال، ولكن نفسى التى خلقت لشقاء جسمى كانت دائما تحدثنى عن إمكان النجاة ، فكنت أرسم خططا لا أقدر على القيام بها . وحدثتنى نفسى بالعودة إلى السفينة المهشمة ، ولكن فكرى كان يعترضنى فى ذلك حذر صعوبة المسلك ، وخلو السفينة مما يفيدنى . وامتلأت نفسى بأن أذهب فى البحر إلى أى جهة تقودنى إليها المقادير ، ولكنى توقعت الخطر . ولو ملكت ذلك الزورق الذى نجوت به من سالى ، لخاطرت به فى أى طريق .

إن تاريخ حياتى ، وكل ما حوى من حوادث ، لعبرة بالغة لأولئك الذين يجدون أنفسهم غرضا لمثل تلك الغِيَر والأرزاء التى اعتورتنى . ولو رجعت إلى البحث عن أصل الشر والشقاء ، لوجدته عدم الرضا بما قسم لى من الحياة . فقد كان أول ذنوبى عصيانى أمر والدىّ ، ثم تركى ما أملك من نَشَب[1] فى البرازيل . ولو بقيت فى ضيعتى[2] هناك لكنت الآن من أكبر الملاك ، وأمهر الفلاحين . وقياسا على ما نلت من نجاح فى

---

(١) النَّشب العقار

(٢) الضيعة الأرض المغلّة ؛ ونسميها العزبة

تلك الفترة التي أقمتها هناك ، يمكنني أن أقدر الثروة التي كنت أجمعها لو بقيت ، بمائة ألف جنيه برتغالي[1] . وإني لأعجب شدة العجب من تركي حقولا خصيبة ، وحياة سعيدة ، لأذهب إلى غينا لأحضار العبيد ، مع أن الصبر والوقت كانا كفيلين بزيادة ثروتنا . وحينئذ نقدو على شراء مانريد من الأرقاء على أبواب دورنا ، ممن تهمهم هـذه التجارة . حقا إن الثمن الذي ندفعه في بلادنا يكون أغلى ، ولـكن الفرق بين الثمنين لا يستحق كل هذا العناء . وذلك الخطأ الذي انتابني هو نصيب ذوي العقول الصغيرة والسنين القليلة . أما الحـكم على تلك الأعمال بالضلال ، فهو عمل المجربين الذين اشتروا تجاربهم بأثمان عظيمة . والتجارب خـير أستاذ ، وقد صرت الآن من أولئك المفكرين الذين لم يكسبوا قليلا إلا ببذل الـكثير . وقـد مكثت مفكرا رغم كل الصعوبات في طريق للنجاة . وربمـا يكون من أعظم المسليات للقارئ أن أخبره فيما بقي من حكايتي بأول ترتيب عملته لذلك الخلاص .

لعل القارىء يتذكر أني الآن في قلعتي بعد تلك الرحلة ، وأن ركوتي في مخبئها تحت الماء كعادتها ، وأن معيشتي كما كانت قبلا ، فلم أصبح غنيا ، وإن ملـكت ثروة طائلة ، إذ لا فائدة أرجوها من ذلك الرِّكاز[2] فأني أنظر إليه بالعين التي كان ينظر بهـا هنود أمريكا إلى مثله قبـل أن يدركهم الأسبانيون .

وفي ليـلة ممطرة من ليالي شهر مارس ، من السنة الرابعـة

---

(١) الجنيه البرتغالي يساوي جنيها مصريا وقرشا صحيحا

(٢) الرِّكاز المال المدفون تحت الأرض

والعشرين من قـدومى لهذه الجزيرة الموحشة ، كنت مستلقيا فى فراشى ، وصحتى كما أحب ، لا يكدر صفوى شىء غير عادى ، ولـكنى ماأغمضت الجفن فيهـا ، ولا ذقت طعم الـكرى ، وليس من السهل أن أقص عليك بالتفصيل كل ماجال بخاطرى فى ذلك الليل البهيم ، لأنى استذكرت تاريخ حياتى من بدء تعقلى حتى وصلت هـذه الجزيرة ، ثم انتقلت مفكرا فى إقامتى بهذه الأرجاء النائية، فوازنت بين حياتى الأولى فى هذه الجزيرة قبل أن أرى أثر تلك القدم على الرمال ، وبين حياتى بعد ذلك ، وما شعرت به من الخوف والذعر ، وعدم الطمأنينة . ولا تظن أيها القارىء أنى اعتقدت خلو الجزيرة من المتوحشين قبل رؤية الأثر ، ولـكنى قبل العثور عليهم كنت جاهلا حالهم ، فلم أجد مجالا للتفكير فيهم ، فكنت سعيدا بجهل الخطر المحدق بى ، كما لو علمت حق العلم أنى بنجوة منه . وقد قادتنى تلك الحال إلى التفكير فى أمور عدة ، أهمها أن عناية الله بالإنسان لم تكشف له إلا دائرة ضيقة من العلم ، ومشاهدة الأشياء ، فهو يسير بين أخطار كثيرة إذا رآها ذهل عقله ، واضطرب لبه ، ولـكنه هادىء مطمئن لأنها لم تنكشف لناظره ولم يعلم شيئا عنها .

وبعد أن تملـكتنى هذه الأفـكار زمنا ابتدأت أفكر بجد فى الهلاك المحدق بى منذ جئت إلى هذه الجزيرة ، وفى سيرى خلالها متبعا آمن طرقها بكل ماأستطيع من هدوء وخفة ، حيث لا يفصلنى إلا تل أو شجرة ضخمة ، أو تخييم الظلام ليلا عن أشنع مارأت عين إنسان ، وهو الوقوع فى قبضة المتوحشين آكلى لحوم البشر ، فهم لا يعتبرون

ذبحى وأكلى جريمة ، كما لا أعتبر ذلك إثما إن فعلته بماعز أو حمامة . وإنى شكرت لله هذه النعم التى تجل عن العد ، فلقدرته وحدها أعترف بنجاتى من الوقوع فى أيدى أولئك القتلة السفاكين .

فلما انتهت هذه الأفكار ابتدأت أفكر فى طبيعة هذه المخلوقات ، أعنى هؤلاء السفاحين ، وكيف أراد اللطيف الحكيم الذى أنشأ هذه الدنيا ، ودبرها أحسن تدبير ، أن يسلب بعض الأنس كل معنى الأنسانية ، بل كيف تأتى أن يكونوا أحط فى التوحش من غيرهم من أنواع الحيوان حتى يفترسوا بنى نوعهم . ولكن هذه الأفكار انتهت كما ابتدأت ، فلم أظفر بنتيجة تطمئن إليها النفس ، فانتقلت من ذلك إلى التفكير فى الأرض التى يسكنونها ، وفى نسبتها إلى المعمور من الدنيا : فقلت لنفسى ما بعدُ الشاطئ الذى أتوا منه ؟ ولأى شىء أتوا هنا ، وقطعوا ذلك الطريق الطويل ؟ وما نوع سفنهم التى يأتون بها ؟ ولماذا لا أُعِدُّ نفسى لأقدر على الذهاب إلى أرضهم ، كما يفعلون فى مجيئهم هنا ؟ ولم أهتم كثيراً لما يصل إليه أمرى بعد وصولى إلى الأرض التى يجيئون منها ، ولم أعرف ماذا أصنع إذا وقعت فى أيديهم ، وكيف أنجو من غائلتهم إذا أرادوا أكلى ، وإذا قدر لى النجاة منهم فإلى أين أذهب ؟ وكيف يمكن الحصول على الطعام هناك ؟ إنى لم أفكر فى ذلك . وكل ما اهتممت به كان تدبير أمرى للوصول إلى ما سميته القارة :

وحينئذ نظرت إلى معيشتى التى عشتها ، وفكرت فى أنى إذا وصلت القارة فقد أجد سبيلا للنجاة بأن أسير تجاه الشاطئ ، كما فعلت فى إفريقية حتى أجد مملكة آهلة بسكانها ، حيث يمكننى النجاة ، أو أقابل سفينة من الديار

الأوربية ،فيحملني عليها أربابها ، وإذا وقع الشر، وحل بي النحس المستمر، فسعيت إلى حتفي بظلفي ، ولاقيت ريب المنون، فأني أستريح من حال أحلك من ليل ، وأشق على النفس من ويل . ولعل القارىء يعرف أن جميع ذلك كان نتيجة عقل مضطرب ، وطبع ملول ، فأصبحت لا أبالي بالموت، لطول شقائي وخيبة آمالي ،لأني بعد أن صرت قريبا مما أبغي ، وهو العثور على من يكلمني ويخبرني بطبيعة الأرض التي كنت بها ، وموقعها من الدنيا ، وكيف يمكن الخلاص من هذه الشدة ؟ فقدت الأمل، إذ لم أجد بالسفينة أحدا يجيب النداء من ركابها

وليست حياة المرء إلا أمانيا   إذا هي ضاعت فالحياة على الأثر

وهكذا استولت على المصائب ، وأصبحت غير قادر على التفكير في شيء آخر غير الذهاب إلى القارة . وقد اضطربت لذلك اضطرابا شديدا دام ساعتين ، فغلى[١] دمي في عروقي ، واشتد خفقان قلبي ، فأحسست ألما عميقا ذهب بشعوري فاستغرقت في النوم . وربما تظن أني شغلت بهذا الرأي في نومي ، ولكن شيئا من ذلك لم يكن ، إذ لم أحلم به، ولم يخطر عليّ خاطره، لأني رأيت رؤيا سأقص عليك نبأها . رأيت أني كنت خارجا من قلعتي ذات صباح ، كما أفعل كل يوم ، فرأيت زورقين عند الشاطىء ، وأحد عشر رجلا من المتوحشين مقبلين إلى الجزيرة ، وقد أحضروا معهم متوحشا يريدون قتله ليأكلوه ، فتغفلهم[٢] ذلك

---

(١) غلت القدر تغلي من باب ضرب غليا وغليانا وفي لغة غليت تغلى من باب تعب

(٢) تغفلت الرجل ترقبت غفلته

الأسير المتوحش ، وفر هاربا لينجو من الهلاك . وقد رأيته وهو يعدو كالظليم[1] نحو قلعتي . ولما لم أر أحداً يتبعه أظهرت نفسي له ، وتبسمت لأشجعه ، وأذهب عنه ما قد يعتريه من الرعب مني ، فسجد أمامي حيث رآني ، متوسلا أن أساعده ، فأقمت السلم وتسلقناه ، ودخلنا معا إلى المغارة . ومنذ هذا الوقت صار خادمي . وحينئذ قلت لنفسي يمكنني الذهاب إلى القارة لأن هذا الأسير سيساعدني ويرشدني ، ويخبرني عن الأماكن التي أكون فيها آمنا ، وعن تلك التي أكون فيها عرضة للهلاك . وقد استيقظت تحت تأثير هذه الفكرة السارة ولكني ما كدت أملك حواسي حتى علمت أني كنت في حلم لذيذ ، وأن لا شيء مما رأيت أمامي ، فخزنت حزنا تغلغل إلى جاجلان قلبي وقرارة نفسي . ومن هذه الساعة تيقنت أن لا سبيل لي إلى النجاة ، إلا بأخذ رجل من أولئك القوم الذين يأسرهم المتوحشون ، ويأتون بهم إلى الجزيرة ليأكلوهم ، ولكن هذه الفكرة كانت مصحوبة بهذه الصعوبة ، وهي أنه يتعذر علي تنفيذها إلا إذا هاجمت جمعهم كله وأفنيته . وفي ذلك من الخطر على حياتي ما لا يخفى على بصير ، على أن فكرة قتل هؤلاء القوم ، وإراقة كثير من الدماء لم تطب لي ، وإن كانت سلامتي متوقفة عليها . وقد انتابتني الأفكار من كل جانب فمرة أهم بالتنفيذ ، وتارة أشعر بخشونة المسلك ، مع أن قتل هؤلاء الشياطين ما هو إلا دفاع عن النفس ، لأنهم إذا رأوني لا يتركونني . ولذلك قاسيت عناء عظيما في حمل نفسي على الرضا بالخطة التي ذكرتها .

---

(١) الظليم ذكر النعام

وقد شجعنى على ذلك عدم رؤية أية وسيلة أخرى للخلاص مما كنت فيه من الضيق، فصممت عزيمتى على أخذ أسير من القوم، وأصبحت مستعداً لتنفيذ خطتى هذه متى سنحت الفرصة ، لأنى شرعت أرقبهم ، وأبحث عنهم بكل وسيلة ممكنة . فكنت أقوم بالمراقبة والبحث كل يوم بقدر ما سمحت به قوتى ، حتى ضقت ذرعا بالأمر ، لأنى كنت أذهب إلى الغرب والجنوب الغربى من الجزيرة لأقتفى آثارهم ، وأضيع قسما كبيراً من وقتى ، فمضت سنة ونصف قبل حضورهم . ولا تتوهمن أيها القارئ الكريم أن مضى الزمن قلل من اهتمامى ، أو أضاع قوتى . كلا، بل كان مرور الساعات مشجعا لى على العمل . وبقدر خوفى أولا من رؤيتهم لى أصبحت الآن أتوق إلى لقائهم ، والإيقاع بهم

الفصل الثانى والعشرون

إنقاذ روبنسن كروسو أسيرا من المتوحشين، وتسميته جمعة، واتخاذه خادما له

وبعد انتظار دام سنة ونصفا، رأيت صباح يوم على الشاطئ الذى كنت أقطن به من الجزيرة خمسة زوارق ، ورأيت عدد القوم زائدا على كل تقدير قدرته ، لأنى لم أعرف كيف أهاجم عشرين أو ثلاثين وحدى. ولذلك مكثت فى قلعتى ساكنا أنتظر ما تأتى به المقادير بعد أن رتبت حصنى حتى صار مستعدا للحرب كما وصفت قبلا . ولما مكثت على ذلك مدة لم أسمع خلالها صوتا ، ولم أر لهم أثرا، تاقت نفسى للخروج ، فصعدت على السلم حتى صار رأسى مساويا لأعلى التل حتى لا يرونى . ونظرت نحوهم بالمرقب ، فرأيت جمعا لا يقل عن العشرين عدا ، ورأيت نارا موقدة،

ولحما ناضجا لم أعرف كيف طبخ ؟ ولا من أى نوع كان ؟ ورأيت القوم يرقصون حول النار فى لهو وطرب. وبينما كنت أرقبهم رأيت أسيرين تعسين يخرجان من زورق ، وقد أتوا بهما لقتلهما ، استعدادا لأكلهما . ولما وصلا حيث يجتمع القوم سقط أحدهما على الأرض ميتا لأنه ضرب بسيف ثقيل من الخشب ، ولم يكد يسقط حتى أسرع إليه ثلاثة منهم ، فبقروا بطنه لأعداده للطبخ . وقد وقف الأسير الآخر بجانبهم منتظرا نوبته . وفى تلك اللحظة رأى ذلك المسكين نفسه حرا ، ومنته نفسه بالخلاص ففر هاربا ، فكان يسابق الريح عدوا، واتخذ طريقه نحوى

ولا أخفى عليك ما أحسسته حينئذ، فقد استولى علىّ الرعب، وخاصة عند ما ظننت أن جميع القوم طاردوه ليقبضوا عليه ، لأنى تيقنت أن الأسير سيختفى فى مساكنى ، وأن المتوحشين سيدخلونها ، ولكن سُرِّى عنى ما كنت أجد حين رأيت الجادين فى أثره ثلاثة فقط ، ورأيت أن الأسير يسبقهم كثيراً فى العدو ، واعتقدت أنه إن استمر على ذلك نصف ساعة فسيفر منهم ، وينجو لا محالة . وكان بينهم وبين قلعتى ذلك الجدول الذى ذكرته فى أول هـذه القصة حين أحضرت من السفينة ما قدرت عليه . وكان على الأسير إذا أراد النجاة أن يعبره سباحة وإلا هلك . فلما وصل إلى شاطئه ألقى بنفسه فيه ، ومع شدة التيار عبره بمهارة عظيمة ، وواصل عدوه بخفة مدهشة. أما الثلاثة المطاردون فوقف أحدهم عند الشاطئ ، لأنه لا يحسن السباحة . وبعد قليل رجع أدراجه، فكان ذلك خيراً له وإن كره . وأما الاثنان الآخران فقد ألقيا بنفسهما إلى الجدول ، وعبراه بخفة أدهشتنى، فقد كانا فى السباحة أمهر من الأسير

الفار . أما أنا فشعرت بأن قد حان الوقت لأحصل على خادم أو مساعد ، أو رفيق إن شئت أن تسميه ، وبأن العناية الألهية قد نادتنى لأنقذ حياة ذلك المسكين ، فأسرعت إلى الخروج من حصنى ، وأخذت معى بندقتين وهرولت نحو المطاردين من أقرب طريق ، فصرت بين الأسير الآبق [1] ، وبين الوحشين الكاسرين ، وناديت الأسير فنظر خلفه ، فلما رآنى ذعر منى ، ولكنى أشرت إليه بيدى ليأتى

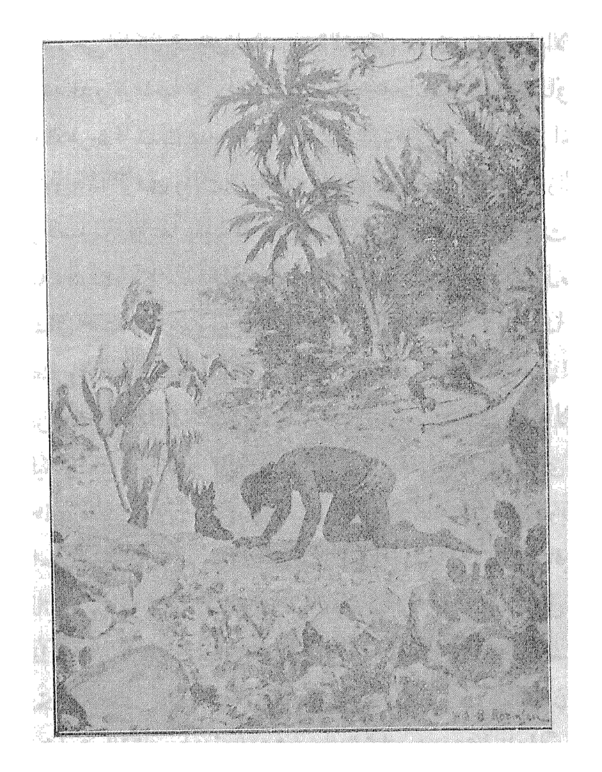
وفى الوقت نفسه اتجهت نحو الرجلين الآخرين ، فأسرعت إلى السابق منهما ، وضربته فى رأسه بيد البندقة ، وحذرت إطلاقها ، لئلا يسمع الآخرون أو يروا دخانها ، وإن كانت المسافة التى بينى وبينهم لا تسمح بذلك ، على أنهم لو سمعوا صوتا أو رأوا دخانا لا يمكنهم أن يعرفوا حقيقة الأمر . أما الرجل الآخر فتقدمت نحوه ، ولما أبصرنى جمد فى مكانه ، ولكنى رأيت فى يده قوسا وسهما أسرع إليها ليسدد النشاب [2] نحوى ، فاضطررت لمعاجلته قبل أن يصيبنى ، فرميته بطلق قضى على حياته . ولما رأى الأسير الفار سقوط عدويه زال عنه بعض ما كان يجد من الخوف ، ولكنه جمد فى مكانه مذعورا من صوت القذيفة ، لأنه لم يعرف لها حقيقة ، وكان إلى الفرار أقرب منه إلى الحضور إلىّ ، ولكنى أشرت إليه بالتقدم ، فكان يتقدم قليلا ، ويقف ، كأنه ظن أنه ما نجا من أسر إلا ليقع فى آخر ، فأفهمته بكل ما أملك من الوسائل أن حياته فى أمن ، فتقدم نحوى ثم سجد شكرا على نجاته ، وكان كلما تقدم نحو عشر خطوات ، سجد مرة ،

---

(١) العبد الآبق الهارب من سيده (٢) النُّشّاب النَّبْل الواحدة نُشّابة

فابتسمت له ابتسامة سرور ، وأشرت إليه أن يتقدم بلاخوف ولا وجل ، فتقدم حتى إذا كان بين يدى سجد سجدة الشكر ، ثم وضع رأسه على الأرض وأخذ قدمى فوضعها على رأسه ، إشارة إلى أنه سيصير أسير إحسانى إليه أبد الدهر ، فأخذت بيده ، وساعدته على النهوض ، وشجعته على الحياة .

وفى هذا الوقت رأيت الرجل الذى ضربته على رأسه بالبندقة قد زال عنه أثر الصدمة ، وابتدأ يقوم فأشرت إلى الأسير الذى أنقذته ، ووجهت نظره إليه ، فتكلم بكلام لم أفهم له معنى ، ولكنى اطمأننت إليه لأنه أول صوت إنسانى سمعته منذ وصولى إلى هذه الجزيرة التى مضى علىّ فيها خمس وعشرون سنة . ولكن الوقت لم يكن مناسبا لهذه الأفكار لأن الرجل تحرك للقيام ، فخاف الأسير المُنْقَذ من ذلك ، فوجهت بندقتى نحوه لأقضى عليه ، ولكن رجُلى أشار إلىّ أن أكف ، وأن أعطيه السيف الذى كنت أحمله ، ففعلت . وما قبض على مقبضه حتى أسرع نحو الرجل ، وبضربة واحدة أزال رأسه عن عنقه ، فدهشت لما رأيت لأن أمهر السيافين فى ألمانيا لا يقدرون على أحسن مما فعل ، وخاصة إذا علمنا أنه لم ير فى حياته قط سيفا ، إلا ما اتخذوه من الخشب ، لأنى علمت فيما بعد أن سيوفهم تتخذ من خشب ثقيل ، وأنهم يرهفون حدها حتى إنهم ليقطعون بها الرؤوس والأذرع بضربة واحدة . وبعد أن انتهى من عمله عاد إلىّ ضاحكا لانتصاره ، وألقى بين يدى السيف ورأس ذلك القتيل . ولكن الذى أدهش هذا الرجل المتوحش ، واستولى على لبه ، هو كيف قتلت أحد الرجلين ، وأنا بعيد عنه ، فأشرت إلى البندقة ، ولكنه لم يفهم وطلب منى أن أسمح له بالذهاب إلى القتيل . فسمحت له فلما وصل إليه قلبه على



فتقدم حتى إذا كان بين يدى سجد سجدة الشكر

جوانبه ليرى ما حل به ، فلم ير غير جرح فى صدره ، عليه قليل من الدم.
وكان الرجل ميتافاً أخذ قوسه ونُشَّابه،ورجع إلىّ ،فأشرت إليه بالأسراع
لئلا يعود القوم إلى طلبه ، ولكنه سألنى دفن القتيلين ، لئلا يعثروا عليهما
إذا جاءوا، فوافقته على رأيه. وبسرعة عجيبة شق فى الأرض لحدين دفن
فيهما الرجلين ، وواراهما التراب . ولم يستغرق فى عمله أكثر من ربع ساعة.
ولما انتهى من ذلك أخذته مسرعا إلى مغارتى فى الجانب الآخر من الجزيرة
لا إلى قلعتى كما رأيت فى رؤياى

وكان الجوع قد ذهب بقوته كل مذهب ، فأعطيته خبزا وعنقودا من الزبيب
فأكل حتى شبع،ثم ناولته ماءعذبافشرب حتى امتلأ . ولما رأيت التعب باديا
على محياه لطول ما جرى أمرته بالنوم ،وأشرت إلى مكان مهيأ لذلك فنام فيه .
وكان هذا الرجل ظريفا،جميل الخَلْق ،قوى الأعضاء ،طويلا ، يبلغ من العمر
ستة وعشرين عاما ، كما كان حلو المحيا ، لا تظهر عليه خشونة المتوحشين.
وفي وجهه علامات الرجولة الحقة ، وكل ما يجد المرء فى سحنة الأوروبىّ
وخاصة إذا افتر ثغره حين يبسم . وكان شعره أسود اللون طويلا،لا ترى
فيه ذلك التجعيد الذى يجعل الشعر كالعِهن (1) المنفوش .أما جبهته فكانت
كبيرة مرتفعة جدا،وأما عيناه فكانتا كبيرتين تتوقدان حياة وحدة . وكان
أسمر اللون لا أسود البشرة ، وكانت سمرته لطيفة مقبولة لا تحاكى لون
البرازيليين ، ذلك اللون الأصفر الذى لا جمال فيه . وكان وجهه مستديرا
ممتلئا ، وأنفه صغيرا غير مفطوس ، وفمه جميلا ، وشفتاه رقيقتين، وأسنانه
جميلة التنسيق ، بيضاء كالعاج .

---

(1) الصوف

وبعد أن استراح نحو نصف ساعة استيقظ، وخرج من المغارة، ثم نظر فرآني أحلب المعز في حظيرتها فجاء مسرعا إليّ. وما كاد يمثل بين يدي حتى خر ساجدا على الأرض بكل ما أوتي من خشوع وتضرع، ليظهر أنه شاكر لي على إنقاذه من الموت، ثم تقدم وألقى برأسه على الأرض بجانب قدمي، وأخذ الأخرى بيده، ووضعها على رأسه دلالة العبودية والخضوع لمنقذه أبد الحياة. وقد فهمت ما يريد في كثير من الأوقات، وأفهمته أني به مسرور. وبعد قليل ابتدأت أن أكلمه وأعلمه الكلام، فعلمته أن اسمه جمعة، ليكون اسمه تذكارا لليوم الذي رأيته فيه، كما علمته أن يدعوني «سيّدي» وأفهمته أن ذلك اسمي. ثم علّمته أن يقول نعم، ولا، وأفهمته معناهما: وعلّمته كيف يأكل الخبز باللبن فكان يفعل مثل ما أريد. وبقينا معا في هذا المكان الليل كله، ولما أصبح الصباح أشرت إليه أن يتبعني وأفهمته أني أريد أن أستر جسمه ببعض الملابس، لأنه كان لايزال عاريا، ففهم إشاراتي، وأظهر ارتياحه لذلك. ولما مررنا حيث دفنا القتيلين أشار بالضبط إلى مكانهما، وأراني علامات تدل عليه، وأفهمني أنه يريد أن يخرج الجثتين لنأكلهما، فأظهرت له بغضي وكراهتي لهذا العمل، وتظاهرت بالغثيان لمجرد الفكرة، وأومأت إليه أن يتبعني على عجل لنغادر المكان، ففعل خاضعا. ولما وصلنا إلى التل. تسلقناه، ونظرت بالمرقب فلم أر أثرا للقوم ولا لزوارقهم، فعلمت أنهم غادروا الجزيرة وتركوا رفيقيهم دون أن يبحثوا عنهما.

وأصبحت الآن غير مقتنع بما وصلت إليه من كشف، بل تاقت

نفسى إلى حب الاطلاع ، مشجعة بوجود جمعة ، فأعطيته سيفا لحمله
فى يده ، وتنكب القوس والسهام ، وحملته بندقة لى ، وحملت أنا اثنتين ،
وسرنا قاصدين المكان الذى نزل به المتوحشون ، لأنى قصدت أن أعرف
عنهم أكثر مما عرفت . ولما وصلت إلى المكان كاد الدم يجمد فى عروق
وأوشك قلبى أن يتصدع من هول ما رأيت ، فقد كان المنظر مذهلا
للشعور ، وإن كان جمعة لم يتأثر به ، لأنى رأيت المكان مغطى بعظام أجسام
بشرية ، والثرى مصبوغا بدمائها . وكنت أرى قطعا من اللحم منثورة
هنا وهناك ، وقد أكل بعضها . وقصارى القول أنى وجدت بالمكان آثار ذلك
العيد الذى كان نتيجة انتصار القوم على أعدائهم . وقد أبصرت ثلاث
جماجم ، وخمس أيد ، وعظام أربع أقدام ، وأجزاء كثيرة من أعضاء مختلفة
من الجسم . وأفهمنى جمعة بإشاراته أنهم أحضروا أربعة من الأسرى ،
ليضحوا بهم فى عيدهم هذا . وقد أكلوا ثلاثة منهم ، أما الضحية الرابعة
وهو جمعة ، فقد نجاه الله من كيدهم وشرهم . وفهمت من جمعة أنه
كانت بين أولئك المتوحشين وبين من يجاورهم حرب شديدة ، أسروا
فيها كثيرا من رعايا الملك المجاور لهم ، وقد ذهبوا بهم كل مذهب للتضحية ، كما
فعل من أتى هنا من المتوحشين بمن أتوا بهم من الأسرى .

وقد كلفت جمعة أن يجمع ما بقى من العظام واللحم فى كُومة [1] ففعل
ما أمر به ، ثم أوقدت نارا كبيرة حولها لحرقها حتى تصير رمادا . وقد

---

(١) كوم التراب تكويما جعله كُومة كومة بالضم أى قطعة قطعة ورفع رأسها

رأيت عند جمعة استعداداً لأكل بعض تلك اللحوم ، ولكنى أظهرت له بشاعة الفعل ، وأفهمته أنى أقتله إن أتى تلك المخالفة . ولما انتهينا من ذلك عدت وجمعة إلى قلعتى ، وشرعت أجهزله ملابس ، فأعطيته سروالا كنت أنقذته من السفينة . وبعد إصلاح قليل أصبح مناسبا له ، ثم معطفا صنعته من جلد المعز ، ثم قلنسوة من جلد أرنب . ولما رأى نفسه لابسا ملابس كالتى يرتديها سيده فرح وطرب . حقا إنه تعب ابتداء من لبس السروال ، فكان لا يجيد ارتداءه ، ثم تألم من أكمام المعطف . ولكنى بعد أن أوسعتها له وتعودها ، أصبح لا يطيق صبراً على المعيشة بدونها .

وفى اليوم التالى لعودتنا إلى سكنى ابتدأت أفكر فى المكان الذى ينبغى أن أعده لجمعة لينام فيه ، فوجدت أحسن ما أقدر عليه أن أضرب له خيمة فى الفضاء الذى بين المكانين اللذين حصنتهما ، بحيث تكون الخيمة خارجة من الحصن الثانى ، وداخلة فى الأول . وقد اتخذت من الاحتياطات ما يكفى لأيقاظى ليلا إن حاول جمعة الوصول إلىّ فى الداخل ، لأنى بهذه الاحتياطات ، أصبحت منعزلا عنه ليلا كل الانعزال . وكنت دائما أضع سلاحى بجانبى أثناء نومى ، ولكنى لم أكن بحاجة إلى هذه المخاوف ، لأن جمعة كان أمينا مخلصا محبا لى ، وكان قلبه مشغوفا بى ، تابعا لأرادتى ، كما ترى الطفل وأباه . وقد تأكد لى أن جمعة لا يحجم عن تضحيته بنفسه فى سبيل إنقاذى مهما كانت الأمور والأحوال ، وإن الأدلة التى قدمها لى على إخلاصه وتعلقه بى لما لا يحتمل الشك . ولذلك لم أجدنى فى حاجة إلى الحذر منه .

وقد قادنى ما رأيت فى جمعة من كريم الخصال ، أن أفكر كثيراً

فى تقدير العزيز الحكيم ، كيف جرد عدداً كبيراً من خلقه من ثمرة استعدادهم ؛ لأن أولئك المتوحشين قد أبعدوا عن كل خير ، مع أنهم خلقوا ، وفيهم نفس القوى التى نتمتع بها عند دخول الدنيا ، إذ فيهم قوة الحكم والتعليل ، وعاطفة الحب والشفقة ، والقيام بالواجب ، وبغض الذنوب والآثام ، وحب الشكر والأخلاص ، وكل قوة لعمل الخير .
وإن هؤلاء القوم إذا سنحت لهم الفرصة أظهروا مقدرة عجيبة على القيام بهذه الأشياء . ولشد ما كنت أحزن حين أفكر فى ذلك ، وأننا لا نعطى كريم الخصال ما تستحقه من العناية ، لأن الله قد أنار لنا الطريق بدينه الحنيف ، ومع ذلك نضل سواء السبيل . ولو كان لى أن أحكم على ما رأيت من جمة لقلت إن تلك الملايين التى حرمت هداية الله لو تسنى لها أن تسلك سبيل الهداية لكانت أرقى منا وأعلى قدراً .
ولذلك كان الشك يعترينى وكنت لا أرى عدلا فى القوانين التى لا أفهمها ، إذ كيف يحرم بعض القبائل من النور الألهى ؛ ويكلفون أن يأتوا بنفس العمل الذى يقوم به غيرهم ممن بلغتهم الدعوة ، ولكنى كنت أزجر نفسى بهذا الاعتقاد ، وهو أن الله الذى هدانا النجدين ، وبين لنا الطريقين ، يعاقبنا بهذه القوانين التى بينها ، وأما أولئك المتوحشون فلا يعاملون معاملتنا ، بل لهم عاداتهم وأخلاقهم ، فلا يكلفون شيئا لا يعرفونه . وكثيراً ما كنت أقول « لا يُسأل عما يفعل وهم يُسألون » إن صانع الفخار يخرج أشكالا جمة ، وأوانى كثيرة ، فلا ترى آنية تقول له لماذا صنعتنى هكذا ؟

ولكنى أعود إلى موضوع حديثى ، وهو جمة الذى كنت مسروراً بلقائه ، وقد جعلته شغلى الشاغل لأعلمه كل ما يجعله نافعا مساعداً ، وخاصة

مايساعده على فهم الكلام وتفهيمه. وكان أقدر تلميذ رأيته مع مزاج سارّ، فكان يرتاح أشد الارتياح إذا فهمنى وأفهمنى حديثه، حتى شعرت نحوه بميل عظيم. وابتدأت أحس نعيم الحياة ولذتها حتى أصبحت لا أبالى إذا بقيت ما بقى لى من الحياة فى هذه الجزيرة. ولم يكن هناك ما أخافه غير رؤية المتوحشين

الفصل الثالث والعشرون

اجتهاد روبنسن كروسو فى تهذيب جمعة وتعليمه

وبعد ثلاثة أيام من عودتى إلى قلعتى جال بخاطرى أن أذيق جمعة لحما حلالا، ليبعد عن ذهنه وذاكرته لحم الآدمى، فأخذته معى صباح يوم، وذهبت به إلى الأحراج والأَجم، ناويا الوصول إلى حظيرتى، لأذبح ماعزا من القطيع. وبينما نحن نسير إذ رأيت ماعزة مضطجعة، وبجانبها جدياها، فأومأت إلى جمعة ألا يتحرك فجمد فى مكانه، ثم أخذت البندقة وصوبتها نحو جدى فصرعته. وما سمع جمعة الصوت حتى كاد يصعق من الذعر وظن أنى أريد قتله، كما قتلت المتوحشين من قبل، لأنه لم ير الجدى الذى رميته، فخلع معطفه ليرى جراحه، ثم خر ساجدا بين يدى، متوسلا إلى ألا أقتله. وقد أقنعته بأنى لا أريد به ضيرا، وأخذت بيده فقام، وأشرت إلى الجدى الذى قتلته، وسألته أن يحضره ففعل، ثم وقف يفكر كيف قتل؟ فملأت بندقى أثناء وقوفه وحيرته، ولما انتهيت رأيت طائرا على شجرة ظننته صقرا، فإذا هو ببّغاء، فأردت

أن أفهم جمعة قليلا ، فأشرت إليه بالتقدم نحوى فجاء ، فأومأت إلى الببغاء على الشجرة ، وإلى البندقة التى سأصوبها نحوه ، ثم إلى الأرض التى تحت الشجرة ، وأفهمته أن الطلق سيرمى بالببغاء إلى الأرض . ثم رميت بالبندقة وهو ينظر فرأى الطائر يسقط مجدّلا فتجدد خوفه ، لأنه لم يفهم كل ما قلت له ، ولم يرنى وضعت شيئا فى البندقة فظنها آلة مدهشة محيرة ، واعتقد أنها مستودع للمنايا والهلاك ، وفيها ما يقتل الأنس ، والوحش ، والطائر ، والقريب والبعيد . وكانت دهشته عظيمة حتى أنه لم يمس البندقة أياما عدة ، ولو وافقته على هواه لعبدنى وبندقتى .

وقد علمت منه بعد أنه كان يكلم تلك الآلة الصماء كأنها تفهم الخطاب ، ويضرع إليها ألا تقتله . ولما خفّت دهشته أشرت إليه أن يذهب فيحضر الطائر ، فذهب ، ولكنه غاب قليلا ، لأن الطائر سقط حيا ، فابتعد عن المكان الذى سقط فيه ، فمكث يبحث عنه حتى رآه وأحضره . وانتهزت غيبته وجهله حقيقة البندقة فملأتها مرة أخرى لأستعد للطوارئ ، ولكن لم أجدنى فى حاجة لأطلاقها فى ذلك الوقت . ولما حضر بالطائر ذهبنا بالجدى إلى المسكن ، وسلخته ، وقطعت اللحم ، وأعددته للطبخ ، فوضعت بعضه فى قدر أعددتها لذلك ، ثم شويت بعضه على النار ، ومن مرقة اللحم صنعت حساء ، ثم ابتدأنا الأكل ، فأكلت وأعطيت جمعة لحما ليأكل فاستلذ طعمه واستمتع به ، ولكنه كان يأكل اللحم ، ويشرب الحساء بلا ملح ، لأنه وضع قليلا منه فى فيه ، فلم يرقه طعمه فتفله ، وغسل فاه بالماء العذب بعده لشدة استنكاره لذلك . ولأحمله على حب الملح وضعت قطعة من اللحم فى فىّ بلا ملح ثم أظهرت اشمئزازا من ذلك وألقيت باللحم إلى الأرض ، وغسلت

فمى بالماء القراح، ثم عدت إلى أكل اللحم بالملح ، وأظهرت السرور واللذة ولـكن لم يجد ذلك نفعا .

واستمر جمعة يأكل بلا ملح مدة طويلة ، وبعد استعماله له كان يأخذ منه مقدارا قليلا جدا . وفى هذا اليوم اقتصرت على تغذيته باللحم المسلوق والحساء ، ناويا أن أشوى له قطعة من لحم الجدى فى اليوم التالى . فلما دنا وقت الطعام أوقدت نارا ، وأقمت على جانبيها عمودين وضعت فوقهما ثالثا ، ثم علقت اللحم بحبل على هـذا الثالث ، وقمت بتحريكه على جميع جهاته فسر جمعة من هذه الطريقة ، ولما ذاق اللحم أعجب به ، ووعدنى ألا يذوق لحم الأنس مرة ثانية ، فـكان لتصريحه هذا رنة فرح فى نفسى. وفى اليوم التالى أمرته أن يدق سنابل الحبوب ويغربلها ، كما كـنت أفعل ذلك فقام بهذا العمل بهمة ونشاط . وخاصة حين علم أن الغاية منه الحصول على الخبز . ثم علمته كيف يصنع من الدقيق خبزا، واهتممت بتهذيبه وتعليمه فـكان يقوم بكل ما أحتاج إليه من الأعمال مع إجادة وإتقان.

والآن أخذت أفكر فى إكثار الحبوب ، لأن المقدار المستهلك قد زاد فأخذ ما خزنته فى النقصان ، فابتدأت أحدد قطعة من الأرض لأعدها للزرع، ثم كلفت جمعة أن يحوطها بحائط كما فعلت قبلا، ففعل ذلك بعزم لا يفتُر ولا سيما بعد أن علم السبب الملجىء لذلك . وقد أظهر جمعة نحوى لهذه المناسبة عواطف نبيلة ، فأخبرنى أنه كان سببا فى زيادة عملى، وأنه مستعد لأتمام أى عمل أشير به عليه، وكانت هذه السنة أسعد وقت قضيته فى هذه الجزيرة التى دعوتها جزيرة اليأس ، لأن جمعة قدر فيها على الـكلام معى، وحفظ أسماء الأشياء التى كان عليه أن يتعلمها ، ثم عرف الأماكن التى

كنت مضطرا أن أرسله إليها . ووجدت رفيقا أحادثه ، فاستعملت مقولى فيما خلق له ، لأنى منذ طرحت على هـذه الجزيرة لم أجد من أخاطبه . وكان جمعه رفيقا لا يفضله رفيق ، وتجلت لى فيه صفتا الأمانة والشرف فأحسست أنى مجذوب إليه ، أما هو فـكان حبه لى يعدو كل وصف ، وأعتقد أنه لم يحب شيئا فى حياته حبه لصاحب هذه القصة . وقد خطر لى أن أجره فى الحـديث لأعرف إذا كان عنده ميل لبلاده . ولما كان يعرف الأنجليزية ، ويمكنه إجابة أى سؤال ، وجهت إليـه ذات يوم ما يأتى : ــ هل تذكر أن قومك تغلبوا يوما على أعدائهـم ؟ فتبسم مجيبا نعم . إن قومى يجنون دائما ربح الوقائع ، وتكون لهم الغلبة على عدوهم . فقلت له إذا كان الأمر كما تدعى فكيف هزموكم وأخذوا منكم الأسرى ؟

جمعة إن قومى يقتلون منهم كثيرا .

السيّد كيف ذلك ؟ إذا كان قومك يوقعون بهم الهزيمة فلِمَ أُخذت أسيرا ؟

جمعة إن عددهم كان أكثر من عشيرتى حيث كنت أقيم ، فأخذوا منا أربعة . وأما فى المواطن الأخرى التى لا أقيم فيها من بلادى فقد غلبهم قومى وأخذوا منهم ألوف الأسرى

السيّد ولماذا لم يُعدك قومك إلى بلادك وينقذوك من مخالبهم ؟

جمعة إنهم أخذوا أربعة منا وجروا بهم إلى الزورق ، ولم يكن مع قومى زوارقهم

السيّد وماذا يصنع قومك بالأسرى الذين يأخذونهم ؟ أيذهبون إلى حيث يضحون بهم كما فعل العدو بك ؟

جمعة نعم إن قومى يأكلون لحوم البشر

السيّد أين يذهبون بهم ؟

جمعة يذهبون بهم حيث يريدون

السيّد هل يحضرون هنا ؟

جمعة نعم إنهم يحضرون هنا ويذهبون إلى أمكنة أخرى

السيّد هل أتيت إلى هذه الجزيرة معهم ؟

جمعة نعم . قد حضرت هنا . وأشار إلى الشمال الغربى من الجزيرة ، فاستنبطت من حديثه أنه جانبهم . وبهذه المحاورة علمت أن جمعة كان يحضر مع قومه إلى هذه الجزيرة ليأكلوا أسراهم . وقد ذهبت به مرة إلى ذلك الجانب منها فعرفه وأخبرنى أنهم أتوا مرة فأكلوا بهذا المكان عشرين رجلا وامرأتين وطفلا . ولم يقدر على نطق عشرين بالأنجليزية فصف صفا من صغار الحصى على الرمل وأشار إلى أن أعدها . وقد حملنى الحديث المتقدم على الرغبة فى إيضاح مايأتى ، فقد سألته عن بُعد شواطئ بلادهم عن هذه الجزيرة ، وعن أمن الطريق من العواصف ، فأجابنى بأن لا خطر ، وأنه لم يسمع قط عن زورق فقد فى الطريق . وأخبرنى أنه بعد أن تمخر الزوارق قليلا فى البحر تجد تيارا ورياحا تتجه دائما اتجاها واحدا فى الصباح ، واتجاها آخر مساء . ففهمت حينئذ أن ذلك هو حركة المد والجزر البحرية التى هى ارتفاع الماء مرة حتى يغمر السواحل ، وانخفاضه أخرى حتى

ينحسر عنها ، ولكني علمت بعد أن هذه الحركة هي حركة المد والجزر الخاصة بالنهر العظيم المسمى أورينوقو ، فقد كان لمائه حركتان ، إحداهما إلى البحر ، والثانية إلى العكس منها . وحين يقل الماء ينحسر عن فم الخليج الذي كانت جزيرتنا فيه . وكانت تلك الأرض التي رأيتها إلى الغرب والشمال الغربي هي الجزيرة العظمى التي تدعى « ترنِديد » وهي في النقطة الشمالية من فم ذلك النهر . وسألت جمعة كثيراً من الأسئلة عن تلك الأرض ، وسكانها ، وعن البحر وشاطئه ، وعن أقرب الأمم إليهم ، فأجابني عما وجهته إليه من الأسئلة بتلك الصراحة التي عهدتها فيه . وسألته أيضاً عن الأسماء المختلفة للقبائل التي تشبه قبيلته فلم أظفر منه بغير هذا الاسم « كِرِبْس » ففهمت بسهولة أنهم الكريبيون الذين نرسم أماكنهم على المصورات الجغرافية في جزء من أمريكا الجنوبية حيث يبتدىء فم النهر السالف الذكر ، ويمتد سكنهم إلى غيانا ثم إلى « سان مارثا » [1] . ثم أخبرني جمعة أن عند مغرب القمر — وذلك إلى الغرب من جزيرتهم — قوما بيض البشرة ، يرخون لحاهم مثلي ، وأنهم قتلوا كثيرا من الناس ، فعلمت أنهم الأسبانيون الذين ارتكبوا كثيرا من الفظائع الوحشية ، حتى ذاع اسمهم بكل سوء بين أمم العالم طرا ، وتناقل الخلف عن السلف سوء سمعتهم ، وردىء أحدوثتهم [2] ، وسألته كيف أقدر على الوصول إلى أولئك القوم

(١) مدينة في شمال كولومبيا على بحر الكريبيين

(٢) الأحدوثة ما يتحدث به

البيض من هذه الجزيرة ؟ فقال يمكن الوصول إليهم فى زورقين ، فلم أفهم مايريده ، ولم يقدر على شرح غرضه ، وبعد طول عناء فهمت أنه يريد أنه يمكن الوصول إليهم فى زورق كبير الحجم ، بحيث تكون سعته كزورقين . ومن هـذه الحادثة تجددت آمالى فى النجاة ، وترك هذه الجزيرة وتحينت الفرص لتدبير الأسباب ، وربما كان هـذا المسكين جمعة مساعدا لى على ذلك .

وفى ذلك الوقت الطويل الذى عاش فيه جمعة معى ، وتعلم لغتى لم أجدنى مضطرا لوضع أساس دينى فى نفس ذلك الرجل ، لأن الأساس كان معدا من قبل . وقد سألته ذات يوم من خالقك ؟ ولـكنه لم يفقه ماقلته ، وظننى أسأله عن والده ، فغيرت معه طريقتى ، وسألته عن خالق البحار والأرض التى نسير فوقها ، والجبال والأشجار ، فأجابنى بأن خالق هذه الأشياء وغيرها قديم جداً لم يدركه شىء من الأشياء وهو بنامكى[1] ولم يقدر جمعة على وصف شىء مما يتعلق بهذا الخالق الذى ذكره ، ولـكنه قال إنه أقدم من كل مانرى ، أقدم من البحر والأرض . والقمر والنجوم فسألته حينئذ إذا كان ذلك الخالق القديم قد أوجـد كل الأشياء فلماذا لاتعبده تلك الموجودات ؟ فنظر إلى نظرة المتعجب ثم قال كل الأشياء تتوسل إليه وتتجه . فسألته أين يذهب موتاكم بعد موتهم ؟ فقال يذهبون إلى موجدهم بنامكىّ . فسألته هل يذهب قتلاكم الذين تأكلونهم إلى الخالق أيضا . فأجاب بالايجاب

---

(١) بنامكىّ اسم ألههم

وفى نور تلك المعلومات التى عرفها ابتدأت أعلمه علما حقا، ليعرف الله سبحانه وتعالى كما نعرفه، فأخبرته أن الله العلى حى فى تلك القبة الزرقاء التى فوقنا (١) وأشرت نحو السماء، وأنه قادر يدبر العالم بالحكمة التى أوجده بها، وأنه مالك كل شىء، يعطى ويسلب، واستمررت على ذلك حتى شحذت ذهنه، وأضأت المنهج له. وكان يستمع لما أقول، وهو ملق إلىّ بذهنه ولبه. وفهم الحكمة فى بعث الأنبياء والرسل وطرب منها. وكان يرانى وأنا أصلى خاشعا، فأفهمته أن الله يسمعنا فى صلاتنا وإن استقر فى السماء، فأخبرنى ذات يوم أنه إذا كان الله الذى أعبده قادرا على أن يسمعنا وهو فى سمائه فلابد أن يكون أعظم قوة، وأوسع سلطانا من إلههم بنامكىّ الذى لايبعد عنهم إلا قليلا، ومع ذلك لايسمع نداءهم حتى يذهبوا إلى الجبل العظيم الذى يسكنه، لينادوه بما أرادوا. فسألته هل ذهبت إليه لتكلمه؟ فقال لا. إن الأحداث لايذهبون إليه، ولكن الكبارهم الذين يفعلون ذلك وسماهم «أوكاكى» ففهمت أنهم رجال الدين عندهم، أو الكهنة الموكلون بالأسرار الدينية، فهم يذهبون حيث يجدون إلههم، ثم ينقلون إلى قومهم حديثه معهم. ومن هذا الحديث علمت أن الكهانة موجودة حتى بين أشد الناس وثنية وتوحشا، وأن سياسة جعل الدين سرا من الأسرار ليستأثر الكهنة باحترام الناس كافة، لا نجدها عند الرومانيين فقط، بل توجد كذلك فى جميع أديان العالم، مهما كان أربابها من الحطة والتوحش.

---

(١) هكذا وردت هذه العبارة فى الأصل الأنجليزى

ولما وقفت من جمعة على الأسرار المتقدمة ابتدأت أوضح له الحقيقة وأزيل من فكره تلك الأوهام ، فأفهمته أن تظاهر كهنتهم بالذهاب إلى الجبل العظيم الذى ذكره ليصلوا إلى إلههم « بنامكى » خداع لعقولهم ، وتضليل بها ، وأن رجوعهم منه بكلمات يقولونها للناس أغش وأكذب ، وقلت له إنهم إذا تقابلوا فى الجبل مع أحد ، أوسمعوا أجابة منه ، فهو الروح الخبيثة . وحينئذ ابتدأت معه فى الكلام على الشيطان الذى هو للأنسان عدو مبين ، فتناولت نشأته وعصيانه الله ، ومخالفته لأمره ، وعداوته للأنس ، وسبب تلك العداوة ، ووجوده فى الأجزاء المظلمة من العالم ، ليعبده الناس بدل الخالق الحقيقى ، والطرق الكثيرة التى يسلكها ليغرر بالناس ، ويقودهم إلى هلاكهم . وبينت له قدرته على معرفة الأسرار ، وفهم كنهها ، حتى ينصب أشراكه فنكون نحن مغررين بأنفسنا ، ونقودها إلى الدمار باختيارنا . ولم أجد من السهل أن أوضح له الأفكار الصائبة عن الشيطان كما وجدت ذلك سهلا فى توضيح صفات الله عز وجل ، فأن الطبيعة قد أرشدتنى فى كلامى معه ، فأفهمته ضرورة وجود سبب أولى عظيم ، وقوة عامة حاكمة ، وعناية خفية مدبرة ، ووجوب العبادة لمن اتصف بهذه الصفات ، لأن من العدل والأنصاف أن تشكر لمن أنعم عليك بنعم لو حاولت إحصاءها لأعجزك الأحصاء . أما أظهار حقيقة الشيطان فكان من الصعب التحدث فيها

وقد سألنى جمعة ذات يوم سؤالا حرت فى الجواب عنه ، وهو سؤال يخطر بفكر كل إنسان ، فقد كنت أخبره بقدرة الله ، وأنه شديد

العقاب لمن عصاه ، وأنه أعـد النار للآثمين ، وأنه كما قدر على إيجادنا ، وخلق كل شيء ، قادر أن يهلكنا فى أقل من لمح البصر . وكان أثناء ذلك يحسن الاستماع ويصغى بكل انتباه . وقد انتقلت من هـذا الحديث إلى أن الشيطان عدو الله فى قلوب الناس ، وأنه اتخذ من حقده وحذقه ، سلاحا يعارض به من يريد سلوك سبيل الخير الذى وضحه الخالق جلت قدرته ، وأنه بذلك يعمل على دمار الشرائع فى جميع العالم . فقال جمعة بعد ذلك أليس الله قادرا قويا ؟ وإذا كان كما وصفت فلماذا يترك عدوه الألد يعيث فى الأرض فسادا ؟ فأجبته بأن الله أقدر الموجودات وأقواها ، وأن قوته لا تدانيها قوة فى الوجود ، وأننا نعبده ونتوسل إليه ليقدرنا على الشيطان حتى نذيقه الهوان ، ونقاوم إغراءه لنا بالشر ، ويكبح عداوته عنا .

ولكن هذا لم يقنع جمعة ، فقال إذا كان الله قادراً قوياً ، وكان شديد البطش ، فلماذا لم يقتل هـذا الخبيث حتى لا يقترف الذنوب والآثام ؟ فدهشت لهذا السؤال ، لأنى وإن كنت الآن شيخا كبيراً لست أهلا لحل مثل هـذه العقدة ، ولم أقدر حين سمعت السؤال أن أجيب بشيء ، فتظاهرت بعدم السماع ، وسألته إعادة ما قال ، ولكنه كان حريصا على سماع الجواب ، فلم ينس سؤاله ، وألقاه كما فعل أولا ، فوجدت وقتا لقليل من التفكير ، فتحسن موقفى قليلا وأجبته « إن الله سيعاقبه فى النهاية عقاباً شديداً ، وإنه أمهله حتى ينال جزاءه بعد محاكمة عادلة ، وسيطرح فى قاع جهنم خالداً فيها » ، ولكن جمعة لم ير فى جوابى مقنعا لشغفه بحب الاطلاع ، فكرر السؤال مظهراً العجب من قولى فى الأجابة « أمهله »

« وفى النهاية » وقال لماذا لم يقتل الشيطان منذ أمد سحيق ؟ فقلت له « إنك إذن ستسألنى لماذا لا يعاقبنا الله بالموت الزؤام [١] حين نعصيه . إنه يمهلنا لنتوب فيغفر لنا » ففكر قليلا ثم قال « حسن ماتقول إذن أنت وأنا ، والشيطان، وكل مذنب سيمهل حتى يتوب ويغفر الله له » فأحسست أنى غلبت على أمرى فى هذا الجدل ، وتلك المحاورة إلى آخر حد ممكن ، وقد كان هذا برهانا ساطعا أمامى على أن العقل المنصف يسهل عليه إدراك المعلومات التى يتأكد بها من وجود الله سبحانه وتعالى .

ولحرج المناقشة ودقتها غيرت مجرى الحديث فجأة ، كأنه طرأ مايوجب ذلك ، ثم أرسلت جمعة إلى مكان بعيد يستغرق منه الذهاب إليه وقتا طويلا قمت فيه بالصلاة لله سبحانه وتعالى ، وضرعت إليه أن يساعدنى على تعليمه ، ويقدر قلبه على تسلم نور المعرفة الألهية ، ويجذبه إليه ويرشدنى أن أقرأ له من كلماته المقدسة ما يحمله على الاقتناع ، والنظر إلى ما فى السموات والأرض من الأدلة الواضحة ، والآيات البينات حتى ينجو بنفسه من الشقاء .

وإنى لم أدع طريقة توسمت فيها النجاح فى تعليمه إلا اتبعتها ، وقد استفدت أنا نفسى من تعليمه وإرشاده فوائد جمة ، وسيرى جميع الذين يجدون أنفسهم فى مثل موقفى أنهم يدركون بالتعليم ما كانوا غير عالمين به ، أو أنهم يبنون معلوماتهم على أساس متين ثابت موطد الدعائم ، بكثرة التفكير والاحتيال لتفهيم المتعلم . وقد وجدت في نفسى سرورا

---

(١) الموت الزؤام الكريه أو المُجْهِز

وانشراحا للبحث والتنقيب بمناسبة تعليم جمعة لم أشعر بمثلها قط من قبل . وابتدأت أشعر بقلة أحزانى وآلامى ، وأرى أن معيشتى كانت سارة راضية ، وأفكر فى أن سجنى بهذه الجزيرة كان سببا لتوجه قلبى نحو خالق الأشياء جميعها ، بل كان سببا فى نجاة جمعة من الموت وإنقاذ روحه من الشقاء بأرشاده إلى المعرفة الحقة والصراط السوى . وكنت كلما فكرت فى ذلك كله سرت فى نفسى هزة الفرح والسرور ، وشكرت الله عز وجل على أن ساقنى إلى هذه الجزيرة التى طالما ظننت أنها أتعس مكان يصاب به آدمى . وبهذه العواطف بقيت ثلاث سنين ، وهى المدة التى أقمتها مع جمعة فى تلك الجزيرة النائيـة ، وكانت حياتى فيها تامة السعادة ، إذا كان هناك شئ فى هذا العالم يصح أن يدعى سعادة تامة . أما جمعة فقد أصبح متدينا شديد التمسك بدينه . وكانت معنا كلمات الله المقدسة نقرؤها ونتعلم منها . وكنت دائما أقرأ كتاب الله لجمعة ، وأشرح له معنى ما فى التنزيل . وكان بأسئلته الكثيرة المتنوعة سببا فى أن صرت ضليعا فى العقائد الدينية إلى حد لا يمكن الوصول إليه بالقراءة الخصوصية مجردة من مثل مناقشات رفيقى . ولا ينبغى أن أهمل الأشارة إلى هذه الحقيقة وهى أن الوحدة التى ابتليت بها كانت سببا فى قراءتى كتاب الله ، والانتفاع بما حوى من غرر الآيات المحكمات ، فأثرت فى جمعة حتى أصبح من النساك .

أما الخلافات الدينية والمناظرات الجدلية التى استولت على عقول الناس ، وأخذت طويلا من وقتهم ، فكانت عديمة الجدوى لنا ، ولعلها كذلك بالنسبة لجميع الناس . إننا نملك الكتاب الذى إذا اتبعناه فلن نضل بعده ، وهو

كتاب الله ، فقد تشبعنا بروحه فعلّمنا الحلال والحرام ، وغرس فى قلبنا الطاعة للأوامر والنواهى . وإنى كنت واثقا أننا لو بحثنا فى النقط الدينية الخلافية التى سببت كثيرا من الاضطراب والفوضى فى أنحاء الدنيا ، ونلنا منها قسطا وافرا من الفهم والتحصيل لوجدناها عديمة الأثر فى حياتنا وأستميحك عذرا أيها القارئ فى ترك جوهر قصتى ، والاسترسال فى بيان هذه الأشياء .

الفصل الرابع والعشرون

صنع روبنسن كروسو وجمعة قاربا للذهاب به إلى بلاد الثانى ومجىء المتوحشين أثناء ذلك

وإنى أرجع فأقول : إنه بعد أن تأكدت الروابط بينى وبين جمعة ، وأصبح يفهم كل ما أقول وقدر على التكلم بالأنجليزية بسهولة وإن كانت لغته غير مضبوطة ، ابتدأت أخبره بقصتى وكيف جئت إلى هذه الجزيرة ، وعشت فيها ، وبمدة إقامتى بها . ثم شرحت له ذلك السر الغامض الذى كان يزعجه ، وهو البندقة وكيف تملأ بالبارود والرصاص ، وعلمته الرماية بها وأعطيته سكينا فطرب لها ، ثم صنعت له حزاما علقت به جَعْبة وضعت فيها « بلطه » فكانت عظيمة النفع كسلاح لنا ثم استعملناها فى مواطن أخرى لأغراض شتى غير الدفاع .

ثم وصفت له الممالك الأوربية ، وخاصة انجلترا التى جئت منها ، وكيف يعيش القوم فيها ويعبدون الله ، ويعامل بعضهم بعضا ، وكيف يتجرون

فى السفن ، ويذهبون بها إلى جميع جهات العالم ، ثم حدثته عن السفينة التى كنت أحد ركابها ، وما حل بها ، وأشرت إلى المكان الذى غرقت فيه ، ثم أريته بقايا الزورق الذى فقد أثناء هربنا ، ذلك الزورق الذى كنت عاجزا عن تحريكه ، وقد تحطم الآن كل التحطيم ، فلما رآه جمعة وقف مفكرا وقتا طويلا ، ولكنه لم يفه ببنت شفة ، فسألته عن سبب تفكيره ، فأجاب بأن زورقا كهذا وصل إلى شاطىء بلاده حيث كان يقيم . وفهمت من كلامه أن ذلك الزورق الذى حدثنى عنه قد ساقته الرياح هناك ، وكان أهله فى خطر ، فاستنبطت من كلامه أن سفينة أوربية قد تلاعبت بها العواصف ، وأصابتها ريح صرصر عاتية ، فجعلت عاليها سافلها ، ومزقتها شر ممزق ، ثم أفلت منها زورق من زوارق النجاة فدفع إلى شاطئهم .

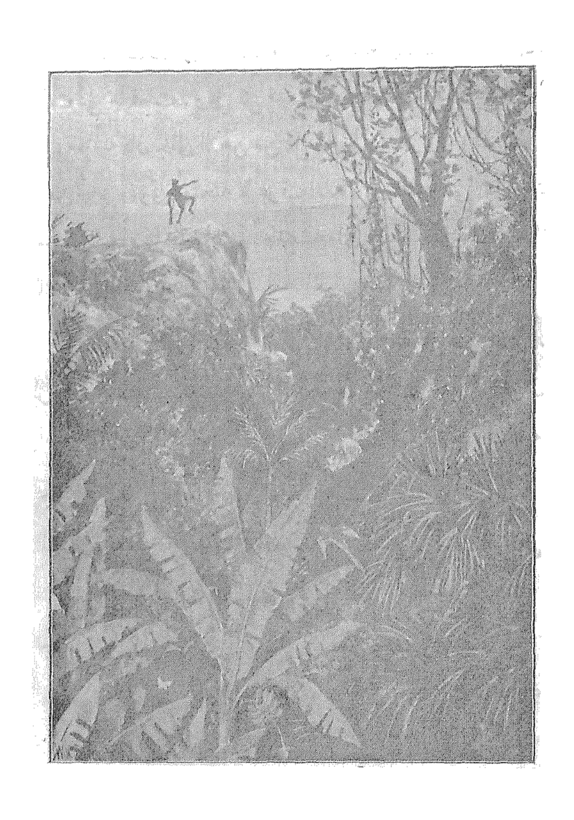
ولم أفكر قط أن قوما يفرون من الغرق إلى أرضهم لأنهم يعلمون ماذا ينتظرهم هناك ؟ ولذلك لم أفكر فى سؤاله عمن كان فيه ، وبالأحرى لم يخطر ببالى أن أبحث عن جنسيتهم ، فقصرت بحثى على صفة الزورق ، فوصفه جمعة وصفا كافيا ، ثم أصلح خطئى حين سمعته يقول : إنهم أنقذوا الرجال البيض الذين كانوا فيه من الغرق ، فسألته حينئذ عما إذا كان فى الزورق رجال من البيض ، فقال نعم ، فاستفسرت عن عددهم فعد على أصابعه سبع عشرة مرة ، فعلمت أنهم سبعة عشر رجلا ، ثم سألته عما حل بهم ، فقال إنهم يعيشون بين قومه . فكانت أجوبة جمعة مصباحا استنرت به فى فهم ما يأتى ، وهو أن أولئك البيض الذين ذكرهم جمعة قد يكونون من ركاب تلك السفينة التى تكسرت قرب جزيرتى ، لأنهم

بعد أن رأوا ما آل سفينتهم ركبوا زورقا لينجوا أنفسهم ، فسار بهم إلى شاطىء تلك البلاد التي يقطن بها المتوحشون .

وسألت جمعة بجد عما آل إليه أمر أولئك القوم ، فأخبرني بصدق أنهم لايزالون هناك يعيشون بين قومه ، وأنه مضى عليهم هناك أربع سنين ، وأن القوم تركوهم وحدهم ، وأعطوهم من القوت مايغنيهم ، فسألته كيف تركوهم يعيشون ولم يأكلوهم ، فقال إنهم اتخذوا منهم أصدقاء وعقدوا معهم هدنة ، ثم قال إن قومي لايأكلون الآدميين إلا إذا اشتبكوا معهم في قتال ، وأسروا الأسرى في المعركة .

وبعد هذا بمدة طويلة كنت أنا وجمعة على قمة التل في الجانب الشرقي من الجزيرة . وهذا التل هو الذي رأيت منه في يوم صافي الأديم شواطئ القارة الأمريكية . فنظر جمعة بحيرة نحو بلاده . وكان اليوم هادئا صافيا ، ثم وقع في دهشة واضطراب ، وابتدأ يرقص ويقفز ، وناداني لأني كنت بعيدا عنه . فسألته ما الخبر ؟ فقال . « فرح وسرور . هناك مملكتي . هناك قومي » .

فلاحظت على جمعة سرورا لايحد ، فكانت عيناه تتقدان بشرا ، وتفيضان حبورا ، وظهرت على وجهه علامات الاهتمام كأنه يريد العودة ثانية إلى بلاده . وكانت هذه الملاحظة سببا في أن اعتورتني أفكار كثيرة إذ أصبحت غير مطمئن لجمعة كما كنت قبلا ، لأني فكرت في أنه إذا تمكن من العودة إلى بلاده فسينسى دينه ، بل ربما نسي مايجب عليه نحوي فيخبر قومه عني فيحضرون في عدد كبير مائة أو مائتين ، ويضحون



فرح وسرور . هنالك مملكتى . هنالك قومى

بي . وربما يكون جمعة مسرورا طربا كما كان يفعل حين اعتاد قومه أن يأتوا بأعدائهم أسرى بعد انتهاء المعركة ويأكلوهم .

ولكني أسأت إلى ذلك الأمين الوفي جمعة في ذلك الظن الذي ظننته، فأسفت على ما فعلت . وعلى كل قد بقيت عدة أسابيع أعامله معاملة جافة ، مع أنه كان خالي الذهن من كل ما جال بفكري . وكنت في كل يوم من أيام جفوتي أمتحنه لأعرف إذا كان في نفسه شيء مما اتهمته به فكنت أجده أمينا مخلصا ، ولم أجد مشجعا لي على الاسترسال في تخيلاتي . ولذلك لم أجد ما يساعدني على اتهامه بالخيانة .

وقد حدث ذات مرة حين كنت أنا وجمعة على التل الذي سبق ذكره ، في يوم كثرت سحبه ، وتلبد جوه ، بحيث لا يقدر الناظر أن يرى شواطئ القارة ، أن سألته ، ألا تحب أن تكون في بلادك بين قومك .

جمعة نعم . إني إذن أكون مسرورا سعيدا

السيّد ماذا تعمل هناك ؟ أتنقلب متوحشا كما كنت فتأكل لحم الأنسان ؟

جمعة لا . إني أعلمهم أن يعيشوا خيّرين ، يعبدون الله ، ويأكلون الخبز ولحم الحيوان ، ويشربون اللبن بدل ذلك اللحم المحرم ، لحم الانسان

السيّد إذا فعلت ذلك فأنهم سيقتلونك

جمعة لا . إنهم لا يقتلونني لأنهم يحبون التعليم ويرغبون فيه ، وقد تعلموا كثيرا من الرجال الملتحين الذين أنقذوهم من الزورق

السيّد هل تحب أن تذهب إليهم ؟

جمعة إنى لا أقدر على السباحة كل تلك المسافة التى بيننا وبينهم

السيّد إنى أقدر أن أصنع لك زورقا

جمعة إنى أذهب إليهم إذا جئت معى

السيّد إنى لا أقدر على الذهاب معك ، لأنهم سيأكلوننى إذا ذهبت إليهم

جمعة لا خوف عليك سيّدى إذا جئت معى ، فأنى سأخبرهم بأنك أنقذت حياتى بعد أن فتكت بأعدائى ، فيحبونك حبا جما

ثم أخبرنى أن قومه أشفقوا على السبعة عشر رجلا البيض ، وأنهم يعاملونهم معاملة رقيقة ، كلها حنان وعطف ، بعد أن مدوا إليهم يد المساعدة ، فنجوهم من الغرق

وبعد أن علمت ذلك من جمعة أصبحت مستعدا للمخاطرة والذهاب إلى القارة ، لأرى إذا كان فى وسعى الانضمام إلى أولئك النفر البيض الذين قام فى نفسى أنهم إسبانيون أو برتغاليون ، لأنى أعتقد أنه إذا تيسرت مقابلتهم يمكننى تدبير خطة للنجاة ، لأنى أكون حينئذ فى القارة الأمريكية مع رفقة صالحة. وذلك خير من مخاطرتى وأنا فى هذه الجزيرة بمنأى عن القارة بنحو أربعين ميلا ، ولا معين . وبعد أيام تحدثت مع جمعة وأخبرته بأنى سأعطيه زورقا يذهب به إلى بلاده ، فأخذته إلى ركوتى فى الجانب الآخر من الجزيرة ، ثم أظهرتها له ، بعد أن أزلت الماء عنها ،

لأنى حفظتها دائما تحت الماء ، وركبناها معا ، فوجدته خبيرا بالتجديف ومعالجة السفن كما كنت أنا نفسى

فقلت له أتود أن تذهب إلى بلادك الآن ؟ فنظر إلى نظرة أسف علمت منها أنه يريد أن يقول إن الركوة لا تقوى على تحمل السفر. فأخبرته بأن عندى زورقا أكبر منها . وفى اليوم التالى أخذته إلى المكان الذى صنعت فيه ذلك الزورق الذى عجزت عن تحريكه وإيصاله الماء . فلما رآه جمعة قال إن فيه غناء . وقد مضى على الزورق وهو فى مكانه بلا غطاء نحو ثلاث وعشرين سنة ، فتأثر من الشمس حتى تشققت بعض أجزائه ، ولكن جمعة أفهمنى أنه يكفى لأداء ماعزمنا عليه ، وأنه يمكنه أن يحمل كفايتنا من الطعام والشراب .

وقد صحت عزيمتى على الذهاب مع جمعة إلى القارة ، فأخبرته بأن فى وسعى أن أصنع زورقا كبيرا كهذا ، وأمنحه إياه ليذهب إلى وطنه ، فلم يجبنى بكلمة واحدة ، وعبس وجهه ، وقطب ما بين عينيه ، فسألته عما حل به فقال ماذا صنعت حتى تغضب على ذلك الغضب الشديد ؟ فأجبته بأنى غير غضبان ولا حانق عليه . فقال لماذا إذن ترسل جمعة إلى بلاده ؟ فقلت ألم تقل إنك ترغب أن تكون مع قومك ؟ فقال بلى إنى أرغب أن أصاحبك إلى بلادى . ولا أود أن أنفرد بالأوبة . ماذا أصنع هناك وحدى إذا قفلت راجعا بغير سيدى ؟ إنك تقدر على القيام بأعمال جليلة هناك . فيمكنك أن تعلم القوم المتوحشين ليصيروا خيرين مفكرين ، ينتهجون مناهج الصواب والرشد ، فيعرفون الله ويعبدونه ويعيشون عيشة جديدة إخوانا متحابين لا تباغض بينهم ولا تنابذ .

فقلت له ياحسرتا على مافرطت فى جنب التعليم . إنى رجل قليل العلم ، فكيف تصفنى بكل هـذه الصفات ؟ فقال إنك علمتنى فأنقذتنى ، وتقدر أن تعلم قومى فتهديهم ، فأجبته بأنى أود أن أعيش هنا منفردا كما عشت قبلا . أماهو فله الذهاب إلى وطنه . فظهر عليه الاضطراب والقلق ، وأسرع إلى فأس فأخـذ بها ، ثم جاء فأعطانى إياها . فقلت له ماذا أصنع بها ؟ فقال تقتل بها جمعة . فقلت علام أقتلك ؟ فقال لماذا ترسلنى بعيـدا عنك ؟ ماذا ارتكبت حتى أستحق هـذا العذاب الأليم ؟ وتكلم هـذه الكلمات بجـد ظهر على محياه ، مقترنا بدمع هتون . وقصارى القول أنى رأيت من جمعة عزما أكيدا ، وإرادة قوية صارمة ، وعطفا شديدا على ، حتى اضطررت أن أخبره بأنى سعيد لأن يكون معى ما أحب . ولست بمرسله بعيدا عنى مادامت له رغبة فى البقاء معى .

ومن تلك المحادثات التى دارت بيننا علمت أنه شديد الحب لعشرتى ، كثير البغض لفرقتى ، وأن لاشىء يقدر على التفريق بيننا ، وأن رغبته فى العودة إلى قومه كانت مؤسسة على حبه لهم ، ورغبته فى تعليمهم الخـير والشر . بيـد أنى لم أفكر قط فى تحمل تلك التبعة ولم يكن عندى ميل للقيام بها . ولـكن الشىء الذى اهتممت به ، وأصبح يملك على كل مشاعرى هو أن أسعى فى الفرار من هذه الجزيرة ، لأجرب الخطة التى ذكرتهـا فيما مضى . وهى الذهاب إلى القارة ، على أجد السبعة عشر رجلا الذين ذكرهم جمعة . ولذلك ابتدأت فى تنفيذ الخطة بالبحث عن شجرة تصلح أن تكون زورقا ، ليحملنا فى هـذه الرحلة . وكان فى الجزيرة كثير من الشجر الذى يكفى لصنع أسطول كبير من السفن العظيمة ، ولـكن الشىء

المهم عندى كان العثور على شجرة تصلح لغرضى ، قريبة من الماء ، حتى إذا قطعت وهيئت زورقا ، كان من السهل إنزاله فى الماء ، وبذلك أتجنب الغلطة الأولى .

وبعد لأى ماعثر جمعة على شجرة تصلح لما نريد ، فوجدته أخبر بالأنواع الصالحة لذلك منى ، ولا أعرف حتى الساعة اسم تلك الشجرة التى اتخذنا منها زورقنا ، غير أنها كانت أقرب الأشياء لونا ورائحة إلى النوع الذى نسميه « التوت » . وأراد جمعة أن يحرق من الشجرة مايكفى لتجويفها ، ولكنى أريته الآلات التى كانت عندى ، وعلمته استعمالها ، فقام بما عهد إليه من العمل خير قيام . واستغرق العمل شهرا كاملا حصلنا بعده على زورق محكم جميل المنظر ، لأننا بما ملكنا من الأدوات شذبنا خارج الشجرة حتى تشكل بهيئة السفن . وقد مكثنا أسبوعين نعالج إنزال الزورق إلى الماء على خشب وضعناه تحته ، ولما صار فيه وجدناه كبيرا يسع عشرين رجلا بلا تعرض للخطر .

ومع كبر الزورق كان جمعة يديره ويوجهه بسرعة وإحكام . فسألته إذا كان يكفى لحملنا إلى القارة فقال نعم . إنه لاخوف عليه من العواصف . ولكنى لم أكتف بذلك بل عزمت على أن أعد له دقلا وشراعا وأنجرا وأمراسا . أما الدقل فكان من السهل الحصول عليه . وقد اخترت شجرة مناسبة له قريبة من المكان الذى كان فيه الزورق ، وكلفت جمعة قطعها وعلمته كيف يهيئها للغرض المطلوب . وأما الشراع فكان من الصعب إعداده . نعم كان عندى قطع كثيرة من الشرع حملتها معى من السفينة ، ولكن قد

مضى عليها منذ ذلك العهد ست وعشرون سنة ، فبليت إلا قليلا منها لأنى أهملت العناية بها لظنى أنى غير محتاج إليها . ولذلك تعبت فى تخير الأجزاء المناسبة من تلك القطع . وقد زاد تعبى لاحتياجى إلى الإبر ، ولكنى مع كل تلك الصعوبات تمكنت من إعداد شراع مثلث قبيح المنظر للأسباب التى مر شرحها . وقد استغرق تحضير الدقل والشراع نحو شهرين . وجهزت الزورق بسُكّان (١) أديره به . وقد أتعبنى إعداده ، ولكنى وصلت أخيرا إلى بغيتى .

ووجدت من الضرورى أن أعلم جمعة كل مايتعلق بهذا الزورق ، لأنه وإن كان خبيرا بالتجديف فقد كان جاهلا استعمال الشراع والسكان . وقد دهش عند مارآنى أغير اتجاه الزورق بالكَوْثَل (٢) وأوجه الشراع إلى أى جهة أحببت . وكان جمعة نشيطا ذكى الفؤاد ، فتعلم ما أردت تعليمه إياه ، وأصبح ماهرا فى الملاحة . ولكنه لم يبرع فى معرفة الأبرة المغناطيسية ، فلم أهتم بذلك لأن الجو فى تلك الأرجاء قلما تحجبه السحب ، أو يخيم عليه الضباب ، فيمكن رؤية النجوم ليلا ، والشاطئ نهارا ، إلا فى الفصول الماطرة التى لايرغب أحد فيها فى التجوال برا أو بحرا .

وقد دخلت الآن فى السنة السابعة والعشرين من أسرى بهذه الجزيرة . وكانت السنون الثلاث الأخيرة جديرة بألا تحتسب من المدة

---

(١) الدفة

(٢) الدفة

الكريهة التى أقمتها هنا ، لأنى وفقت إلى لقاء جمعة ، فأصبح عيشى هنيئا به .

وقد حافظت كل سنة على تذكر يوم وصولى إلى الجزيرة . فكنت أقوم لله فيه بالشكر على أياديه التى أسديت إلى فى بدء حياتى بهذا التيه ، لأنى وجدت أسباب الراحة والهناءة ، وشعرت الآن بوجوب زيادة الثناء على وفرتها . واعتقدت أن خلاصى من هذه الجزيرة قرب ، وأنه لن يمضى على فيها سنة أخرى ، ولكنى لم أهمل فلاحة الأرض والقيام بكل ما كان ضروريا لى . ولما كان فصل الأمطار قريبا أخذت الزورق إلى الجدول الذى ذكرته فى بدء قصتى هذه ، حين أحضرت الرمث محملا بمختلف الأشياء من السفينة المهشمة ، ثم قدته عند ارتفاع الماء إلى الشاطئ وأمرت جمعة بحفر مرفأ له يكفى عمقه إذا ملئ بالماء أن يكون الزورق عائما . ولما انحسر الماء عن الشاطئ أقمنا سدا منيعا عند نهاية الزورق ليقيه من تيار المياه عند ارتفاعها فى البحر . وبذلك بقى زورقنا جافا غير مغمور بالماء . ولنحفظه من المطر جمعنا كثيرا من أغصان الأشجار ، ووضعناه فوقه حتى أصبح كمنزل مسقوف . وبعد الانتهاء من ذلك كله انتظرت شهرى نوفمبر وديسمبر لأقوم بما نويت من التجارب .

ولما قرب حلول الفصل الذى كنت أرتقب حلوله ابتدأت أعد ما كنت فى احتياج إليه ، وخاصة الطعام ، ثم عزمت أن أفتح المرفأ بعد جمعة أو جمعتين ، وأنزل الجارية إلى الماء . وبينما كنت مشتغلا ذات يوم بالاستعداد أرسلت جمعة إلى الشاطئ ليأتى بسلحفاة ، كما كانت تلك عادتنا فى كل أسبوع ، حرصا على التمتع بالبيض وذلك اللحم أيضا . ولكنه

لم يسر طويلا حتى قفل زاجما يعدو كالريح ، لايلوى على شيء ، وقد امتلأ قلبه رعبا وهلعا . وما كدت أسأله عن الخبر حتى صاح «سيّدى. سيّدى. سيّدى. إن الخطب أليم محزن » فقلت : ماذا رأيت؟ فقال : هناك ثلاثة زوارق . وكان ذلك المسكين يضطرب فرقا فشجعته قليلا ، ولكنه لم يفكر فى شيء ، إلا أن أولئك المتوحشين جاءوا ليبحثوا عنه ويقطعوه إرْبا[1] إرْبا . وزاد اضطرابه حتى عييت بأمره ، فأفهمته أنى كنت فى خطر ، كما كان هو ، لأنهم إن عثروا علينا فسيكون مصيرنا للزوال . وحينئذ قلت لجمعة يلزمنا القتال . أمستعد أنت له ؟ فقال إنه مستعد لما يطلب منه ، ولكن عددهم كبير . فقلت له لاتهتم بهم فبندقنا كفيل بالقضاء على عددهم الكثير ، كما قلت له أيضا : أمستعد أنت لحمايتى والعمل بمشورتى ورأيى كما أنا مستعد لحمايتك ؟ فقال إنه يموت إذا أمرته بالموت . وعلى ذلك ذهبنا نستعد فأعطيت جمعة قليلا من الشراب ، وجمعنا البنادق ، وملأناها بأحكام شديد ، وحملت السيف مجردا من غمده فى وسطى ، كما كنت أفعل ذلك دائما ، ثم أعطيت جمعة فأسا .

ولما انتهينا من الاستعداد أخذت مرقبى ، وذهبت مرتفعا إلى جانب التل لأرى ما هنالك . ولما صوبت نظرى نحو الشاطىء رأيت أحدعشر رجلا ، وثلاثة من الأسرى ، وثلاثة زوارق ، ورأيت أن همهم مقصور على الرقص والطرب ليضحوا بتلك الضحية التى أحضروها معهم غِبّ إنتصارهم على أعدائهم . وقد لاحظت أنهم ليسوا فى المكان الذى رآهم

---

(١) الأرْب العضو

فيه جمعة ، بل مالوا إلى فم الجدول حيث الشاطئ هناك منخفض وحيث تمتد الأشجار الكثيفة إلى البحر . ولما رأيت فعلهم الوحشى ثار غضبي عليهم ، فأفهمت جمعة أنى أعلنت عليهم الحرب ، وأنى لابد قاتلهم ، وطلبت إليه أن يشد أزرى فى هذه الحرب . وكان جمعة قد تغلب على الذعر الذى استولى على لبه بفضل ما تعاطى من الشراب ، وأصبح غير هيّاب ولا وجل ، فقال وهو ممتلئ بشرا : « سأموت متى أمرتنى بذلك » وبهذه الفكرة فكرة الانتقام تشبعت نفسى ، فوزعت الأسلحة بينى وبين جمعة ، وسرنا نقصد مكانا صالحا للهجوم . وأخذت معى زجاجة صغيرة من الشراب ، وملأت جعبة البارود والرصاص ، وأعطيتها جمعة ليحملها معه ، وأرشدته إلى الأشياء التى يجب عليه اتباعها ، فأمرته أن يقف خلفى ساكنا بلا حركة ، وحذرته إطلاق النار ، أو إحداث أى شئ إلا اذا أمرته . وشددت عليه ألا يتكلم كلمة أو يفتح فاه بأى صوت . وبعد أن سرنا ميلا فى أرض مغطاة بالأشجار وصلنا إلى نقطة لا تبعد عنهم إلا قدر مرمى الطلق .

وبينما كنا سائرين عاودتنى الأفكار الأولى فذهبت حدتى . ولا أقصد أنى خفت نزالهم ، لأنهم كانوا عراة الأجسام غير مسلحين ، فكنت أكفيهم وحدى ، ولكنى أقصد أنى فكرت فيما كنت مقدما عليه من تلويث يدى بدماء قوم لم يسيئوا إلى ، ولم يفكروا فى الأضرار بى ، وأن الله لم يدعنى لعقابهم ، فقد اقتضت إرادته أن يتركهم مع غيرهم من سكان تلك الأصقاع ، ليكونوا علامة على إهمالهم وجهلهم ، وليس لى أن أحكم عليهم أو أكون جلادهم وسيّافهم . وإن ارادة الله إذا اقتضت

عقابهم لآثامهم سلطت عليهم عدوا منهم . وعلى كل ليس لى تدخل فى شئونهم . نعم إن جمعة كان عدوا لهم . وكانت بينه وبينهم حرب ، فأذا قام هو بقتلهم يكون له الحق ، ولكن لا يمكن أن أقرر ذلك بالنسبة لى . ولما امتلأت بتلك الأفكار أثناء سيرى عولت على عدم قتالهم ، ورأيت أن أكون قريبا منهم ، لأشاهد عيدهم الوحشى ، وأعمالهم الخاسرة وأنتظر هناك مايقدره الله ، فأن رأيت باعثا على القتال قاتلت ، وإلا عدت كما أتيت .

وبهذه العقيدة وصلت إلى ذلك المكان الذى كنت أبتغيه ، وكان جمعة معى يسير بكل تؤدة وحذر ، فأرسلته إلى شجرة كبيرة مجاورة للشاطئ ، وأخبرته أن يتسمع مايقولون ، ويرى مايفعلون ، فعاد إلى بعد قليل قائلا إنهم حول النار يأكلون لحم ما أنضجوا من الأنسان ، وأن هناك رجلا ملقى على الأرض بجانبهم مكتوف الأيدى والأرجل ، لا يستطيع حراكا ، وأنهم بعد الفراغ مما فى أيديهم سيقتلونه وزاد على ذلك أنه رجل من البيض الملتحين الذين أخبرنى بخبرهم من قبل ، فتحرك حقدى وأصبحت مغيظا مُحنَقًا ، فذهبت إلى الشجرة التى ذهب جمعة إليها ، ونظرت بمرقبى فرأيت الأمر كما وصف ، وأن الأسير رجل أوروبى يلبس الثياب.

وكانت هناك شجرة أخرى أقرب إلى أولئك الشياطين من هذه الشجرة فسرت إليها مع جمعة مختفيا فى النباتات الكثيرة الملتفة المتهدلة الأغصان . ولما وصلت إليها علوت شرفا عندها ، فرأيت كل شئ ، ولم يكن بينى وبينهم غير قليل من الأذرع

الفصل الخامس والعشرون

إنقاذ روبنسن كروسو رجلا إسبانيا

ولقاء جمعة أباه ؛ وقدوم سفينة انجليزية

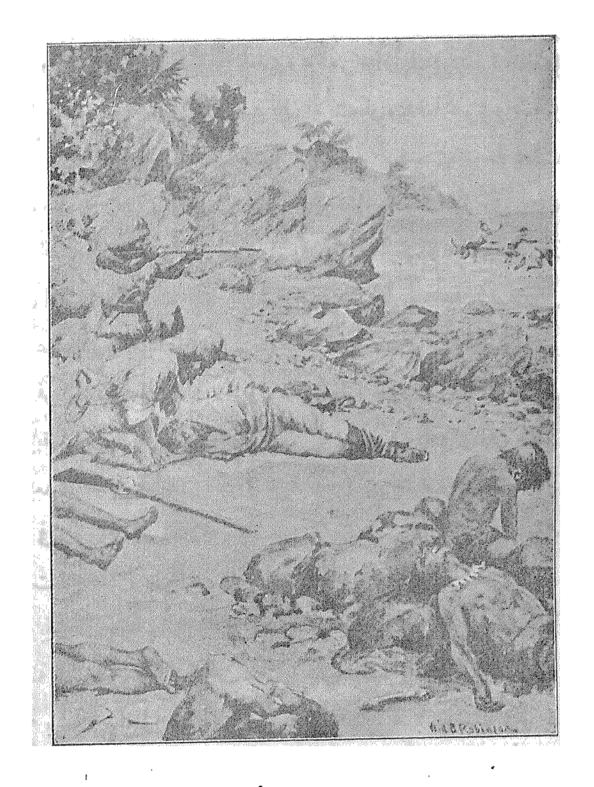
ولم يكن عندى وقت أضيعه فى التفكير أو الانتظار ، لأنى رأيت تسعة عشر رجلا من أولئك السفاكين مجتمعين بعضهم بجانب بعض ، وقد أرسلوا اثنين آخرين ليقتلوا ذلك الأوروبى ، فانحنيا ليفكا أغلال رجليه ، ليقطعوه عضوا عضوا ويحملوه إلى النار ، فنظرت إلى جمعة وقلت له اعمل مثل ما أعمل أنا ، فقال إنه مستعد لذلك ، فشددت عليه ألا يهمل فى شىء ما . ثم ألقيت على الأرض سلاحى ، وأخذت بيدى بندقة ، وفعل جمعة مثل فعلى ، ثم صوبت فوهتها نحوهم فقلدنى وأحكم التقليد فأمرته أن يطلق النار عليهم ففعل ، وفى اللحظة عينها فعلت مثل فعله .

وقد أحكم جمعة الرمى فقتل من جانبه اثنين وجرح ثلاثة . أما أنا فقتلت من ناحيتى واحدا وجرحت اثنين . وما كاد يتم ذلك حتى وقف من لم يصب منهم ، ولكنهم كانوا فى اضطراب وحيرة من أمرهم لم يعلموا أين يذهبون أو ينظرون ؟ لأنهم لم يعرفوا الجهة التى جاءهم منها الهلاك .

وكان جمعة بعد أن أطلق بندقته ينظر إلىّ كما أمرته ليرى ماذا أصنع ؟ فوضعت بندقى وأخذت غيرها ففعل مثلى . ثم سألته أمستعد أنت فأجاب بالإيجاب ، فأمرته أن يطلق عليهم النار ففعل وفعلت مثل فعله ، فسقط اثنان منهم ميتين ، وجرح كثيرون كانوا يصرخون ويعولون ،

وعلى جسومهم دماء جراحهم . وما لبثوا حتى سقط منهم ثلاثة، ولكنهم لم يفارقوا الحياة حينئذ ، وبعد الانتهاء من ذلك أمرت جمعة أن يضع بندقته ويأخذ غيرها ، ففعل كما فعلت، ثم أمرته أن يتبعني بسرعة ،ففعل ممتلئا شجاعة وجرأة ، فخرجت من بين الأشجار مندفعا نحوهم وجمعة في أثري كأننا جلاميد صخر حطها السيل من عل . ثم صحت صيحة عظيمة ارتجت لها الأرجاء ، وأمرت جمعة ففعل مثل مافعلت ، فرآني وجمعة أولئك القتلة الذين بعدوا عن مكانهم . وقد ملئت قلوبهم رعبا وهلعا. وكان همي أن أفك عقال ذلك المسكين الملقى على الشاطىء . أما الرجلان اللذان عهد إليهما بفك عقال الأسير وذبحه ففرا عند سماع أول صوت إلى زورق فركباه ، وفعل ثلاثة آخرون مثل فعلهم فأمرت جمعة أن يذهب إليهم ويقتلهم رميا بالرصاص،ففهم ما أمرته به ، وتقدم نحو أربعين خطوة رماهم بعدها بطلق فظننت أنه قتلهم جميعا ، لأني نظرت فرأيت جمعهم سقط في الزورق إثر إطلاقه ، ولكن اثنين منهم وقفا بعد ذلك سريعا فتحققت أنه قتل منهم اثنين ، وجرح ثالثا جروحا مميتة .

وبينما كان جمعة يطلق النار عليهم أخرجت سكيني وقطعت وثاق الفريسة الضعيفة، فلما فككت عقال يديها ورجليها أوقفتها فإذا هي رجل، فسألته بلسان برتغالي من أنت ؟ فأجاب باللاتينية « خرستيانوس » ، ولما كان ضعيفا إلى حد لا يستطيع معه الوقوف ولا الكلام ، أعطيته زجاجة شراب ، وقطعة خبز ، وأشرت إليه أن يشرب فشرب ، وأن يأكل فأكل . ثم سألته من أي الأمصار أتيت ؟ فقال من إسبانيا .وكان قد أفاق قليلا فأخذ يفهمني بكل إشارة ممكنة عجزه عن شكري ، وأنه



وبينما كان جمعة يطلق النار عليهم أخرجت سكيني
وقطعت وثاق الفريسة الضعيفة

مدين لى بتخليصى إياه . فأجبته بلغته الأسبانية ، وكنت أعرف منها نزرا يسيرا ، « دعنا من الكلام ياسيدى فسنتكلم بعد . أما الآن فيجب أن نقاتل فاذا كنت لا تزال قويا فخذ هذه البندقة ، وذلك السيف » فأخذهما شاكرا وكأنهما أعادا إليه قوة جديدة . وما كاد يتسلمهما حتى انقض على القتلة انقضاض الصاعقة ، وفى أقل من لحة قطع اثنين منهم إربا إربا . ولقد كان لمفاجأتنا إياهم ، وسماعهم أصوات أسلحتنا بغتة أعظم أثر ساعدنا فى هزيمتهم. فقد ملئوا رعبا ، وفقدوا رشدهم ، وسقطوا مغشيا عليهم ، وعجزوا عن متابعة هربهم عجز أجسامهم عن صد رصاصنا . وهذه أيضا كانت حالة الخمسة الذين حاولوا الهرب فى الزورق ، فقد أطلق عليهم جمعة نارا سقط بها ثلاثة منهم من تأثير جراحهم ، وسقط الاثنان الباقيان من الفزع ؟

ولما كنت قد أعطيت الأسبانى بندقى وسيفى ، فأنى وقفت سا كنا محتفظا بسبطانتى ، مستعدا لمقابلة الطوارئ . ثم ناديت جمعة وأمرته أن يذهب إلى الشجرة التى عندها بدأنا القتال ، ويأتينى بالأسلحة التى تركناها هناك ، فعاد بها كلمح البصر أوهو أقرب . ثم أعطيته سبطانتى وجعلت أحشو باقى الأسلحة وأمرتهما أن يعودا إلى كلما أرادا . وبينما أنا أباشر حشو الأسلحة هاجم الأسبانىَّ أحدُ المتوحشين ومعه سيف خشبى كبير ، وهو نفس السيف الذى كان سيُقتل به لولا تدخلى ، وحصل بينهما قتال عنيف أبلى فيه الأسبانى بلاء حسنا على ما به من ضعف ، وشج رأس الهندى

مرتين ، غير أن الآخير كان بدينا قويا فهاجم خصمه الذى كان به بقية من الضعف وأمسك به وطرحه أرضا ، وحاول أن يسلبه سيفى الذى قلدته إياه ، ولكن الأسبانى بحذقه ومهارته ما كاد يشعر أن السيف سينتزع منه حتى استل بندقته ، وأطلقها بسرعة البرق على خصمه ، فأرداه فى الحال قبل أن أسرع لنجدته . أما جمعة فقد تتبع الهاربين وبيده فأسه ، فأجهز على الثلاثة الذين ذكرت أنهم جرحوا ، وعلى كل من لاقى منهم ، وعاد إلىّ الأسبانى يطلب بندقة فأخذها وطارد اثنين من الأعداء ، فجرحهما ، ولكن هزاله أقعده عن متابعة سيره وراءهما ، فتمكنا من الفرار إلى الغابة حيث قتل جمعة أحدهما ، وتمكن الآخر بفضل خفته ونشاطه من مواصلة الجرى إلى البحر حيث ألقى بنفسه فيه ، ولحق وهو يسبح بالاثنين اللذين فى الزورق ، وكان هؤلاء الثلاثة ، ومعهم جريح آخر لا نعلم إن كان حيا أو ميتا ، هم الذين نجوا من واحد وعشرين رجلا . وهاك حساب الجميع.

ثلاثة قتلى من أول طلقة أطلقناها من الشجرة . اثنان قُتلا من الطلقة الثانية . اثنان قتلهما جمعة فى الزورق . اثنان قتلهما جمعة من الجرحى الأوائل. واحد قتله جمعة فى الغابة . ثلاثة قتلهم الأسبانى . أربعة وجدوا قتلى فى الغابات إما متأثرين بجراحهم ، أو من إجهاز جمعة عليهم أثناء تجوله . أربعة هربوا فى الزورق رابعهم جريح إن لم يكن قد مات .

وقد جد الذين كانوا فى الزورق حتى خرجوا عن مرمى البنادق التى كان يطلقها جمعة عليهم ، ومع أنه أطلق النار عليهم مرتين أو ثلاثا فأنى لم أر أنه أصاب أحدا منهم ، وكان يرغب أن نأخذ زوارقهم ونجد فى إثرهم لنطاردهم : وحقا كنت أخشى أنهم إذا وصلوا سالمين إلى أهليهم أن يعودوا

إلينا بمائتين أو ثلثمائة زورق، فيبيدونا بكثرة عددهم، فوافقت على مطاردتهم وثبت إلى أحد زوارقهم وأمرت جمعة أن يتبعنى ، ولكن كانت دهشتى عظيمة عند ما نزلت إلى الزورق ووجدت رجلا بائسا مشدود الوثاق معدا للذبح كما كان الأسبانى ، وكان فى حالة رعب يرثى لها ، ولا يدرى ما دهاه، ولم يكن يستطيع رفع رأسه إلى جانب الزورق ، لأنه مكث مكتوف الرقبة والرجلين زمنا طويلا حتى كادت تفارقه الحياة . وكان أول ما عملته أن قطعت حبال البردى التى كان مكتوفا بها ، وحاولت إيقافه ، ولكنه كان عاجزا عن الوقوف أو الكلام ، وكان يئن أنينا محزنا ظانا أنه لم يحل وثاقه إلا ليذبح ؟

ولما أتى جمعة أمرته أن يحادثه فيخبره بخلاصه ، ثم أخرجت زجاجتى وأشرت إليه أن يسقيه منها ، فكان الماء وبشرى خلاصه كافيين لأحيائه حتى استطاع الجلوس والكلام . وأتى جمعة يتبينه فأخذ يقبله ويعانقه، ويصيح ثم يضحك، ثم يرقص ويقفز، ثم يغنى ويصفق، ويلطم خده ورأسه ، ثم يعود فيصيح ويغنى ، ويثب حائراً ، واستمر على هذا الحال زمنا لا أستطيع سؤاله عما أصابه . وبعد قليل بدأ يعود إلى صوابه ، فأخبرنى أن الذى أنقذناه هو والده . وكان المنظر مؤثراً لدرجة لا أستطيع وصف كنهها ، ولا معرفة أى شفقة ، ولا أى عاطفة بنوية أثرت فى نفس هذا الساذج عند رؤية والده وقد نجا من الموت . ولا يمكننى أن أعلل إسرافه فى عواطفه بعد ذلك ، إذ كان يخرج من الزورق فلا يلبث أن يعود إليه ثانية ، ويفعل ذلك مرات عدة. وكلما عاد إليه جلس إلى والده ، وفتح ذراعيه له ،

وضم رأسه إلى صدره مدة لا تقل عن نصف ساعة ، وكأنه بذلك يقدم صدره غذاء له ، ثم يدلك ذراعيه وقدميه ، وقد أصبحت هامدة لا حراك بها ولا إحساس . ولما كنت عالما بحقيقة الأمر أعطيته شيئا من النبيذ كان فى زجاجة معى ليدلكه به فأفاده كثيراً . وقد عاقتنا هذه الحادثة عن متابعة الفارين فى الزورق ، إذ كانوا قد تواروا عن الأبصار ، ولم نكن نأسف لذلك ، فأن ريحا عاتية شمالية أخذت تهب بعد ذلك بساعتين واستمرت الليل كله تعارض سيرهم فترجح لدى عدم نجاتهم ، واستحالة وصولهم سالمين إلى أرضهم .

أما جمعة . فقد شغل بوالده وقد رأيت من الرحمة ألا أفرق بينهما سريعا ، غير أنى بعد زمن ناديته فحضر وهو يثب ويضحك مسروراً جذلا ، فسألته عما إذا كان قد أعطى والده طعاما أو شيئا يقتات به ، فأجاب سلبا . وكان معى كيس فيه خبز فأعطيته رغيفا لوالده وآخر له ، ولكنه أعطاهما معا لأبيه . وكان فى جيبى قليل من الزبيب ، فأعطيته شيئا منه لوالده فقدمه له ، ثم خرج من الزورق راكضا كأن به جِنّة ، وكان أسرع من رأت عينى ، فتوارى عن الأعين فى لمح البصر . وعلى الرغم من ندائى له قد استمر يجرى فى طريقه لا يلوى على أحد . وبعد ربع ساعة عاد متباطئا يحمل شيئا عرفت عند اقترابه منى أنه جرة من الماء العذب ، ورغيفان أتى بهما من سكننا ، فأعطانى إياهما ، وذهب بالجرة إلى والده الذى استفاد من شرب الماء أكثر مما استفاد من النبيذ الذى أعطيته إياه . ولمّا رَوِىَ والده سألت جمعة إذا كان قد بقى ماء فأجاب بالايجاب ، فأمرته أن يعطيه

الأسبانى البائس الذى كانت حاجته إلى الماء لا تقل عن حاجة والده ، وأرسلت إليه رغيفا من الاثنين اللذين أتى بهما جمعة ، وكان قد ظهر عليه التعب فاضطجع على بعض الحشائش تحت شجرة ، وكانت ساقاه متورمتين من أثر ذلك القيد العنيف ولما رأيته يجلس لتناول الماء والخبز من جمعة ذهبت إليه وأعطيته قليلا من الزبيب ، فنظر نظرة فى وجهى تنم على لسان ناطق بالشكر والامتنان العظيمين ، ولكنه كان ضعيفا لدرجة لا يمكنه معها الوقوف على قدميه ، لأنه أجهد نفسه فى المعركة . وقد حاول النهوض مراراً فلم يتمكن لأن قدميه كانتا تؤلمانه ، وورمهما يزيده ألما ، ولهذا أشرت عليه أن يستريح وأمرت جمعة أن يدلك قدميه بالنبيذ كما فعل بوالده

ولقد لاحظت أن هذا الولد البار كان طول وقته يتعهد والده ، ويتردد إليه من حين لآخر ، ليرى أكان جالسا مكانه كما تركه أم غير جلسته . وبعد قليل من الزمن نظر فلم ير والده ، فقام مسرعا ، وأطلق ساقيه للريح بخفته المعهودة حتى وصل إليه ، فوجده راقداً يريح ساقيه . ولما عاد إلينا رجوت الأسبانى أن يسمح لجمعة بمساعدته على النهوض ليقوده إلى الزورق حيث يحمل إلى مسكننا ، وإذ ذاك يمكننى العناية به . ولكن جمعة الضخم القوى حمله على ظهره حتى الزورق ، ووضعه بلطف على جانبه ، ثم رفعه إلى داخله حيث وضعه بجانب والده ، ثم خرج ليجر الزورق فجذبه إلى الشاطئ بسرعة جعلته يسبقنى — وأنا أمشى — على الرغم من اشتداد الريح . وهكذا أتى بهما سالمين إلى الفرضة وتركهما فى الزورق وعاد مسرعا ليأتى بالزورق الآخر ، ولما قابلنى سألته إلى أين تذهب ؟ فقال لأحضر الزورق الآخر ، وتركنى بسرعة لم أعهدها قبل فى رجل ولا جواد ، حتى أنه عاد بذلك

الزورق الثانى إلى الخليج فى الوقت الذى وصلت فيه راجلا ، ثم حملنى لأعبره . وذهب فأخرج ضيفينا اللذين كانا عاجزين عن المشى ، وحار جمعة فى أمره فلم يدر كيف ينقلهما ، ولكنى عالجت الأمر ، فأشرت عليه أن يتركهما على الشاطىء ويأتى معى .

وفى الحال صنعنا نقالة يدوية ثم وضعناهما معا فيها ، وحملناهما حتى وصلنا إلى السور الخارجى لمسكننا . وهناك عانينا صعوبة كبيرة فى إدخالهما ، واستحال علينا حملهما إلى أعلاه وقررنا ألا نهدمه ، ولكننا بدأنا نشتغل فكنا نعمل ساعتين أعددنا لهما فيهما خيمة غطيناها بالقلوع القديمة ، ووضعنا فوقها أغصان الشجر ، واخترنا لها مكانا خارج مسكننا بينه وبين الأيكة [1] التى غرست أشجارها ، وأعددنا لهما فراشين من أمتعتى ، وأعطيت كل واحد منهما غطاء له . وهكذا صارت جزيرتى مسكونة وشعرت أنى فى غنى برعيتى . وكثيرا ما تسليت بفكرة كانت تساورنى . وهى أنى كالملوك فى هذه الجزيرة التى لا ينازعنى فيها منازع ، وأن شعبى خاضع لسلطانى ، وأنا سيده وحاكمه ، وجميع أفراده مدينون لى بحياتهم لا يبخلون على بها وقت الحاجة . ومن المهم ملاحظة أن عددهم لا يزيد على ثلاثة يدينون بثلاثة أديان مختلفة ، فجمعة مذهبه بروتستانتى ، ووالده لا يدين بدين ، ومن أكلة البشر ، والأسبانى بابوى أو كاثوليكى ، ولكنى أبحت لهم حرية الاعتقاد فى مملكتى ،

وما كدت أنتهى من إيواء الأسيرين اللذين أنقذتهما حتى بدأت

---

(١) الأيكة : الشجر الكثير الملتف والجمع أيك

أفكر فى طعام لهما ، فأمرت جمعة أن يذبح ماعزة من قطيعى ، وفصلت ربعا من خلفها ، وجزأته قطعا ، ثم أعطيته جمعة ليغليه ببطء ، ثم صنعت لهما صنفا جيدا من لحم ومرق مضافا إليه بعض الأرز والشعير . وقد أجريت عملية الطبخ هـذه خارج مسكننا لأنى ما كنت أوقد نارا داخله . ثم حملت الطعام إلى الخيمة ، ووضعت خُوانا ، ثم جلسنا نتناول العشاء جميعا . وكنت أبذل جهدى فى إنعاشهما وإدخال السرور عليهما وكان جمعة ترجمانا بيننا لأن الأسبانى كان يعرف لغة المتوحشين

وبعد العشاء أمرت جمعة أن يأخذ أحد الزوارق ، ويذهب ليحضر بنادقنا وأسلحتنا التى تركناها لضيق الوقت فى محل الموقعة ، وفى اليوم التالى أمرته أن يذهب لدفن الموتى التى تركناها فى العراء خوفا من تعفنها ، ونبهته ألا يترك بقايا الفريسة التى ضحوا بهـا وكانت كثيرة ، وكنت أنا نفسى لا أقوى على هذا العمل ، ولا أستطيع أن أحضر تنفيذه ولقد قام بما كلفه خير قيام ، ولم يترك أثرا لهم إلا أخفاه ، فلم أعد أميز مكانهم إلا بركن الغابة المؤدى إلى المكان ، وحينئذ جلست أتحادث مع عتيقىَّ الجديدين ، فبدأت بأن جعلت جمعة يسأل والده عن رأيه فى المتوحشين الذين ولّوا مدبرين ، وهل يعودون بقوة كبيرة لا يمكننا مقاومتها ؟ فكان رأيه بادىء ذى بدء أنهم لن ينجوا من تلك العاصفة التى عصفت بهم بعد فرارهم ، فلا بد أن تغرقهم أو تقذف بهم إلى الجنوب على شواطىء تهلكهم .

ولما سُئل عن رأيه إن وصلوا سالمين إلى شاطئهم أجاب بأنه لا يدرى ، ولكنه يرجح أنهم ملئوا رعبا من الطريقة التى هوجموا بها ، ومن صوت

المقذوفات والنار التى رموا بها حتى إنهم ليقولون لأهليهم إن البرق والصواعق قتلت من كان معهم وأن الشخصين[1] اللذين رأوهما ماهما إلا ملكان أو نفر من الجن نزلا لهلاكهم ، وليسا من الأنس . قال ذلك وأردفه بما سمع منهم وهم يصيحون ويتناجون بلغتهم مما يؤيد رأيه ، لأنه يستحيل عليهم أن يفهموا أن فى قدرة الأنسان أن يرسل الصواعق والرعد فيصيب بهما من يشاء من بُعد ، وبغير أن يرفع يديه كما حصل وشاهدوا . ولقد صحت أخبار هذا الشيخ فأن المتوحشين لم يجرءوا على دخول هذه الجزيرة مرة أخرى . ويظهر أن رواية الأربعة الذين فروا فى الزورق وترجحت نجاتهم ألقت فى قلوبهم الرعب إلى حد جعلهم يعتقدون أن من يحاول الدخول إلى هـذه الجزيرة المسحورة فسوف تهلكه نار سماوية . ومع ذلك أخذت حذرى وتأهبت بأسلحتى وجيشى الذى كان عدده أربعة ، ولكنه يقوى على مقاتلة مائة منهم فى الميدان والانتصار عليهم .

وبعد زمن قليل ذهب خوفنا وأمنا مهاجمة المتوحشين . وبدأت تساورنى من جديد فكرة السياحة إلى القارة . وقد أكد لى والد جمعة أنى سأجد راحة تامة هناك بفضل ماسيقدمه من الخدمة اللازمة ، ولكنى أوقفت تنفيذ فكرتى على أثر حديث دار بينى وبين الأسبانى ، فهمت منه أن هناك ستة عشر رجلا من الأسبانيين والبرتغاليين قذفتهم الأمواج إلى شاطئ المتوحشين ، فعاشوا معهم فى طمأنينة ، ولو أنهم كانوا مكرهين ، لأن فقرهم إلى المساعدة حملهم على المعيشة بينهم . فسألته

---

(١) أنا وجمعة

أن يقص على تفاصيل رحلتهم فأخذ يقول : إنهم خرجوا على سفينة إسبانية من « ريو دى لا بلاتا » مولين وجوههم شطر « هاڤانا » مزودين بتعاليم أهمها أن يستبدلوا بحمولتهم التى كان معظمها جلوداً وفضة أى بضائع أوربية يجدونها . وأنه كان معهم خمسة من البحارة البرتغاليين التقطوهم من غرق سفينة أخرى . وأن خمسة من رجالهم غرقوا فى حادثة فقد سفينتهم الأولى ، وأن هؤلاء نجوا بأعجوبة من مخاطر عدة ، ووصلوا فى حالة يرثى لها إلى شاطئ أكلة الأنسان حيث كان من المنتظر أن يُلتهموا فى أى لحظة ، وأخبرنى أن معهم بعض أسلحة لا فائدة منها فأنه كان يعوزهم البارود والرصاص اللذان أتلفهما الماء ولم يبق معهم منهما إلا النزر اليسير ، وقد أتوا على آخره عند نزولهم إلى الشاطئ فى صيد مايقتاتون به

وقد سألته عما أعدوه لما عساه أن يصيبهم ، وهل فكروا فى طريقة خلاصهم إن نزل بهم مكروه ؟ فأجاب بأنهم تباحثوا فى الأمر كثيراً ، ولكنهم كانوا فى حاجة إلى سفينة ، وليس لديهم الآلات اللازمة لبنائها ، أو الاستمداد بأى نوع ، فكانت مجالسهم دائما تنتهى بالفشل والحزن . فسألته هل يظن أنهم يقبلون اقتراحا ينجيهم ؟ وهل ينفذونه إذا جاءوا هنا ؟ ثم قلت له بصراحة إنى أخشى خيانتهم ، وسوء معاملتهم لى إذا أنا وضعت نفسى تحت تصرفهم ، فأن الشكر على النعمة لم يكن يوما خلقا طُبع عليه الأنسان . وكثيراً مايكفر بالنعمة إذا رأى منفعة ينتظرها . وإنه ليشق على أن أكون سببا فى خلاصهم ، وأرانى بعد ذلك أسيراً فى

إسبانيا الجديدة حيث يُضَحّى بلا تردد بأى إنجليزى توقعه الحاجة، أو سوء الطالع تحت سلطانهم . وإنى أفضل أن أقع فريسة للمتوحشين يأكلونى حيا على أن أقع فى مخالب القسيسين والرهبان القاسية قلوبهم ، وأُعَرَّض لمحاكماتهم الدينية . وإنى لأرجو إذا جاءوا جميعا هنا أن نتمكن بكثرة الأيدى العاملة من بناء سفينة كبيرة تحملنا وإياهم جنوبا إلى البرازيل أو شمالا إلى الجزائر أو الشواطئ الأسبانية ، ولكنى كنت أخشى إذا ملكتهم سلاحا أن يكافئونى على الجميل بالأساءة، وأكون كالمستجير من الرمضاء بالنار .

فأجاب بصراحة تامة وسهولة فى التعبير : إن حالهم بلغ من البؤس مبلغا عظيما ، وإنهم شاعرون بذلك ، وهم يمقتون الأساءة إلى أى شخص يشترك فى خلاصهم جد المقت . ثم عرض على أن يذهب هو والعجوز والد جمعة إليهم ليتباحث معهم فى الأمر ، ثم يعود إلى بالجواب بعد أن يأخذ عليهم المواثيق المؤكدة أن يكونوا خاضعين لى خضوعا مطلقا باعتبارى قائدهم ورئيسهم ، ويستحلفهم بالأنجيل وكل مقدس لديهم أن يكونوا صادقين ، وألا يعارضوا فى الذهاب معى إلى أية مملكة مسيحية أختارها لهم ، وأن يصدعوا بما آمرهم به حتى أنزلهم إلى أى أرض أشاء . ثم أخبرنى بأنه سيأتى بعقد موقع عليه منهم بهذه الشروط ثم قال : إنه مستعد أن يحلف أنه لا يفارقنى مادام حيا إلا بأذن منى ، وأن يبذل دمه إلى آخر قطرة فى الدفاع عنى إذا ظهر من مواطنيه بادرة تدل على نقض عهدهم ، ولن ينقضوه فأنهم قوم متمدينون ذوو أمانة كبيرة ، وفى ضيق شديد لا يمكن تصوره ، وليس لديهم أسلحة ، ولا ثياب ، ولا طعام ، وهم

تحت رحمة المتوحشين وتصرفهم ، يكاد يقتلهم اليأس من العودة إلى وطنهم. ثم أكد لى أنى إذا تمكنت من تخليصهم فسوف يعيشون بجانبى حتى يدركهم الموت . وبعد هذه التأكيدات عزمت على أن أخلصهم إن قدرت وذلك بأن أرسل الأسبانى والعجوز المتوحش إليهم . ولكن بعد أن جهزناهما بجهازهما ثنانا الأسبانى عن عزمنا ، واختط خطة مملوءة بالحزم والاخلاص، فلم أر بداً من الأذعان وتأجيل خلاص رفاقه نصف عام على الأقل وهاك البيان :

لقد مكث الأسبانى نحو شهر أطلعته فيه على ما أعددت لنفسى من قوت بتوفيق الله ، ورأى مقدار ماخزنت من القمح والأرز اللذين كانا أكثر مما أحتاج لنفسى ، ولكنهما أصبحا لا يكفيان أسرتى التى بلغ عددها أربعة إلا بالتقتير . فأذا أضيف إلينا أربعة عشر رجلا من مواطنيه الذين لا يزالون أحياء على حسب روايته ، فأن ماندخر يصبح عديم الفائدة وخصوصا إذا لوحظ أننا سنحتاج إلى شىء كثير لتموين سفينتنا التى سنبنيها لرحلتنا المقبلة إلى أية مستعمرة مسيحية فى أمريكا .

ولذلك رأى أن أسمح له مع الاثنين الآخرين أن يفلحوا ويزرعوا من الأرض مقدار ماتسمح به الحبوب الزائدة عن حاجتنا ، ثم ننتظر حتى زمن الحصاد المقبل ليكون عندنا من الغلة مايكفى مواطنيه إذا قدر لهم المجىء ، وإلا فأن الحالة ربما حرضتهم على الخلف والتمرد ، ظنا منهم أنهم لم ينجوا من شدة إلا ليقعوا فى أخرى : فان بنى إسرائيل قد حمدوا الله وأثنوا عليه بعد أن نجاهم من فرعون وملئه . ولكنهم جحدوا وعصوا إلههم عند ما أعوزتهم المؤونة فى الصحراء . وهكذا كانت نصيحته

قيمة ، وتحذيره ناصحا ، حتى لقد أعجبت من أمانته ، وسرني اقتراحه ، وشرعنا نعزق الأرض بقدر ما تسمح به الآلات الخشبية التي عندنا . وبعد شهر ونحن مكبون على عملنا حان وقت الزرع ، وقد أعددنا من الأرض ، ما يكفي لبذر اثنين وعشرين مُدًّا من الشعير وست عشرة جرة من الأرز . وهذا القدر هو ما يمكننا الاستغناء عنه ، وقد قترنا على أنفسنا في تقدير مؤونة ستة الأشهر المنتظرة حتى يأتي زمن الحصاد ، وكنا ننتظر ألا يمكث الزرع ستة أشهر كاملة في مثل هذه الأرض الحارة .

والآن وقد صرنا جماعة ، وصار عددنا كافيا لرد غارة المتوحشين إلا إذا كانوا كثيرين ، فأنا ابتدأنا ننتقل في الجزيرة من مكان إلى آخر كلما سنحت فرصة . ولما كان خلاصنا الشغل الشاغل لنا كان حتما مقضيا على خاصة أن أطيل البحث والتفكير في الوسائل المؤدية إليه ، ولذلك كلفت جمعة ووالده قطع عدة أشجار عينتها لهما رأيتها صالحة للغرض الذي نسعى إليه ، وجعلت الأسباني الذي أطلعته على مشروعي يشرف عليهما ويرشدهما ، وكنت أشجعهم بذكر أعمالي وكيف تمكنت وحدي من تقطيع جذع شجرة كبيرة إلى ألواح ، وكم بذلت من الجهد والعناء في هذا السبيل حتى أتموا قطع اثني عشر لوحا من خشب البلوط ، يبلغ طول كل واحد منها خمسا وثلاثين قدما وعرضه قدمين ، وكانت الكثافة تتراوح بين قيراطين وأربعة . وهذا عمل شاق يمكن كل إنسان أن يتصوره . وفي الوقت نفسه كنت مجدا في تكثير عدد المعز فاقتسمنا العمل بالتناوب مياومة بيني وبين الأسباني ، وكان جمعة يصحب كلامنا في نوبته وبهذه الطريقة أضفنا إلى ما عندنا نحو عشرين من صغار المعز ،

وكنا كلما اصطدنا ماعزة كبيرة استبقينا صغارها لنربيها . ولما كان موسم العنب عظيم الفائدة لنا، وقد حان وقته، أمرت بكمية وافرة منه فعلقت في الشمس، وأعتقد أنه لو كان هذا القدر في «أليكات» حيث يجفف الزبيب في الشمس لتمكنا أن نملأ ستين أو ثمانين صندوقا من الزبيب الذي كان يكوّن مع الخبز الجزء الأكبر من غذائنا. وإني أؤكد للقارىء أن حياتنا كانت حياة طيبة فأن طعامنا كان كثير التغذية

والآن قد أتى زمن الحصاد ، وهيأنا محصولنا الذي لم يأت كما كنا ننتظر. ولكنه مع ذلك كان كافيا لسد حاجتنا ، وقد أخذنا من الاثنين والعشرين مُدّا من الشعير مائتين وعشرين ، وبقدر هذه النسبة من محصول الأرز . وبذلك أصبح ما يخزن كافيا للعام المقبل بفرض أن الستة عشر أندلسيا معنا. ولو أننا سافرنا لكفى لتموين سفينتنا حتى نصل إلى أى مكان من القارة الأمريكية . وبعد أن فرغنا من تجهيز حاصلاتنا وإدخالها إلى مسكننا شرعنا في صنع سلاّت لنفرق الحبوب فيها. ولقد أظهر الأسباني مهارة فائقة في هذه الصناعة، وكثيرا مالامني على عدم صنعي أشياء من هذا القبيل لأنتفع بها ، ولكني ما كنت أراني مضطرا إليها . والآن وقد أعددنا الميرة للضيوف الذين ننتظرهم فأني قد أذنت للأسباني أن يعبر البحر لينظر ماذا يمكنه أن يعمل نحو هؤلاء الذين تركهم ، وأعطيته عهدا كتابيا ألا يأتي بأى رجل يرفض اليمين وهو القسم بألا يؤذى، ولا يقاتل الرجل الصالح الشفيق الذى تفضل فأرسل لخلاصهم. وعليهم أن يعاونوه ويقفوا بجانبه ضد أى خطر، وأن يكونوا خاضعين لأوامره أنى ذهبوا. هذا عهدهم الذى يجب أن يكتبوه ويوقعوه ، ولكن كيف يتأتى ذلك

مع علمى بأن ليس لديهم قلم ولا مداد . وهذه مسألة لم نفكر فيها .

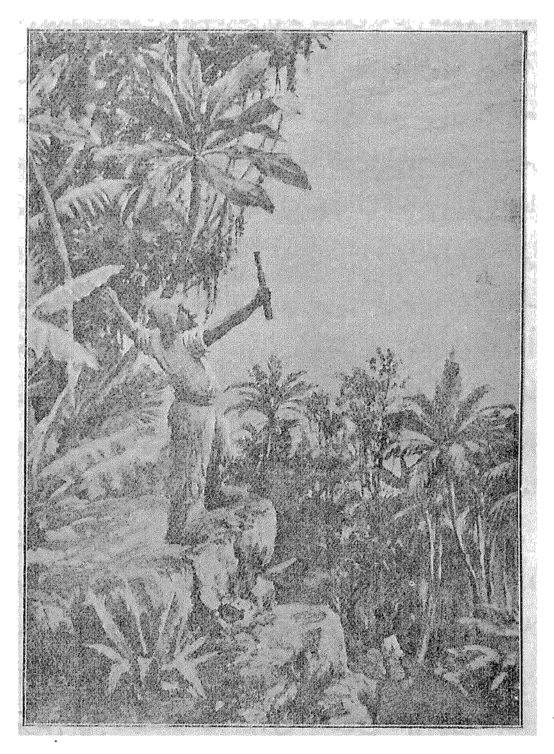
وبهذه التعليمات سافر الأسبانى والعجوز والد جمعة فى زورق من الزوارق التى أتيا فيها أسيرين ليأكلهما المتوحشون . وأعطيت كلا منهما بندقة ، ونحو ثمانى طلقات من بارود ورصاص ، وشددت عليهما أن يكونا مقتصدين فلا يستعملان سلاحهما إلا عند الحاجة الملزمة . وهذه مهمة سارة ، لأنها كانت أول خطوة من جانبى نحو خلاصى بعد أن مكثت هنا سبعا وعشرين سنة . وقد أعطيتهما قوتا من الخبز والزبيب يكفيهما أياما عدة . ويكفى مواطنيهما ثمانية أيام ، ثم استودعتهما الله واتفقنا عند عودتهم سالمين على إشارة يرفعونها لنعرفهم بها قبل أن يدنوا من الشاطىء . وهكذا ذهبا والرياح هادئة فى يوم من أيام اكتوبر ، والقمر تام على حسب إحصائى الذى لم يكن دقيقا بعد أن ضل حسابى ، فلم أعد قادرا على ضبطه ، ولا على معرفة عدد السنين . ولكنى تبينت فيما بعد أنى أحصيت عددها تماما .

انتظرت عودتهم ثمانية أيام ثم فوجئت بحادثة غريبة ربما لم يسمع بمثلها ، وذلك أنى كنت غارقا فى نومى فى صبيحة يوم داخل سكنى وإذا بجمعة يهرول نحوى صارخا « لقد أتوا ياسيدى لقد أتوا » ففزعت ولبست ثيابى ثم غادرت مكانى مسرعا غير حاسب لأى خطر حسابا . ولذلك لم آخذ من أسلحتى شيئا على غير عادتى ، واخترقت الأيكة التى أنشأتها ، وكانت قد صارت غابة كثيفة ، ولم أكد أنظر إلى البحر حتى علتنى دهشة لرؤية سفينة على بعد فرسخ ونصف ، متجهة نحو الشاطىء ناشرة شراعها والريح تدفعها بلطف إليه ، ولاحظت أنها آتية من الجهة الجنوبية للجزيرة ،

وعندئذ ناديت جمعة ، وأمرته أن يكون بجانبي فأن هذه السفينة لا تحمل إخواننا الذين ننتظرهم ، وربما كان من فيها أعداء .

وبعد ذلك ذهبت لآتى بمرقبي ، لأستعين به على تبينهم ، ثم تسلقت الجبل مستعينا بسلمى المتنقل ، وكانت هذه عادتى إذا أردت مراقبة شيء من غير أن أُرى ، ولم تكد قدماى تطآن قمة الجبل حتى رأيت بوضوح سفينة راسية على بعد فرسخين ونصف من مكانى فى الجهة الجنوبية الشرقية ، ولكنها تبعد فرسخا ونصفا عن الشاطىء ، وتبينتها فاذا هى سفينة إنجليزية . ولقد كانت دهشتى كبيرة لدرجة لا أقوى على وصفها ، ولم يكن سرورى برؤية سفينة ركابها من أبناء جنسى وإخوانى أقل من دهشتى ، ولكن تشككا لم أعرف سببه بدأ يساورنى ويدفعنى إلى الحذر ، وبدأت أفكر فيما عساه أن يدفع سفينة إنجليزية إلى هذه البقعة التى لا تقع فى طريق أى تجارة انجليزية . ولم يكن لى عهد بزوبعة دفعتها يائسة إلى هذا الموقف فأن صح أن من فيها إنجليز حقيقيون فما لخير أتوا . وخير لى أن أمكث حيث أنا من أن أقع فى أيدى اللصوص والقتلة . ولا يحتقرن امرؤ ما تتوجس نفسه خيفة منه ، ولو أنه لا يرى الخطر محتملا وقوعه ، فأن هذه الهواجس فينا لا ينكرها من أعطى حظا من قوة الملاحظة . وهى بلا شك مرآة لعالم غير منظور لنا ، وصور لأرواح تحاول أن تنذرنا بالخطر . فلماذا لا نفترض أنها إيحاء مسخر لفائدتنا ، ولا نبحث فى كنهها سواء لدينا أكانت وسوسة نفسية أم وحيا إلهيا . والحالة التى أنا فيها أكدت لى صحة هذه النظرية ، فلولا أنى كنت حذرا لكنت من الهالكين ولمثل بى كما سترى .

ولم أكد آخذ مجلسى هذا حتى رأيت السفينة تقترب من الشاطىء



وتبينتها فأذا هى سفينة إنجليزية

وكأن من فيها كانوا يبحثون عن فرضة فيه يدخلون فيها، ومع ذلك لم يتمكنوا من رؤية الفرضة التي دخلت منها بزمني، بل رسوا على الشاطئ على بعد ميل من مكاني. وقد اغتبطت بهذا الأمر لأنهم لو نزلوا إلى البر أمام سكني لطردوني منه، ونهبوا متاعي وعند نزولهم إلى البر اقتنعت بأنهم كلهم أو أغلبهم من الأنجليز، وظننت اثنين منهم هولانديين، وإن تبين لي غير ذلك بعد.

وكان عددهم أحد عشر رجلا، ثلاثة منهم غير مسلحين، ويغلب على ظني أنهم مكتوفون. وبعد أن خرج إلى البر أربعة أو خمسة منهم، أخذوا هؤلاء الثلاثة إلى الشاطىء أسرى، ورأيت أحدهم يتضرع إليهم بكل أنواع التضرع والمسكنة. والآخرين يرفعان أيديهما إلى السماء كأنهما يتضرعان. والحق أني كنت متحيرا من هذا المنظر، ولم أدر ما تأويله؟ وهنا صاح جمعة بأن الأنجليز يأكلون البشر كما يفعل المتوحشون، ولكني أجبته بأن لن يكون شيء من ذلك. وربما كان قصدهم قتل هؤلاء لا أكلهم. وكانت ترتعد فرائصي طول الوقت من هول ما أرى ولا أفهم، منتظرا من وقت لآخر أن أرى هؤلاء الثلاثة قتلى.

ولقد رأيت مرة سيفا يرفع على أحد البائسين الثلاثة، وانتظرت أن أرى رأسه يهوى في أي لحظة. وكان ذلك منظرا تجمد منه دمي في عروقي، وكثيرا تمنيت لو أن الأسباني والعجوز كانا بجانبي، وأني كنت مختبئا قريبا منهم حتى أتمكن من خلاص هؤلاء البائسين، لأني رأيتهم لا يحملون معهم سلاحا، ولكني رأيتهم بعد إهانة الثلاثة المساكين ينتشرون في الأرض كأنهم يرتادونها. ورأيت الثلاثة أحرارا في أن يذهبوا

حيث شاءوا ، ولكنهم جلسوا مفكرين تظهر عليهم أمارات الفشل . ولقد ذكرني حالهم باليوم الذي نزلت فيه إلى هذه الجزيرة وكيف جلست أنظر إلى ما حولي ، وكيف أسلمت نفسي إلى الأقدار ، تحيط بي المخاوف والأخطار ، وكيف لجأت إلى شجرة أسكن إليها طول الليل خوفا من الوحوش أن تلتهمني . وكما أني كنت أجهل في تلك الليلة أن الأقدار ستسخر الرياح ومد البحر في دفع السفينة بالقرب من الشاطىء . وتسوق إليّ رزقي وما أقتات به حتى الآن ، كان هؤلاء البائسون يجهلون أن خلاصهم مؤكد ، وأنه أقرب إليهم من حبل الوريد ، وأنهم نجوا بالفعل على الرغم من اعتقادهم أنهم ضاعوا ، وتمكن اليأس من قلوبهم . فما أقصر نظر الأنسان في هذه الدنيا ، وما أحراه أن يعتمد على الله الذي خلقه وهو معه أينما كان ، والذي يحمد في السراء والضراء . وينقذنا بعد أن نرى الهلاك محيطا بنا .

الفصل السادس والعشرون

إظهار روبنسن كروسو نفسه للرئيس الأنجليزي

ومساعدته اياه على بحارته العصاة

هبط هؤلاء القوم إلى الجزيرة والمد في منتهى ارتفاعه . وبينما هم يتحدثون مع أسراهم ، ويتجولون في الجزيرة يرتادونها ، انخفض الماء جزرا ، واستوى زورقهم على الأرض ، وكانوا قد تركوا فيه اثنين منهم فشربا كما علمتُ ذلك بعد ، حتى لعبت بنت الحان بلبهما فناما ، ثم أفاق أحدهما قبل الآخر ، ورأى أن الماء قد غاض فانحسر عن الزروق ، واستحال عليه وحده أن يدفعه إليه ، فصاح مستغيثا برفاقه الذين كانوا لايزالون

يتجولون فى الجزيرة ، فأتوا إليه مسرعين ، ولكن بعد أن قضى الأمر ، وأصبح متعذرا عليهم أن يخرجوا الزورق من الوحل والرمال. وكانوا ككل البحارة لا يتدبرون عواقب الأمور فتركوه كما هو ، وعادوا إلى الجزيرة يتجولون . ولقد سمعت أحدهم ينادى رفاقه أن يتركوه وشأنه مؤقتا حتى يأتى المد المقبل فيعوم. ولقد نمّت لغته على جنسهم وبلادهم ، فعلمت أنهم من الأنجليز .

وبقيت طول هذه المدة ملازما سكنى لا أغادره إلا إلى حيث أترصدهم فوق الجبل، وكان منيما . وكنت أعلم أن المد لن يأتى إلا بعد عشر ساعات، وعندها يخيم الظلام ، ويمكننى أن أراقب حركاتهم ، وأسمع حديثهم من غير كبير تحفظ .وشرعت أسلح نفسى استعدادا لعراك مقبل ، وأنا أعرف أن خصومى هذه المرة أشد بأسا ممن سبقهم ، ويجب أن أكون على حذر منهم . وفى الوقت نفسه سلحت جمعة ، وكان قد صار ماهرا فى الرماية ، فأعطيته ثلاث بندقات، وأخذت اثنتين . وكان منظرى رهيبا فى بذلتى وقبعتى اللتين اتخذتهما من جلد المعز وقد تدلى بجانبى سيف عار عن الغمد ، وفى حزامى غدّارتان(1) ، وعلى كل كتف سبطانة . وكنت صممت على ألا أعمل شيئا إلا إذا خيم الظلام ، ولكنى عند الساعة الثانية بعد الزوال وقت اشتداد الظهيرة رأيتهم جميعا توغلوا فى الغابة ، وغلبهم النوم ، غير أن الثلاثة البائسين لم يناموا لشدة ذعرهم . وكانوا جالسين تظلهم شجرة كبيرة تبعد عن مكانى ربع ميل ، وهم بعيدون عن رقابة

---

(1) الغَدّارة البندقة الصغيرة

الأشقياء ، فعزمت على التقدم نحوهم ،والظهور لهم ، لعلى أعرف ماخطبهم. وفعلا مشيت ومن خلفي جمعة بشكله المزعج المسلح ، وأنا أمامه كأني شيطان حتى دنوت منهم. وقبل أن يرانى أحد سألتهم بلسان أندلسى من أنتم أيها الرجال؟ ولكنهم لم يجيبوا ، وذعروا عند سماع صوتى ورؤيتى على هذه الصورة المزعجة ، وتوقعت أنهم سيفرون منى فبادرتهم بالانكليزية «أيها الرجال لا يدهشنكم وجودى هنا ، فقد يأتى الله بالفرج بعد الضيق ، وقد تظفرون بصديق وأنتم تنتظرون عدواً » فرفع أحدهم قبعته ليحيينى وقال. « إن حالنا لم تعد فى طاقة البشر . فإذا قيض لنا صديق فلابد أن ينزل من السماء » فقلت « هوّن عليك ياهذا ، فإن كل مساعدة تنزل من السماء ، فمالى أراك قد استولى عليك اليأس ، فهل تسمح لأجنبى عنك أن يمد يد المساعدة لكم ؟ لقد رأيتكم حين نزلتم إلى البر ، ورأيتك ترفع يدك ضارعا إلى الوحوش الذين معكم ، ورأيت أحدهم يرفع سيفه نحوك ليقتلك » فقال بصوت تخنقه العبرات وهو مضطرب حائر : « من عساك تكون ؟ وأى معبود أنت ؟ حاشا لله ما أنت بشراً .إن أنت إلا ملك كريم » فقلت : « دع عنك خوفك واطمئن إلىّ ، فأن الله سبحانه لو أرسل إليك ملكا لألبسه حلة خيراً من هذه التى ترى ، ولسلحه بسلاح خير من هذا . وما أنا إلا رجل مثلك إنجليزى الجنس ، وأميل إلى مساعدتك . وإنى كما ترى لا أملك غير خادم واحد ، وعندنا أسلحة وذخيرة فحدثونا بكل ما أوتيتم من جلاء وصراحة عن قصتكم ، وكيف نقدر على مساعدتكم ؟ واقصص أنت على قصتك ولا تخف »

فقال « قصتى طويلة يضيق وقتنا عنها ، وأعداؤنا على مقربة منا ،

ولكنى أخصها لك فأقول : إنى كنت ربان هذه السفينة وقد شق بحارتها عصا الطاعة على ، وكان فى وسعهم قتلى ، ولكنهم فضلوا أن يتركونى فى هذه الجزيرة المقفرة مع رجلين ، أحدهما وكيلى ، والثانى أحد المسافرين ، حيث ننتظر هلاكنا فى مكان ليس فيه سكان ، ولا نعرف من أمره شيئا » فسألته « أين هؤلاء الوحوش أعداؤك ؟ » فقال « هم رقود هناك » وأشار إلى أشجار كثيفة ، وأظهر مخاوفه من أن يكونوا رأونا ، أو سمعوا حديثنا فيقتلوننا ، فسألته أيحملون أسلحة نارية ؟ فقال « إن لديهم ثلاث بنادق تركوها فى السفينة » فصحت فرحا « دع كل شىء لى فأن من السهل قتلهم جميعا ، وهم نيام ، ولكن هل يحسن بنا أسرهم ؟ » فاعترض بأن بينهم اثنين شريرين لا يؤمن جانبهما ولا يستحقان رحمة ، فأذا تخلصنا منهما فأن الباقين يعودون إلى عملهم ، فسألته أن يشير إليهما ، ولكنه اعتذر بأنه لا يمكنه أن يميزهما لبعد المسافة ، وأظهر استعداده لاطاعة أمرى في كل ما آمره به . وفضلت أن نبتعد قليلا عن نظرهم وسمعهم حتى لا نوقظهم . وما بعدنا حتى وارتنا الأشجار فقلت له : هل تعطينى عهداً بشيئين اثنين إذا عملت على خلاصك ؟ فأجاب قبل أن يعرف شرطى إنه هو والسفينة إن قدر لها النجاة تحت أمرى وقيادتى ، وإذا لم تنج السفينة فأنه سيحيا ويموت من أجلى وبجانبى فى أى بقعة من بقاع الأرض أختارها له . ووافق على قوله هذا زميلاه ، فقلت « حسنا وإن ما أشترطه عليكم لا يزيد على شيئين : أولهما أنكم مادمتم فى هذه الجزيرة معى فليس لكم سلطان فيها ، وإذا سلحتكم بسلاح فلى الحق أن أسترده منكم فى أى وقت ، وألا تسيئوا إلىّ ولا إلى متاعى ولى عليكم الطاعة . وثانيهما أن تحملونى أنا وزميلى إلى

إنجلترا بغير مقابل إذا نجت السفينة » فأعطانى الربان كل التأكيدات على ذلك وقال إن الشرف والمروءة يقضيان على الأنسان أن يخضع لهذه الطلبات العادلة ، وفوق ذلك فأنه يكون مدينا لى بحياته ويعلن ذلك على رؤوس الأشهاد فى كل فرصة مادام حيا . فقلت ذلك خير لكم ، وها كم الآن ثلاث سبطانات ، وباروداً ورصاصا .

وسألته ماذا ترى أن نصنع ؟ فشكرنى مقراً لى بالجميل ، ثم طلب أن يكون مَقُودا برأيى ، وكنت أرى من الصعب أن نبدأ بأى عمل . وظهر لى أن أحسن طريق يجب أن نسلكه هو إطلاق النار عليهم على حين غفلة منهم ، فأذا نجا أحد منهم بعد أول طلق ، وأظهر استعداده للخضوع ، فسننظر فى استبقائه . وهكذا نترك لله وحده أن يحكم بيننا وبينهم ، فقال إنه يكره قتلهم ويمقته ولكن بينهم اثنين لا يرجى لهما إصلاح ، ولا تسهل قيادتهما ، وهما سبب العصيان والثورة فى السفينة ، فأذا نجيا فأن حالنا ستسوء ، لأنهما سيذهبان إلى السفينة ليستنجدا بمن فيها ثم يعود الجميع إلينا فيبيدوننا ، فقلت له إن الحاجة تبرر رأيى ، وليس لدينا أية وسيلة أخرى لنجاتنا . ولكنى رأيته يحذر إراقة الدماء . فتركته ومن معه يتصرف فى الأمر على حسب الأحوال

وبينما كنا نتناقش سمعنا بعضهم يستيقظ من نومه ، وسرعان ما رأينا اثنين منهم واقفين ، فسألته أكلاهما أو أحدهما من الرجلين اللذين كانا سبب العصيان فى السفينة ، فأجاب سلبا ، فقلت له ! دعهما يذهبان فأنه يظهر أن العناية الألهية ما أيقظتهما إلا لينجوا ، ولكنه إذا أفلت أحد الباقين من يدكم فعليكم وحدكم وزره ، فأخذ السبطانة التى أعطيته

إياها بيده وعلق فى منطقته غدّارة وسار يتقدمه زميلاه وبيـد كل منهما قطعة من السلاح . وقد أثار كلامى فيهم الحمية التى كنت أنشدها وتقدموا حتى أثار تقدمهم حذر أحد البحارة فأذا هو يراهم مقبلين نحوه فنادى إخوانه ، ولـكن الوقت كان قـد فات فأنه لم يكد ينطق حتى بادره رفيقا الربان بأطلاق الرصاص إطلاقا لم يشترك فيه الربان الذى رأى أن يحتفظ مؤقتا بسلاحه . ولقد أحكمت الرماية فأصابا اثنين ، أحدهما قتل والآخر جرح جرحا بليغا حاول معه أن يقف على قدميه ، وينادى النجدة النجدة ، ولـكن الربان دنا منه وقال له : دع عنك طلب النجدة وادع الله أن يغفر لك ذنوبك . ثم صفعه بمؤخر السبطانة فخر صريعا . وبقى من عصابتهم ثلاثة أحدهم جريح . فلما رأونى أدنو منهم ، ورأوا الخطر محيطا بهم استرحمونا فقال الربان . لن أرحمكم حتى تؤتونى موثقا من الله ألا تعودوا لمثل خيانتكم السابقة وأن تخلصوا لى فى إنقاذ السفينة والسفر بها إلى « جمايكا » حيث أتينا . فلما آتوه موثقهم كاد يركن إليهم ويستحييهم ، لولا أن أمرته بأن يشد وثاقهم ماداموا على ظهر هذه الجزيرة .

وبينما هو مكب على وثاقهم أرسلت جمعة ، ووكيل الربان إلى الزورق للتأكد من ألا يصيبه خطر ، ثم أمرتهما أن يأتيا بالشراع والمجاديف . وبعد قليل أتى ثلاثة من البحارة كانوا يتجولون ، ولما رأوا أن الربان الذى تركوه أسيرا غدا طليقا ظافرا سلموا أنفسهم فشد وثاقهم وتم لنا النصر عليهم ، ولم يبق إلا أن يعرف كلانا أمر صاحبه ، فبدأت أقص على الربان قصتى التى أصغى إليها بكل جوارحه إصغاء يقرب من الدهشة

وخصوصا عندماذكرت له الطريقة التى بها حصلت على أقواتى وذخيرتى ولما كانت روايتى من أولها الى آخرها مجموعة غرائب فأنه تأثر بسماعها تأثرا شديدا. ولما تذكر موقفه هـذا. وأن الأقدار حفظتنى من كل مكروه، كأنها كانت ترمى بذلك إلى خلاصه غلبته دموعه، وعجز عن الـكلام.

ولما انتهينا من الحديث قدته ورفيقيه إلى سكنى، ودخلنا من حيث خرجت من أعلاه، وهناك أطعمتهم مما ادخرت، وأريتهم الوسائل التى أعددتها لخلاصى مدة إقامتى الطويلة هنا، فأدهشهم كل ماراوا أو سمعوا وكانت دهشتهم عظيمة من حصنى الذى خبأته بما غرست منذ عشرين سنة من الأشجار التى كان نموها أعظم وأكثر من نمو مثيلاتها فى إنجلترا، حتى أصبحت غابة صغيرة كثيفة يصعب اختراقها من أية جهة إلا من الجانب الذى شققت لى فيه طريقا معوجا، فكان هذا المكان سكنى وحصنى. ولى عرش فى مملكتى هذه ككل الأمراء ألجأ إليه أحيانا، وسوف أرى الربان إياه فيما بعد. وطلبت منه أن نقصر بحثنا على طريقة تنقذ بها السفينة، فوافق على ذلك. ولـكنه لايدرى كيف يعمل على خلاصها وفيها ستة وعشرون رجلا اشتركوا فى مؤامرة خبيثة جعلت دماءهم أمام القانون مباحة، ولذلك سيقاومون مقاومة اليائس المستميت. لعلمهم أنهم إذا سلموا فسيشنقون فى أول بلد أومستعمرة إنجليزية نصل إليها. وليس من الرأى إذن أن نهاجمهم ونحن بهذه القلة.

فكرت طويلا فيما قال. ووصلت إلى تصويب رأيه. وأنه لا بد

لنا من حل سريع نفاجئهم به ، وهم على ظهر السفينة لنتمكن من منعهم من النزول إلى البر وقتلنا . ولقد خطر لى أن بحارة السفينة سيغادرونها للبحث عن رفاقهم الذين أبطئوا فى العودة إليهم ، ومعرفة ماحل بهم وبزورقهم . وربما أتوا مسلحين وتفوقوا علينا . ولقد نالت فكرتى هذه موافقة الربان ، وكان أول عمل يجب أن نبدأ به تعطيل الزورق الراسى على الشاطىء ، وتجريده من كل مافيه حتى لايتمكنوا من أخذه ، فيصبح غير صالح للاستعمال ، فذهبنا إلى الشاطىء وأخذنا مافى الزورق من أسلحة وغيرها . وكان فيه زجاجتان من الشراب ، وعدد غير قليل من الكعك الجاف ، وقرن من البارود ، وقطعة كبيرة من السكر فى كيس ، وزنها ستة أرطال . وقد قابلت هذه الأشياء بسرور عظيم ، خصوصا السكر والشراب ، لأن ماكان عندى منهما نفد من زمن بعيد

وبعد أن نقلنا إلى الشاطىء كل ماوجدنا من مجاديف وأدقال وشُرُع خرقنا الزورق خرقا كبيرا ، حتى إذا أتوا وتغلبوا علينا يصعب عليهم حمله . ولم يدر قط فى خلدى أننا سنتمكن من تخليص السفينة ، ولذلك كانت نظريتى عند تركهم الزورق ، أن نصلحه ، ونركب فيه إلى جزيرة « ليوارد » حيث نمر على رفاقنا الأسبانيين الذين لايزالون فى ذاكرتى.

وبينما نحن جالسون نبحث فى مشروعنا ، وقد أخرجنا الزورق إلى البر حيث لاتصله المياه عند ارتفاع المد ، وخرقنا فى قاعه خرقا كبيرا لايسهل إصلاحه ، إذا بالسفينة تطلق مدفعا ، وتلوح بعلمها فى الهواء ، إشارة إلى الزورق أن يعود ، وقد كرروا إطلاق المدفع ، وعمل الأشارات

مرارا بلا جدوى . ولما أعيتهم الحيل رأيتهم بعرقي ينزلون زورقا آخر قذفوه نحو الشاطىء . ولما اقتربوا منه رأيناهم لا يقلون عن عشرة مسلحين ولما كانت السفينة على بعد فرسخين تمكنا من رؤيتهم بسهولة ، وتعرفنا وجوههم عند مادفعهم المد إلى مكان شرقى بالنسبة للزورق الأول ، واضطروا للتجديف حتى يصلوا إليه . وعلى هذه الصورة عرفهم الربان ، وأخبرنا عن أخلاقهم ، وقال إن فيهم ثلاثة مخاصين أمناء سيقوا إلى العصيان والمؤامرة سوقا بالقوة والتهديد ، وإنهم إنما يدارون رئيس الزورق ويتظاهرون بالعصيان خوفا منه ، وإنهم يمقتون موقفهم هذا ، وإنه يرى أنهم متفوقون علينا كثيرا .

فتبسمت ضاحكا من قوله ، وقلت له إن من كانوا فى موقفنا هـذا لا يجد الخوف إلى قلوبهم سبيلا ، فأن أى مصير نصير إليه سيكون خيرا من حالنا هـذا . ويجب أن نعتبر أن أى نهاية ننتهى إليهـا سواء أكانت حياة أم موتا خلاص لنا . وسألته ماذا ترى فى حياتى هنا ، وهلا تحاول الخلاص منها ؟ وأين اعتقادك أيها السيد أنى ماحفظنى الله هنا إلا لخلاصك ، وقـد كانت حياتك منذ هنيهة فى خطر داهم . وفى اعتقادى أنه يجب علينا شىء واحد فقال وماهو ؟ فقلت المحافظة على الأمناء منهم لأمانتهم ، ولو أنهم كانوا جميعا من القاسية قلوبهم لاعتقدت أن الله سبحانه وتعالى ماجمعهم على هذه الصورة إلا ليوقعهم فى أيدينا . ويجب أن نؤمن بأن كل من تطأ قدمه منهم هـذه الجزيرة فهو لنا ، ويجب أن يحيا ويموت على حسب موقفه نحونا .

وما كدت أتم كلامى هـذا حتى رأيته تشجع كثيرا . وشرعنا بهمة فى إنجاز عملنا . وكنا قد عولنا على فصل أسرانا بعضهم عن بعض حين رؤيتنا الزورق يقترب من الشاطىء . وقد أتممنا هذا بحكمة تامة ، فأرسلنا اثنين لم يثق فيهما الربان كل الوثوق ، وثالثا مع جمعة إلى الـكهف حيث لا يسمع لهم صوت ، ولا يوقف لهم على أثر ، ولا يمكنهم أن يهتدوا إلى طريق إذا قدر لهم الهرب . وهناك تركوا مكتوفين وأعطوا مؤونة ، ووعدوا أن ترد إليهم حريتهم بعـد يوم أو اثنين إذا حافظوا على الهدوء والسكون، وإذا حاولوا الفرار فأنهم سيقتلون بغير رحمة ولا شفقة . وقد آتوا جمعة موثقهم على أن يتحملوا سجنهم هذا بصبر ، وشكروه على حسن معاملته ، وعلى النور الذى تركه لهم ، إذ كان قـد أعطاهم شمعة مما كنا نصنع نحن أنفسنا زيادة فى إكرامهم ، ولم يعرفوا شـيئا إلا أنه واقف بالباب يحرسهم . أما المسجونون الآخرون فقد عوملوا معاملة حسنة ، وبقى الاثنان اللذان لم يتمتعا بثقة الربان مكتوفى الأيدى ، وقد وثق الربان باثنين آخرين أخذتهما فى خدمتى بعـد أن أقسما أن يعيشا ويموتا معنا فأصبح عددنا بهما مع الثلاثة المخلصين الأمناء سبعة مسلحين . وما شككت قط فى أننا أصبحنا أكفاء لمقاتلة العشرة القادمين علينا ، مع ملاحظة أن الربان قال إن من بينهم ثلاثة أو أربعة أمناء . ولما وصلوا إلى مكان الزورق الأول دفعوا بزورقهم إلى الشاطىء ، ونزلوا إلى البر ، وجروه من خلفهم وقد ملأنى هذا الأمر سرورا ، فأنى كنت أخشى أن يتركوه فى مرساه بعيدا عن الشاطىء ، وفيه بعضهم ليرعاه ، فيفلت من

أيدينا . وما كادوا يصلون إلى الشاطىء حتى أهرعوا [1] إلى الزورق الأول ولقد كان سهلا علينا أن نرى أنه راعهم رؤية زورقهم مجردا من كل ما فيه على الصورة المتقدمة ، وفى قاعه خرق كبير .

وقد وقفوا قليلا عند هذا ، ثم نادوا بأعلى صوتهم مرتين أو ثلاثا ، وصاحوا عبثا لعلهم يسمعون رفاقهم ، ثم دنا بعضهم من بعض حتى كونوا دائرة وأطلقوا الرصاص من بنادقهم دفعة واحدة سمعناها ، وقد تجاوبت بصداها أنحاء الغابة ، ولكن لم يجبهم أحد ، فأن الذين كانوا فى الكهف لا يمكن أن يسمعوهم ، والذين معنا لا يجرءون على مجاوبتهم ، مع أنهم سمعوا صوت إخوانهم . ولقد دهشوا لهذه المفاجأة ، وهموا كما أخبرونا بعد ذلك أن يعودوا إلى السفينة ليخبروا رفاقهم هناك أن رجالهم قتلوا جميعا ، وأن الزورق خرق . وفعلا أنزلوا زورقهم إلى البحر وركبوا فيه ، فذعر الربان واضطرب لذلك ، لأنه رأى أنهم لا محالة عائدون إلى سفينتهم ، وسيقلعون بها معتقدين أن رجالهم فقدوا . وبذلك نفقد السفينة التى أملنا طويلا أن ننقذها ، ولكن اضطرابه كان أشد لما رأى أنهم لم يذهبوا بعيدا بزورقهم حتى عادوا مسرعين إلى الشاطىء بفكرة جديدة يظهر أنهم تشاوروا واتفقوا على تنفيذها . وهى أن يتركوا ثلاثة منهم فى الزورق ، والباقون يجوسون خلال الجزيرة باحثين عن رجالهم . وما أشد حيرتنا وتضايقنا من ذلك ولم ندر ماذا نفعل ؟ فأن اصطيادنا لهؤلاء السبعة الذين على البر لا يفيدنا أية فائدة إذا تمكن زورقهم من الهرب فأن من فيه سيذهبون

---

(١) أهرع القوم أسرعوا

إلى السفينة ويحلون شرعا هاربين بها . وبذلك يقضى على أملنا فى خلاصها ، على أنه لم يكن لنا حيلة إلا أن نصبر لنرى ماعساه يكون .

ولما رسا الزورق نزل منه سبعة إلى البر ، وابتعد الثلاثة الباقون به إلى مسافة ليست بالقصيرة ، منتظرين رفاقهم، واستحال علينا أن نميزهم . وقد مشى الذين نزلوا إلى البر مجتمعين نحو قمة الجبل الصغير حيث أسكن . وكنا نراهم من حيث لا يروننا . وقد كان يسرنا لو أنهم اقتربوا منا فنطلق عليهم رصاصنا ، أو لو أنهم ابتعدوا عنا فنخرج من مكمننا. ولما وصلوا إلى حيث يجدون طريقا متسعا إلى الوادى والغابة ، واقعا فى الجهة الشمالية الشرقية ، حيث أرض الجزيرة منخفضة ، نادوا وصاحوا حتى أخذ منهم الأعياء ، ويلوح لى أنهم كانوا يخافون أن يبتعدوا عن الشاطىء ، أو أن يتفرق بعضهم عن بعض، فجلسوا تحت شجرة يتشاورون فى أمرهم. ولو أنهم فكروا فى النوم هناك لسهلوا علينا أمرنا، كما فعل زملاؤهم من قبل، ولكن الرعب كان قد ملأ قلوبهم فلم يجرُؤُوا على النوم . وهنا أشار على الربان إشارة صائبة وهى أنهم ربما يعودون إلى إطلاق النار كى يسمعوا زملاءهم ، فأذا فعلوا فلنهاجمهم بغتة عقب إطلاق النار مباشرة وقبل أن يملئوا سلاحهم ثانية ، فلا يسعهم إلا تسليم أنفسهم ، ونتمكن من أخذهم من غير إراقة دماء . ولقد أعجبنى اقتراحه غير أنى اشترطت أن ينفذ ونحن على مقربة منهم ، حتى نتمكن من مفاجأتهم قبل أن يملئوا سلاحهم ، ولكن هـذه الفرصة لم تأت، ومكثنا طويلا لا ندرى ماذا نفعل ؟ وأخيرا قلت لهم إننا لن نتمكن من عمل شىء حتى يرخى الليل سدوله، فأذا لم يعودوا إلى الزورق

فربما تمكنا من الحيلولة بينهم وبين الشاطىء ، واحتلنا على من فى الزورق حتى نأتى بهم إلى الساحل .

انتظرنا طويلا ونحن قلقون خشية أن يرجعوا . وكم كنا مضطربين عند مارأيناهم بعد مشاورة طويلة يعودون نحو الشاطىء . ويظهر أن الفزع استولى على قلوبهم من خشية المكان ، فقرروا العودة إلى زورقهم ليتموا سياحتهم معتقدين أن زملاءهم ماتوا . ولما رأيتهم يذهبون نحو الشاطىء أيقنت أنهم قرروا ترك البحث والتنقيب ، وأنهم عائدون من حيث أتوا . ولما أطلعت الربان على هذه الحقيقة كاد يقضى عليه ، ولكنى اهتديت إلى حيلة ترجعهم عن قصدهم . وقد نجحت كل النجاح . وذلك أنى أمرت جمعة ووكيل الربان أن يذهبا إلى الجهة الغربية عند الخليج الصغير الذى أتى منه المتوحشون عند مانجيت جمعة ، فأذا وصلا هناك إلى مكان قليل الارتفاع على بعد نصف ميل ، يصيحان صياحا عاليا حتى يسمعا هؤلاء البحارة فأذا سمعاهم ، يجيبون نداءهما . فليكررا الصياح ويبتعدا عن طريقهم ، وهكذا حتى يأخذاهم داخل الجزيرة ووسط الغابات . وحينئذ يرجعان إلىّ من طريق عينتها لهما . وكانوا قد وصلوا إلى الزورق ، فناداهم جمعة ووكيل الربان وصاحا بهم حتى أسمعاهم ، وأجابوا نداءهما وانطلقوا على الشاطىء متجهين نحو المغرب ، حيث يسمعون النداء ، حتى وصلوا إلى الخليج . ولم يقووا على عبره ، فصاحوا بالزورق ، فأتى وعبر بهم ، كما كنت أنتظر .

ولاحظت بعد عبورهم أنهم بعد أن اطمأنوا على الزورق الذى

صار داخل الخليج فى شبه ميناء أخذوا واحدا ممن كانوا به وتركوا اثنين فيه بعد أن ربطوه إلى جذع شجرة ، وذلك ما كنا نبغى ، فأنى وزملائى عبرنا الخليج بعيدا عن الأنظار، وفاجأناهما فوجدنا أحدهما على الشاطىء بين النوم واليقظة ، وحاول النهوض ، فباغته الربان بضربة تركته طريح الأرض ، ثم أمر الآخر الذى فى الزورق أن يسلم ، وإلا فأنه لا محالة هالك . ولم نجد معارضة كبيرة فى إقناعه بالتسليم أمام خمسة منا ، وهو يرى ما حل برفيقه . وقد لاح لى أنه كان من الثلاثة الذين لم يشتركوا فى العصيان بقلوبهم فاقتنع بالتسليم بسهولة ، وانقاد أخيرا إلينا بأخلاص وأمانة . وفى الوقت نفسه نجح جمة ورفيقه فى عملهما خير نجاح ، فزحزحاهم من جبل إلى جبل ، ومن غابة إلى أخرى بصياحهما وندائهما ، حتى أعياهم التعب والنصب . وتركاهم حيث كانوا لا يقدرون على العودة إلى سفينتهم قبل حلول الليل ثم عادا إلينا تعبين

ولم يعد لنا عمل إلا مراقبتهم عند عودتهم ، ومفاجأتهم فى الظلام مفاجأة تتركهم تحت رحمتنا . ولقد مضت ساعات على مجىء جمة قبل أن يعود البحارة إلى زورقهم . وكنا نسمع مقدمتهم من بعد يتكلمون مع المؤخرة ، ويحثونهم على المسير ، ونسمع جوابهم وهم يشكون تعبهم وما أصابهم من عرج ، وأنهم لا يمكنهم المسير أسرع من ذلك ، فكانت أخبارهم هذه تنعشنا وتريحنا . وفى نهاية الأمر وصلوا إلى الزورق . ويستحيل أن أصف ماحل بهم من الخبل عند ماراوا زورقهم على الأرض بعد أن تركه الجزر ، ولم يجدوا الرجلين به . وسمعناهم يتكلمون بصوت محزن وهم فى حالة يرثى لها ، ويخبر بعضهم بعضا أنهم نزلوا إلى أرض

مسحورة لا نجاة لهم من هولها . ثم صاحوا كثيرا منادين أخويهم باسميهما ولا مجيب . ولقد رأيناهم مع قلة الضوء فى مثل هذا الموقف يمشون على غير هدى، ويقلبون أكفهم كمن أصابه اليأس ، فكانوا تارة ينزلون إلى الزورق ليستريحوا ، وأخرى ينزلون إلى البر يمشون ، وهكذا لم تستقر لهم حال

وكان رجالى يتوقون إلى قتالهم فى هذا الظلام وينتظرون أمرى ، ولكنى كنت أرى أن أستبقى حياتهم بقدر استطاعتى ، ولا أحب أن أعرض حياة أحد من رفاقى للموت ، وأنا عالم أن أعداءنا مسلحون، فعزمت على الانتظار لأرى هل يتفرقون كى نتبينهم، فاقتربنا منهم وأمرت جمعة والربان أن يزحفا على أيديهما وأرجلهما ملتصقين بقدر ما يستطيعان بالأرض حتى لا يراهما أحد وليتمكنا من الدنو منهم من غير أن يطلقا النار . ولم يستمرا على هذا الموقف طويلا حتى رأيا رئيس الزورق وآخرَيْن يتقدمون نحوهما . وكان هذا الرئيس زعيم الثورة ، وقد ظهرت عليه علامات اليأس والمسكنة والذلة . ولما رأى الربانُ عدوه اللدود قريبا منه، وتحت يديه لم يطق صبرا على إمهاله حتى يقترب منه ليتأكده ، ولم يتحقق منه غير صوته . فلما اقتربوا قليلا وقف الربان وجمعة ، وأطلقا عليهم الرصاص بغتة ، فقتل كبيرهم ، وخر صريعا مجدلا ، وجرح الثانى جرحا بليغا أماته بعد ساعة أو اثنتين ، أما الثالث فقد فر هاربا . وعند سماع صوت الطلقات تقدمت أنا وجيشى ، وكانت جماعتنا حينئذ ثمانية ، وهم أنا وكنت قائد الجماعة، وجمعة وكيلى ، والربان وزميلاه، والثلاثة الأسرى الذين سامحناهم



فلما اقتربوا قليلا وقف الربان وجمعة وأطلقا عليهم الرصاص بغتة

ولما كنا فى ظلام دامس [١] ، ولا يمكنهم أن يعرفوا عددنا جعلت الرجل الذى كان فى الزورق ، واتخذ الآن جانبنا ، يناديهم بأسمائهم محاولا أن أجرهم إلى حديث لعلى أصل معهم إلى اتفاق . وقد نجحنا فى ذلك ، فأن حالتهم كانت تقضى عليهم بالتسليم . فبدأ ينادى أحدهم باسمه فقال « ياتوم سميث » فعرف المدعوّ صوت المنادِى فأجاب سريعا « أأنت روبنسن » ؟ فأجاب نعم أنا هو . وأستحلفك بالله ياتوم سميث أن تلقوا أسلحتكم ، وتسلموا ، وإلا فأن الموت محيط بكم من كل فج . » فقال « لمن نسلم وأين من نسلم لهم ؟ » فقال « هنا ربابنا ، ومعه خمسون رجلا يصيدونكم صيدا . ولقد قتل كبير الزورق ، وجرح وِيل فراى ، وأنا أسير فأن لم تخضعوا وتسلموا فهلاككم مؤكد لا مرية فيه . » فقال « وهل يعفى عنا إذا سلمنا ؟ » فقال سأسأل عن ذلك . » وسأل الربان الذى صاح بنفسه قائلا « ياسميث . أنتم تعرفون صوتى ، فأن ألقيتم أسلحتكم فى الحال ، وخضعتم نجوتم جميعا إلا وِيل أتكنس . »

الفصل السابع والعشرون

ما جرى بين ويل أتكنس والرئيس ، وإنقاذ السفينة
وخروج روبنسن كروسو من الجزيرة

وعند ذلك صاح ويل أتكنس « رحمة بى أيها الربان . ماذا فعلت أكثر من غيرى ؟ فقد كنا فى العصيان سواء . » وقد كذب فى هذا

(١) شديد

فأنه كان أول من قبض على الربان فى الثورة ، وأول من قسا عليه فشد وثاقه وسبه ، فأمره الربان أن يضع سلاحه طوعا وينتظر أمر الحاكم . وكانوا يلقبوننى بهذا اللقب . وهكذا بكلمة واحدة ألقى الجميع أسلحتهم وبدءوا يرجوّن حياتهم ، فأرسلنا الرجل الذى تولى محادثتهم ومعه اثنان فشدوا وثاقهم . وبذلك تم لجيشى الذى ظنوه مؤلفا من خمسين رجلا ، ولم يكن غير ثمانية ، أن يستولى عليهم وعلى زورقهم . ولقد بقيت بعيدا ومعى رجل واحد محافظة على سمعة الحكومة .

وكان أول عمل لنا بعد ذلك إصلاح الزورق ، والتدبر فى أسر السفينة . أما الربان فقد وجد فرصة للتكلم معهم ، فذكر لهم ما كان من خستهم ولؤمهم معه ، وإجرامهم الذى لا بد أن يصل بهم إلى البؤس والشقاء . وربما جرهم إلى الشنق ، فظهر عليهم جميعا الندم ، وبدءوا يطلبون النجاة لأنفسهم ، وهو يقول لهم : « ليس هذا شأنى ، فأنتم لستم أسراى ، ولكنكم أسرى حاكم الجزيرة ، التى ظننتم أنها جرداء مقفرة لا ساكن فيها ولا أنيس ، ولكن قضى ربكم أن تكون آهلة بسكانها . وحاكمها إنجليزى الجنس ، وربما شنقكم جميعا . ولكنه قبل ضيافتكم وقد يرسلكم إلى إنجلترا حيث تنالون القصاص العادل ، إلا أتكنس الذى أمرت أن أطلب منه الاستعداد للموت فسوف يشنق فى الصباح » . ومع أن هذا الكلام كان من لدنى فأنه أثر الأثر المرجوّ منه ، لأن أتكنس خر راكعا يرجونى أن أكون شفيعا له عند الحاكم ليعفو عنه . وتضرع إلىّ الآخرون أن أشفع لهم ألا يرسلوا إلى إنجلترا .

والآن خطر لى أن وقت الخلاص قد حان . وأنه يسهل علينا أن

نستخدم هؤلاء القوم فى امتلا كنا السفينة . ولذلك تنحيت بعيدا عنهم فى الظلام حتى لا يروا شكل حا كمهم ، وناديت الربان إلىّ . وكنت إذا تكلمت أمرت شخصا آخر أن يعيد كلامى للربان . كما لو كنا على مسافة بعيدة . فمثلا يقول للربان إن الحاكم أرسلنى فى طلبك ، فيقول أخبر جنابه أنى حاضر فى إثرك . وبذلك اعتقدوا أن الحاكم لا يزال بعيدا عنهم بجيشه الكبير . ولما حضر إلىّ الربان أطلعته على مشروعى للقبض على السفينة ، فوافق عليه كل الموافقة ، وأعجب به أيما إعجاب ، وعزم على تنفيذه فى الصباح . ولكى ندرك النجاح فى عملنا ونؤديه على الوجه الأتم ، طلبت منه أن نقسم الأسرى قسمين ، فيأخذ هو أتكنس مع اثنين من أردئهم خلقا مكتوفين ويضعهم فى الكهف مع الآخرين ، ويعهد فى حراستهم إلى جمعة والرجلين اللذين أتيا مع الربان . وهكذا نقلوا إلى الكهف كما ينقل السجين إلى سجنه . وكان محلا موحشا لمن كان فى حالتهم . أما أفراد القسم الآخر فقد نقلوا إلى غرفتى — كما كنت أسميها — وقد وصفتها لك وصفا دقيقا فيما سبق . ولما كانت حصينة ، وكانوا مكتوفين لم يكن هناك مجال للخوف منهم ، وخاصة بعد أن عاد إليهم رشدهم

وفى الصباح أرسلت إليهم الربان ليختبرهم لنعلم أيمكن أن نثق بهم فى الذهاب إلى السفينة لمفاجأتها . فبدأ يقص عليهم ما أصابه من الضرر ، والحالة التى هم عليها الآن ، وأفهمهم أن لا بد من التنكيل بهم بعد عودتهم إلى إنجلترا ، ولو أن الحاكم عفا عنهم فى هذه القضية . وأخبرهم بأنهم إذا تطوعوا فى عمل مبرور كخلاص السفينة ، فأنه يمكنه الحصول على وعد من الحاكم بالعفو عنهم . وكل واحد يمكنه أن يتصور كيف أن اقتراحا كهذا

يقابل بالقبول والرضا من قوم فى الحالة التى هم فيها ، فخروا ساجدين متضرعين إلى الربان واعدين إياه أن يكونوا أمناء له حتى يلفظوا الروح ، وأنهم مدينون له بحياتهم ، وسيذهبون تحت قيادته إلى أى جهة يريد ماداموا أحياء . فأجابهم حسنا فعلتم ، ولكن لابد من ذهابى إلى الحاكم لأعرض عليه عهدكم هذا ، ولكى أعمل جهدى فى أخذ وعد منه . وبذلك صور لى الربان حقيقة حالهم التى صاروا إليها ، وأخبرنى أنه يعتقد صدقهم فيما يقولون .

ولنكون فى مأمن طلبت منه أن يعود إليهم ويختار منهم خمسة ويفهمهم أنه ليس فى حاجة إلى الرجال ، وإنما أخذ هؤلاء لمساعدته ، وأن الحاكم سيحتفظ برفيقيكم والثلاثة الآخرين الذين أرسلوا جميعا إلى القلعة كرهائن عنده دليلا على وفائكم .

فأن نكثتم عهدكم فسوف تشنق الرهائن الخمسة على الشاطىء وهذه قسوة أقنعتهم أن الحاكم لم يكن هازلا ، ولم يكن لهم إلا أن يقبلوا طائعين. وهكذا صار شغل الربان والأسرى معا إقناع الخمسة الآخرين أن يؤدوا واجبهم هذا. ولقد وجهنا بعثتنا نحو السفينة مكونة على الصورة الآتية (١) الربان ووكيله والسائح (٢) الأسيران اللذان أسرا من الفرقة الأولى ، وقد أطلقت سراحهما وسلحتهما لحسن شهادة الربان فيهما (٣) الأسيران الآخران اللذان كانا لايزالان فى حجرتى مكتوفين ، وأطلقنا سراحهما عند تأهب الربان للمسير (٤) الخمسة الذين أطلقوا حديثا ، فكانوا جميعاً اثنى عشر ، خلاف خمسة أبقيناهم أسارى فى الكهف كرهائن . ولقد أخبرت الربان أنه إذا كان مستعدا للمخاطرة مع

هؤلاء القوم فى مفاجأة السفينة فليفعل فأنى وجمعة لا يمكننا مرافقتهم تاركين خلفنا سبعة رجال يستنفدون كل مجهودنا فى حراستهم متفرقين وفى إطعامهم .

وقد أبقيت الخمسة الذين كانوا فى الكهف مكتوفين ، وكان جمعة يدخل إليهم فى كل يوم مرتين يمدهم فيهما بما يحتاجون إليه . أما الاثنان الآخران فقد سخرناهما فى حمل المؤونة إلى مسافة بعيدة حيث يتسلمها جمعة منهما .

وحينما ظهرت بنفسى للأسيرين كنت مع الربان الذى عرفهما أنى رسول الحاكم إليهما ، وأنه أمرنى أن أراقبهما وأبلغهما رسالته ، وهى ألا يتحركا من مكان إلى آخر إلا بأذنى ، فأن خالفا أمرى فسوف يقرنان فى الأصفاد فى القلعة . وبذلك أمكننى أن أظهر لهم كشخص آخر غير الحاكم يكلم الناس عنه ، وعن حصونه وقلاعه ، وما شابه ذلك فى كل فرصة .

ولم تكن أمام الربان صعوبات إلا تجهيز الزورقين بالرجال ، وسد الخرق الذى بأحدهما . وقد أقام السائح الذى أتى معه ربانا على أحدهما ، وأعطاه أربعة من الرجال . أما هو ووكيله وخمسة آخرون فقد ذهبوا فى الآخر ، وتم لهم أمرهم ، ووصلوا إلى السفينة فى منتصف الليل حتى إذا ما كانوا على مقربة منها أمر الربانُ روبنسن أن يناديهم ويخبرهم أنهم عائدون بالزورق والرفاق بعد أن أعياهم البحث . وهكذا شغلهم حتى أتينا إلى السفينة ، فكان الربان ووكيله أول من صعدوا إليها بأسلحتهم . وما كادا يصلان حتى قضيا على الوكيل الثانى والنجار بمؤخر بندقيتهما .

وبفضل مؤازرة الرجال لهما تمكنا من غلق نوافذ السفينة العليا . وبذا حبسوا من كان في باطنها حيث هم . وحينئذ تمكن رجال الزورق الآخر من الدخول إلى السفينة من مقدمها ، واستولوا على محل البحارة والممر الموصل إلى المطبخ ، حيث أسروا ثلاثة رجال وجدوهم هناك . ولما تم لهم ذلك ، وأمنوا شر من كان على سطح السفينة أمر الربان وكيله وثلاثة معه أن يدخلوا على الربان الثائر عنوة في مخدعه ، وكان قد تنبه لما هو حاصل ، فتسلح هو ورجلان وصبي ، واستعدوا للطوارئ ، حتى إذا مافتح وكيل الربان بمفتاح مصطنع ، أطلق الربان الثائر ورجاله النار عليه ، فأصابوه برصاصة كسرت ذراعه ، وجرح اثنان من رجاله ، ولكن لم يقتل منهم أحد ، وصاح الوكيل مستغيثا ، ثم هجم على الثائر في مخدعه ولم تمنعه إصابته من إطلاق بندقته عليه ، فأصابه في رأسه ، فدخلت الرصاصة من فمه ، وخرجت من خلف أذنه ، فأرداه قتيلا لم ينبس ببنت شفة . وعلى أثر ذلك سلم الباقي من رجاله وهكذا تم لنا النصر ، وأخذنا السفينة من غير أن نسرف في القتل . وحينئذ أطلق الربان سبعة مدافع وتلك إشارة قد اتفقنا عليها عند ما يتم له استرداد السفينة .

ويمكن القارىء أن يتصور كيف كان وقع خبر الانتصار علي . وكنت قبل ذلك جالسا على الشاطىء أنتظر وقد عيل صبري ، واستمر حالي على ذلك حتى مطلع الفجر . وعندئذ استلقيت على ظهري واستغرقت في النوم بعد يوم كثرت فيه متاعبي . وبقيت نائما حتى أيقظني صوت بندقة فقمت مسرعا فسمعت صوتا يناديني أيها الحاكم وتبينته فإذا هو صوت الربان وهو يتسلق إلى قمة الجبل حيث وقف مشيراً إلى السفينة ،

ثم عانقنى قائلا « أيها الصديق العزيز والمنقذ لى هاك سفينتك. فهى ملكك ، ونحن وكل مافيها لك » وحينئذ نظرت إلى السفينة فوجدتها قد اقتربت من الشاطىء حتى صارت تبعد عنه نصف ميل أو يزيد قليلا. فأنهم عند ما استولوا عليها كان الجو معتدلا فأتوا بها إلى فم الخليج ، وهناك رست والمد مرتفع ، ثم ركب الربان زورقا حتى نزل فى المحل الذى نزلت فيه أولا

وكانت دهشتى عظيمة كدت أنوء تحتها ، فأنى رأيت خلاصى محققا لاراد له ، وكل شىء طوع أمرى ، وسفينة كبيرة تنتظرنى لتحمانى حيث أحب ولقد خارت قواى بداءة ذى بدء من الفرح ، فلم أستطع جوابا . ولولا أنه عانقنى لسقطت على الأرض. وقد أدرك مافعلت بى الدهشة ، فأعطانى شرابا منعشا من زجاجة كان قد أحضرها معه لهذا الغرض ، فشربت ثم جلست على الأرض ، وظننت أنى قد عادت إلىّ قواى ، غير أنى لم أقو على الكلام إلا بعد برهة طويلة . كل هذا والربان فى ذهول لايقل عن ذهولى ، ولكنه لم يفاجأ كما فوجئت ؟ وكان يتلطف ويعطف علىّ بالألفاظ العذبة الرقيقة ليعيدنى سيرتى الأولى . ولكن السرور كان قد أترع قلبى . وترا كمت فى صدرى أمواجه ، فاضطربت روحى له ثم أخذت فى البكاء ماشئت أن أبكى ، ثم عادت إلىّ نفسى بعد قليل فتمكنت من الكلام ، ثم رددت تحيته بأحسن منها ، وعانقته عناقا هو أهله . وتبادلنا السرور وطفقت أقص عليه اعتقادى ، وهو أنه هبط علىّ من السماء ليخلصنى .وأن حياتى كانت سلسلة من الغرائب والمدهشات وأن هذه الوقائع ما كانت إلا براهين ساطعة على قدرة الله ولطفه الخفى

وأنه يخترق الحجب ، فيصل إلى أعماق العالم ، فيرى البائسين والمحتاجين ويرسل الرحمة لهم متى شاءت إرادته . ولم أنس فى دهشتى هذه أن أتجه إلى الله شاكراً له أنعمه على ما أولانا من نعمة الخلاص فقد كان مصدرها ، وإليه يرجع الأمر كله ، وما كان ليائس مثلى أن ينسى شكر الله فى موقف هذا فى ذلك المكان الموحش .

وبعد أن تكلم الربان زمناً أخبرنى أنه قد أتى بشىء من المرطبات مما كان فى السفينة ولم تعبث به يد العابثين الذين اغتصبوا منه النفوذ . وحينئذ صاح بالقوم الذين كانوا فى الزورق أن أحضروا ما للحاكم عندكم . وحقا كانت هديته ثمينة كبيرة ، كأنى كنت سأبقى هنا فى الجزيرة ، وكأنهم لا يأخذوننى معهم ، فأحضروا صندوقاً ملآن بالقوارير المحتوية على شراب منعش فاخر ، وست قوارير من نبيذ « ماديرا » ، ورطلين من التبغ الجيد ، واثنتى عشرة قطعة من اللحم البقرى ، وست قطع من لحم الخنزير ، وكيساً من اللوبيا وقنطاراً من « البسكويت » وصندوقاً من السكر ، وآخر من الدقيق ، وكيساً مملوءاً بالليمون ، وقارورتين ممتلئتين من عصيره ، وأشياء أخرى كثيرة . وفوق ذلك أحضر أشياء كانت عندى أثمن وأغلى كثيراً لشدة نفعها لى ، وهى ستة قمصان جديدة نظيفة ، وستة أربطة للرقبة ، وقفاز ، وحذاء ، وقبعة ، وجورب ، وكسوة جميلة من كُسًى لم يكن يستعملها كثيراً . وحادى القول أنه كسانى من الرأس إلى القدم . وهذا عمل كله حنان ورحمة لا ينكرهما أحد . أما من جهتى أنا فلم يكن أحد أكثر منى بغضاً وأشد كرهاً إلى منظرى هذا وأنا ألبس هذه الثياب لأول مرة . وبعد

فراغنا من هذه الحفاوة ، وبعد أن أدخلنا هديته الطيبة إلى سكنى جلسنا نتشاور فيما يجب عمله بأسرانا ، وهل من الحكمة أن نقدم على حملهم معنا ولا سيما اثنان منهم لا تسهل قيادتهما ، ولا يلبثان أن يعبثا بالنظام . وكان رأى الربان فيهما أنهما فاجران لا يشكران صنيعا ، ولو قدر له أن يحملهما معه فى السفينة فأنهما سيبقيان مكبلين فى الحديد ، ليسلما إلى القضاء في أول ميناء إنجليزى نمر به. ولقد كان مصرا على رأيه هذا فاقترحت عليه أن يترك الأمر لى إذا أراد ، وأنا كفيل بأن أقنعهما بأن يطلبا أن نتركهما فى الجزيرة، فوافق على ذلك مسرورا.

وفى الحال أرسلت جمعة واثنين من الأسرى فى طلب الخمسة الأسرى الذين كانوا فى الكهف مقيدين بسلاسلهم وأغلالهم ، وأخبرتهم أن يذهبوا بهم إلى حجرتى وينتظرونى معهم حتى أحضر . وبعد مدة ذهبت إليهم مرتديا ملابسى الجديدة ، وهناك سميت حاكما مرة أخرى. وتقابلنا جميعا مع الربان ، وأمرت بأحضارهم أمامى ، وأخبرتهم بأن لدى تفاصيل بكل مفاسدهم وشرورهم وعدائهم للربان ، وكيف أنهم هربوا بالسفينة ،وكانوا ينوون أن يدبروا السرقات أخرى ،ولكن الله خيب فألهم ، ورد كيدهم إلى نحرهم، وأفهمتهم أنى أمرت بأخذ السفينة، وأنها الآن راسية فى الطريق وأن ربانهم الجديد قد جوزى على سوء عمله ، وهاهو ذا مصلوب أمام أعينكم على الدقل. أما أنتم فخبرونى بماذا تدفعون عن أنفسكم حكمى عليكم بالموت شنقا بتهمة اللصوصية البحرية التى أُخذتم وأنتم لها فاعلون . وما كانوا يشكون فى أنى على تنفيذ ما أقول قادر ، فأجاب أحدهم نائبا عن الباقين أنهم ليس عندهم مايقولون إلا أن الربان وعدهم أن يستبقى أرواحهم،

وأنهم يتضرعون إلىّ طالبين الرحمة . فقلت لهم «إنى لا أعرف رحمة لكم ، ولا تأخذنى بكم شفقة . وقد عزمت على مغادرة الجزيرة مع رجالى ، وقد أخذت جوازا للسفر إلى إنجلترا مع الربان ، الذى لا يمكنه أن يحملكم إليها إلا سجناء مقرنين فى الأصفاد ، لتحاكموا على عصيانكم وهربكم بالسفينة . وما جزاء من يفعل ذلك إلا الموت . وما كان لى أن أختار لكم ماتصنعون إلا إذا أقررتم أن تبقوا هنا فى الجزيرة ، فإذا أردتم فإنى ميال لمسامحتكم» . فظهر عليهم الرضا وقالوا إنهم يفضلون البقاء على أن يحملوا إلى إنجلترا ليشنقوا .

وعلى ذلك تركت المسألة عند هذه النقطة ، ولكنى لاحظت أن الربان يحاول وضع عراقيل فى سبيلهم ، وكأنه لا يريد أن يتركهم فى الجزيرة غير أنى أظهرت له شيئا من الغضب ، وقلت له إنهم أسراى وحدى ، وليس له من أمرهم شىء ، وبما أنى قد وعدتهم قولا معروفا ومغفرة ، فإنى سأبر بوعدى لهم ، فإذا لم يوافق على تصرفى هذا ، فليسمح لى أن أطلق سراحهم ، وأرد لهم حريتهم ، كما وجدتهم ، فإن من لم يرق فى نظره إطلاقهم فله أن يجدّ فى أثرهم ثانية إذا أمكنه .

وعندئذ ظهرت عليهم علامات الشكر ، فأطلقت سراحهم ، وقلت لهم ارجعوا إلى الغابة كما أتيتم ، وسأترك لكم أسلحة وذخيرة ، وأرشدكم كيف تحيون حياة طيبة إن أحكمتم أمركم . ثم شرعت فى الاستعداد للذهاب إلى السفينة ، ولكنى أخبرت الربان أنى سأمكث الليلة هنا لأهيئ نفسى . ورغبت فى ذهابه إلى السفينة ليعيدها سيرتها الأولى من

نظام وغيره ، وأن يرسل الزورق فى صبيحة الغد إلى ، وأن يصلب الربان الذى قتل على الدقل ليراه هؤلاء الرجال . ولما غاب عنا أرسلت فى طلب القوم ، فلما أتوا ناقشتهم الحساب فى شؤونهم ، وأظهرت لهم موافقتى على اختيارهم البقاء هنا . ولو أبيح للربان أن يحملهم معه للاقوا حتفهم ، ثم أريتهم الربان الثائر مصلوبا ، وقلت لهم : ما كان لكم أن تنتظروا مصيرا خيرا من هذا ، فلما رضوا بالبقاء أخبرتهم أنى سآخذهم إلى مخزنى ، وأريهم كيف ينتفعون به . ثم شرعت أقص عليهم تاريخ الجزيرة وكيف وصلت إليها وأطلعتهم على حصونى وطريقتى فى عمل الخبز وزرع القمح والانتفاع بالعنب . وبالاختصار أرشدتهم إلى كل مايسهل عليهم معيشتهم ، ثم حدثتهم عن الستة عشر أندلسيا الذين كنا ننتظرهم ، والذين تركت لهم خطابا مع هؤلاء الرجال ، وأخذت عليهم الميثاق أن يحسنوا ضيافتهم إذا قدر لهم الوصول إلى هنا ، وتركت لهم أسلحتى التى هى خمس سبطانات وثلاث بنادق للصيد وثلاثة سيوف ، وصندوق ونصف من البارود ، لأنى بعد السنتين الأوليين لم أسرف فى استعماله ، وما استعملت منه إلا القليل . ثم علمتهم طريقتى في تربية المعز وحلبها ، والانتفاع بألبانها . واتخاذ الزبد والجبن منها ، وبالايجاز قصصت عليهم قصتى . ووعدتهم أن أحمل الربان على ترك صندوقين من البارود ، وبعض بذور كنت أسر لو كانت عندى . ثم تركت لهم حقيبة اللوبيا التى كان الربان أحضرها لى وأمرتهم أن يحرصوا عليها كل الحرص فيزرعوها لتربو ويعم نفعها .

وبعد ذلك تركتهم فى اليوم التالى ، واستطيت السفينة ، وأعددنا عدتنا للمسير ، غير أننا قضينا ليلتنا فى مكاننا لم نبرحه . وفى الصباح

فاجأنا اثنان من الخمسة أتيا إلينا سابحين مبكرين يشكوان مر الشكوى من الثلاثة الآخرين، ويتضرعان إلينا أن نحملهما معنا، لأن موتهما محقق لو تركا، واستحلفا الربان أن يرحمهما فيسوقهما ولو إلى الموت العاجل. وعندئذ تظاهر الربان بأن الأمر شورى بيننا، وبعد صعوبات ذللت وعهود أخذت، واستغفار من جانبهما، حملناهما معنا، ثم جلدناهما وعذبناهما عذابا شديدا أصلح حالهما فصارا نافعين. وبعد ذلك بقليل أرسلنا زورقا إلى الشاطئ — وكان المد مرتفعا — يحمل الأشياء التي وعدت الرجال بها مضافا إليها صناديقهم وملابسهم التي أخذوها شاكرين، ثم هدأت خاطرهم بوعدي إياهم أني إذا تمكنت من إرسال سفينة لخلاصهم، فأني سأفعل غير ناس ولا متوان.

وكنت قد حملت معي قبل مغادرة الجزيرة قبعتي، وكانت من جلد المعز، ومظلتي، وببغائي، تذكارا لحياتي بهذه الجزيرة. ولم أنس النقود التي مر ذكرها، وبقيت بجانبي معطلة، وقد علاها الصدأ، حتى إن العين لتنكرها إذا رأتها، وكذلك كانت النقود التي وجدتها في السفينة الأسبانية. وهكذا غادرت الجزيرة في اليوم التاسع عشر من ديسمبر سنة ١٦٨٦ كما حققت ذلك في تقويم السفينة، بعد أن مكثت بها ثمانية وعشرين عاما وشهرين وتسعة عشر يوما. وكان خلاصي من أسري في المرة الثانية موافقا لليوم الذي هربت فيه أول مرة في الزورق من مغاربة « سالى »

ولقد وصلت على السفينة إلى إنجلترا بعد سياحة طويلة في اليوم الحادي عشر من شهر يونيه سنة ١٦٨٧ بعد أن غبت عنها خمسا وثلاثين

سنة . وكنت بعد أوبتى إلى بلادى غريبا ينكرنى كل إنسان ، كأنى لم أكن بينهم ، ولا معروفا لديهم . ووجدت تلك المرأة المحسنة الطيبة القلب المخلصة لى لاتزال حية ، وكنت أمنتها على أموالى ، ولكن سوء الطالع قد لازمها فثكلت زوجين وساءت حالتها ، فطمأنت قلبها وأبرأت ذمتها من الدين الذى لى عندها ، وأكدت لها أن لا حرج عليها من هذه الجهة ، ومددت لها يد المساعدة بقدر ماسمحت به حالى — وكانت لا تسمح بمساعدة كبيرة — اعترافا لها بجميلها وأمانتها فيما مضى ، وأكدت لها أنى لن أنساها ، ولن أنكر عليها شفقتها نحوى كلما وجدت إلى مساعدتها سبيلا ، كما سترى ذلك بعد

الفصل الثامن والعشرون

ذهاب روبنسن كروسو إلى لشبونة ومقابلة الرئيس البرتغالى وذهابه من هناك الى انجلترا براً

وبعد هذا سافرت إلى «يوركشير» ، فوجدت والدىّ قد قضيا نحبهما وانقرضت أسرتى إلا أختين وطفلين لأخ . وقد اعتبرت ميتا من زمن بعيد ، ففقدت كل شىء من متاع الدنيا ، ولم أجد ما أسد به رمقى أو أستعين به على معيشتى . وذلك المبلغ الصغير الذى معى لم يكن ليقوم بحاجتى فى هذه الحياة الدنيا . ومع ذلك قد أسدى إلى معروف لم أكن أنتظره . وذلك أن ربان السفينة الذى نجيته ، وأنقذت سفينته وما بها من متاع ، قص على أصحابها ما كان من أمرى معه ، وكيف خلصته هو

ورجاله والسفينة ، فدعونى هم وبعض التجار لمقابلتهم فأجزلوا لى الشكر وكافئونى بما يزيد على مائتين من الجنيهات .

وبعد تفكير طويل فى حالتى وما سيؤول إليه أمرى بعد هذه الهبة الضئيلة التى تقصر عن سد حاجتى عزمت على السفر إلى لشبونة على أجد طريقة أعرف بها ما آلت إليه مزرعتى فى البرازيل ، وما حل بشريكى . وعندى ما يحملنى على الظن أنه عدنى من الهالكين من زمن بعيد . ولهذا الغرض قصدت لشبونة فوصلتها فى إبريل وكان جمعة يرافقنى أينما ذهبت ، وقد أخلص لى الود . ولما حللت بها وجدت بعد البحث صديقى القديم ربان السفينة الذى سافرت معه من إفريقية ، وكان قد علاه المشيب وصار كهلا ، واعتزل الملاحة تاركا سفينته لابنه الذى جاوز سن الشباب وصار شيخا . وكان لا يزال يتجر مع البرازيل . ولم يعرفنى ذلك الصديق ، وما كدت أعرفه ، ولكن سرعان ما تذكرته وأعدت ذكراى إلى ذهنه بعد أن أعلمته بنفسى .

وبعد أن قضينا لبانة الشوق القديم سألته عما يعرف من أمر مزرعتى وشريكى ، فأخبرنى أنه لم يذهب إلى البرازيل من نحو تسع سنين ، ولكنه متثبت أن شريكى كان حيا عند ما تركها آخر مرة ، وكان الوكيلان اللذان أشركتهما معه لحراسة نصيبى قد وريا فى التراب . وأعلمنى أن فى استطاعتى الحصول على المعلومات الكافية عما تم فى مزرعتى من تحسين وإصلاح . وذلك أن الوكيلين قد سلما بموتى غرقا كما أشيع ، فأعطيا ما يخصنى منها إلى بيت المال الذى تملكها ظانا أنى لن أعود فأطلبها ، فجعل الثلث للملك والثلثين لدير « سان أوجستين » ليصرف ريعهما على الفقراء ، وجعل

الهنود على اعتناق الكاثوليكية . فأذا ماظهرت أو ظهر لى وارث تردإليه إلا ماصرف من ريعها فى الأعمال الخيرية أو إصلاحها . وأكد لى أن وكيل الدخل الملكى [1] من الأرض،ووكيل الدير يحاسبان شريكى حسابا عسيرا ، ليعرفا مقدار ماتنتج المزرعة معرفة تامة ، ليأخذا نصيبى وهو النصف فسألته أيعلم مقدار التقدم فى مزرعتى ؟ وهل هى فى حاجة إلى عنايتى ؟ وهل تعترضنى عقبات إذا ذهبت إليها وأخذت أطالب بنصيبى فيها ؟ فأجابنى بأنه لا يعرف بالضبط مقدار التقدم الذى حصل فيها،ولكنه يعرف أن شريكى أصبح ذا ثراء عظيم بتثمير نصف المزرعة فقط ، وأنه يتذكر جيداً أنه سمع أن ثلث نصيبى الذى اختص به الملك ، والذى منحه ديرا أو أحد الملاجىء الدينية يبلغ دخله السنوى أكثر من مائتين من الجنيهات البرتغالية ، وأنه لانزاع فى رد حقى إلىّ ، فأن شريكى لايزال حيا يشهد لى ، ولا يزال اسمى مسجلا فى سجلات المملكة ، وإن أعقاب الوكيلين أناس أمناء مخلصون وذوو يسار . وأنه على ثقة بأنى سأفوز منهم بالمساعدة على نيل حقى كاملا . وفوق ذلك سأجد عندهم مبلغا وفيرا من النقود متجمعا مما خصنى من حاصلات مزرعتى مدة كان أبواهم وكيلين لى قبل أن تستولى الحكومة عليها كما مر . وتقدر تلك المدة بنحو اثنتى عشرة سنة كما يتذكر .

وعند ذلك لم أظهر اهتماما ولا قلقا . ثم سألته كيف جاز للوكيلين أن يتصرفا فى ملكى مع العلم بأنى كتبت وصيتى فجعلت الربان البرتغالى

---

(١) الدخل الملكى الجزء الذى يخص الملك

وارثي الوحيد ؟ فأجاب بأن ذلك صحيح ، ولكن لم يقم برهان على موتي فلم يكن في استطاعته أن ينفذ وصيتي حتى يتثبت من موتي . أضف إلى ذلك أنه ما كان ليرغب في التدخل في شيء يبعد عنه هذا البعد الشاسع. نعم إنه سجل وصيتي وحفظ حقه، وإنه لو أخبر بحياتي أو موتي لقام مقامي ووضع يده على مصنع السكر ، وأمر ابنه الذي بالبرازيل الآن أن ينفذ ذلك ، ثم أردف بيانه هذا بقوله سأفضي إليك بسر قد لا يسرك ، وذلك أني اعتقدت بموتك كما اعتقد جميع الناس، فعرض على شريكك والوكيلان من قبلك نصيبك في مدة الست السنوات الأولى أو الثمانية فقبلته ، غير أنه في تلك المدة لم يكن نصيبك يبلغ ما صار إليه بعد، لسبب ما أنفق على المباني والتجديدات وشراء العبيد ، ومع ذلك سأعطيك بيانا تاما بمالك في ذمتي وكيف تصرفت فيه

وبعد أن قضيت بضعة أيام في الحديث مع ذلك الصديق القديم قدم لي حساب الدخل في الست السنين الأولى موقعا عليه من شريكي والوكلاء التجار، لأنه كان يستولي عليه عينا، فيأخذ من لفائف التبغ والسكر والدبس وبعض المشروبات مما ينتج معمل السكر . ولدى فحصي عن الحساب ألفيت الدخل يزداد سنة بعد أخرى ، ولكن لكثرة النفقات في المبدأ كان صافي الدخل عند ذلك قليلا. وقد أراني ذلك الشيخ الأمين أنه كان لي في ذمته أربعمائة وسبعون ليرة برتغالية ، وستون صندوقا من السكر ، وخمس عشرة كفيفة مزدوجة من التبغ ، فقدت في سفينته

عند انكسارها وهى عائدة إلى لشبونة، وذلك بعد سفرى بنحو إحدى عشرة سنة .

وقد ابتدأ ذلك الرجل الطاهر القلب النقى السريرة يشكو سوء حظه، ويندب نحس طالعه، ويذكر لى أنه اضطر إلى الانتفاع بأموالى ليقوم من سقطته ويقيل نفسه من عثاره، فقد اشترى حصة فى سفينة جديدة، ثم قال لى بعد ذلك « مهما يكن من شىء ياصديقى العزيز فلن أدعك تحتاج إلى نقود، وعند عودة ولدى من سياحته ستنال كل ما تريد» - ثم أخرج صرة عتيقة، وأعطانى منها مائة وستين ليرة برتغالية ذهبا ثم أعطانى عقدا بقيمة مايستحقه هو وولده من الأسهم فى سفينة كانا بنه قد سافر فيها إلى البرازيل . وكان لكل منهما ربعها، وجعل ذلك رهنا بيدى على المبلغ الذى بقى لى عنده .

فأثرت فىّ أمانة ذلك الرجل ومعروفه حتى لم أطق صبرا على ذلك . ولما تذكرت إحسانه إلىّ حين قبلنى فى سفينته، وكيف أخلص لى الود فى تلك المدة ما كدت أتمالك نفسى من البكاء عند ماسمعت حديثه معى . فسألته لأعرف أ كان المبلغ الذى دفعه لى يوقعه فى شدة وضيق ؟ فأجابنى بأنه لايقدر أن يقول غير أن المبلغ يضايقه قليلا، ولكنه أردف ذلك بأن المال لى، وربما كنت محتاجا إليه أكثر منه .

وقد كان كل حديثه معى ممتلئا بشعور الوداد والإخلاص حتى غلبنى البكاء فبكيت محبة وحنواً عليه، ولذلك أخذت من المبلغ الذى أعطانيه مائة ليرة فقط، وأعطيته الباقى، وكتبت له صكا بما أخذت منه، ووعدته برد الباقى إذا حصلت على أملاكى، وقد فعلت ذلك فيما بعد .

وأما عقد السفينة الذى أراد دفعه لى كرهن لدينه ، فقد أبيت أخذه ، لأن ماطبع عليه من الوفاء والأمانة سيحمله على دفع ما أطلب منه بدون احتياج إلى حفظ رهن عندى . وإذا لم أحتج إلى المال ، بأن استوليت على عقارى الذى جعل لى أملا فى الحصول عليه ، فلن آخذ منه درهما واحدا .

وبعد الانتهاء مما تقدم عرض على ذلك الشيخ الأمين طريقة أصل بها إلى أملاكى ، فأخبرته بأنى أردت الذهاب إليها بنفسى . فأجاب بأن لى أن أفعل ذلك إذا أردت ، وأن هناك طريقة يمكن بها الحصول على حقى ، والاستيلاء على مايخصنى من الأرباح إذا آثرت البقاء . ولما كان فى ميناء لشبونة سفن على أهبة الرحيل إلى البرازيل أشار علىّ أن أقيد اسمى فى سجل الحكومة مع شهادته بكونى باقيا فى الحياة ، وأنى أنا الرجل الذى اشترى الأرض لزرعها والعناية بها . وبعد أن قام بالعمل مسجل الحكومة أرشدنى رفيقى أن أرسل الأوراق مع مكتوب بخطه إلى تاجر يعرفه فى البرازيل ، وأن أبقى عنده فى انتظار الجواب .

ولم يكن شىء أشرف مما أجريت به تلك الوكالة ، لأنه فى أقل من سبعة أشهر جاءتنى رزمة كبيرة ممن بقى من وكلائى الذين سافرت تلك السفرة المشئومة من أجلهم .

وكانت تلك الرزمة تحتوى على التفاصيل الآتية :

أولا — قائمة بالحساب الجارى لحاصلات مزرعتى من السنة التى قدموا حسابها للرئيس البرتغالى ، أعنى من ست سنين ، فكان حقى بعد جميع النفقات ١٧٤ر١ ليرة برتغالية

ثانيا ـ قائمة بحساب أربع سنين أخرى عند ما كانوا مستولين على الأملاك ، قبل أن تدعى الحكومة الاستيلاء عليها بناء على أنها تركة شخص مفقود ، وكانوا يسمون ذلك موتا مدنيا . وقد كان صافى ذلك بعد المصروفات نحو ٣٫٢٤١ ليرة برتغالية ، لأن قيمة المزرعة كانت قد ارتفعت كثيرا .

ثالثا ـ قائمة بحساب رئيس دير سان أوجستين ، وكان قد استولى على مايخصه من الدخل أكثر من أربع عشرة سنة . ولما كان قد صرف كثيرا منه فى وجوه البر والإحسان لم يكن ملزما برده إلىّ ، ولكنه أقر بما كان باقيا فى يده بأمانة وإخلاص ، وقدّره بنحو ٨٧٢ ليرة برتغالية وأخبرنى بأن المبلغ تحت يده وهو ينتظر أمرى فيه . وأما سهم [1] الملك فلم أحصل منه على نتيجة ما .

وقد وصلتنى رسالة من شريكى يهنئنى فيها بسلامة الأوبة ، وكانت كلها حنوا وشفقة . وقد شرح لى فيها تقدم المزرعة ، وما تنتجه كل عام ومقدار مابها من الأفدنة ، والأنواع التى تزرع بها ، وعدد العبيد الذين كانوا يشتغلون فيها . وبعد أن بارك لى فى كتابه أخبرنى بأنه قام بالشكر لله سبحانه على ماأولانيه من النجاة . وألح علىّ فى الحضور لتسلم مايخصنى ، أو إرشاده إلى من أريد ليرسل إليه حقى من نتاج الأرض . وأرسل لى هدية ثمينة تقبلتها بقبول حسن ، وهى خمسة جلود جميلة من جلود النمور كانت مرسلة إليه من إفريقية فى سفينة وفقت فى سفرتها ، وخمسة

---

(١) سهم الملك حصته ونصيبه

صناديق ممتلئة بأنواع مختلفة من أطيب الحلوى ، وخمسون قطعة ذهبا أقل حجما من الليرة . وكذلك أرسل لى وكلائى مع السفن ألفا ومئتى صندوق من السكر ، وثمانمائة حزمة من التبغ ، وباقى الحساب ذهبا

ويمكننى الآن أن أقول إن نهاية أمرى كانت أجمل من بدايته ، ويصعب على بيانى أن يصف لك حقيقة ما كنت أشعر به من السرور حين قرأت تلك الكتب ، ووجدت ثروتى بجانبى ، لأن سفن البرازيل كانت تأتى معا ، فوصلت سلعى آمنة إلى النهر قبل أن تصلنى الرسائل . ولا أطيل عليك القول فقد تغير وجهى ، وحال لونه إلى الصفرة الفاقعة وخررت مغشيا علىّ . ولولا ما بذله ذلك الرجل الطيب القلب من إحضار منبه استنشقته لتغلبت سورة الفرح المفاجئ على الطبيعة ، وقضيت نحبى فى المكان عينه .

وقد استمر المرض ساعات عدة حتى جاء الطبيب . فلما أُخبر بطبيعة المرض وكيف نشأ فصدنى فسال الدم ، فأحسست راحة . وإنى أعتقد يقينا أنه لو لم يتداركنى الله بهذه الوسيلة لفارقت الحياة .

أصبحت الآن أملك نقودا أكثر من ٥٠٠٠ جنيه إنجليزى ، وضيعة فى البرازيل يزيد دخلها سنويا على ألف جنيه إنجليزى ، وكانت أرضها خصبة لا خوف عليها كأى مزرعة بإنجلترا وقصارى القول أنى أصبحت فى حال لم أقدر نعيمها حق قدره ، ولم أدر كيف أهدأ لأتمتع بخيراتها ولذاتها :

وكان أول ما فعلته أن أحسنت إلى ذلك الربان البرتغالى الذى أحسن

إلىّ فى بدء حياتى ، وكان عونا لى على الشدائد شفيقا فى البداية ، أمينا فى النهاية ، فأريته كل ماوصانى ، وأخبرته أن ذلك كله كان بحسن رعايته ، وعناية الله الذى يدبر الأمور جميعها ، وأنه ينبغى لى أن أكافئه بسخاء عظيم ، فأرجعت له المائة التى أخذتها منه ، وأحضرت مسجلا من رجال الحكومة ، وكلفته أن يكتب صك إبراء عام مسقط لكل ما كان لى عليه ، وهو أربعمائة وسبعون ليرة برتغالية . وبعد هذا جعلته وكيلا عنى فى تسلم حاصلات ضيعتى ، وكلفت شريكى أن يرسل إليه الحساب ، ويبعث له باسمى ما أستحقه من نتاج الأرض مع السفن التى تأتى من البرازيل . وقد جعلت له فى ذيل العقد مائة ليرة برتغالية يأخذها كل سنة هبة منى مادام حيا ، ويستولى عليها من ثمن مايرسل إليه من شريكى ، وخصصت ابنه بخمسين ليرة برتغالية يأخذها بعد موت أبيه مدة حياته . وهكذا كافأت ذلك الرجل الهرم على ما أسلف معى من معروف

وقد بقى علىّ الآن أن أعرف إلى أى جهة أتوجه ؟ وماذا أصنع بالأموال التى وصلت إلى يدى بتقدير العزيز الحكيم ؟ وأصبحت ذا مشاغل وهموم أكثر مما كنت فى تلك الجزيرة البعيدة التى لا أنيس فيها غير وحدتى ، فلم أكن لأحتاج هناك إلى غير ما فى حوزتى : ولا أجد غير ما كنت فى حاجة إليه ، أما الآن فقد صرت ذا مال ، وكان علىّ أن أدبر شئونه ، ولم أجد الآن مغارة أضع فيها دراهمى ، أو مكانا أخبئها فيه بلا مفتاح ولا قفل إلى أن يعلوها العفن ، وليس هناك من يمسها بأذى ، بل أصبحت فى حيرة من أمرى لا أعلم أين أضعها ولا من يتسلمها منى ؟ وإنى لم أجد لى ملجأ

غير الربان الذى كان أمينا مخلصا ، وكانت عندى أعمال بالبرازيل تستدعى ذهابى إليها ، ولكننى لم أكن قادرا على السفر قبل أن أدبر أمرى وأضع أموالى فى يد أمينة تحافظ عليها فى غيبتى ، ففكرت فى صديقتى الأرملة التى كانت أمينة كما عهدتها ، ولكنها كانت قد كبرت وصارت رقيقة الحال ، وقد تكون مدينة فلم أجد لى مفرا من الذهاب إلى إنجلترا مستصحبا معى أموالى .

وقد مضت علىّ شهور عدة قبل أن أعزم عزما صادقا على ذلك ، وبعد أن كافأت الربان واطمأن لما صنعت معه ، فكرت فى تلك الأرملة التى كان زوجها المحسن الأولَ إلىّ ، وكانت هى صادقة المشورة طيبة القلب أمينة ، فكلفت تاجرا فى لشبونة فكتب إلى عميل له فى لندن ، فذهب إليها بنفسه ودفع لها مائة ليرة ، وسلاها عن همومها ، ووعدها بأنى مادمت حيا سأتذكرها وأرسل إليها ما أقدر عليه ، وقد أرسلت لكل من أختىّ مائة ليرة وإن لم تكونا فى احتياج إلى المساعدة ، ولكنى واسيتهما بذلك لأن إحداهما كانت أرملة وكانت الأخرى مع بعلها إلا أنه كان غير مهتم بشئونها كما يجب . ولم أجد بين من أعرفهم من أقاربى وأصدقائى من أركن إليه لأضع عنده الأموال وأذهب إلى البرازيل وأنا آمن عليها ، وكان ذلك يزعجنى كثيراً ،

وقد فكرت مرة فى الذهاب إلى البرازيل والسكن بها ، ولكن كان وسواس دينى يعترض ذلك فكنت حين أفكر فى أنى سأحيا وأموت هنا معتنقا المذهب البابوى آسف على سالف مدتى التى أقمتها هناك متبعا تعاليم ذلك المذهب ، لأنه ليس أحسن مذهب يأتى المرء به ربه.

ولا أطيل عليك فلم تكن الديانة بمانعة لى الآن من الذهاب إلى البرازيل، ولكنى كنت فى حيرة من أمرى لا أدرى أين أضع أموالى فى مأمن أطمئن عليها فيه ، فعولت على الذهاب بها إلى إنجلترا حيث اعتقدت بأنى سأجد بعض الأصدقاء أو الأقارب الذين سيكونون أمناء مخلصين لى . وعلى ذلك رتبت أمتعتى للذهاب إلى إنجلترا .

وقبل بدء الرحلة إلى بلادى كتبت رسائل ردا على الأخبار السارة التى وصلتنى من البرازيل فحررت إلى رهبان دير « سان أوجستين » كتابا أشكر لهم فيه حسن تصرفهم وأمانتهم وإقرارهم بما بقى فى ذمتهم لى من النقود وهو ٨٧٢ ليرة ،وطلبت إليهم أن يأخذوا للدير ٥٠٠ ليرة ، ويعطوا الفقراء والمحتاجين ما بقى، وفوضت إليهم أمر قسمته بينهم ، ورغبت إليهم فى الدعاء لى ، وقد كتبت لوكلائى كتابا يفيض شكرا وثناء على تلك الاستقامة والدقة فى تصريف الأشياء ، ولم أرسل إليهم شيئا من الهدايا لفرط غناهم .وكذلك حررت لشريكى مكتوبا أرسلته إليه مثنيا على همته ومروءته،واستقامته وجده ،فى إنجاح عمله وتحسين المزرعة ، وطلبت إليه أن يرسل كل ما أستحقه من غلة مايخصنى إلى ذلك الصديق القديم وينتظر منى تفصيلا آخر عن كل ما أريده،وأكدت له ميلى إلى الاقامة معه ما بقى من حياتى، وأرسلت إليه بهدية ثمينة من الحرير لزوجه وابتعت لابنتيه قطعتين من أحسن ماوجد من الجوخ الانجليزى ، وخمس قطع من الصوف الأسود،وبعض قطع مزركشة باليد من أبدع ماوجدت . وبعد الانتهاء من أشغالى وبيع سلعى وأخذ ثمنها أوراقا مالية صادفت صعوبة أخرى، وهى الطريق التى أسلك للذهاب إلى إنجلترا ، فبقيت مترددا بين البر

والبحر ، ولا أدرى سببا لبغضى ركوب البحر وخوفى منه ، فقد عدلت عن ركوب السفن إلى إنجلترا بعد أن أرسلت حقائبى إليها ثلاث مرات .

وربما كان السبب فى ذلك الكره هو جدى العاثر إذ لم أوفق فى حياتى البحرية ، ولا ينبغى للمرء أن يستهين بالبواعث الباطنية القوية فى حال مهمة كهذه، فأن سفينتين من تلك السفن التى عزمت على السفر فيها واتخذت الأهبة له قد وقعتا فى المصائب والأهوال الجمة . أما إحداهما فأخذها الجزائريون أسيرة ، وأما ثانيتهما فضلت الطريق، وغرقت عند نُور بى، وفقد كل من كان فيها إلا ثلاثة أشخاص، ولو سافرت فى إحداهما لوقعت لامحالة فى خطر لاقدرة لى على تحمله .ولما كنت فى حيرة من أمرى مضطرب الفكر كان مرشدى الذى أكشف له كل أمورى، وأطلعه على جميع أسرارى، يحذرنى السفر بحرا وقد أشار علىَّ بأحد أمرين، أحدهما أن أذهب برا إلى «جرُونْ »،وأجتاز خليج بسكى الى « رُتشل » ومن هناك أسافر براً إلى باريس، وقد كان هذا الطريق آمناً ، ومن هناك أذهب إلى « كاليه » ، وأعبر البحر إلى دوڤر، وثانيهما أن أذهب إلى «مدريد» وأسافر كل الطريق براً مجتازا فرنسا . ولما كنت كارها ركوب البحر ماعدا المسافة بين كاليه ودوڤر عزمت على قطع الطريق كله برا ولم أهتم بصعوبة السفر ولا بطول المسافة وكثرة النفقات،ولكى أكون مرتاحا فى سفرى بحث لى صديقى الربان عن رفقة يصاحبوننى، فوفق إلى رجل إنجليزى كان أبوه تاجرا فى اشبونة، واتفق معه أن يصحبنى فى سفرى، ثم وجدنا بعد ذلك تاجرين

إنجليزيين، وشابين برتغاليين، أرادوا أن يكونوا معنا، غير أن وجهة الشابين كانت باريس. وهكذا كان عددنا ستة رجال وخمسة من الخدم، وقد كان مع التاجرين خادم واحد. وكذلك الشابان. أما أنا فأنى استخدمت بحريا إنجليزيا ليسافر معى خادما، وكان معى خادمى الأمين جمعة الذى ما كان يغنينى عن خادم آخر فى تلك البلاد الغريبة عنه. وعلى ذلك تركنا لشبونة وكان كل فرد من رفقتى راكبا جوادا، مسلحا بأحدث الأسلحة، فكونا عسكرا صغيرا كنت أدعى قائده، لأنى أكبر الأعضاء سنا، وأكثرهم خدما، وأول من فكر فى ذلك السفر. وإذ قد أزعجتك فقصصت عليك نبأ رحلتى البحرية لا ينبغى لى أن أهمل ذكر ما قاسيناه فى تلك السفرة الشاقة المملة.

ولما وصلنا إلى مدريد وكنا جميعا غرباء عنها، أحببنا أن نقيم بها قليلا لنرى ديوان إسبانيا وما يستحق الرؤية والمشاهدة من آثارها، ولكننا اضطررنا إلى مبارحتها سريعا، لأن فصل الصيف قد أذن بالرحيل، فخرجنا منها فى منتصف أكتوبر. ولما وصلنا إلى حدود «ناڤار» أزعجتنا الأنباء التى سمعناها من المدن التى مررنا عليها فى طريقنا لأننا أخبرنا أن الثلج يتساقط بكثرة على جانب الجبال الفرنسية حتى اضطر كثير من السائحين أن يعودوا إلى «بَمْبلونا» بعد أن حاولوا كثيرا أن يجتازوا العقبات ويستمروا فى سبيلهم. ولما وصلنا الى بَمْبلونا وجدنا الأخبار التى سمعناها صادقة، وألفيت الجو باردا جدا لدرجة يصعب على من أقام مثلى فى جوّ حار قلما يحتاج فيه إلى ملابس أن يتحمله. وقد كان هذا الانتقال مذهلا موجعا لأننا فى مدة عشرة أيام فقط انتقلنا من مكان كان هواؤه

حارا الى آخر أحسسنا فيه ريحا باردة حادة جدا لاتطاق، وكانت تلك الريح آتية من جبال « بِرِينْيا» حتى كنا نخشى أن تتناثر أصابع أيدينا ونشعر أن أرجلنا ميتة من كثرة تخدرها من شدة الصقيع . وقد كان جمعة المسكين مذعورا حين رأى الجبال مغطاة بالثلوج ، وقد تأثر من شدة البرد الذى لم يشعر بمثله فى حياته .

ولما وصلنا إلى بَبلونا اشتد هطل الثلوج وبقيت فى اشتدادها مدة طويلة حتى قال الناس إن الشتاء أقبل قبل ميعاده ، وأصبحت الطرقات التى كان اجتيازها صعبا مسدودة لايمكن سلوكها، لأن الثلج كان فى بعض الأماكن كثيرا جدا لايمكن السير عليه بدون أن نعرض أنفسنا لشدة البرد وخطر أن ندفن فيه أحياء فى كل خطوة نخطوها. وقد مكثنا نحو عشرين يوما فى بَبلونا علمت أثناءها أن فصل الشتاء كان مقبلا، ولم يكن هناك أمل فى اعتدال الجو، لأن ذلك الفصل كان أقسى فصول الشتاء التى مرت بأوربا، ولم يكن فى ذاكرة أى أنسان فصل مثله، فرأيت أن نذهب جميعا الى « فُنْتارابْيا» ومن هناك نسافر فى إحدى السفن الى بُرْدِيَكس. وهذه سفرة قصيرة جدا

وبينما كنت أفكر فى ذلك إذ بأربعة رجال فرنسيين قد جاءوا إلى بَبلونا، وكانوا قد أوقفوا على جانب فرنسا كما أوقفنا نحن على جانب إسبانيا فوفقوا إلى دليل حاذق قطع بهم البلاد بالقرب من رأس «لَنجُوِيدُك » فى طرق جبلية لم يتعبهم فيها الثلج كثيرا، لأنهم كانوا إذا وصلوا إلى موضع فيه ثلج كثير يسيرون عليه بخيلهم لجموده جمودا يكفى لحملهم وخيلهم، فلما أحضرنا ذلك الدليل تعهد بأن يذهب بنا فى الطريق

نفسه بدون أن يصيبنا ضرر من الثلوج، غير أنه اشترط علينا أن نكون مسلحين جيدا لندفع عن أنفسنا شر الوحوش الضارية ، لأنه أخبرنا أن كثيرا من الذئاب يظهر عند ممر الطرق فى الجبال ليبحث عن طعام له حين يغطى الثلج أرض تلك النواحى، فأجبناه بأن لا خطر علينا من تلك السباع الوحشية إذا ضمن لنا شر ذلك النوع ، ذى القائمتين من الذئاب، وهو الذى سمعنا كثيرا أنه يهدد الطرق الجبلية من جهة فرنسا، لأن خطره أعظم وأشد، فأخبرنا بأن لا خطر علينا من ذلك فى الطريق التى يريد أن يذهب بنا فيها. وعلى ذلك تم بيننا الاتفاق، وانضم إلينا أيضا اثناعشر رجلا بخدمهم وكان بعضهم فرنسيين ، والآخر إسبانيين ، وقد حاولوا اجتياز الطرق فاضطروا أن يرجعوا القهقرى .

فسافرنا جميعا من بَمْبلونا مع ذلك المرشد فى الخامس عشر من نوفبر ، وأخذ منى العجب مأخذه حين رأيت الدليل يرجع بنا إلى الوراء في نفس الطريق التى جئنا بهـا من مدريد ، وقد سار بنا نحو عشرين ميلا عبرنا أثناءها نهرين، ثم وصلنا إلى السهول حيث وجدنا أنفسنا فى بلاد حارة حسنة الجو خالية من الثلوج ، ولـكن الدليل دار بنا إلى اليسار بغتة دورة دنونا بها من الجبال من ناحية أخرى . وقد كان منظر الجبال والأودية مخيفا هائلا، ولـكننا قطعناها بأرشاد ذلك الدليل الحاذق الذى سافر كثيرا فى تلك الشّعاب [1] واجتزناها فى طرق معوجة . فتجنبنا بذلك خطر الثلوج

---

(١) الشعاب جمع شِعب وهو الطريق فى الجبل

وبينما كنا سائرين أرانا المرشد بغتة قطيعتى لَنْجُوِيدُك وجِسْكُنِي الخصبتين النضيرتين، ولكنهما كانتا لا تزالان بعيدتين عنا، وكانت الطريق التى بيننا وبينهما خشنة وعرة شاقة، وقد اضطربنا قليلا عند ما شاهدنا الثلج يسقط بكثرة يوما كاملا حتى عجزنا عن السير. ولكن الدليل أمرنا بأن نكون مرتاحى البال، وأخبرنا بأن ذلك كله سيزول بعد قليل، ثم ابتدأنا ننحدر كل يوم ونتقدم شمالا أكثر مما مضى. وهكذا سرنا معتمدين بعد الله على مرشدنا.

الفصل التاسع والعشرون

مقابلة جمعة دبا، وخروج الذئاب على روبنسن كروسو ورفاقه

وزواج روبنسن كرسو بعد رجوعه الى انجلترا

وقبل مغيب الشمس بساعتين كان دليلنا قد سبقنا قليلا حتى غاب عن مرأى العين، فخرج بغتة من واد عميق متصل بأجمة كثيفة ثلاثة ذئاب كبيرة وتبعها دب كاسر، فانقض ذئبان منها على الدليل الذى لم ينجه من الموت بأنيابهما غير قرب المسافة بيننا وبينه، إذ أمسك أحدهما بفرسه ودهمه الآخر مفاجئا حتى لم تكن له فرصة ليهيئ نفسه للدفاع عن حياته، فكان يستغيث ويصرخ بكل ما أوتى من قوة. فأمرت خادمى جمعة أن يركض بفرسه ليرى ما حل به، فلما قرب منه نادى بأعلى صوته « سيدى. سيدى » ولم يجبن بل تقدم بكل جرأة، ورمى الذئب الذى كان يهاجم الدليل فى رأسه، فخر مجدلا مضرجا بدمائه.

وقد كان الدليل ذا جد سعيد لأن جمعة كان المتقدم لنجدته ، وهو خبير بطباع تلك الوحوش فلم يخفها ، بل تقدم وصوب رصاصته إليها. ولوكان غيره الذى سعى لأنقاذه لأجفل من الذئب ورماه بعيدا عنه فربما أخطأه وأصاب الرجل .

وكان ماحدث كافيا أن يَرْعَب(1) من هو أشجع منى قلبا . ويقينا حل الرعب فى قلوب الجميع حين سمعنا عند إطلاق الرصاص عواء الذئاب على جانبى الطريق. وكانت أصواتها تتضاعف ويشتد صداها لعلو الجبال، فظننا أنه يوجد منها الجم الغفير . وحقا كان عددها غير قليل فلم نكن آمنين منها على أنفسنا. ولما أطلق جمعة الرصاص على أحد الذئبين فزع الذئب الذى كان ممسكا بالفرس ، وفر موليا الأدبار لا يلوى على شيء ، ولم يحدث بالجواد ضررا لان أنيابه تعلقت بحلقات اللجام . وأما الرجل فقد تألم كثيرا إذ عضه الذئب عضتين مؤلمتين إحداهما فى ذراعه، والأخرى فوق ركبته . وقد كاد يسقط لولا أن أغاثه جمعة بقتل الذئب . ولما سمعنا صوت الرصاص يدوى فى الأرجاء أسرعنا بخيلنا لنرى حقيقة الأمر .ولما فَصَلْنا من الأشجار التى كانت تحجبنا عن المنظر رأينا رأى العين كل ماجرى ، وكيف أنقذ جمعة ذلك الرجل الذى أضر به الانفراد ، بيدأننا لم نعرف ماهية الوحش المقتول

ولم يحدث قتال قط ظهرت فيه الشجاعة والمهارة مثل القتال الذى ابتدأ بعد ذلك بقليل بين جمعة ودب ظهر لنا. وكان خوفنا عليه فى بدء القتال شديدا

---

(1) يَرْعب يخوّف

ولكنه تحول بعد ذلك إلى طرب وسرور. وغير خاف أن الدب ثقيل ضخم الجثة لا يعدو بسرعة كالذئب الذى ضربت الأمثال بخفته وسرعته. وفى الدب خصلتان هما قاعدتان لأعماله . أما الأولى فهى أنه لا يتعرض للناس إلا إذا ابتدءوه بالتعرض، أو كان جائعا جدا، وربما كان أمره حينئذ كما وصفت لأن الأرض كانت مغطاة بالثلوج، فأذا ابتعدت عن الدب ولم تتعرض له ابتعد عنك ولم يبتدئك بشىء تخشاه . وينبغى أن تعامله بالحسنى واللين وتحيد عن طريقه ، لأنه وإن كان مخلوقا ظريفا فهو لا يحيد خطوة عن طريقه ولو لأمير من الأمراء . وإذا توجست منه خيفة يجب أن تبحث لك عن طريق أخرى، وتستمر سائرا، لأنك إذا وقفت جامدا فى مكانك وأخذت تتفرس فيه يعد ذلك إهانة له وحطا من كرامته . وإذا أشرت إليه أو رميته بشىء ولو عودا صغيرا طول أصبعك فأصابه ، فأنه يغضب ويهيج تاركا كل أعماله جانبا متفرغا لأخذ ثأره . ولا بد له أن يحصل على ترضية تكفيه لرد شرفه المهان . تلك هى خصلته الأولى . وأما الثانية فهى أنه حقود يحمل الضغن ولا ينساه، فأذا أهين مرة لا يترك من أهانه حتى يلحق به ويقتص لنفسه .

وكان جمعة قد أنقذ دليلنا حين وصولنا إليه. وبينما كان يساعده على النهوض ويشجعه ،لما حل به من الألم والخوف، إذا بدب قد خرج بغتة من بين الأشجار، وكان كبيرا هائلا لم أر فى حياتى دبا مثله، فارتعدت فرائصنا جميعا لرؤيته، إلا جمعة فأنه حين رآه ظهرت على وجهه علامات الفرح والشجاعة ، وقال مشيرا إليه وَىْ [1] ثم التفت إلىّ وقال ياسيدى دعنى

---

(١) اسم فعل بمعنى أعجب

أصافحه وأهزيده لأضحككم قليلا . وقد أخذنى العجب مما شهدته فيه من الفرح والسرور ، فقلت له « يا أحمق لا تدن من الدب يأ كلك » فقال منكرا علىّ رأيى « إنه لا يقدر على أكلى . وسوف أريكم قوتى وحذقى . وسأضحككم قليلا . انتظروا هنا فستعجبون لما آتى به من الأعمال مع هذا الدب » ، ثم جلس على الأرض ، وخلع نعليه فى لحظة يسيرة ، ولبس خفا كان معه . ثم أعطى زمام جواده لخادمى الآخر ، وتناول سبطانته بيده ، وابتدأ يعدو كأنه الريح سرعة . وكان الدب يمشى الهوينى لا يتعرض لأحد حتى دنا منه جمعة وناداه قائلا « أيها الدب اصغ لما أريد . إنى أبغى أن أحدثك حديثا » كأن الدب يفهم مايقول . وكانت جماعتنا تتبعهما عن بعد . وكنا حينئذ قد نزلنا إلى جانب جبال جسكنى وصرنا إلى غابة ممتدة الأطراف والنواحى حيث كانت الأرض سهلة والأشجار كثيرة وإن كانت متفرقة .

استمر جمعة فى عدوه حتى أدرك الدب فتناول حجرا كبيراً ورماه به فأصاب رأسه ، ولكنه لم يحدث به ألما كأنه رمى به عرض الحائط . ولما أحس الدب بالحجر يلقى عليه رجع على عقبه وأراد أن يلحق الرامى ، وكان يخطو خطوات كبيرة راكضا خلف جمعة الذى قفل راجعا وأخذ يعدو نحونا كأنه يستغيث بنا ، فأخذنا الأهبة لقتل الدب بالرصاص وإنقاذ جمعة من الخطر ، وقد غضبت لما حدث لأن الدب كان سائرا فى طريقه لم يؤذنا . ومما زادنى غضبا هرب جمعة بعد إرجاع ذلك الوحش نحونا فناديته قائلا «أيها الكلب أهذا الضحك الذى وعدتنا به؟ عُدوخذ جوادك ودعنا نرمى الوحش بالرصاص» ولما سمع صوتى نادى بأعلى صوته قائلا «لا تقتلوا الدب

انتظروا تضحكوا كثيرا» ، ثم أبصر جمعة شجرة بَلُّوط تناسب طلبه فأشار إلينا أن نتبعه، واستدار كالبرق وصعد إلى تلك الشجرة التى اختارها، وكان قبل صعوده قد وضع سبطانته على الأرض على بعد بضعة أمتار من الشجرة .

وقد وصل الدب بعد قليل إليها ونحن نتبعه. وكان أول عمل له وقوفه عند السبطانة وشمها ، ولكنه لم يمسها ، ثم أخذ يتسلق الشجرة متشبثا[1] بهـا كالهرّ وإن كان ثقيلا جدا، وقد تعجبت لحماقة جمعة ، ولم أر فى عمله مايستوجب الضحك إلى أن رأيت الدب يعلو الشجرة .

ولـما وصلنا إليها وجدنا جمعة قـد تعلق بطرف رفيع فى غصن من أغصانها، وكان الدب فى منتصف الطريق إليه. ولما قرب الوحش من القسم الضعيف فى الغصن ضحك جمعة وقال « انظروا سأعلم الدب كيف يرقص» ثم أخذ يحرك الغصن فابتدأ الدب يترنح ذات اليمين وذات الشمال إلا أنه بقى فى مكانه، وأخذ يلتفت إلى الخلف ليرى كيف يمكنه الرجوع، فلم نقدر على الامساك عن الضحك، فقهقهنا ملء أفواهنا، ثم إن جمعة دعا الدب كأنه يحسن تفهم اللسان الأنجليزى وقال له « مالك لا تتقدم إلى الأمام ؟ أرجوك أن تتقدم إلىَّ أكثر من هـذا » ثم كف عن تحريك الغصن فتقدم الدب قليلا نحوه، كأنه فهم قصده، فابتدأ جمعة ثانية فى تحريك الغصن فكف الدب عن التقدم .

---

(١) تشبث بالشىء تعلق به

وقد كان الوقت مناسبا لضربه على رأسه، فقلنا لجمعة أن اهدأ لنرمى الوحش بالرصاص فصاح قائلا « أرجوكم ألا تفعلوا فسأقتله بعد قليل » ولا أطيل عليك القول فقد كان جمعة يكثر من هز الغصن والدب يقف حنقا حائرا حتى أكثرنا من الضحك، ولم ندر ماذا أراد جمعة أن يفعل بعد ذلك، فقد ظننا أولا أنه يريد أن يرمى الدب إلى الأرض، ولكنه كان على حذر تام، فلم يتقدم كثيرا ولم يرخ نفسه، بل تمسك بالغصن وساعدته مخالبه العريضة حتى لم ندر ماذا تكون العاقبة وكيف تنتهى تلك اللُّعبة

ولكن جمعة أزال اللَّبس سريعا لأنه لما علم أن الدب لا يتقدم إليه وأنه لا يمكن أن يرخى من إمساكه بالشجرة ناداه قائلا « إذا أحجمت عن التقدم إلىّ فأنا أسعى إليك » ثم أوغل فى تسلق الغصن حتى قرب من نهايته التى تنحنى بثقله فتدلى نازلا برفق عليه ، ولما قرب من الأرض ألقى بنفسه فجاء واقفا على قدميه، ثم أسرع نحو سبطانته فأخذها فى يده ووقف ساكنا .

فقلت له « ماذا تريد أن تعمل الآن ؟ ولماذا لا ترميه بنارك فتقضى عليه ؟ فقال لا أرميه الآن حتى أضحكك مرة أخرى. وقد كان ما أراد جمعة لأن الدب لما رأى عدوه قد هرب منه رجع بكل حذر زاحفا إلى الوراء على ذلك الغصن حتى وصل إلى جذع (١) الشجرة . وكان كلما زحف قليلا نظر وراءه ليقدر لرجله قبل الأقدام على نقلها موضعها ، ثم استمر فى الزحف وذنبه إلى أسفل ورأسه إلى أعلى. وقبل أن تلمس قدمه الأرض تقدم إليه جمعة

---

(١) جذع الشجرة ساقها

ووضع فتحة سبطانته فى أذنه ورماه نخر صريعا لا حراك به .

ونظر إلينا جمعة ليرى ما نحن فيه فلما رأى السرور باديا على وجوهنا ضحك بصوت عال وقال « هكذا نقتل الدب فى بلادنا » فقلت له « إنكم لاتملكون سبطانات كهذه » فقال « ولكننا نرمى جيدا بالقوس والنشاب [1] »

وقد كان هـذا القتال سارا لنا إلا أننا لم نسلم بعد ، لأننا مازلنا فى البرية ، وكان دليلنا فى ألم شديد ، فلم نعلم ماذا نعمل ،وكانت زمجرة السباع تهولنى كثيرا ، ولم أسمع قط شيئا أزعجنى مثل هذا الأزعاج إلا الزئير الذى سمعته من قبل على شواطىء إفريقية .

فكانت هذه الأشياء المخيفة ، وإقبال الليل ، تستحثنا على الأسراع فى سيرنا للوصول إلى بغيتنا ، ولولا ذلك لقبلنا رأى جمعة وسلخنا ذلك الوحش الهائل ، لأن جلده كان ثمينا ، ولكن الدليل كان يسرع بنا لنقطع الفراسخ الثلاث الباقية . ولذلك تركنا الدب وسعينا بجد إلى الأمام لنتم سياحتنا .

وكانت الأرض لاتزال مغطاة بالثلوج ، وإن لم تكن عميقة مخيفة ، كما كانت على الجبال . أما الحيوانات الوحشية المروعة فقد كانت تسمعنا أصواتها بعد أن نزلت من الجبال إلى الأودية والسهول لتبحث عن طعام تتغذى به . وقد آذت كثيرا من القرى بقتل غنمها وخيلها والقضاء على بعض أهلها

وقد كان أمامنا مكان آخر اعتاد المسافرون أن يروا فيه كثيرا من

---

(١) النُّشَّاب السهام مأخوذ من النشوب الواحد نُشابة

الذئاب، وهو سهل محوط بالأشجار والآجم من جميع جهاته، يخترقه ممر ضيق لا بد من اجتيازه حتى نصل إلى قرية أزمعنا المبيت فيها تلك الليلة

وقبل مغيب الشمس بنصف ساعة دخلنا الحرج الأول، وبعد مغيبها بقليل دخلنا السهل ولم نصادف فيه شيئاً غير خمسة من الذئاب كانت تعدو متتابعة كأنها رأت فريسة لها فلم تعرنا أى التفات، وبعد قليل توارت عن الأبصار . وقد أخبرنا الدليل بأن نكون على حذر لأننا سنرى ذئابا غيرها، فسرنا ونحن متأهبون لكل الطوارئ ، فكانت أسلحتنا بأيدينا، وأعيننا يقظة ترمق كل ماحولها، ولم نر ذئابا إلا بعد اجتيازنا ذلك الحرج الذى امتد نصف فرسخ، ووصولنا إلى السهل. فلم نكد نطؤه بأقدامنا حتى رأينا حصانا ميتاً قد أحاطت به ذئاب كثيرة ، وأكلت كل ما فيه من لحم، وهى الآن تعرك[1] عظمه علها تجد فيه ما يقوم ببعض حاجتها، فلم نر أن نزعجها، ولم تلتفت هى إلينا. وقد أراد جمعة أن يعاكسها، ولكنى لم أبح له هذا المسعى، لأنى تأكدت أننا سنجد أمامنا من أعمال الدفاع ما لا نطاب المزيد عليه، وقد كان ما ظننت ، فلم نسر قليلا حتى سمعنا عن يسارنا عواء ذئاب كثيرة ارتجفت لهوله فرائصنا، ثم رأينا نحو مائة منها تعدو صفاً مستقيما منتظما، كأحسن جيش قد نظمه ضباط خبيرون . ولم أعلم كيف نلقاها، ولكن وجدت أحسن شىء نعمله أن نجتمع معا. وهكذا فعلنا، وأمرت قومى أن يستعدوا فيطلق نصفهم بنادقهم عليها . وإذا استمرت فى عدوها نحونا يطلق الباقون عليها نارهم، ويكون الأولون

---

(١) عرك الشىء حكه حتى عفّاه

مستعدين بما بقى معهم من الأسلحة، لأن كل واحد منا كان مسلحاً ببندقة كبيرة وثنتين صغيرتين. وعلى ذلك كنا مستعدين لأطلاق ست طلقات على النظام السالف الذكر، ولكننا لم نضطر إلى استعمالها ثانية. لأنها عند سماعها الصوت وقفت حائرة مضطربة. وكان بعضها قد أصيب فى رأسه فخر ميتاً وبعضها جرح فولى هارباً، ورأينا أثر دمه على الثلوج بعد ذلك، ولكن الباقى لم يهرب. وقد علمت أن شر السباع يخاف صوت الأنسان ويخشاه فأمرت القوم أن يصرخوا بأعلى أصواتهم، فرفعوا عقيرتهم بالصراخ، فلما سمعت صوتهم ولت هاربة لا تلوى على شىء، ثم أمرت رجالى فأطلقوا عليها مرة ثانية، فهربت جميعها وبعدت عنا.

فوجدنا الفرصة سانحة لنملأ بنادقنا فملأناها سريعاً ولم نكد ننتهى من ذلك حتى سمعنا عن شمالنا أصواتاً تشيب لهولها النواصى تمتد أمامنا فى الناحية التى نتجه إليها. وقد هجم الليل علينا بخيله ورجله فساء حالنا وازداد العواء شدة على شدته حتى أيقنا أنه صوت تلك المخلوقات الضارية ثم رأينا بغتة ثلاثة قطعان من الذئاب عن يسارنا وخلفنا، وأمامنا، فكنا كمن أحيط بهم من كل فج وناحية. ولما رأيناها لا تهجم علينا أسرعنا فى طريقنا بقدر ما سمحت به خشونته. ولم نزل كذلك حتى قربنا من مدخل الحرج الذى أردنا اجتيازه عند منقطع السهل، ولكننا دهشنا جدا إذ رأينا الممر مكتظا بكثير من تلك الذئاب. وقد سمعنا إطلاق سبطانة عند مدخل آخر لذلك الحرج، ولما وجهنا وجوهنا نحوه رأينا حصانا خارجا منه وعلى ظهره سرج وفى رأسه لجام، وكان يركض كالريح، وخلفه نحو سبعة عشر ذئباً تجد فى إثره بكل ما أوتيت من قوة. وكان الجواد مبرزا

عليها وسابقها، ولكنا لم نظن أنه يستطيع أن يبقى كذلك طويلا، بل أيقنا أنها ستدركه وتمزقه شر ممزق

وقد رأينا منظرا محزنا تكاد تتفتت لهوله الأكباد، لأننا شاهدنا حين وصولنا إلى ذلك المعبر الذى خرج منه الجواد جثة حصان، وجثتى رجلين قد أكلتها الذئاب الضارية. وقد استنبطنا أن مطلق السبطانة التى سمعنا صوتها هو أحد ذينك الرجلين، لأننا رأينا سبطانته بجانبه، وقد أكل رأسه وما يليه من جسمه، ففزعنا من شدة الهول والوجل، وملئنا ذعرا. ولم ندر أين نتوجه. وبينما نحن كذلك فى تلك الحال المؤلمة إذا بالذئاب قد هجمت علينا وكان عددها لا يقل عن ثلثمائة ذئب من أحدّ الذئاب وأضراها. وقد اتفق أن رأينا بالقرب من مدخل ذلك الممر خشبا لاح لنا أنها قطعت فى الصيف الماضى. وربما كانت هناك لتنقل إلى جهة أخرى. فاقتدت جيشى الصغير وسط تلك الأشجار، ثم اصطففنا خلف شجرة طويلة منها، وأمرت الجميع أن ينزلوا عن خيلهم ويقفوا مكونين مثلثا فى وسطه خيلنا، ويتخذوا من الشجرة متراسا لهم. وقد أحسنا صنعا بما فعلنا لأن هجمة الذئاب التى تلت ذلك كانت شرسة جدا، إذ أقبلت وهى تعوى وتضج ضجيجا مروعا وثارت إلى تلك الشجرة التى اتخذناها وقاية لنا، وقد زادها شراسة رؤيتها خيلنا، فأمرت رجالى أن يطلقوا نارهم عليها كما فعلوا قبلا، فأحكموا رميها فقتلوا كثيرا منها، ولكننا كنا فى حاجة شديدة لاستمرار الأطلاق عليها لأنها استمرت فى هجومها كأنها الشياطين. وكان المتأخر منها يدفع المتقدم نحونا ليثب ويفترس

ولما أطلقنا عليها النار فى المرة الثانية ظننا أنها ستقف قليلا أو أنهـا ستفر من أمامنا، ولكنها لم تن إلا فترة قصيرة، ثم هجمت علينا فأطلقنا عليها النار مرتين، وأعتقد أننا قتلنا نحو ثمانية عشر ذئبا، وجرحنا ضعف هذا العدد، ولـكنها هجمت مرة أخرى ولم تكف عن شرها.

وكان جمعة يشتغل بأعداد البنادق بحُنكة وخبرة، وأما خادمى الآخر فدعوته إلى وأعطيته جزءا من البارود وكلفته أن يفرغه على الأرض بجانب تلك الشجرة فى خط طويل ففعل ذلك. ولما عاد إلينا تقدمت الذئاب إلى الشجرة ووثب عليها بعضها فأطلقت عنـد ذلك طلقا مس البارود فاشتعل وأحرق ما كان قد صعد على الشجرة من الذئاب، وثار سبعة منها علينا من شدة النار فى جسمها فقتلناها سريعا. وأما البقية فأنها خافت من النور الذى كان عظيما لشدة الظلام، فنكصت على عقبها، وارتدت قليلا إلى الوراء فأمرت كل رجالى بأطلاق بنادقهم مرة واحدة، ثم صحنا بعـد الأطلاق صيحة ارتجت لها الأنحاء، فولت الذئاب هاربة، ثم وثبنا على عشرين منها قد جرحت وكانت ساقطة مضرجة بدمائها فقطعناها بسيوفنا فكانت تعوى وتصرخ صراخا هائلا من شدة الألم ففهمت رفاقها معنى ذلك العواء فاختفت عن الأبصار وكفت شرها عنا.

وقـد كان ماقتل منهـا طول تلك المعركة ستين ذئبا، ولو كان القتال نهارا لزاد عدد القتلى كثيرا. ولمـا رأينا المـكان قد خلا من تلك الذئاب المفترسة واصلنا المسير فى طريقنا لنقطع الفرسخ الباقى حتى نصـل إلى المدينة. وقد سمعنا أثناء سيرنا عواء منكرا وأصواتا مزعجة، ولم نقدر على

رؤية تلك الوحوش لشدة لمعان الثلوج الذى غشى أبصارنا . وبعد مضى ساعة علينا وصلنا إلى المدينة فوجدنا أهلها فى رعب شديد، وقد استعدوا بسلاحهم، لأن الذئاب والدِّبَبة [1] هاجمتهم فى الليلة الماضية وأنزلت فى قلوبهم الرعب، فاضطروا لحراسة أنفسهم ودوابهم من شرها.

وفى صباح اليوم التالى اشتد بدليلنا المرض، وكان جسمه منتفخا فلم يستطع السفر معنا، فاستأجرنا دليلا غيره، فذهب بنا إلى تُولوُس حيث وجدنا الجو حارا والبلاد بهيجة خصبة، ولم نكن مهددين بثلوج ولا بذئاب. ولما قصصنا على أهل تولوس ما أصابنا فى الطريق أخبرونا بأن ذلك كثير الوقوع فى ذلك الحرج الكبير الذى فى سفح الجبل. وخاصة إذا كانت الأرض مغطاة بالثلوج. وقد عجبوا من الدليل الذى جرؤ أن يأتى بنا فى تلك الطريق فى مثل ذلك الوقت من السنة . لأن البرد يكون عادة شديدا جدا . وقد علمنا منهم أن نجاتنا من أفواه الذئاب كانت أعجب الأشياء . ولما وصفنا لهم كيف اصطففنا ووضعنا خيلنا فى الوسط سفهوا أحلامنا وقالوا إن منظر الخيل يهيج الذئاب لأنها فريستها . وقد اعتاد الذئاب الخوف من صوت البارود، ولكنها كانت جائعة فهاجت واشتدت رغبتها فى الفتك بالخيل فلم تبال بالخطر الذى كان يتهددها، ولو لم نستمر فى إطلاق النار عليها وإزعاجها بصوت البارود لمزقتنا شر ممزق . ولو أطلقنا النار عليها ونحن ممتطون صهوات خيلنا لكان ذلك خيرا لنا، لأنها لم تكن لتتحقق فريستها جيدا . وقد أخبرنا بأنا لو تركنا الخيل وراء

---

(١) جمع دب ويجمع أيضا على أدباب

ظهورنا لاكتفت بها ونجونا نحن من الخطر . ولا أخفى على القارئ حقيقة الحال فأنى لم أر نفسى مهددا بخطر كهذا ، وأى خطر أعظم من رؤية نحو ثلثمائة ذئب جائعة مقبلة نحونا وقد فغرت فاها لتبتلعنا ، ولم يكن لنا وَزَر نعتصم به منها.

وإنى يقينا لا أحب أن أفكر فى قطع ذلك الطريق مرة أخرى . وخير لى أن أسافر ألف فرسخ بحرا فى كل أسبوع مرة، وإن عصفت بى الأنواء ، من أن أسافر برا سفرة كهذه ، ولم يحدث لى شىء غير عادى أثناء سفرى فى فرنسا بل رأيت مايراه كل مسافر فيها. وقد تركت « تولوس» إلى باريس . وبعد إقامة مدة قصيرة فيها سافرت إلى كاليه ثم عبرت البحر إلى دوفر، ووصلت إليها آمنا فى اليوم الرابع من شهر يناير بعد أن قاسيت كل صعب من البرد القارس فى ذلك الفصل. وحينئذ ألقيت عصا التسيار بعد أن حصلت على جميع أموالى .

وقد وجدت تلك الأرملة الصالحة لاتزال باقية على العهد والوفاء لى، فأرشدتنى ودبرت لى شئونى . ووفاء لما بعثت لها به من الدراهم والدنانير لم تقصر فى مساعدتى مهما تحملت فى سبيل ذلك من الآلام. وقد أعطيتها كل ما كان معى فكانت خير أمين عليه . وكنت مطمئنا لتدبيرها وعنايتها . وسررت باستقامة تلك المرأة وأمانتها منذ عرفتها حتى آخر العهد بها.

وقد شعرت بميل إلى السفر إلى لشبونة ثم إلى البرازيل ، ولكن دينى منعنى من ذلك خشية التأثر بمذهب آخر، فرجعت عن ذلك الميل وفضلت

المكث حيث كنت. وكتبت إلى صديق فى لشبونة ليبيع مزارعى فى البرازيل، وأعطيته توكيلا بذلك، فعرضها على شركائى فقبلوا شراءها وأرسلوا ثلاثة وثلاثين ألف قطعة من ذوات الثمانية إلى أحد وكلائهم فى لشبونة ليدفعها للربان باسمى. وقد أرسل لى الربان من ذلك المبلغ ٣٢٨٠٠ وحفظ الباقى وهو ماعينته له ولابنه من المعاش السنوى كما ذكرت قبلا. وبعد بيعى لمزارعى فى البرازيل لم أستطع أن أطرد خيال تلك البلاد من ذاكرتى، ولا أن أغالب الميل الشديد الذى تسلط على لرؤية جزيرتى. وقد كانت الأرملة تزهدنى فى السفر حتى منعتنى سبع سنين عنه، فضممت إلىّ ابنى أخى، وكان لأكبرهما قليل من المال، فربيته تربية صالحة وأوصيت له بحصة من مالى يستولى عليها بعد موتى، وسلمت الآخر إلى ربان سفينة ليكون بحارا - وبعد خمس سنين رأيته فطنا شجاعا نشيطا فيما يعهد إليه به، فوضعته فى سفينة جيدة محكمة الصنع وأرسلته إلى البحر فجذبنى ذلك الشاب إليه مع كبر سنى، لأركب المحيط ثانية وأعرض نفسى للمخاطر والأهوال.

وقد تزوجت أثناء إقامتى هنا ورزقت ولدين وبنتا، ولكن توفيت امرأتى بعد ذلك، ولما رجع ابن أخى من سفرة ناجحة إلى إسبانيا تجدد شوقى إلى السفر، فوعدته بالذهاب معه فى سفينته إلى الهند الشرقية كتاجر من التجار. وكان ذلك سنة أربع وتسعين وستمائة وألف. وفى هذه الرحلة البحرية زرت جزيرتى ورأيت نجاح الأسبانيين الذين خلفونى عليها، وسمعت تاريخ حياتهم وحياة الأشرار الذين خلفتهم بها. وأخبرت كيف حقروا الأسبانيين وكيف اتفقوا ثم اختلفوا واتحدوا ثم تفرقوا. ثم علمت أن

الأسبانيين اضطروا أن يستعملوا القسوة معهم فأذلوهم ثم عاملوهم معاملة صالحة . وهـذا تاريخ ممتلىء بمختلف المفاجآت ، والمدهشات والعجائب كتاريخى السالف الذكر ، وخاصة تلك الوقائع والحروب التى دارت رحاها بينهم وبين المتوحشين الذين جاءوا كثيرا إلى جزيرتهم ، وتلك الأصلاحات التى قاموا بها وأحدثوها بالجزيرة ، وتلك الهجمة التى هجمها خمسة منهم على أرض المتوحشين ورجعوا بأحد عشر رجلا وخمس نساء أسرى . وعند رؤيتى الجزيرة هذه المرة وجدت بها عشرين طفلا . وقد أقمت بها عشرين يوما وغادرتها بعد أن تركت لساكنيها بعض مايحتاجون إليه من الأسلحة والبارود والرصاص والملابس والمعادن وصانعين ، نجار وحداد أحضرتهما معى من إنجلترا . وقد قسمت الأرض بينهم قسمة عادلة ، ولكنى احتفظت لنفسى بحق تملك الأرض جميعها وكلفتهـم أن يمكثوا بها ولا يغادروها إلى غيرها

وقـد تركتهم إلى البرازيل ، ومنها أرسلت لهم فى سفينة اشتريتها بعض مايحتاجون إليه ، وسبع نساء للخدمة أو للزواج لمن يحب منهم أن يقترن منهن . وقد وعدت الأنجليز الذين بجزيرتى أن أرسل إليهم بعض نساء من إنجلترا إذا جدوا فى زراعتهم .

وقد وفيت بالعهد الذى عاهدتهم عليه . وبرهنوا على أمانتهم ونشاطهم بعد أن قسمت الأرض بينهم ووجدوا سيدا لهم يسوسهم . وأرسلت إليهم من البرازيل خمس بقرات ، منها ثلاث يتبعها عجولها ، وقليلا من الغنم والخنازير . ولما رجعت إليهم ثانية رأيت تلك الحيوانات قد كثرت كثرة مدهشة .

ولقد مرت هناك حوادث وعبر يحق أن تكتب وتحفظ ، كهجوم ثلثمائة من آكلى لحوم البشر على الجزيرة، ومحاصرتهم لها، وإهلاكهم النبات، وقتال رجالى لهم مرتين غلبوا فى المرة الأولى، وكان لهم الغلب على أولئك المتوحشين ثانية بعد أن ثارت العواصف فهشمت زوارقهم، فبادوا ولم يبق لهم أثر . وأصلح قومى أرضهم وديارهم وعاشوا فى هناءة وغبطة يزرعون ويحصدون حتى كتابة هذه السطور. وإن قدر أن يكون فى العمر بقية فأنى سأكتب تلك القصص والأحاديث، وما شاهدته أثناء هذه الرحلة التى استغرقت عشر سنين » اه

تم بحمد الله



تصفحت هـذا الـكتاب بعد طبعه . فوجدت تقصيرا فى بعض كلمه . كان منشؤه التساهل فى دار الطبع . فأحببت الأشارة الى ذلك حبا فى زيادة الفائدة

الصفحة	السطر	الخطأ	الصواب
١٣	٨	وهى يبكى	وهو يبكى
١٧	٤	الجاربة	الجاريه
٣٧	١٠	رفقى	رفيقى
٥٥	١٣	أهاج	هاج
٥٦	٦	اخذة	آخذة
٧٥	٢	لتغطيها	ليعطيها
١٣٨	١٨	ذنوبى آثامى	ذنوبى وآثامى
١٤١	١١	حقى	حقلى
١٤٢	١	الائمون	الآثمون
٢١٢	١٠	وطواً	وطورا
٢١٤	١٠	والطاينة	والطمأنينة
٢١٥	١	للوصولى	للوصول
٢٣٢	١٦	وأمأت	وأومأت
٢٤٢	١٧	نتوسل	تتوسل
٢٦٥	١	اباه	إيّاه
٣١٣	١٩	كفيفة	لفيفة
٣١٨	١٦	خوزتى	حوزتى


Bibliotheca Alexandrina
03744433